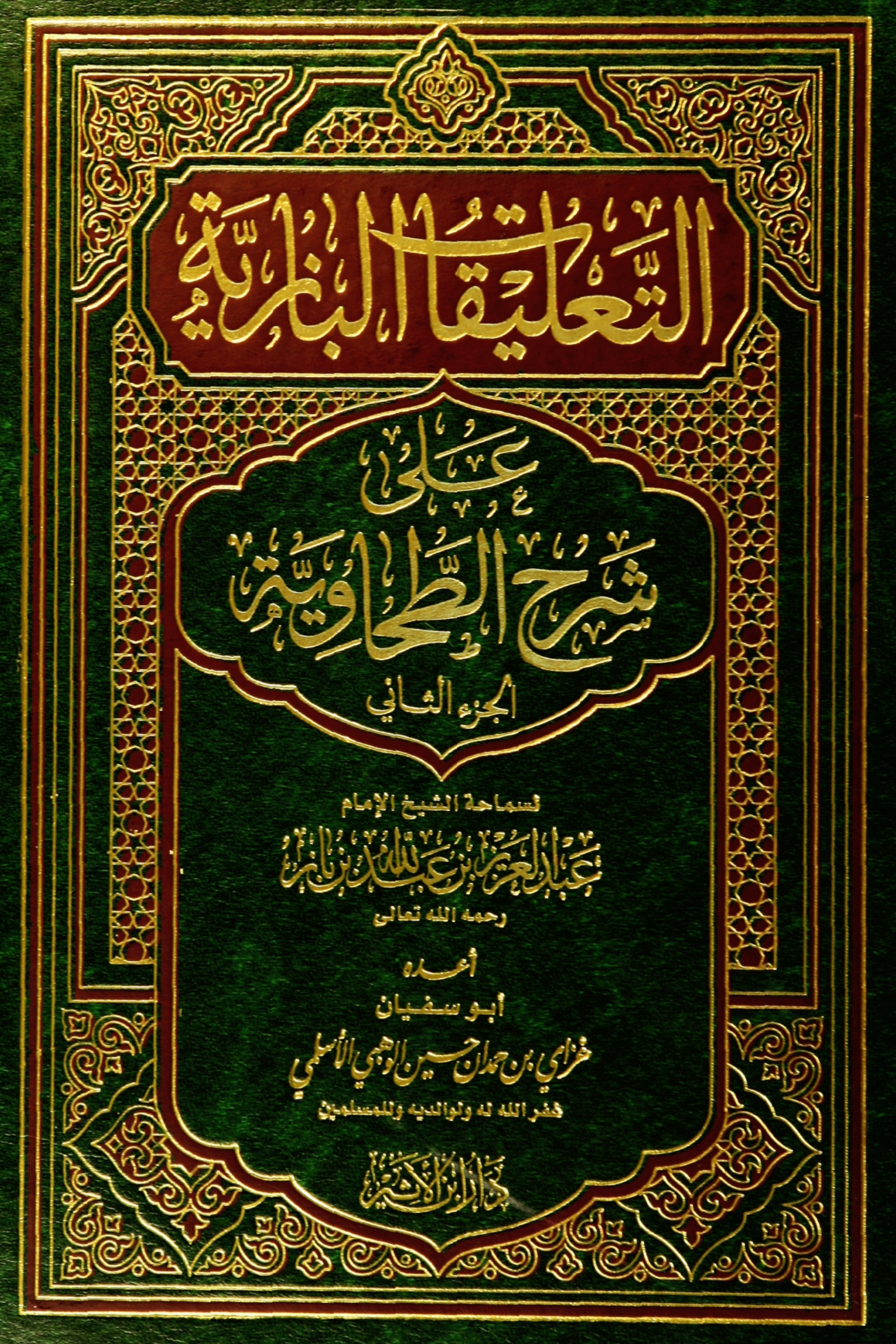
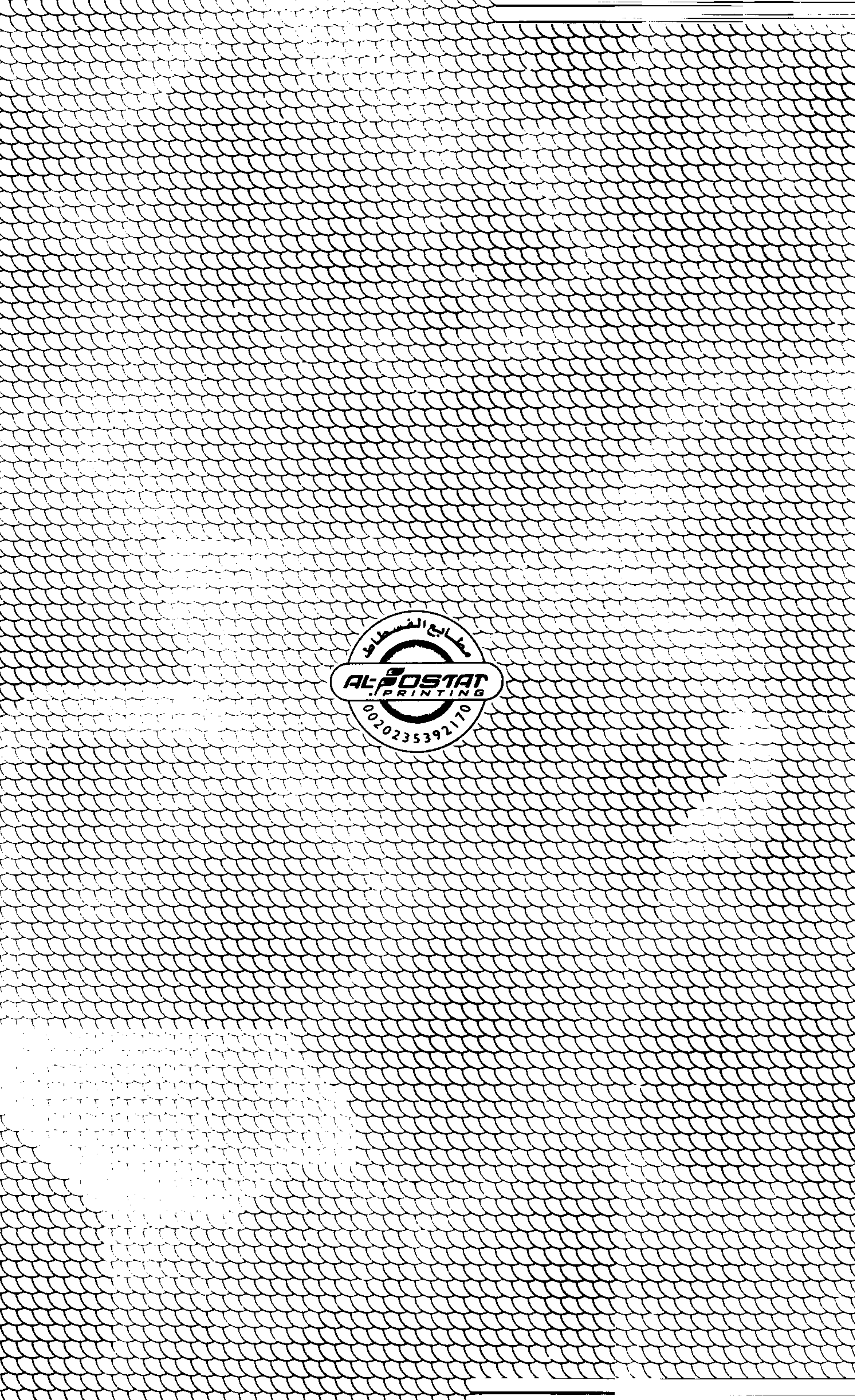
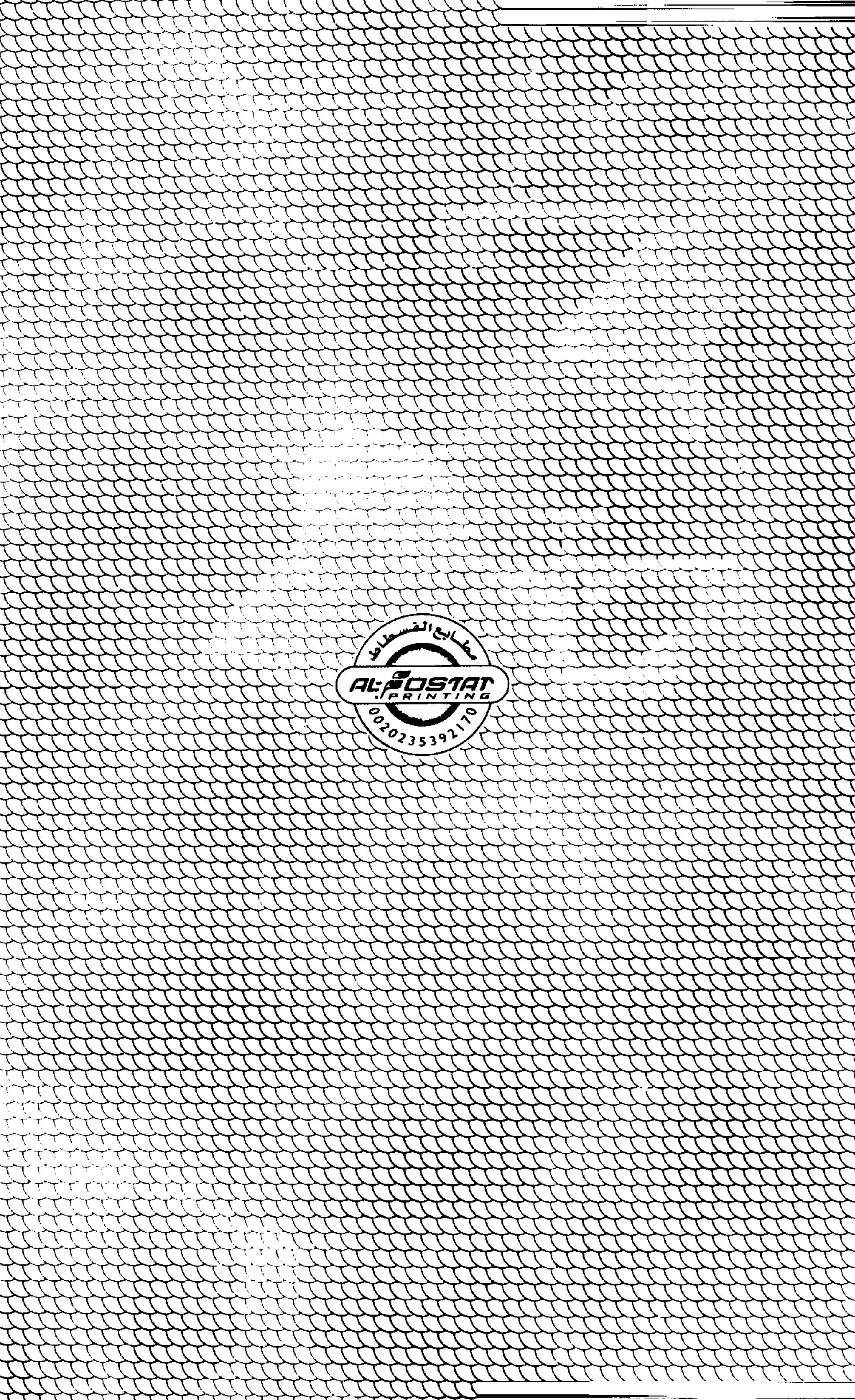

التعليقات البازية
على
شرح الطحاوية
الجزء الثاني
لسماحة الشيخ الإمام
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله تعالى
أعده
أبو سفيان
غرامي بن حمدان حسين الوهبي الأسلمي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
دار ابن الأثير


مطابع الفسطاط
AL-FOSTAT
PRINTING
0020235392170


مطابع الفسطاط
AL-FOSTAT
PRINTING
0020235392170

التعليقات البازية
على
شرح الطحاوية

الجزء الثاني

سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله تعالى

أعده

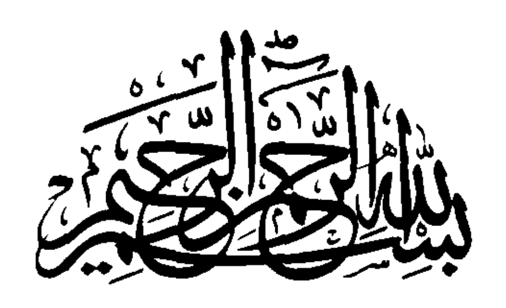
أبو سفيان

غزاي بن حمدان حسين الوهبي الأسلمي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



دار ابن الأثير



الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م



المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٥٣٦
هاتف : ٤٢٨٥٣٩٠ المعرض : ٢٦٧٧٥٨٤ فاكس : ٢٦٧٢٥٥٨
التوزيع : ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ - ٠٥٠٦١٠٨٧٠٧ الغربية : ٠٥٠٦٤١٦٠١٩

قوله: (ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليماً)

ش: قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ الخلة: كمال المحبة.

وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين، زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم، كما تقدم،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا ـ والعياذ بالله ـ من الجهل العظيم، وأي مناسبة أعظم من مناسبة عبد لمعبوده، والمحسَن إليه إلى محسِن، وذو موجود لموجِد، أعظم النسبة، وأعظمها صلة العبد بالمعبود، الذي أحسن إليه وأكرمه وأوجده من العدم، وغذاه بالنعم وتكرم عليه بأن وفقه لطاعته، وأعانه على ذكره وشكره، ما أعظم هذه المناسبة حتى يكون هذا المخلوق محباً لهذا الخالق، مقدساً له معظماً له متذللاً بين يديه، وأي نسبة بين عبد وعبد إلى هذه النسبة العظيمة، لو كان أهل الجهل وأهل التعطيل يفهمون ويعقلون، ثم أي فضل لمن لا يتكلم، بل هو أصم أبكم لا يسمع ولا يتكلم، لو كانوا يعقلون أيضاً؟

فإن السمع والبصر والكلام صفات كمال في حق المخلوق الناقص الضعيف، فكيف بحق الخالق العليم!؟ وقد عاب على المشركين أنهم

يعبدون من لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولكن الجهمية والمعتزلة وأشباههم ممن عطلوا الصفات، في عمى وفي بكم وفي صمم، وفي بعد عن الهدى، نسأل الله العافية ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦] فإن صفة المحبة وصفة الخلة وصفة الكلام وصفة السمع والبصر كلها صفات كمال، كلها صفات مدح وثناء، فكيف تستنكر وكيف تستغرب!؟ ويسأل الله بها سبحانه وتعالى، وهو أكرم الأكرمين وأعظم الراحمين وهو الجواد الكريم، وهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الخلاق العليم، فهو أولى بها من كل شيء.أهـ

* * *

وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية فضحى به خالد بن عبدالله القسري أمير العراق والمشرق بواسط، خطب الناس يوم الأضحى فقال: أيها الناس ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه[1]، وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم، فجزاه الله عن الدين وأهله خيراً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد قال ابن القيم رحمه الله في النونية في هذا المعنى:

---

(١) قصة قتل الجعد رواها الخلال في السنة (١٦٩٠) ٥/ ٨٨، وابن بطة في الإبانة (٣٨٦) ٢/ ١٢٠ باب ما روي في جهم وشيعته الضلال، والذهبي في مختصر العلو ص:١٣٣ (١١٥) وقال الحافظ في الفتح: ٣/ ٤٧٩: «أوردها البخاري في خلق أفعال العباد.» انتهى

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسـ ـري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

يعني بذلك خالداً، وهذه اشتهرت عند أهل العلم وجزموا بها، وقد يكون لها أسانيد أخرى، ما درى عنها.أهـ

* * *

وأخذ هذا المذهب عن الجعد ـ الجهم بن صفوان، فأظهره وناظر عليه، وإليه أضيف قول: الجهمية، فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد، وظهر قولهم في أثناء خلافة المأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام، ودعوهم إلى الموافقة لهم على ذلك، وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة، وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلاً وموسى كليماً، لأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلاً

ولكن محبته وخلته كما يليق به تعالى، كسائر صفاته، ويشهد لما دلت عليه الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»[1] يعني نفسه، وفي رواية: «إني أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» وفي رواية: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» فبين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً،

---

(١) صحيح، وتقدم نحوه.أهـ ألباني

وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق، مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً، كقوله لمعاذ: «والله إني لأحبك»[(١)] وكذلك قوله للأنصار[(٢)]، وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ، وابنه أسامة حبه، وأمثال ذلك. وقال له عمرو بن العاص: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها»[(٣)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا وصف الأنبياء كلهم ووصف المؤمنين، يحبون الله ويحبهم سبحانه وتعالى، ويحبون في الله ويبغضون في الله، والخلة معنى فوق ذلك، وبهذا يعلم أن الصديق أفضل الناس، قال: «**لو كنت متخذاً من أمتي خليلا لاتخذت أبابكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله**» «**ولكن أخوة الإسلام أفضل**» إلى غير ذلك، دل ذلك على أنه أولى الناس بهذا الوصف، فعلم بذلك أنه أفضلهم والمقدم فيهم، ولهذا صرح بهذا لعمرو حين سأله، قال من الرجال، قال: أبو بكر .أهـ

* * *

فعلم أن الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبوب بها لكمالها يكون محباً لذاته، لا لشيء آخر،

---

(١) صحيح، رواه أحمد وغيره، وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وهو مخرج في «صحيح أبي داود» برقم (١٣٦٢).أهـ ألباني

(٢) يشير إلى حديث أنس قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله ﷺ فقال: والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي «مرتين»، أخرجه البخاري.أهـ ألباني

(٣) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يكون محبوباً، أُحِبَ فهو محبوب، ويقال: محُبَ من أُحِب، وهو الرباعي، أُحِب فهو مُحَب، وأُكرم فهو مكرَم.

أخشى أن لا يكون استعمل من الثلاثي: أحب فهو حب محبوب، أظنه لم يستعمل الثلاثي، أظنه استعمل الرباعي أحب، أحببت فلاناً فهو محَب، قد تأتي محب بمعنى المحبوب ولكنه قليل.

ويكون محباً لذاته من أحب، أحببت زيداً فهو محَب، أكرمت زيداً فهو مكرَم، أعظمت زيداً فهو معظَم، الرباعي يصير مفعوله على وزن فعل مُفعِل، أكرمته فهو مكرِم ومعلِم، أما محب، فليس هناك محب.أهـ

* * *

إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة، لتخللها المحبة[1]، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب، ولذلك لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولداً صالحاً، فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه، ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله، فظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إيثاراً لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم، لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس على ما أمر، فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح نفسه مفسدة، فنسخ في حقه، وصارت الذبائح والقرابين من الهدايا والضحايا

---

(١) لعلها: لتخللها المحب. ابن باز.

سنة في أتباعه إلى يوم القيامة.

سؤال/ قد يقول قائل: إنه يستدل بهذا على البدء، امتحنه ثم بدا.

أجاب سماحة الشيخ: الله سبق بها علمه سبحانه وتعالى، تكلم مع آدم بعد أن لم يتكلم مع آدم في الجنة، ويوم القيامة يقول: «**يا أهل النار**» ويتكلم مع أهل الجنة ويقول «**هل رضيتم**»؟ والهوى إنما من يمشي على طريقة الجهمية وأشباههم، يعني كل شيء قديم، لا تتجدد له أسباب ولاصفات ولا معنى، وهذا غلط، هذا باختيار، يتكلم باختياره جل وعلا، ولا يلزم من هذا أن يكون مسبوقاً بجنس ضد هذه الصفة، لا يلزم من تكلمه يوم القيامة أن يكون مسبوقاً بالبكم أو بالصمم أو نحو ذلك، ولا يلزم من عدم قوله: «**هل رضيتم**»؟ أنه موصوف بأنه لم يرض أو لم يرضهم، لا يلزم من هذا، ما سبق قد سبق به علمه وقدره سبحانه وتعالى.أهـ

* * *

وكما أن منزلة الخلة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ كما تقدم، كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المراد الإسراء والمعراج، والمقصود أن الله كلمه، وفرض عليه الصلوات الخمس عليه الصلاة والسلام مشافهة من دون واسطة.أهـ

* * *

وهنا سؤال مشهور، وهو: أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم ﷺ، فكيف طلب له من الصلاة مثل ما لإبراهيم، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟ وكيف الجمع بين هذين الأمرين المتنافيين؟

وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة عديدة، يضيق هذا المكان عن بسطها، وأحسنها: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طلب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حصل لآل محمد ما يليق بهم لأنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لـ محمد ﷺ، فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره.

وأحسن من هذا: أن النبي ﷺ من آل إبراهيم، بل هو أفضل آل إبراهيم، فيكون قولنا: كما صليت على آل إبراهيم - متناولاً الصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم وهو متناول لإبراهيم أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإبراهيم وعمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران، وكما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ فإن لوطاً داخل في آل لوط، وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وقوله: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ فإن فرعون داخل في آل فرعون، ولهذا والله أعلم، أكثر روايات حديث الصلاة على النبي ﷺإنما فيها كما صليت على آل إبراهيم، وفي كثير منها: كما صليت على إبراهيم ولم يرد: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إلا في قليل من الروايات(١)، وما ذلك إلا

---

(١) قلت: وذلك لا يمنع صحتها، لاسيما وبعضها في صحيح البخاري، انظر كتابي «صفة الصلاة» ص ١٤٧ - الطبعة الحادية عشر، طبع المكتب الإسلامي. أهـ ألباني

لأن في قوله: كما صليت على إبراهيم، يدخل آله تبعاً، وفي قوله: كما صليت على آل إبراهيم، هو داخل آل إبراهيم، وكذلك لما جاء أبو أوفى رضي الله عنه بصدقة إلى النبي ﷺ دعا له النبي ﷺ وقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى»[1].

ولما كان بيت إبراهيم عليه السلام أشرف بيوت العالم على الإطلاق، خصهم الله بخصائص:

منها: أنه جعل فيه النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من أهل بيته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ [العنكبوت:٢٧] كل من كان بعد إبراهيم فهو من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الأنبياء.أهـ

* * *

ومنها: أنه سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة، فكل من دخل الجنة من أولياء الله بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم.

ومنها: أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين، كما تقدم ذكره.

ومنها: أنه جعل صاحب هذا البيت إماماً للناس، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ومنها: أنه أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياماً للناس ومثابة للناس وأمناً، وجعله قبلة لهم وحجاً، فكان ظهور هذا البيت في الأكرمين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن أبي أوفى.أهـ ألباني

ومنها: أنه أمر عباده أن يصلوا على أهل البيت، إلى غير ذلك من الخصائص.

قوله: (ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين).

ش: هذه الأمور من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية، فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته، حديث جبرائيل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١) فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وما ذلك إلا لبعدهم عما جاءت به الرسل، وتحكيمهم العقول، فهم أبعد الناس عما جاءت به الأنبياء، لأن هؤلاء الفلاسفة الأولين والآخرين إنما حكموا العقول، واعتمدوا على ما رأوه بأفكارهم واستنتاجاتهم، فصاروا بذلك أبعد الناس عما جاءت به الرسل، بخلاف من تلقى إيمانه وتلقى هدايته وعبادته عن الرسل، فهؤلاء أقرب الناس إلى السعادة والنجاة، ولما مال أهل البدع من أهل الكلام إلى أقوالهم واحتضنوها وعظموها؛ صاروا من أبعد الفرق عن الهدى، لأنهم تلقوا الأمر من غير طريقه، وساروا من غير السبيل المطلوب أن يسيروا عليه، فلهذا وقعوا بما وقعوا فيه من البدع كالجهمية والمعتزلة وغيرهم، ووقعوا في شر كبير وفساد عظيم في العقائد، لأنهم تلقوا ذلك عن غير الطريق السوي الذي تلقته الرسل عن ربهم عز وجل، وتلقاه أتباعهم عنهم.

فالحاصل أن السعادة والهدى والنجاة في تلقي العلوم النافعة والأعمال الصالحة عن الرسل وعن أتباعهم بإحسان، واعتماد الأدلة التي جاءوا بها، والنظر فيها والسير على ضوئها، هذه طريقة النجاة وهذه سبيل السعادة، أما من حاد عن هذا الطريق فإنه على حسب بعده عن هذا الطريق يكون هلاكه وضلاله.أهـ

* * *

فإن مذهبهم أن الله سبحانه موجود لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته، وإنما العالم عندهم لازم له أزلاً وأبداً، وإن سموه مفعولاً له فمصانعة ومصالحة للمسلمين في اللفظ، وليس عندهم

بمفعول ولا مخلوق ولا مقدور عليه، وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته! فهذا إيمانهم بالله.

وأما كتبه عندهم، فإنهم لا يصفونه بالكلام، فلا يكلَم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته، لينال من العلم أعظم ما يناله غيره! وقوة النفس، ليؤثر بها في هيولى العالم يقلب صورة إلى صورة! وقوة التخييل، ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل هذا الكلام باطل، كل هذا شيء قالوه بعقولهم وأفكارهم الضالة الفاسدة، لا حقيقة لها في الخارج، كله خيالات وترهات وضلالات وتلبيس على العالم لا أساس لها ولا صحة لها، وإنما هو باطل، والعالم ليس لازماً لله، بل خلقه سبحانه باختياره وإرادته ومشيئته، وهو المتصرف بعباده كيف يشاء سبحانه وتعالى، وما سواه مخلوق مربوب، والله الخلاق الرزاق سبحانه وتعالى.

وفي الحقيقة أن كلامهم لا يستحق أن ينقل، ولا يستحق أن ينظر فيه لبعده عن الهدى وفساده في نفسه، ولكن لبيان الحق ولبيان ما هم عليه من الباطل ينقل كلامهم لهذا القصد، حتى لا يغتر بهم أحد.

يظهر أن الهيولى صورة الشيء، والمادة أصله، فالذهب مادة، الفضة مادة، والهيولى الصورة التي عليها، من خاتم أو درهم أو حلي في الحلق أو ما أشبه ذلك، فالصورة التي يكون عليها تسمى هيولى، والمادة مادة الشيء من طين أو من حديد أو من حجر، اصطلاحات لهم.أهـ

* * *

وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان.

وأما اليوم الآخر، فهم أشد الناس تكذيباً وإنكاراً له في الأعيان، وعندهم أن هذا العالم لا يخرب، ولا تنشق السماوات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم ويبعثون إلى جنة ونار!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود إنكار ما جاءت به الرسل، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

كل هذا عندهم أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهم منها أتباع الرسل.

فهذا إيمان هذه الطائفة ـ الذليلة الحقيرة ـ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذه هي أصول الدين الخمسة.

وقد أبدلتها المعتزلة بأصولهم الخمسة التي هدموا بها كثيراً من الدين: فإنهم بنوا أصل دينهم على الجسم والعرض، الذي هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجوا بالصفات التي هي الأعراض، على حدوث الموصوف الذي هو الجسم، وتكلموا في التوحيد على هذا الأصل، فنفوا عن الله كل صفة، تشبيهاً بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام، ثم تكلموا بعد ذلك في أفعاله التي هي القدر، وسموا ذلك العدل، ثم تكلموا في النبوة والشرائع والأمر والنهي

والوعد والوعيد، وهي مسائل الأسماء والأحكام، التي هي المنزلة بين المنزلتين، ومسألة إنفاذ الوعيد، ثم تكلموا في إلزام الغير بذلك، الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه جواز الخروج على الأئمة بالقتال، فهذه أصولهم الخمسة، التي وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة التي بعث بها الرسول.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الأصول فيها من الفساد والشر ومخالفة النصوص ما لا يخفى على من له أدنى تأمل، فإن الله جل وعلا جعل أركان الإسلام خمسة على يد نبيه ﷺ، الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، وجعل أصول الإيمان ستة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وقال هؤلاء: أصول الدين خمسة، وغيروا ما جاء به النبي ﷺ، فقالوا: الأصول الخمسة:

التوحيد، هذا واحد، ثم فسروا التوحيد بما يخالف ما جاء به النبي ﷺ، فالتوحيد بيّن الرب جل وعلا أنه إخلاص العبادة لله وحده، والكفر بما يعبد من دون الله، الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، هم جعلوا التوحيد نفي الصفات وإبطال الصفات، وأن تكون ذاتاً مجردة عن الصفات، قالوا هذا هو التوحيد، فإذا أثبتّ الصفات، معنى ذلك أن هذا تشبيه له بالمخلوقات، فلم يميزوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فالله جل وعلا له صفات تليق به، وهو الواحد الأحد سبحانه وتعالى، هو الأول بجميع صفاته من العلم والقدرة والحياة وغير ذلك، والمخلوق له صفات تليق به، صفات جاءت بعد العدم، الإنسان كان معدوماً ثم جاء وبصفاته، هذا شيء وهذا شيء.

ثم تكلموا بالعدل، وأن الله جل وعلا هو الحكم العدل، فظنوا واعتقدوا بفساد عقولهم أن هذا العدل لا يتم إلا بإنكار القدر، فمن آمن بالقدر فلا عدل، كيف يمضي القدر ويقدّر عليهم أشياء، ثم يعاقبهم بما قدر عليهم؟ فأساءوا الظن بالله، وشبهوا على عباد الله، والله سبحانه وتعالى له الحكمة، وله التصرف في عباده، وهو الحكيم العليم جل وعلا، فالعدل أنه يضع الأشياء في مواضعها سبحانه وتعالى، فيعاقب من يستحق العقاب، ويثيب من يستحق الثواب، وينعم على عباده بما يشاء، ويضل من يشاء ويهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة، فهم جعلوا أصلاً سوى هذا، وقالوا لا عدل إلا بإنكار القدر، وأن الأمر أنف.

كذلك المنزلة بين المنزلتين، قالوا: العاصي لا يكون مسلماً ولا كافراً، ولكن في منزلة بين المنزلتين، والله جل وعلا جعل العاصي مسلماً على خطر، مؤمناً ناقص الإيمان، فلم ينف عنه الإيمان والإسلام جميعاً، بل ينفى عنه الإيمان الكامل، ويكون له الإيمان الناقص، وهو موصوف بالإسلام مع معصيته، ما لم تخرجه معصيته عن الإيمان، فإن أخرجته معصيته عن الإيمان وكانت كفراً، كسب الإله وسب رسوله وعدم الإيمان بالآخرة وعدم الإيمان بوجوب الصلاة وما أشبه ذلك من أمور الردة، فما دامت معصيته لا تخرجه عن الإسلام فهو مسلم، لا يكون في منزلة بين منزلتين، بل هو مسلم تحت مشيئة الله، إذا مات على معصيته.

ثم الأصل الرابع إنفاذ الوعيد، يقولون: لابد من إنفاذ الوعيد، فمن جاءت النصوص بأنه من أهل النار يكون من أهل النار، ولا يعفى عنه أبداً، وهذا من جهلهم، والله يقول: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] سبحانه وتعالى، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء من أهل

المعصية، إنما تحتم النار للكفار، هم الذين يتحتم في حقهم دخول النار والخلود فيها، أما العاصي فلا يتحتم عليه، قد يعفى عنه، قد يغفر الله له معصيته، قد يشفع فيه الشفعاء فلا يدخل النار، تحت مشيئة الله، فلا يجب إنفاذ الوعيد، ربنا قد يعفو ولا ينفذ الوعيد سبحانه وتعالى، فمن صفاته العظيمة ومن جميل إحسانه أنه يعفو ويصفح، وهو العفو الكريم سبحانه وتعالى، وإنفاذ الوعيد دائماً وعدم العفو ليس صفة كمال، إنما صفة الكمال أن يعفو إذا شاء وينفذ الوعيد إذا شاء، أما أن يلزم بإنفاذ الوعيد، فليس له إمكان في عدم إنفاذ الوعيد، فهذا من الجهل، إنما الوعيد الذي يجب إنفاذه، أوجبه سبحانه أن ينفذه وألزمه على نفسه في حق الكفرة، كما أوجب على نفسه رحمة المؤمنين وإدخالهم الجنة فضلاً منه سبحانه وتعالى.

وجعلوا إنفاذ الوعيد لازماً، واتفقوا مع الخوارج أن العاصي مخلد في النار، هذا رأيهم هم والخوارج، الخوارج كفروه وجعلوه مخلد في النار، والمعتزلة لم يكفروه في الدنيا، وجعلوا له شيئاً آخر عندهم في منزلة بين منزلتين، ولكن اتفقوا في الآخرة أنه مخلد في النار، فمن مات وهو زان فهو مخلد في النار، من مات وهو يشرب الخمر فهو مخلد في النار عندهم، من مات وقد عق والديه فهو مخلد في النار عندهم، من مات وهو قاطع رحم فهو مخلد في النار عندهم، من مات وقد شهد بالزور فهو مخلد في النار عندهم، إلا أن يتوب قبل أن يموت، كل عاصٍ مات على معصية غير تائب ليس تحت المشيئة، بل هو عندهم وعند الخوارج مخلد في النار، هذا الغلو، الغلو في إنفاذ الوعيد.

وعكسهم المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان شيء، والإيمان قول واعتقاد فقط، ولم يجعلوا الأعمال من الإيمان، فصار عندهم جفاء

قابلوا به المعتزلة.

والأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأصل أدخلوا فيه شراً، فقالوا في هذا الأصل إنه يجوز الخروج على السلطان والإمام إذا عصى، يجوز الخروج عليه ولو لم يكفر، بفعل المعصية جاز الخروج عليه، هذا جعلوه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا من أصولهم، والرسول ﷺ قال: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[1] فهؤلاء خالفوا هذا الأصل وخالفوا أهل السنة والجماعة، وقالوا: متى وجدت منه المعصية وجب الخروج عليه.

هذه الأصول الخمسة كلها خالفوا فيها أهل الحق، وجعلوها كأصول الدين عندهم بدلاً من أركان الإسلام الخمسة، وبدلاً من أركان الإيمان الستة، جعلوها أصولاً من كيسهم، ومن آرائهم الفاسدة ومن عقولهم الفاسدة، فينبغي التنبه لهذه الأصول، وعلى هذه الأصول درجت المعتزلة والزيدية والرافضة وجميع من ينتسب إلى الحسين من المتأخرين، ساروا على طريق المعتزلة في هذه الأصول الخبيثة، مع سبهم للصحابة، ومع ما عندهم من التصرف الآخر، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

سؤال/ هل يحكم بتكفيرهم بناء على هذه الأصول؟

أجاب سماحة الشيخ/ اختُلِف في تكفيرهم، منهم من كفرهم لأنها أصول واضحة الفساد، قاله جمع من أهل العلم، وآخرون قالوا: إنهم

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٦) كتاب الفتن / باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أموراً تنكرونها**» ومسلم (١٧٠٩) كتاب الإمارة / باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

شُبّه عليهم فيكونون عصاة ولا يكفرونهم، وقوم فرقوا، قالوا: دعاتهم كفار ومقلدوهم عصاة، وهو المشهور عند الحنابلة والجماعة، فالداعية كافر والمقلد عاصٍ، وظاهر النصوص تكفيرهم هم والخوارج، كما قال النبي ﷺ «**يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه**»(١) ولكن يظهر من كلام الكثير عدم التكفير لأجل الشبهة.أهـ

سؤال/ قولهم في المنزلة بين المنزلتين، ما حكم زوجته المسلمة عندهم من جهة الميراث؟

أجاب سماحة الشيخ/ في الدنيا يعامل معاملة أهل الإسلام، وفي الآخرة هو مخلد في النار، في الدنيا يعامل معاملة أهل الإسلام، هذا الظاهر عندهم.أهـ

❊ ❊ ❊

والرافضة المتأخرون، جعلوا الأصول أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني زادت الرافضة الإمامة، ومعروف عندهم الأصل الخامس، المنزلة بين المنزلتين.أهـ

❊ ❊ ❊

وأصول أهل السنة والجماعة تابعة لما جاء به الرسول.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٣٠-٦٩٣١-٦٩٣٢) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم / باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم (١٠٦٣-١٠٦٤-١٠٦٥-١٠٦٦-١٠٦٧-١٠٦٨) كتاب الزكاة / باب التحريض على قتل الخوارج، من حديث علي وجابر وأبي سعيد الخدري وابن عمر وأبي ذر وسهيل بن حنيف رضي الله عنهم.

وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول، كما تقدم بيان ذلك، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة - لما تضمنتا هذا الأصل -: لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، ففي الصحيحين عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[١] وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «بينا جبرائيل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا فضل عظيم لهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وهذا الحديث يحتمل أنه نزل بهما، ولم ينزل بهما جبرائيل، وهذا من خصائص هاتين السورتين، سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ويحتمل أنه نزل بهما جبرائيل سابقاً، ثم نزل بهما هذا الملك لمزيد عناية، لأن الأصل أن جبرائيل هو الذي جاء بالقرآن على النبي ﷺ، وهو الواسطة في الوحي بين الرسل وبين الله عز وجل، فهذه السورة وهاتان الآيتان نزل بهما هذا الملك ولم ينزل قبل ذلك، مع باب لم يفتح إلا ذلك اليوم، إعظاماً لهذه السورة وهاتين الآيتين، وإكراماً وتنويهاً بمحمد عليه الصلاة والسلام، فيكون ـ والله

(١) صحيح لإخراج الصحيحين له، وعزاه في «الجامع الصغير» لأصحاب السنن الأربعة فقصر، انظر صحيح الجامع (٦٣٤١).أهـ ألباني

(٢) صحيح لإخراج مسلم إياه (٢/ ١٩٨).أهـ ألباني

أعلم - نزولهما مرتين، مع جبرائيل ومع هذا الملك، أو أنهما نزلا بصفة خاصة مع هذا الملك دون بقية القرآن العظيم.

والفاتحة هي أعظم سورة في كتاب الله، وهكذا الآيتان فيهما الإيمان ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة:٢٨٥-٢٨٦] فيها العفو والسماح عن الأمة في هذه الأمور التي بينها سبحانه وتعالى في آخر السورة.أهـ

* * *

وقال أبو طالب المكي: أركان الإيمان سبعة، يعني هذه الخمسة، والإيمان بالقدر، والإيمان بالجنة والنار. وهذا حق، والأدلة عليه ثابتة محكمة قطعية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لا حاجة إلى ما زاده أبو طالب، الستة كافية، الزيادة ما لها صلة، أصول الإيمان ستة فقط، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، الإيمان بالجنة والنار داخل في الإيمان باليوم الآخر.أهـ

* * *

وقد تقدمت الإشارة إلى دليل التوحيد والرسالة.

وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني بأمر الله، جعلهم سبحانه بواسطة هذه الأشياء التي يصرفونها بأمر الله أهـ

* * *

وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله ومنهم: المرسلات عرفاً والناشرات نشراً والفارقات فرقاً والملقيات ذكراً ومنهم: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ ومنهم: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾. ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التي مفردها: فرقة وطائفة وجماعة، ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقدير، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله، ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ فهم عباد مكرمون، منهم الصافون، ومنهم المسبحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، ولا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة، فجبرائيل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم، فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطت السماوات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني للتعبد، هذا يدل على كثرة الملائكة، وأنه شيء عظيم لا يحصيهم إلا الله عز وجل ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] سبحانه وتعالى، يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك للعبادة، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم، والبيت المعمور في السماء السابعة على وزان الكعبة، فهذا يدل على أن الملائكة لها تعبد في هذا البيت، وأنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك مرة واحدة لا يعودون إليه، هكذا يكون كل يوم، فكم يكون عددهم

على طول الأيام والليالي؟.أهـ

* * *

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص، قال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم، فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان.

وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة، وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن

غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية، وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، ومن الناس من فصل تفصيلاً آخر، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة لقلة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني، و«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[١] والشيخ رحمه الله لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفي ولا إثبات، ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصداً، فإن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه وقف في الجواب عنها على ما ذكره في مآل الفتاوى، فإنه ذكر مسائل لم يقطع أبو حنيفة فيها بجواب، وعد منها: التفضيل بين الملائكة والأنبياء، وهذا هو الحق، فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصاً، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾. وفي الصحيح: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء ـ رحمة بكم غير نسيان ـ فلا تسألوا عنها»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ورد في الصحيح، يعني من الحديث الصحيح، ليس في الصحيحين أو أحدهما، تسامح في العبارة.أهـ

❊ ❊ ❊

(١) صحيح، رواه أحمد وغيره، وقد مر الحديث.أهـ ألباني

(٢) حسن لغيره، رواه الدارقطني وغيره، ثم تبينت أن الشواهد التي رفعته إلى الحسن ضعيفان جدا لا يصلحان للشهادة، كما أوضحته في «غاية المرام»(٤).أهـ ألباني

فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفياً وإثباتاً والحالة هذه أولى، ولا يقال: إن هذه المسألة نظير غيرها من المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة، لأن الأدلة هنا متكافئة، على ما أشير إليه، إن شاء الله تعالى.

وحملني على بسط الكلام هنا: أن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم: كان الملك خادماً للنبي ﷺ! أو: أن بعض الملائكة خدام بني آدم!! يعنون الملائكة الموكلين بالبشر، ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع، المجانبة للأدب، والتفضيل إذا كان على وجه التنقص أو الحمية والعصبية للجنس: لا شك في رده، وليس هذه المسألة نظير المفاضلة بين الأنبياء، فإن تلك قد وجد فيها نص، وهو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. وقد تقدم الكلام في ذلك عند قول الشيخ: «وسيد المرسلين» يعني النبي ﷺ، والمعتبر رجحان الدليل، ولا يهجر القول لأن بعض أهل الأهواء وافق عليه، بعد أن تكون المسألة مختلفاً فيها بين أهل السنة.

وقد كان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول أولا بتفضيل الملائكة على البشر، ثم قال بعكسه، والظاهر أن القول بالتوقف أحد أقواله. والأدلة في هذه المسألة من الجانبين إنما تدل على الفضل، لا على الأفضلية، ولا نزاع في ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مع العلم بأن أهل السنة والجماعة يقولون إن الملائكة لهم فضلهم العظيم، ولكن صالحي البشر من الأنبياء وأتباعهم أفضل، واحتجوا بأمور كما يأتي من ذلك، ومن أهم ما احتجوا به ما رواه الدارمي رحمه الله بسند جيد، يقول النبي

عليه الصلاة والسلام: «**يقول الله: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان**»[١] وأن الصلحاء من البشر من الأنبياء والرسل وأتباعهم أفضل لأمور منها هذا، ولأن الملائكة قد حفظهم الله من أسباب الفتنة، ولم يبتليهم بالشهوات وبالشيطان، بخلاف بني آدم، فإنهم ابتلوا بالشيطان والشهوة، فمن جاهد منهم نفسه لله وصابر واتقى شر نفسه وشيطانه فله منزلة عظيمة، ويأتي الكلام في هذا إن شاء الله.أهـ

❊ ❊ ❊

وللشيخ تاج الدين الفزاري رحمه الله مصنف سماه «الإشارة في البشارة» في تفضيل البشر على الملك، قال في آخره: اعلم أن هذه المسألة من بدع علم الكلام، التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كبير من المقاصد، ولهذا خلا عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع من الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه، لم يخل كلامه عن ضعف واضطراب. انتهى والله الموفق للصواب.

فمما استدل به على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، وذلك دليل على تفضيله عليهم، ولذلك امتنع

---

(١) قال الشيخ الألباني: ضعيف كما أشار إليه المصنف، وأما تعقب الشيخ أحمد شاكر عليه بقوله: هكذا أعل الشارح الحديث إسناداً ومتناً، وما أصاب في ذلك السداد، إذ قصّر في تخريجه، أما رواية الطبراني فإنها ضعيفة حقا بل في غاية الضعف، فقد نقلها ابن كثير في التفسير ٥/ ٢٠٦ بإسنادها من المعجم الكبير، ونقلها الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٨٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي وهو كذاب متروك، وفي إسناد الأوسط طلحة بن زيد وهو كذاب أيضاً، فهذان إسنادان لا تعبأ بهما.أهـ٣٠٦

إبليس واستكبر وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾.

قال الآخرون: إن سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر ربهم، وعبادة وانقياداً وطاعة له، وتكريماً لآدم وتعظيماً، ولا يلزم من ذلك الأفضلية، كما لم يلزم من سجود يعقوب لابنه عليهما السلام تفضيل ابنه عليه، ولا تفضيل الكعبة على بني آدم بسجودهم إليها امتثالاً لأمر ربهم.

وأما امتناع إبليس، فإنه عارض النص برأيه وقياسه الفاسد بأنه خير منه، وهذه المقدمة الصغرى، والكبرى محذوفة، تقديرها: والفاضل لا يسجد للمفضول! وكلتا المقدمتين فاسدة: أما الأولى: فإن التراب يفوق النار في أكثر صفاته، ولهذا خان إبليس عنصره، فأبى واستكبر، فإن من صفات النار طلب العلو والخفة والطيش والرعونة، وإفساد ما تصل اليه ومحقه وإهلاكه وإحراقه، ونفع آدم عنصره، في التوبة والاستكانة، والانقياد والاستسلام لأمر الله، والاعتراف وطلب المغفرة، فإن من صفات التراب الثبات والسكون والرصانة، والتواضع والخضوع والخشوع والتذلل، وما دنا منه ينبت ويزكو، وينمي ويبارك فيه، ضد النار.

وأما المقدمة الثانية، وهي: أن الفاضل لا يسجد المفضول ـ: فباطلة، فإن السجود طاعة لله وامتثال لأمره، ولو أمر الله عباده أن يسجدوا لحجر لوجب عليهم الامتثال والمبادرة، ولا يدل ذلك على أن المسجود له أفضل من الساجد، وإن كان فيه تكريمه وتعظيمه، وإنما يدل على فضله. قالوا: وقد يكون قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ بعد طرده لامتناعه عن السجود له، لا قبله، لينتفي الاستدلال به.

ومنه: أن الملائكة لهم عقول وليست لهم شهوات، والأنبياء لهم

عقول وشهوات، فلما نهوا أنفسهم عن الهوى، ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل.

وقال الآخرون: يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة وتحمل العبادة وترك الونى والفتور فيها ـ: ما يفي بتجنب الأنبياء شهواتهم، مع طول مدة عبادة الملائكة.

ومنه: أن الله تعالى جعل الملائكة رسلاً إلى الأنبياء، وسفراء بينه وبينهم.

وهذا الكلام قد اعتل به من قال: إن الملائكة أفضل، واستدلالتهم به أقوى، فإن الأنبياء المرسلين، إن ثبت تفضيلهم على المرسل إليهم بالرسالة، ثبت تفضيل الرسل من الملائكة إليهم عليهم، فإن الرسول الملكي يكون رسولاً إلى الرسول البشري.

ومنه: قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ الآيات.

قال الآخرون: وهذا دليل على الفضل لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله، وليس الخضر أفضل من موسى، بكونه علم ما لم يعلمه موسى، وقد سافر موسى وفتاه في طلب العلم إلى الخضر، وتزود لذلك، وطلب موسى منه العلم صريحاً، وقال له الخضر: «إنك على علم من علم الله» إلى آخر كلامه، ولا الهدهد أفضل من سليمان عليه السلام، بكونه أحاط بما لم يحط به سليمان عليه السلام علماً.

ومنه: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾.

قال الآخرون: هذا دليل الفضل لا الأفضلية، وإلا لزم تفضيله على محمد ﷺ.

فإن قلتم: هو من ذريته؟

فمن ذريته البر والفاجر، بل يوم القيامة إذا قيل لآدم: «ابعث من ذريتك بعثاً إلى النار، يبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الجنة»[١] فما بال هذا التفضيل سرى إلى هذا الواحد من الألف فقط.

ومنه: قول عبدالله بن سلام رضي الله عنه: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ» الحديث[٢].

فالشأن في ثبوته، وإن صح عنه فالشأن في ثبوته في نفسه، فإنه يحتمل أن يكون من الإسرائيليات.

ومنه: حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة قالت: يا ربنا، أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة؟ قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان»[٣] أخرجه الطبراني.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة.أهـ ألباني

(٢) المستدرك (٤/ ٥٦٨-٥٦٩) بسند صحيح عنه، وصححه الذهبي.أهـ ألباني

(٣) ضعيف، كما أشار إليه المصنف، وأما تعقب الشيخ أحمد شاكر عليه بقوله: «هكذا أعل الشارح الحديث إسناداً ومتناً، وما أصاب في ذلك السداد، إذ قصر في تخريجه، أما رواية الطبراني فإنها ضعيفة حقاً، بل غاية في الضعف، فقد نقلها ابن كثير في التفسير (٥/ ٢٠٦) بإسنادها من المعجم الكبير، ونقلها الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٢) وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي، وهو كذاب متروك، وفي إسناد الأوسط طلحة بن زيد، وهو كذاب أيضاً» فهذان إسنادان لا تعبأ بهما، ولكن الحديث رواه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على المريسي ص (٣٤) بإسناد صحيح مطولاً: رواه عن عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وهذا إسناد لا مغمز =

= فيه، وقد أشار إليه الحافظ ابن كثير في التاريخ (١/ ٥٥) مختصراً، من رواية عثمان بن سعيد، وأشار إلى صحته.

وأما رواية عبدالله بن أحمد بن حنبل: فإنها من زياداته في «كتاب السنة» الذي رواه عن أبيه (ص:١٤٨ من طبعة السلفية بمكة) فقال عبدالله: «حدثني الهيثم بن خارجة، حدثنا عثمان بن علاق، وهو عثمان بن حصن بن علاق [وكتب في المطبوعة: محصن! خطأ] سمعت عروة بن رويم يقول: أخبرني الأنصاري عن النبي ﷺ...».

فهذا إسناد ظاهره الصحة أيضاً، وإن لم أستطع أن أجزم بذلك، لأن عروة بن رويم لم يصرح فيه بأن الأنصاري الذي حدثه به صحابي، فجهالة الصحابي لا تضر، وهو يروي عن أنس بن مالك الأنصاري، فإن يكنه يكن الإسناد صحيحاً، وهذا محتمل جدا، وإن كنت لا أقطع به .. فإن الحديث ذكره ابن كثير في التفسير (٥/ ٢٠٦ـ٢٠٧) نقلاً عن ابن عساكر، بإسناده إلى عثمان بن علاق: «سمعت عروة بن رويم اللخمي، حدثني أنس بن مالك، عن النبي ﷺ..» فهذا قد يرجح أن الأنصاري في رواية عبدالله بن أحمد هو أنس بن مالك الأنصاري، ولكن إسناد ابن عساكر لم يتبين لي صحته من ضعفه.

وأيا ما كان، فرواية عبدالله بن أحمد، ورواية ابن عساكر تصلحان للاستشهاد، وتؤيدان صحة حديث عبدالله بن عمرو، بإسناد الدارمي.

أما إعلاله من جهة المتن والمعنى، فإنه غير جيد ولا مقبول، فإن الملائكة لم يعترضوا بهذا على ربهم، ولم يتبرموا بأحوالهم، وإنما سألوا ربهم، وهم عباد مطيعون، يرضون بما أمرهم الرب تبارك وتعالى، إذا لم يستجب دعاءهم، ومثال ذلك الآيات في خلق آدم في أول سورة البقرة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الآيات ٣٠ـ٣٣».

قلت: فلا ترى فيه ما ينهض على تصحيح الحديث، وإليك البيان بإيجاز:

١ ـ أما قوله في طريق الدارمي: «وهذا إسناد صحيح لا مغمز فيه، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى صحته» ففيه نظر لأمرين :

الأول: أننا لا نسلم بصحته مع وجود عبدالله بن صالح في طريقه، فإنه وإن كان البخاري أخرج له في صحيحه، فهو متكلم فيه من قبل حفظه، ولا يتسع هذا التعليق للإفاضة في ذكر أقوال الأئمة فيه، فحسبنا ما ذكره الحافظ ابن حجر في ترجمته من «التقريب» وهو إنما يذكر فيه عادة خلاصة أقوال الأئمة فيمن يترجمه، قال: «صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة». =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الحديث هو أصرح ما في الباب، وقد احتج به أبو العباس بن تيمية وابن القيم وغيرهم، وذكروا ما يدل على سلامة سنده، بقوله: «لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان» صريح في أن ذرية بني آدم

= الثاني: أننا لا نسلم أيضاً أن ابن كثير أشار إلى صحة الحديث، ذلك لأن غاية ما قال فيه: «هو أصح» وهذا القول لا يفيد تصحيحا مطلقا للحديث، بل تصحيحا نسبيا وهو لا ينافي ضعفه، كما في قول الترمذي في كثير من الأحاديث :«هو أصح شيء في الباب» فهذا لا يؤخذ منه صحة الحديث كما هو مقرر في المصطلح، فكذلك قول الحافظ ابن كثير هنا، والله أعلم.

٢ ـ حديث عبدالله بن أحمد بسنده عن الأنصاري، فلا شك في عدالة رواته باستثناء الأنصاري، وإنما البحث في كون الأنصاري إنما هو أنس بن مالك رضي الله عنه، لأنه إن كان هو فالحديث متصل الإسناد، صحيح كما قال الشيخ أحمد، لكن استئناسه على ذلك برواية ابن عساكر التي نقلها عن تفسير ابن كثير مما لا يصلح له، لأن ابن عساكر أورده (١٥/ ٦٦/ ١ـ٢) من طريق محمد بن أيوب بن الحسن الصيدلاني، وفي ترجمته ساق الحديث، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ودونه جماعة لم أجد من ترجمهم، فمثل هذا الإسناد الواهي لا يترجح كون الأنصاري هو أنس، على أنني قد وقفت له في ابن عساكر على طريق أخرى ضعيفة أيضاً، سمي فيه الصحابي جابر بن عبدالله الأنصاري، أخرجه (٩/ ٤٠٧/ ٢) من طريق هشام بن عمار: نا عبدربه بن صالح القرشي قال: سمعت عروة بن رويم يحدث عن جابر بن عبدالله الأنصاري مرفوعاً به، والقرشي هذا لم أجد له ترجمة وهشام بن عمار، وإن أخرج له البخاري، فهو متكلم فيه أيضاً، قال الحافظ في التقريب: «صدوق، مقرىء، كبر فصار يتلقن». وجملة القول أن حديث ابن رويم هذا ضعيف لجهالة الأنصاري واضطراب الروايتين الأخيرتين في تعيينه، فأولاهما تقول إنه أنس، والأخرى تقول إنه جابر، ولا يصلح عندي تقويته بحديث عبدالله بن صالح لاحتمال أنه مما أدخل عليه، قال ابن حبان: «كان في نفسه صدوقاً، وإنما وقعت المناكير في حديثه من قبل جار له، كان بينه وبينه عداوة، كان يضع الحديث على شيخ أبي صالح ويكتبه بخط يشبه خط عبدالله ويرميه في داره بين كتبه، فيتوهم عبدالله أنه خطه فيحدث به!».

هذا، ويحتمل أن يكون أصل الحديث من الإسرائيليات التي كان يحدث بها بعض الذين أسلموا من أهل الكتاب، ثم أخطأ بعض الرواة فرفعه إلى النبي ﷺ، كما صنعوا بقصة هاروت وماروت، والله أعلم.اهـ ألباني

الصالحين أفضل من الملائكة، والحديث أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في رده على بشر المريسي، وظاهر ما ذكره الأئمة أن إسناده جيد، وهذ هو المعروف، المعروف سند عثمان بن سعيد فإنه جيد وسليم، ولهذا جزم أبو العباس بن تيمية وابن القيم، جزموا بأن هذا حجة قائمة في تفضيل صالح بني آدم على الملائكة، لقوله: «لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان»وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، مذهب أهل السنة والجماعة هو أن صالحي البشر أفضل من الملائكة، لأن صالحي البشر خلقوا لعبادة الله وابتلوا، ابتلوا بالشهوات وابتلوا بالشيطان، ومن سلم منهم وعافاه الله صار أفضل من الملائكة الذين حفظوا من الشيطان والشهوات، فالذي يكابد الشهوات ويكابد الشيطان و يجاهد نفسه في ذلك، ليس مثل الذي حفظ وسلم، بينهما فرق عظيم.

وهذا السند الذي ذكره عثمان لا بأس به، عثمان بن سعد جيد في روايته عن زيد بن أسلم وليس به بأس، وعبد الله بن صالح جيد وإن كان له بعض الأوهام، ومثل ما قال الأئمة: إن الأصل سلامة الإسناد، الإنسان قد يهم، قد يغلط، ما يمنع من صحة أسانيده، إلا إذا عرف الغلط والوهم، ولو أن كل واحد له أوهام بطلت أحاديثه لبطل شيء كثير، لكن الأصل في الثقة والصدوق السلامة، حتى يتبين وجه الخطأ بمجيء طرق أخرى أوثق منه تبين وجه الخطأ، وإلا فالأصل صحة رواية عبدالله بن صالح عن شيوخه، إلا ما ثبت خطؤه فيهم.

ومن جهة المتن فليس فيه نكارة، كون الملائكة يسألون و يجيبهم الله لا شيء فيه، وما في هذا نكارة، والمسألة ليست من الأهمية بمكان، سواء فضل هؤلاء على هؤلاء أو هؤلاء على هؤلاء، ما لها كبير أهمية،

صالحوا البشر والملائكة كلهم في خير عظيم وفضل كريم، سواء فضل هؤلاء على هؤلاء أو هؤلاء على هؤلاء، فالمسألة مثل ما قال الفزازي: ليس من الأهمية بمكان، ومذهب أهل السنة مع هذا يرون تفضيل الأنبياء والرسل وصالحي البشر على الملائكة للأسباب المتقدمة، والمعتزلة وجماعة يقولون: أولئك أفضل لأنهم معصومون من المعاصي، فهم أفضل، وبكل حال فقول أهل السنة أظهر وأبين.أهـ

❊ ❊ ❊

وأخرجه عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل عن عروة بن رويم، أنه قال: أخبرني الأنصاري، عن النبي ﷺ أن الملائكة قالوا، الحديث،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصحابي لا تضر جهالته، لكن المقصود أنه لا يدرى هل هو صحابي أو غير صحابي، قد يكون أنصارياً وليس بصحابي، فيكون مرسلاً، لا يكون متصلاً، فالأنصار فيهم صحابة وفيهم تابعون، فإذا كان من رواية عروة بن رويم عن أنصاري تابعي فيكون مرسلاً، وإذا صرح به عرف، إذا صرح بأنه أنس أو جابر صار متصلاً لا مرسلاً.أهـ

❊ ❊ ❊

وفيه: «وينامون ويستريحون فقال الله تعالى: لا، فأعادوا القول ثلاث مرات، كل ذلك يقول: لا».

والشأن في ثبوتهما، فإن في سنديهما مقالاً، وفي متنهما شيئاً، فكيف يظن بالملائكة الاعتراض على الله مرات عديدة؟ وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون؟ وهل يظن بهم أنهم متبرمون بأحوالهم، متشوفون إلى ما سواها من شهوات بني آدم؟

والنوم أخو الموت، فكيف يغبطونهم به؟ وكيف يظن بهم أنهم يغبطونهم باللهو، وهو من الباطل؟

قالوا: بل الأمر بالعكس، فإن إبليس إنما وسوس إلى آدم ودلاه بغرور، إذ أطمعه في أن يكون ملكاً بقوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

فدل أن أفضلية الملك أمر معلوم مستقر في الفطرة، يشهد لذلك قوله تعالى، حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند رؤية يوسف وقلن: حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم. وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾.

قال الأولون: إن هذا إنما كان لما هو مركوز في النفس: أن الملائكة خلق جميل عظيم، مقتدر على الأفعال الهائلة، خصوصاً العرب، فإن الملائكة كانوا في نفوسهم من العظمة بحيث قالوا إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وعبدوهم كذلك. أهـ

* * *

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قال الآخرون: قد يذكر العالمون، ولا يقصد به العموم المطلق، بل في كل مكان بحسبه، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَلَقَدِ

اخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ والبرية: مشتقة من البرء، بمعنى الخلق، فثبت أن صالحي البشر خير الخلق.

قال الآخرون: إنما صاروا خير البرية لكونهم آمنوا وعملوا الصالحات، والملائكة في هذا الوصف أكمل، فإنهم لا يسأمون ولا يفترون، فلا يلزم أن يكونوا خيراً من الملائكة، هذا على قراءة من قرأ البريئة بالهمز، وعلى قراءة من قرأ بالياء، إن قلنا: إنها مخففة من الهمزة، وإن قلنا: إنها نسبة إلى البرى وهو التراب، كما قاله الفراء فيما نقله عنه الجوهري في الصحاح- : يكون المعنى: أنهم خير من خلق من التراب، فلا عموم فيها، إذاً[١] لغير من خلق من التراب.

قال الأولون: إنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كملوا، ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، وحباهم الرحمن بمزيد قربه، وتجلى لهم ليستمتعوا بالنظر إلى وجهه الكريم.

وقال الآخرون: الشأن في أنهم هل صاروا إلى حالة يفوقون فيها الملائكة أو يساوونهم فيها؟ فإن كان قد ثبت لهم أنهم يصيرون إلى حال يفوقون فيها الملائكة سلم المدعى، وإلا فلا.

ومما استدل به على تفضيل الملائكة على البشر: قوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾. وقد ثبت

---

(١) فالعموم فيها لغير من خلق، «إذ» ليس لها معنى، لأن الملائكة خلقوا من النور ما خلقوا من التراب .ابن باز

من طريق اللغة أن مثل هذا الكلام يدل على أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه، لأنه لا يجوز أن يقال: لن يستنكف الوزير أن يكون خادماً للملك، ولا الشرطي أو الحارس! وإنما يقال: لن يستنكف الشرطي أن يكون خادماً للملك ولا الوزير، ففي مثل هذا التركيب يترقى من الأدنى إلى الأعلى، فإذا ثبت تفضيلهم على عيسى عليه السلام ثبت في حق غيره، إذ لم يقل أحد إنهم أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

أجاب الآخرون بأجوبة، أحسنها، أو من أحسنها: أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه، وفي العبودية خضوع وذل وانقياد، وعيسى عليه السلام لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ ومثل هذا يقال بمعنى: إني لو قلت ذلك لادعيت فوق منزلتي، ولست ممن يدعي ذلك.

أجاب الآخرون: إن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ فأمر أن يقول لهم: إني بشر مثلكم أحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب، لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب، فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

ومنه ما روى مسلم بإسناده، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن

الضعيف، وفي كل خير»[١] ومعلوم أن قوة البشر لا تداني قوة الملك ولا تقاربها.

قال الآخرون: الظاهر أن المراد المؤمن من البشر- والله أعلم - فلا تدخل الملائكة في هذا العموم.

ومنه ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال فيما يروي عن ربه عز وجل، قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[٢] الحديث، وهذا نص في الأفضلية.

قال الآخرون: يحتمل أن يكون المراد خيراً منه للمذكور لا الخيرة المطلقة.

ومنه ما رواه إمام الأئمة محمد بن خزيمة، بسنده في كتاب التوحيد عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا جالس إذ جاء جبرائيل، فوكز بين كتفي، فقمت إلى شجرة مثل وكري الطير، فقعد في إحداها، وقعدت في الأخرى، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين، وأنا أقلب بصري، ولو شئت أن أمس السماء مسست، فنظرت إلى جبرائيل كأنه حلس لاطئ، فعرفت فضل علمه بالله علي»[٣] الحديث.

---

(١) وهو طرف حديث عند مسلم (٨/ ٥٦) وهو مخرج في «ظلال الجنة» (٣٥٦).أهـ ألباني

(٢) صحيح لإخراج الشيخين له، وهو مخرج في «الصحيحة» تحت الحديث (٢٢٨٧).أهـ ألباني

(٣) ضعيف، فيه الحارث بن عبيد الأيادي، وهو ضعيف لسوء حفظه، وقول الشيخ أحمد شاكر: «تكلم فيه بغير حجة، والراجح توثيقه» مردود، فقد قال فيه الإمام أحمد: مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن حبان: كان ممن كثر وهمه حتى خرج عن جملة من يحتج بهم إذا انفردوا. =

قال الآخرون: في سنده مقال فلا نسلم الاحتجاج به إلا بعد ثبوته[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحلس بمعنى البساط وما أشبهه، يعني متواضع.

وتلقيب ابن خزيمة بإمام الأئمة هذا مشهور عنه، لأجل نشاطه في الرد على أهل البدع، وقوته على أهل البدع رحمه الله، إمام الأئمة في زمانه.أهـ

* * *

وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، وتوقف أبو حنيفة رضي الله عنه في الجواب عنها، كما تقدم. والله أعلم بالصواب.

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء، لا

= ومن المقرر في المصطلح أن الجرح مقدم على التعديل، وقد تبين من هذه الكلمات أن ضعفه بسبب وهمه، ومن الغريب أنه ليس هناك نقل عن إمام في توثيقه، وأحسن ما قيل فيه قول النسائي: «صالح» أفمثل هذا يرد نصوص الأئمة الجارحة ؟!

ثم وجدت للحديث علة أخرى، وهي المخالفة والإرسال، أشار إلى ذلك البيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٠٩ـ هندية) ولا يتسع المجال لبيان ذلك هنا، فإلى «الضعيفة»(٥٤٤٤).أهـ ألباني

(١) قال شاكر: هو في كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة ص: ١٣٧ وإسناده صحيح، رواه من طريق سعيد بن منصور، عن الحارث بن عبيد الإيادي، عن أبي عمران الجوني، عن أنس، وكلهم ثقات، تكلم بعضهم في «الحارث بن عبيد الإيادي» وهو «أبو قدامة الإيادي» بغير حجة، والراجح توثيقه، كما بينا في شرح المسند في حديث آخر: ٥٧٥٠ والحديث ذكره أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٧٥ وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح».أهـ

يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص.

وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأثر في عدد الأنبياء والمرسلين له طرق كما ذكرها الحافظ ابن كثير في التفسير، ولكن لا تخلو من مقال وضعف، ولا أعلم فيها طريقاً سليمة(١).أهـ

* * *

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ﴿وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم، قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ

---

(١) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله: كم الأنبياء؟
قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» قلت: يا رسول الله: كم الرسل منهم؟
قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير» رواه ابن مردويه وغيره.
ورواه أحمد مقتصراً على ذكر عدد الرُّسل ٥/ ١٧٨.

وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾.

وأما الإيمان بـ محمد ﷺ، فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا باب واسع، فإن ما أجمله الله أجملناه، وما فصله الله فصلناه، وما بينه بيناه وآمنا به مفصلا، وهذا في الملائكة وفي أسماء الله وصفاته وفي الكتب وفي الرسل وفي أخبار القيامة والجنة والنار، كلها على هذا الباب، ما جاء في النصوص من الآيات القرآنية وفي الأحاديث الصحيحة مفصلاً مسمى، آمنا به مفصلاً مسمى على حسب علمنا، وما لم يأت فيه ذلك آمنا به مجملاً، بأن لله أسماءً وصفات بيّن منها ما بيّن سبحانه وتعالى، ولله رسل ولله ملائكة ولله كتب بيّن منها ما بيّن، وما بينه آمنا به على التفصيل، كنوح وهود وموسى، والتوراة والإنجيل والزبور، وجبريل وميكائيل وإسرافيل، إلى غير ذلك، وما أجمل أجملناه، وهكذا أخبار الآخرة من الجنة والنار وما يكون في آخر الزمان، ما جاء مفصلاً في النصوص آمنا به مفصلاً، من الدجال وعيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج والدابة وغير ذلك، وما

كان في الآخرة مما يتعلق في الحساب والجزاء والصراط، وأول زمرة تدخل الجنة وثاني زمرة، ووصف ما في الجنة ووصف ما في النار كله على حسب النصوص، لأن هذا ليس للعقل فيه مجال، بل هذا من علم الغيب، فما جاءت به النصوص آمنا به على ما جاء في النصوص، وما لا وكل إلى الله سبحانه وتعالى.

وقد بين سبحانه وتعالى أنه أنزل الكتب على الأنبياء ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الحديد:٢٥] ورد أنه أنزل عليهم الكتاب والميزان، وهكذا قوله: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [البقرة:٢١٣] يعني جنس الكتاب، دل على أن الرسل والأنبياء معهم كتب، لكن تفصيلها إليه سبحانه وتعالى.أهـ

❊ ❊ ❊

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء، قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده، وفي ذلك إثبات صفة الكلام والعلو.

وقال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ وأمثال ذلك في القرآن كثيرة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهي هدى وهي شفاء وهي رحمة، لمن وفق للأخذ بها والتمسك بها وعلاج ما في قلبه من الأمراض والشكوك والجهل، وعلاج ما في المجتمع من الشر والفساد، فهي شفاء لهؤلاء، أما من أعرض وأبى واستكبر، فهي عليه عمى، نعوذ بالله، كما أخبر جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت:٤٤] فالمقصود أن الله جل وعلا جعلها شفاءً لمن اهتدى بها واستشفى بها وأقبل عليها وقبل ما فيها من الحق، فإن الله يهدي بها إلى الصراط المستقيم، ويشفي بها أمراض قلبه من الشكوك والأوهام والجهل والنفاق وغير هذا، ومن صد عنها وأعرض واستكبر عن ذلك فهي عليه عمى، فهي عليه شقاء، وعاقبته وخيمة، نسأل الله العافية.أهـ

* * *

قوله: (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين).

ش: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل

ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا»[1] ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله.

والمراد بقوله: «أهل قبلتنا» من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ، وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

وعند قوله: «والإسلام والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كما سيأتي فيه التفصيل، أهل السنة والجماعة، لهم في هذا قولان:

أحدهما: أن الإسلام والإيمان شيء واحد، سواء اجتمعا أو افترقا هما شيء واحد، فالإسلام هو الخضوع لله للأوامر الظاهرة، والإيمان الاعتقاد بالقلب والتصديق بالقلب، خلافاً لأهل النفاق.

وقال قوم من أهل السنة والجماعة: هما واحد إذا انفرد أحدهما عن الآخر، فهما واحد ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] يعني والإيمان، ومن هذا الحديث الصحيح: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»[2] يعني والإسلام داخل فيه، أما إذا اجتمعا في نص فإن الإسلام هو الأعمال الظاهرة والإيمان هو الأعمال الباطنة، كما في حديث جبريل

(١) أخرجه البخاري في «الصلاة» من حديث أنس إلا أنه قال«له ما للمسلم وعليه ما على المسلم» وأخرجه أبو داود وغيره عنه بنحوه، وهو مخرج في الصحيحة (٣٠٣).أهـ ألباني

(٢) رواه البخاري (٩) كتاب الإيمان / باب: أمور الإيمان، ومسلم (٣٥) كتاب الإيمان/ باب: عدد شعب الإيمان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حين سأله عن الإسلام والإيمان، فسر له الإسلام بالأعمال الظاهرة، وفسر له الإيمان بالأعمال الباطنة، فلا منافاة، فلا إسلام إلا بإيمان ولا إيمان إلا بإسلام، ولكن الإيمان أخص، وهكذا قصة الأعراب لما قالوا: ﴿ ءَامَنَّا ﴾ قال الله: ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات:١٤] فالإيمان أخص وأكمل، فكل مؤمن مسلم لا العكس، فالإسلام دائرته أوسع، يدخل فيه الفاسق والمبتدع الذي لم تخرجه بدعته إلى الكفر، ويدخل فيه المؤمن المستقيم، فالإيمان أخص، المؤمن عند الإطلاق هو الذي استكمل أداء الواجب وابتعد عن المحرم ولم يصر على معصية، فصار أخص، ويأتي تفصيله إن شاء الله على كلام المؤلف حين قال: «والإيمان واحد وأهله في أصله سواء».

وقوله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» المراد من دون الشرك، دون ما يسمى شركا، كسائر المعاصي والبدع، هذا قول أهل السنة في الجملة، مثل ما لو لم يزك أو لم يصل أو لم يصم، لكنه مؤمن بهذه الأمور، يكون عاصياً لا كافراً، أما الاستهزاء فهذا مضمونه التكذيب، المستهزئ في ضمن كلامه التكذيب، ولهذا يكفر عند الجميع، المستهزئ كافر عند الجميع، لأن استهزاءه يدل على مرض في قلبه وشك في قلبه، نسأل الله العافية، ولو لم يكن تكذيباً ولكن إضحاكاً لمن حوله، لأنه يدل على استخفافه في الدين، وأنه ليس عنده إيمان يردعه، نسأل الله العافية.أهـ

سؤال/ إذا كان مصراً على معاصيه هل يدخل في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية:٢٣]؟

أجاب سماحة الشيخ: من وجه اتباع على الهوى، وليس كل من اتخذ إلهه هواه يكون كافراً، يكون عاصياً، فالزاني والسارق اتبع هواه، والمغتاب والنمام اتبع هواه، لكن اتباع الهوى أوسع من الشرك، كل مشرك قد اتبع هواه، وليس كل متبع هواه مشركاً شركاً أكبر، ومن يسلم من اتباع الهوى في الجملة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.أهـ

* * *

قوله: (ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمهم، فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذان الأصلان هما أصل كل كافر ومبتدع وفاسق، اتباع الهوى والظن، يحملهم على كفرهم وفسقهم وضلالهم اتباعهم الهوى واتباعهم الظن، فلا علم صحيح ولا قصد صحيح، فالعلم ظنون، والقصد مدخول باتباع الهوى، بخلاف الموحد المؤمن، فإنه يتبع الحق ولا ينقاد للهوى، بل يخلص لله وحده سبحانه وتعالى عن علم صحيح، لا عن جهل وهوى.أهـ

* * *

وعن أبي حنيفة رحمه الله، أنه قال: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه.

وقال بعضهم: الحق سبحانه يقول: من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي ألزمته الأدب، ومن كشفت له حقيقة ذاتي ألزمته العطب، فاختر الأدب أو العطب.

ويشهد لهذا: أنه سبحانه لما كشف للجبل عن ذاته ساخ الجبل وتدكدك ولم يثبت على عظمة الذات، قال الشبلي: الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني مراده التكلف والتنقيب عن أشياء ما ليس لك به علم، مثل ما وقع فيه نفاة القدر والمجبرة وأشباههم، يعني التوسع في الأقوال في ذات الرب وصفاته على غير دليل، يفضي إلى معاطب كثيرة، إما إلى الإلحاد والقول بوحدة الوجود، وإما إلى إنكار القدر، وإما إلى الجبر والعياذ بالله، وإما إلى ما هو شر من ذلك كالانسلاخ من الدين ـ نسأل الله العافية ـ والشك، فالواجب على المسلم التأدب بالآداب الشرعية، والوقوف مع النصوص، وعدم التوسع والدخول في أقوال ليس له فيها أساس ولا أصل، فترك ما لا يعلمه علم، وعدم الدخول في ما لا يعلمه علم، ولهذا قالوا في هذا الباب: أسماء الله وصفاته توقيفية ليس للعقل فيها مجال، فلا نثبت إلا ما أثبته الله ورسوله، ولا ننفي إلا ما نفاه الله ورسوله، وما سوى ذلك نقف ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢] قال أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام لا يتجاوز القرآن والحديث» وروي هذا المعنى من كلام غيره، والوجه من ذلك أن العقل عاجز عن أن يعرف تفاصيل صفات الله عز وجل، لأنه لا مثل له ولا كفؤ له حتى يقاس على غيره، ومن لا مثل له فكيف تعلم صفاته بغير نص منه؟

فهذا الحق الذي لا ريب فيه، كما قال أهل السنة والجماعة، أن الواجب أن نقوم مع النصوص، والحذر من الخروج عنها في باب أسماء

الله وصفاته، كما أن الواجب في باب أسماء الإيمان والدين وباب التكفير هو الوقوف مع النصوص والحذر من تحكيم الآراء بغير حجة.

النصوص جاءت بما يوافق العقول الصحيحة السليمة والفطر الصحيحة، لكن تفاصيلها ليس للعقل فيها مجال، إنما يعرفونها جملة، أنه خلاق رزاق مدبر عالم إلى غير ذلك، لكن التفاصيل ليس له فيها قدرة، ولهذا ألف شيخ الإسلام كتاباً سماه: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، فالنقول الصحيحة موافقة للعقول الصحيحة والفطر السليمة، لكن ليس لها المجال في التفصيل، بل في الجملة، فهنا أسماء وصفات معلومة بالعقل والنص جميعاً، وهناك صفات لا مجال للعقل فيها، جنس الإيمان بوجود الله وأنه عليم بكل شيء، وأنه القادر على كل شيء، وأنه الخالق لهذا العالم وأشباهها، هذه أمور معلومة بالنقل والعقل جميعاً، لكن أمور أخرى مثل الضحك وما أشبه ذلك من النزول، إلى غير هذا من الصفات التي تحتاج إلى نقل.

يقول بعض السلف: لا أدري نصف العلم، لأن الأشياء قسمان: قسم تعلمه وقسم لا تعلمه، فصار الذي لا تعلمه نصف[1]. أهـ

* * *

(١) ذكره بنحوه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٥٣) وعزاه لسعيد بن منصور ثم ساقه بسنده إلى الشعبي قال: قال ابن مسعود: «وإذا سأل أحدكم عما لا يعلم فليقل: لا أعلم، فإنه ثلث العلم» انتهى.

قال شاكر: نسبة الحديث لمسلم خطأ، إما من الشارح وإما من الناسخ، بل هو لفظ البخاري ٥١-٥٢ من فتح الباري، وقد نص الحافظ في الفتح في خاتمة كتاب الاستقراض ٥/ ٥٥-٥٦ على أنه لم يروه مسلم، وقد رواه أحمد في المسند بنحوه مطولاً ومختصراً: ٣٧٢٤، ٣٩٠٧، ٣٩٠٨، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣، ٤٣٢٢، ٤٣٦٤.

وقوله: «ولا نماري في دين الله».

معناه: لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم، التماساً لامترائهم وميلهم، لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبيس الحق، وإفساد دين الإسلام.

قوله: (ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ، وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين).

ش: فقوله «ولا نجادل في القرآن» يحتمل أنه أراد: أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، بل نقول: «إنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين» إلى آخر كلامه، ويحتمل أنه أراد: أنا لا نجادل في القراءة الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح، وكل من المعنيين حق،و يشهد بصحة المعنى الثاني، ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهة، وقال: «كلاكما محسن لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» رواه مسلم(١).

---

(١) صحيح، ولم يروه مسلم، بل تفرد به البخاري دونه، أخرجه في «الخصومات» و«الأنبياء» ومن الغريب تصدير الشارح إياه بقوله «روي» المشعر بضعفه في اصطلاح المحدثين! وهذا أمر تساهل فيه أكثر المتأخرين كما نبه عليه النووي وغيره.أهـ ألباني

قال شاكر: نسبة الحديث لمسلم خطأ، إما من الشارح وإما من الناسخ، بل هو لفظ البخاري ٥١-٥٢ من فتح الباري، وقد نص الحافظ في الفتح في خاتمة كتاب الاستقراض ٥/ ٥٥-٥٦ على أنه لم يروه مسلم، وقد رواه أحمد في المسند بنحوه مطولاً ومختصراً ٣٧٢٤: ٣٩٠٧-٣٩٠٨-٣٩٩٢-٣٩٩٣-٤٣٢٢-٤٣٦٤.

نهى رسول الله ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع صاحبه من الحق، لأن كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا المعنى جاء أيضاً عن عمر مع هشام بن حكيم، وأبي بن كعب واختلافه مع الصحابة، بين لهم ﷺ أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وقال: «فاقرءوا ما تيسر منه ولا تختلفوا»[١] فحذرهم من الاختلاف، وأمر كل واحد أن يقرأ ما سمع من النبي ﷺ وما حفظه عن النبي ﷺ ولا ينازع أخاه، فكل حق، وقد تقدم شيء من الكلام فيما يتعلق بالإنزال على سبعة أحرف، وأن أهل العلم اختلفوا في ذلك، وأن أصح الأقوال وأولاها بالصواب أنها سبعة متقاربة في المعنى وإن اختلفت ألفاظها، فالمعاني متقاربة أو متحدة، والألفاظ مختلفة، مثل: جاء وأتى وما أشبه ذلك، ومثل: العليم الحكيم، الخبير العليم، العليم الخبير، وما أشبه ذلك من المعاني المتقاربة أو المتحدة، ثم جمعهم عثمان بعد ذلك على حرف واحد، حذراً من التنازع، وشكر أهل السنة له ذلك، وانتهى أمر هذا الاختلاف.

وقوله «روي» قد يقع حتى من غير الشارح، قد وقع للبخاري رحمه الله في كتاب الصحيح، يقول: يذكر عن النبي ﷺ ويروى عن النبي ﷺ، وهو موجود في كتاب الصحيح، قد يقع هذا وقد يحصل التساهل، وإن كان العرف المصطلح عليه أن «روي» و«يذكر» للضعيف أو لما يشك

---

(١) رواه البخاري (٤٩٩٢) كتاب فضائل القرآن/ باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم (٨١٨-٨٢٠) كتاب صلاة المسافرين/ باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، من حديث عمر رضي الله عنه.

فيه، لكن قد يقع، قد يستعمل بعض أهل العلم خلاف المعروف تسامحاً وتساهلاً.أهـ

* * *

ولهذا قال حذيفة رضي الله عنه، لعثمان رضي الله عنه: أدرك هذه الأمة لا تختلف كما اختلفت الأمم قبلهم، فجمع الناس على حرف واحد اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب، ولا فعل لمحظور، إذ كانت قراءة القرآن على سبعة أحرف جائزة لا واجبة، رخصة من الله تعالى، وقد جعل الاختيار إليهم في أي حرف اختاروه، كما أن ترتيب السور لم يكن واجباً عليهم منصوصاً، ولهذا كان ترتيب مصحف عبدالله على غير ترتيب المصحف العثماني، وكذلك مصحف غيره، وأما ترتيب آيات السور فهو ترتيب منصوص عليه. فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية، بخلاف السور.

فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إن لم تجتمع على حرف واحد ـ جمعهم الصحابة عليه، هذا قول جمهور السلف من العلماء والقراء. قاله ابن جرير وغيره:

منهم من يقول: إن الترخص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام، لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولاً، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيراً عليهم، وهو أوفق لهم ـ: أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الأخيرة.

وذهب طوائف من الفقهاء وأهل الكلام إلى أن المصحف يشتمل على الأحرف السبعة لأنه لا يجوز أن يهمل شيء من الأحرف السبعة. وقد اتفقوا على نقل المصحف العثماني وترك ما سواه، وقد تقدمت الإشارة إلى الجواب، وهو: أن ذلك كان جائزاً لا واجباً، أو أنه صار منسوخاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب أن الأحرف نزلت ليقرأ بها جوازاً لا وجوباً، ولهذا كان ﷺ إذا اختلف قارئان قال لكل واحد: «**أحسنت هكذا أنزلت**» حتى جرى ما جرى لبعض الناس من شبه الشك، كما جرى لأبيّ وغيره، فالمقصود أن الأحرف السبعة أنزلها الله ليقرأ بها المسلمون كتاب ربهم عز وجل، وهي لغات متقاربة، تختلف ألفاظها وتتحد معانيها أو تتقارب معانيها، ثم جمعهم عثمان رضي الله عنه بعدما استشار الصحابة في ذلك على حرف واحد، حتى لا يختلفوا.أهـ

❊ ❊ ❊

وأما من قال عن ابن مسعود إنه كان يجوز القراءة بالمعنى! فقد كذب عليه، وإنما قال: «قد نظرت إلى القرأة فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو كقول أحدكم: هلم، وأقبل، وتعال، فاقرؤوا كما علمتم» أو كما قال[١].

والله تعالى قد أمرنا أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فكيف بمناظرة أهل القبلة؟ فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب، فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هي أحسن،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الواجب من المناظرة، وأن يكون القصد إظهار الحق، لا إظهار الفهم والغلب، بل يكون القصد هو إظهار الحق وبيان ما جاءت به الرسل، وبذلك تتحد القلوب وتتقارب الأفهام ويتضح الحق لطالبه، أما إذا جاء العنف والشدة

(١) ذكره ابن تيمية كما في الفتاوى الكبرى ٤/ ٤١٥.

والظلم والبغي والقصد السيئ، فإن هذا من أسباب الاختلاف الدائم، ومن أسباب ضياع الحق وعماه على هؤلاء المتناظرين، لسوء القصد ولسوء الأسلوب، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥] وقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت:٤٦] فأهل الكتاب وهم كفرة اليهود والنصارى لا يجادلون إلا بالتي هي أحسن، فالمسلمون من باب أولى أن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، إذ القصد شيء واحد، وهو إظهار الحق وبيان أدلته، حتى يقبله المناظِر والمناظَر، وحتى تتحد الكلمة، وحتى يحصل التعاون على البر والتقوى، فالعنف لا محل له، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] ويقول جل وعلا لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه:٤٤] وهو قد بعثهما إلى أخبث الخلق.

وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦] مكية محكمة لم تنسخ.

وقوله: «فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب» لأن فيهم من هو من أهل القبلة وهو شر من أهل الكتاب، كأهل البدع الذين كفروا ببدعتهم.أهـ

* * *

وليس إذا أخطأ يقال: إنه كافر، قبل أن تقام عليه الحجة التي حكم الرسول بكفر من تركها، والله تعالى قد عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، ولهذا ذم السلف أهل الأهواء، وذكروا أن آخر أمرهم السيف،

وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان، إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».

وقوله: «ونشهد أنه كلام رب العالمين» قد تقدم الكلام على هذا المعنى عند قوله «وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً».

وقوله: «نزل به الروح الأمين» هو جبرائيل عليه السلام، سمي روحاً لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أمين حق أمين، صلوات الله عليه، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وجبرائيل حمل الوحي الذي فيه حياة العالم، حياة الثقلين، وحياة العالم بعد ذلك تبع لهما، فإن الله جعل وحيه المنزل حياة للأمم، حياة للقلوب وراحة لها وطمأنينة وسعادة، ولهذا قال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤] فما دعا إليه الرسول ﷺ فيه الحياة وفيه السعادة لمن استجاب وقبل الحق واستقام عليه، قال سبحانه: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢] فقبول الحق الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام فيه حياة من الموت، موت الجهل والكفر، وفيه النور من الظلمات، ظلمات الكفر والشرك والبدع والأهواء والمعاصي، فمن قبل هذا الوحي علماً وعملاً، حصلت له الحياة التي هي ضد الموت الذي عليه الكفار، وحصل له البصيرة والنور، ضد الجهل، وهذا المعنى في قوله جل وعلا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ

تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى:٥٢] في هذه الآية الكريمة دلالة على أن ما أوحاه الله لنبيه ﷺ ورحم به هذه الأمة من الكتاب والسنة، روح ونور، روح تحصل به الحياة ضد الموت، ونور يحصل به النور، نور البصيرة، نور الهداية، فمن رزق العلم النافع والعمل الصالح في ما جاء به الكتاب والسنة، فقد رزق الحياة السعيدة، الحياة الطيبة، ورزق النور والبصيرة والهدى، الذي به يميز بين الحق والباطل، وبين الغي والرشاد والهدى والضلال، وفي هذا المعنى يقول جل وعلا: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] وجدير بالعاقل من الثقلين، جدير به أن يُعنى بهذا الوحي، وأن يعض عليه بالنواجذ، وأن يلزمه علماً وعملاً ودعوة وصبراً، حتى يلقى ربه، ففي هذا تكون الحياة السعيدة، الحياة الكاملة، الحياة الطيبة، وفي علمه به وبصيرته فيه النور والهدى والبصيرة، ضد ما عليه أهل الجهل والأهواء، نسأل الله السلامة.أهـ

* * *

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ وهذا وصف جبرائيل، بخلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ الآيات، فإن الرسول هنا هو محمد ﷺ.

وقوله: «فعلمه سيد المرسلين» تصريح بتعليم جبرائيل إياه، إبطالاً لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوره في نفسه إلهاماً.

وقوله: «ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين» تنبيه على أن من قال بخلق القرآن فقد خالف جماعة المسلمين، فإن سلف الأمة

كلهم متفقون على أنه كلام الله بالحقيقة غير مخلوق، بل قوله: «ولا نخالف جماعة المسلمين» مجرى على إطلاقه، أنا لا نخالف جماعة المسلمين في جميع ما اتفقوا عليه، فإن خلافهم زيغ وضلال وبدعة.

قوله: (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله).

ش: أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله: «ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبيﷺ معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين».

يشير الشيخ رحمه الله [بهذا الكلام] إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

واعلم - رحمك الله وإيانا - أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه ـ في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم ـ على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية.

فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفياً عاماً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني في الأوقات التي يمكنهم فيها إظهار النفاق، كعبدالله بن أبي، مع كونه من أهل القبلة في

الظاهر، يتظاهر بالإسلام، والمقصود أن الإنسان لا يكفر أهل القبلة إلا من ظهر منه ما يدل على الكفر، من أظهر الإسلام والتمسك بالإسلام فإنه لا يكفر بمجرد المعاصي، إلا إذا ظهر منه ما يوجب التكفير، كسبه للدين، والجحد لما هو معلوم من الدين بالضرورة من واجب ومحرم وما أشبه ذلك، وإلا فالأصل ـ قاعدة ـ الأصل عدم تكفير المسلم الذي استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ووحد الله واتبع الرسول ﷺ، فالأصل عدم التكفير خلافاً للخوارج، ولو زنى وسرق، فإن الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من المعاصي تحت مشيئة الله، فلا يكفر بها، لكن الخوارج يكفرون بها، وخالفوا أهل السنة والجماعة، إذا قلنا: القاعدة عدم تكفير أهل القبلة بالذنوب؛ فمعنى ذلك أنا لا نكفر المسلم بالذنوب المعروفة، المعاصي، لكن متى ظهر منه ما يدل على التكفير، مثل جحده وجوب الصلاة، جحده وجوب الزكاة، بإجماع المسلمين، جحده وجوب الحج مع الاستطاعة، جحده شرعية الجهاد، جحده لوجوب صيام رمضان، جحده لتحريم الزنا، جحده لتحريم السرقة، هذه أمور مجمع عليها، ولو تظاهر بالإسلام، ولو صلى مع الناس وصام، فهو كافر عند الجميع، فمرادهم إذا أطلقوا فهو هذا، وهكذا إذا ترك الصلاة تهاوناً، على الخلاف في ذلك، منهم من جعل ذلك كفراً أكبر، وإن انتسب إلى الإسلام وإن ادعى أنه مسلم، كما لو سب الله ورسوله، كما لو استهان بالمصحف ولطخه بالنجاسة أو وطئ عليه أو جلس عليه، فهو كافر بالإجماع، وإن زعم أنه مسلم، فالحاصل أن هذه القاعدة: أنا لا نكفر أهل القبلة بذنب، هذا الأصل، لكن إذا كان الذنب يوجب التكفير كفرناه، وإنما أرادوا بهذا أن يخالفوا الخوارج والمعتزلة، لأن الخوارج كفروا بالذنوب، قالوا من زنا كفر ومن سرق كفر ومن عصى والديه كفر ومن أكل الربا كفر وما أشبه

ذلك، فأهل السنة خالفوهم في هذا، وقالوا هذه معاصٍ وليست كفراً، وصاحبها تحت المشيئة إذا مات عليها ولم يتب، والمعتزلة وافقوهم في هذا المعنى من جهة الآخرة، وقالوا إنه في الآخرة مخلد في النار كالكفار معهم، وفي الدنيا تورعوا عن تسميته كافراً، وقالوا: فاسق ومنزلة بين المنزلتين، فهم مع الخوارج في المعنى، وإن كانوا ليسوا معهم في الدنيا في الاسم، والله المستعان.

ومن سب الله ورسوله كافر عند الجميع، ردة، مرتد عن الإسلام، لكن يستتاب عند قوم من أهل العلم، يستتيبه ولي الأمر، فإن تاب قبلت منه التوبة مع التعزير، مع التأديب والتعزير على إقدامه على هذا المنكر، وبعض أهل العلم يقول: لا يستتاب، بل يقتل ولو تاب، لأن سبه كفر عظيم مغلظ.

وقد بسط الكلام في هذا أبوالعباس بن تيمية في «الصارم المسلول على شاتم الرسول» وأطال البحث في هذا، وذكر كلام أهل العلم، رحمة الله عليه.أهـ

❊ ❊ ❊

وأيضاً: فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافراً مرتداً.

والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور، كما ذكره الخلال في كتاب السنة، بسنده إلى محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[(١)].

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب، ولهذا ـ والله أعلم ـ قيده الشيخ رحمه الله بقوله: «ما لم يستحله».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا التقييد سليم، لا يكفر من فعل الزنا إلا إذا استحل الزنا، ولا شرب الخمر إلا إذا استحله، ولا الربا إلا إذا استحله وهكذا، فمراده الرد على الخوارج، وقصده الذنوب التي دون الشرك، مثل المعاصي، فيحمل الكلام على أحسن الكلام، وإلا الكفر ذنب، يسمى ذنباً، لكن مراد المؤلف دون الشرك ما لم يستحله، فيحمل كلامه على أوضح الأمور وخيرها وأحسنها، كما هو معروف عند أهل العلم، والشرك لو فعله كفر ولو ما استحله، ولو قال قائل: إن ذنب الكفر وارد وداخل في هذه العبارة، لكنه غير مراد.

نكفر ببعض الذنوب لا بكلها، بعض الذنوب يكفر به، مثل ذنب الشرك، ذنب استحلال المعاصي، ذنب سب الله ورسوله، هذا ذنب يكفر به، وهناك ذنوب لا يكفر بها كالزنا والسرقة والربا ما لم يستحلها، أما المرجئة فهم في طرف ثانٍ، المرجئة ضد الخوارج، المرجئة يتساهلون، يقولون: ما دام على التوحيد لا تضره المعاصي، يدخل الجنة ولو مات

---

(١) الإبانة لابن بطة (٣٥٢) ٢/ ٤٣١، باب التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان، والخلال في السنة (٤٧٤) ٥/ ٨٨٩ باب ما ذكر عن التابعين وغيرهم من الرد على القدرية، والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٠.

على المعاصي، هذا من جهلهم وعدم معرفتهم بالنصوص، التوحيد أصل والإيمان أصل، لكن تضره المعاصي وتنقصه المعاصي، فيستحق النار إلا أن يعفو الله عنه، والخوارج فاتهم فضل التوحيد وفضل الإيمان، وأن الأصل جميعهم يدخلون في النار، فظنوا أن كل من عصى الله فقد كفر، عندهم لا يزيد الإيمان ولا ينقص، بل إما أن يوجد كله أو يذهب كله، ولهذا عندهم إذا زنى زال إيمانه، وإذا سرق زال إيمانه فانتقل إلى الكفر، وليس عندهم تبعيض، أما أهل السنة والجماعة فيقولون: الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فإيمانهم وتوحيدهم بالله إذا زنا نقص وإذا سرق نقص وإذا أكل الربا نقص إيمانه، إذا عق والديه نقص إيمانه، إذا قطع رحمه نقص إيمانه، لكن ما يزول إيمانه، أما إذا جاء الشرك الأكبر زال الإيمان بالكلية، إذا استحل المعاصي زال الإيمان بالكلية، فرق بين قول أهل السنة وبين قول أهل البدع.

إذا فعل ما هو من أفعال الكفر فقد كفر، إلا إذا كان يجهل هذا مثلاً، كمن عاش في بلاد بعيدة عن الإسلام، وفي جاهلية بعيدة عن الإسلام، يبين له حتى يعرف الإسلام ويدعى إلى الإسلام.أهـ

* * *

وفي قوله: «ما لم يستحله» إشارة إلى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية.

وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل، وليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع، إلا أن يضمن قوله:

«يستحله» بمعنى: يعتقده، أو نحو ذلك.

وقوله: «ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»... إلى آخر كلامه، رد على المرجئة، فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف، فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان.

لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر! والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كلام المعتزلة غير معقول، لأنه ما بينهما مرتبة، من خرج من الإيمان صار إلى الكفر، وهذا كلام ما له حظ، فهم في المعنى موافقون للخوارج، ولكن تستروا بهذا الكلام.أهـ

* * *

وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار! وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن في الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأولاً، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون: يكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة، فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك، والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه، وسيأتي بعضه عند الكلام على قول الشيخ: «وأهل الكبائر في النار لا يخلدون،

إذا ماتوا وهم موحدون».

والمقصود هنا: أن البدع هي من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمناً باطناً وظاهراً، لكن تأول تأويلاً أخطأ فيه، إما مجتهداً وإما مفرطاً مذنباً، فلا يقال: إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة، ولا نقول: لا يكفر، بل العدل هو الوسط، وهو: أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به ـ: يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر، ونحو ذلك، كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها.

وعن أبي يوسف رحمه الله، أنه قال: ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدة، حتى اتفق رأيي ورأيه: أن من قال بخلق القرآن فهو كافر[١].

وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت، ولهذا ذكر أبوداود في سننه في كتاب الأدب: باب النهي عن البغي، وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد

---

(١) الذهبي في العلو (٤٠٩) ١/ ١٥٢ وعزاه لابن أبي حاتم، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣/ ٣٨٣.

يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

قال أبوهريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته[١]. وهو حديث حسن.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا بسبب الغلو في الإنكار والغيرة، ومثله حديث جندب بن عبدالله قال: «والله لا يغفر الله لك، فقال الله: «**من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان إني قد غفرت له وأحبطت عملك**» رواه مسلم[٢]، فالغيرة لها حدود، فليس لأحد أن يجزم أن الله لا يغفر لفلان أو لا يدخل الجنة، لأنه قد يتوب، لكن إذا قال: إن مات على هذا، إذا علق قوله إن مات على الكفر لا يغفر له، فهذا صحيح، إذا بين له الحق وإن دل على السبيل، وقيل له إنك إذا مت على هذا، هذا ردة وكفر لا تدخل الجنة بل تدخل معه النار، فقيد بالموت على

---

(١) حسن كما قال المؤلف رحمه الله تعالى، وفيه عكرمة بن عمار، احتج به مسلم، وفيه ضعف.أهـ ألباني

قال شاكر: هو الحديث ٤٩٠١ في سنن أبي داود، وأعله المنذري بعلي بن ثابت الجزري، زعم أنه ضعيف ! تقليداً للأزدي، والحق أنه ثقة، وثقه ابن معين وابن سعد وأبو داود وغيرهم.أهـ

(٢) رواه مسلم (٢٦٢١)كتاب البر والصلة/ باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله، من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

هذا الأمر، أما أن يجزم بأنه لا يغفر له ولا يدخل الجنة، هذا غلط، لأنه قد يتوب، قد يرجع، قد يمن عليه الله بالتوبة.

إذا مات المشرك على شركه فهو إلى النار بإجماع المسلمين، ومن مات على الإيمان فهو إلى الجنة بإجماع المسلمين.أهـ

❊ ❊ ❊

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم اذروني، ثم غفر الله له لخشيته[١] وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك.

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه.

ثم إذا كان القول في نفسه كفراً قيل: إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقاً زنديقاً.

فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقاً زنديقاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا ليس على إطلاقه، إلا أن يقال: إذا أظهر الكفر دل على زندقته، فالمقصود أن من أظهر الكفر كفر مطلقاً.

قوله: «منافقاً زنديقاً» محل نظر، قد لا يكون زنديقاً ولا منافقاً، ولكن

(١) صحيح، أخرجه البخاري وغيره.أهـ ألباني

قد يقع منه أشياء توجب الردة، وإن كان في نفس الأمر لم يكن زنديقاً ولا منافقاً سابقاً، لكن قد يكون يتساهل في بعض الأمور، أو يعبث في بعض الأمور ويلعب، فيقع منه شيء من أسباب الردة، ليس بشرط أن الكافر يكون في نفس الأمر زنديقاً وملحداً في الباطن، قد يكون تظاهر بالإسلام وليس عنده زندقة في الباطن، بل هو ظاهره وباطنه سواء على الإسلام، ولكن يقع منه بعد ذلك أشياء ما كان قبل ذلك يعتقدها، مثل سب الله أو سب رسوله عند أسباب تقتضي ذلك، أو الاستهزاء بالدين عند أسباب تقتضي ذلك، ولا يلزم من هذا أن يكون قبل هذا زنديقاً، قد يكون حدث له هذا الشيء لضعف إيمانه وقلة بصيرته ونحو ذلك، فيتساهل في الأمور الموجبة للردة.أهـ

* * *

وكتاب الله يبين ذلك، فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف: صنف: كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين.

وصنف: المؤمنون باطناً وظاهراً.

وصنف أقروا به ظاهراً لا باطناً، وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة.

وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقراً بالشهادتين، فإنه لا يكون إلا زنديقاً، والزنديق هو المنافق.

وهنا يظهر غلط الطرفين، فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن، يلزمه أن يكفر أقواماً ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر: أن رجلاً

كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه: عبدالله، وكان يلقب: حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه! ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنه، فو الله ما علمت، إنه يحب الله ورسوله

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ويحتج بهذا على تحريم لعن المعين، كما اختار هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة، قالوا: العاصي المعين لا يلعن، مثل السارق وشارب الخمر، لكن لا بأس بلعنه على العموم، لعن الله السارق، لعن الله شارب الخمر، لعن الله الفاسقين، لعن الله الظالمين، أما فلان بن فلان بعينه فلا يلعن، لأنه قد يتوب ويتوب الله عليه، ولا ينبغي أن يلعن، بل يكفيه الحد الشرعي، ولهذا قال: «**لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله**»(١) قد يشرب الخمر، ولكن عنده إيمان، عنده حب، ولكنه بلي بهذه البلية، وصارت عادة ـ نسأل الله العافية ـ لا يتمالك نفسه منها، فلا ينبغي لعنه، ولكن يدعى له بالهداية، بخلاف اللعن العام، لعن العاصي، لعن الله السارق، لعن الله الراشي والمرتشي، وما أشبه ذلك.أهـ

❊ ❊ ❊

وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع منها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير.

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠) كتاب الحدود/ باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني انتسبوا.أهـ

* * *

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يقولون: أخطأ فلان غلط فلان، ولا يقولون كفر فلان إلا على بصيرة.أهـ

* * *

ولكن بقي هنا إشكال يرد على كلام الشيخ رحمه الله، وهو: أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفراً، قال الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[1] متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[2] و: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر ـ فقد باء بها أحدهما»[3] متفق عليهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[4]، وقال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث

---

(١) وهو في «الإيمان» من الصحيحين، وانظر «صحيح الجامع الصغير» (٣٥٨٩و٣٥٩٠).أهـ ألباني

(٢) أخرجه الشيخان، وهو مخرج في «غاية المرام» (٤٤٣).أهـ ألباني

(٣) أخرجه الشيخان.أهـ ألباني

(٤) قال شاكر: في المطبوعة «ابن عمرو» وهو خطأ، والحديثان من رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب، انظر للأول: البخاري ١٢/ ١٧٠و١٣/ ٢١ وللثاني: البخاري١٠/ ٤٢٨ ومسلم ١/ ٣٣-٣٤.أهـ

كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[(١)] متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا غلط، بل هو من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، ولا يمنع أن يكون جاء من طريقين، وإن كان لا يضر، كلاهما إمام ثقة رضي الله عنهما، لا يضر كونه من حديث ابن عمر أو ابن عمرو، من حيث المعنى لا يضر، ولكن من حيث الفائدة.أهـ

* * *

وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»[(٢)] وقال ﷺ: «بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة»[(٣)] رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «بين المسلم وبين الكفر» الذي نحفظه **«بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»[(٤)]** هذا الذي نحفظه في مسلم، والمعنى صحيح، بين المسلم الذي ظاهره الإسلام، وبين الكفر والشرك ترك الصلاة، فإذا تركها خرج من الإسلام، وهذه حجة من قال بكفر تارك الصلاة وإن لم يجد وجوبها.

---

(١) أخرجه الشيخان.أهـ ألباني

(٢) أخرجه الشيخان.أهـ ألباني

(٣) أخرجه مسلم.أهـ ألباني

(٤) رواه مسلم (٨٢) كتاب الإيمان/ باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، وأبو داود (٤٥١٣) كتاب السنة/ باب في رد الإرجاء، والترمذي (٢٦٢٠) كتاب الإيمان/ باب ما جاء في ترك الصلاة، من حديث جابر رضي الله عنه.

والذي يمكث الأشهر الطوال وهو لا يشاهد مع الجماعة ظاهره النفاق، فيُعَلَّم وينصح، لكن ظاهره النفاق، نسأل الله العافية، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»(١) ولا يكفر إلا إذا علم أنه لا يصلي، يعرفه أهله، يعرفه الناس الذين يسكنون معه، على كل حال ظاهره النفاق والشر، ويعلّم.

أما تأخير الصلاة عن وقتها فعلى خلاف بين أهل العلم في ذلك، إذا كانت تجمع إلى ما بعدها أو إلى ما قبلها وضاق الوقت يكفر، إذا كان تأخيره عن الأولى لا يكفر حتى يدخل وقت الأخيرة على أحد قولي العلماء، الظهر مع العصر، المغرب مع العشاء، وإذا تركهما جميعاً كفر، أما الذي عادته أن يصلي بعد طلوع الشمس ـ نسأل الله العافية ـ ظاهر كلام جمع كثير من أهل العلم أنه يكفر بذلك، إذا تعمد هذا.أهـ

❊ ❊ ❊

وقال ﷺ: «من أتى كاهناً فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد»(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الذي نعرفه من الحديث **«وهي حائض»(٣) «من أتى كاهناً أو أتى امرأة وهي حائض»**

---

(١) رواه مسلم (٦٥٤) كتاب المساجد/ باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٢) صحيح، وهو مخرج في «آداب الزفاف» ص٣١ط٣.أهـ ألباني.

(٣) رواه أبو داود بلفظ: «من أتى امرأته حائضاً أو أتى امرأة في دبرها فقد برئ بما أنزل على محمد ﷺ» (٣٧٥٣) كتاب الطب/ باب في الكاهن، والترمذي بلفظ: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» (١٣٥) كتاب الطهارة/ باب ما جاء في كراهة إتيان الحائض، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولعله جمع بينهما «في دبرها» أو: «وهي حائض» لأني لا أذكر الآن «في دبرها». أهـ

* * *

وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر»[١] رواه الحاكم بهذا اللفظ.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: رواه الترمذي والحاكم بلفظ: «**فقد كفر أو أشرك**» ورواه أبوداود أيضاً، كلهم رووه بإسناد جيد عن ابن عمر رضي الله عنهما[٢]. أهـ

* * *

وقال ﷺ: «ثنتان في أمتي بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت»[٣].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا أيضاً رواه مسلم بلفظ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر**». أهـ

* * *

ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب: أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً

---

(١) صحيح، وتقدم الحديث. أهـ ألباني.

(٢) رواه أبو داود بلفظ «فقد أشرك» (٣١٢١) كتاب الأيمان والنذور/ باب في كراهية الحلف بالآباء. ورواه الترمذي (١٥٣٥) كتاب النذور/ باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) صحيح، رواه مسلم (١/ ٥٨) بلفظ «اثنتان في الناس..» والباقي مثله. أهـ ألباني

ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر!

وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب.

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الزاني: يعني البكر غير المحصن، الزاني البكر والقاذف والشارب وأشباههم لا يقتلون، وإنما يأدبون بالحدود، فلو كان العاصي كافراً لوجب أن يقتل، لقوله عليه الصلاة والسلام «من بدل دينه فاقتلوه»[1] فإن هذا يعم «من بدل دينه فاقتلوه» يعم جميع المرتدين، فلو كان العاصي مرتداً ـ كما تقوله الخوارج ـ لوجب قتله مطلقاً، ولكن مذهب الخوارج من أبطل الباطل، ولهذا قال

(١) رواه البخاري (٦٩٢٢) كتاب استتابة المرتدين/ باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فيهم النبي ﷺ: «**إنهم شر الخلق والخليقة**»(١) وقال فيهم: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم**»(٢) وقال: «**يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وقراءته إلى قراءتهم**»(٣) لغلوهم، يغلون فيها من شدة خشوعهم وإطالتهم لها، والسنة التأسي بالنبي ﷺ، لا يغلو، يتأسى بالنبي ﷺ في الصلاة، لا يكون غلو ولا جفاء، لا إطالة فيعطل الناس، ولا جفاء فيقصر فيها عن الحد.

فالحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة هو خلاف ما عليه المعتزلة والخوارج جميعاً، وأن مذهب أهل السنة والجماعة أن العاصي ناقص الإيمان ضعيف الإيمان، ولكن ليس بكافر كما تقوله الخوارج، وليس بمخلد في النار إذا مات على ذلك، كما تقوله الخوارج والمعتزلة جميعاً، ولكنه مسلم ناقص الإيمان، ضعيف الإيمان، مسلم فاسق تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه سبحانه وتعالى، وإن شاء عاقبه على قدر جريمته، ثم بعد ذلك مصيره إلى الجنة، إذا كان مات على الإسلام والإيمان، مات على أصل الدين، لم يجحد ما أوجب الله، ولم يستحل ما حرم الله.أهـ

* * *

(١) رواه مسلم (١٠٦٧) كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وأبو داود (٤٥٩٧) كتاب السنة/ باب في قتال الخوارج، من حديث أبي سعيد وأنس رضي الله عنهما، وذكره البخاري تعليقاً: كتاب استتابة المرتدين/ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٦٩٣٠) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين/ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم (١٠٦٦) كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٦٩٣١) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين/ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، و(٦٩٣٣) كتاب استتابة المرتدين/ باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، ومسلم (١٠٦٥) كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقي في النار»(١) أخرجاه في الصحيحين، فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المعروف أنه من أفراد البخاري، والمؤلف لفق بينه وبين حديث آخر، الحديث الآخر رواه مسلم **«المفلس من يأتي يوم القيامة بأعمال من صلاة وصوم، فيأتي وقد ضرب هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وقذف هذا، فيعطى هذا من حسناته ويعطى هذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من سيئاتهم فحمل عليه ثم طرح في النار»(٢)** هذا في حديث المحاسبة، وحديث أبي هريرة المتقدم ليس فيه الزيادة هذه، والشارح لفق بينهما. أهـ.

* * *

وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تعدون المفلس فيكم»؟ قالوا: المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار، قال: «المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، فيأتي وقد شتم هذا، وأخذ

---

(١) أخرجه البخاري في «المظالم» و«الرقاق» من حديث أبي هريرة، دون قوله: «ثم ألقي..» وكذلك رواه أحمد (٢/ ٤٣٥و٥٠٦) ولم أره في صحيح مسلم، وانظر «أحكام الجنائز» ص(٤). أهـ ألباني

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[1] رواه مسلم، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ فدل ذلك على أنه في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته، وهذا مبسوط في موضعه.

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج: نسميه كافراً، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقاً، فالخلاف بينهم لفظي فقط.

وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص، لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة! وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة ـ: تبين لك فساد القولين! ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

ثم بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافاً لفظياً، لا يترتب عليه فساد، وهو: أنه هل يكون الكفر على مراتب، كفراً دون كفر؟

كما اختلفوا: هل يكون الإيمان على مراتب، إيماناً دون إيمان؟

وهذا اختلاف نشأ من اختلافهم في مسمى الإيمان: هل هو قول وعمل يزيد وينقص، أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافراً نسميه كافراً، إذ من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافراً ـ ولا نطلق

---

(١) رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة، وهو مخرج في «الصحيحة» (٨٤٧). أهـ ألباني

عليهما اسم الكفر، ولكن من قال: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، قال: هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب، كفر دون كفر، كالإيمان عنده، ومن قال: إن الإيمان هو التصديق، ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، والكفر هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان، قال: هو كفر مجازي غير حقيقي، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة، وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس، إنها سميت إيماناً مجازاً، لتوقف صحتها عن الإيمان، أو لدلالتها على الإيمان، إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمناً، ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا، فليس بين فقهاء الأمة نزاع في أصحاب الذنوب، إذا كانوا مقرين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والقصد من هذا التوفيق بين مذهب أهل السنة والجماعة وبين المرجئة في العمل، كأبي حنيفة ومن قال بقوله، والمؤلف ينتسب إلى الأحناف، وقول الأحناف في هذا أنه لا يزيد ولا ينقص من جهة العمل، ولكنه قول فقط وإقرار، وهذا في الحقيقة غلط، والجمهور قولهم هو الصواب، يزيد وينقص قول وعمل، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والكفر كفران كفر أكبر وكفر أصغر، وهكذا الظلم وهكذا الفسق، فليس مجازاً بل هو كفر حقيقة، لكنه كفر ناقص، كفر من سب والديه، كفر من تبرأ من والديه، كفر أصحاب النياحة والطعن في الأنساب، كفر دون كفر وظلم دون ظلم، ولهذا يضر عموم المعاصي أهل الإيمان وتنقص إيمانهم، خلافاً

للمرجئة، لكنها لا تجعل إيمانهم كالعدم كما تقوله الخوارج، لا، بل إيمانهم موجود، لكنه ناقص وضعيف، يستحق به الذنب ويستحق به الوعيد على هذه المعاصي، فالحاصل أن جمهور أهل السنة والجماعة يخالفون المرجئة في إخراجهم الأعمال من الإيمان، ويقولون إنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، هذا هو قول أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة، والخوارج والمعتزلة فارقوا أهل الإيمان عند الزيادة والنقص، والمرجئة ـ مرجئة الفقهاء ـ خالفوا أهل الإيمان والسنة بجعل العمل من الإيمان.

وقول: «الخلاف لفظي» ليس بجيد، بل هو خلاف مؤكد، خلاف معنوي ولفظي جميعاً، لأن أهل السنة والجماعة يقولون: العاصي ليس بكامل الإيمان، بل ناقص الإيمان، وعلى قول من أخرج العمل من الإيمان يكون إيمانه كاملاً، هذا القول من البدع.أهـ

سؤال/ أليس يقولون: إنه يعاقب في الآخرة، فيكون عاصياً؟

أجاب سماحة الشيخ: الظاهر والله أعلم أنهم يقولون بهذا، لأن هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، يستحق العقاب من مات على الزنا، ومن مات على السرقة، ومن مات على القذف ولم يتب؛ لا ينبغي أن يقولوا خلاف ذلك، يعني مرجئة الفقهاء، وقد يقال: من هذه الحيثية إنه خُلف لفظي، ولكن بكل حال، فإن إخراج العمل من الإيمان ليس بالأمر السهل.أهـ

سؤال/ كيف يكون كامل الإيمان ويعذب؟

أجاب سماحة الشيخ: نوع من التناقض.أهـ

❊ ❊ ❊

ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار، كالخوارج والمعتزلة، ولكن أراد ما في ذلك التعصب على من يضادهم، وإلزامه لمن يخالف قوله بما لا يلزمه، والتشنيع عليه! وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف؟! قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ الآية.

وهنا أمر يجب أن يتفطن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية: كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً: إما مجازياً، وإما كفراً أصغر، على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله -: فهذا كفر أكبر[1].

وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاصٍ، ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أو كفراً أصغر.

وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ، له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر: وهذا مثل ما ابتلي به الذين درسوا القوانين الأوروبية، من رجال الأمم الإسلامية، ونسائها أيضاً! الذين أشربوا في قلوبهم حبها والشغف بها والذب عنها، وحكموا بها وأذاعوها، بما رُبُوا من تربية أساسها صنع المبشرين الهدامين أعداء الإسلام، ومنهم من يصرح، ومنهم من يتوارى، ويكادون يكونون سواء، فإنا لله وإنا إليه راجعون. أهـ
الباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا التفصيل هو الحق والواجب عند أهل السنة والجماعة بما يتعلق بالحكم بغير ما أنزل الله، فإن الناس فيه أنواع:

النوع الأول: وهو شر الأقسام، أن يرى أن الحكم بما أنزل الله غير مناسب ويجوز تركه، ويرى أن الحاكم مخير، إن شاء حكم بالشرع وإن شاء حكم بغيره، فليس لازماً أن يحكم به، سواء قال: إن الشريعة أفضل، أو قال: إن الحكم بالقانون أفضل، أو قال: كلا الأمرين جائز، فهو ردة عن الإسلام وكفر أكبر.

إذا رأى أن الحكم بما أنزل الله ليس واجباً، وأن الناس مخيرون، إن شاءوا حكموا بما أنزل الله، وإن شاءوا حكموا بغير ما أنزل الله، هذا كفر وردة عن الإسلام مطلقاً، سواء فضل حكم الطاغوت، أو فضل حكم الشرع، أو جعلهما سواء، في أي الأقسام الثلاثة فهو كفر وردة عن الإسلام، لكونه جحد وجوب ما أنزل الله، وهذا الجحد يوجب الردة، فإن من قواعد الإسلام ومن أصول الإسلام، أن إنكار العبد لما أوجب الله مما علم من الدين بالضرورة، ومذهبه أنه ليس بواجب، أو استحلاله ما حرم الله مما علم من الدين بالضرورة أنه محرم كالزنا والسرقة ونحو ذلك؛ فإن هذا ردة بالإجماع، ومن نواقض الإسلام بالإجماع، ولابد أن يكون الحكم بما أنزل الله مما علم من الدين بالضرورة أنه واجب، وأنه لازم، لآيات وردت في ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥] ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة:٥٠] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥]

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧].

هذه الآيات وما جاء في معناها كلها واضحة في وجوب الحكم بما أنزل الله، فإذا جحده جاحد وأنكره منكر وقال: يجوز الحكم بغير ما أنزل الله، وإن فضل الشريعة على ذلك، فإنه يكون بهذا جاحداً لهذا الأمر العظيم، ويكون منكراً لما أوجبه الله.

النوع الثاني: من عرف الحكم وأنه حق وأن الواجب الحكم به، ولكنه مال عن ذلك لشهوة أو رشوة ويعلم أنه عاص، وأنه قد فعل منكراً عظيماً، هذا له حكم أمثاله من أصحاب الكبائر، وقد وقع في كفر، كما سماه الله كفراً، ويسمى كفراً أصغر.

النوع الثالث: حكم بغير ما أنزل الله عن جهل، بعد اجتهاده وتحريه الحق وطلبه الحق واستقصى وسعه في طلب الحق، ولكنه صادف أن حكمه ما وافق الشرع بعد اجتهاده وحرصه وإخلاصه، فهذا له حكم أمثاله من المجتهدين المخطئين، ويكون له أجر الاجتهاد ويفوته أجر الصواب، لما ثبت في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن حكم فاجتهد فاخطأ فله أجر**».

هذا هو الحكم الفيصل في هذا المقام، الذي يجب المصير إليه عند أهل السنة والجماعة وعند أهل الحق.أهـ

سؤال/ **النوع الثاني، في حادثة واحدة أو في جميع الأحكام؟**

أجاب سماحة الشيخ: في حادثة أو في أحكام.أهـ

سؤال/ قولهم «كفراً مجازاً»؟

أجاب سماحة الشيخ: على طريقة أهل المجاز، يتوسع في تسميته كفراً، يجوز أن يسمى كفراً، ويجوز أن ينفى عنه الكفر، فإن أريد الكفر الأكبر نفي عنه، وإن أريد بالكفر الأصغر جاز أن يوصف به، المجاز عندهم ما يجوز نفيه، أو ما تجيزه اللغة وتتوسع به اللغة، على الخلاف في اصطلاح أهل المجاز.أهـ

سؤال/ هناك نوع الآن في العالم الإسلامي ليس واضحاً في أي الأقسام يكون، إنسان حاكم يصر على الحكم بغير ما أنزل الله في كل الأحكام، بل يشرّع غيرما أنزل الله، ويلزم الناس به ولا يتعرض هل يعتقد أن حكم الله كذا وكذا؟ لا يتعرض لهذا، لكن يلزم الناس بغير ما أنزل الله، والذي يعترض عليه يعاقبه، فهو لا يصرح بلسانه أنه لا يعتقد؟!

أجاب سماحة الشيخ: الأصل التفصيل، هذا هو الأصل، والذي يظهر من حالهم أنهم يستحلون الحكم بغير ما أنزل الله، هذا الذي يظهر من حالهم، لكن الحكم عليهم بأن كفرهم كفر أكبر محل نظر، وإلا ظاهر حالهم استحلالهم، وظاهر حالهم وتصرفاتهم أنهم يرونه أولى، أو أنه ألزم أو ما أشبه ذلك، أو يتألفون به الناس بزعمهم، أو غير ذلك من الأشياء، فالذي يظهر من حالهم ـ والعياذ بالله ـ أنه كفر أكبر، هذا ظاهر من حالهم، لكن ما لم يصرحوا بذلك يجب التوقف، لأنه قد يكون الهوى ومراعاة أمور لسياستهم دعتهم إلى هذا، مع إيمانهم بقلوبهم أن هذا خطأ، وأنه خطأ ألجئوا إليه بزعمهم، نسأل الله السلامة.أهـ

سؤال/ هل يكون كالحكام الفسقة فقط، أو يكون من الكفر الظاهر؟

أجاب سماحته/ هذا لا شك فيه، الفسق والكفر الأصغر هذا لا شك

فيه، أما الكلام في: هل كفروا كفراً أكبر؟ هل هم مرتدون أم لا؟

هذا محل نظر، إذا لم يصرحوا بأنه جائز، لأن عملهم يقتضي ذلك، الأصل لزوم الأصل، ألا يكفروا إلا بعد المعرفة أنهم استجازوا واستحلوا.أهـ

سؤال/ قرائن الأحوال ما تكفي؟

أجاب سماحة الشيخ: قرائن الأحوال تقتضي أنهم يستجيزونه، لكن الحكم بالردة أمر وراء ذلك.أهـ

سؤال/ مسألة أخرى: إذا لم نحكم عليه بالكفر، ألا يجوز أن نعتبر هذا من الكفر البواح الذي يرى «إلا أن تروا كفراً بواحاً» ولذلك يقتضي الخروج عليهم؟

ما حكمنا عليه هو بالكفر، لكن هذا الذي رأيناه كفراً، وهو مصر عليه، ألا يكون هذا سبباً للخروج عليه، سواء قلنا إنه كافر بقلبه أو لم نقل؟

أجاب سماحة الشيخ: ظاهر كلام كثير من أهل العلم أن مثل هذا إذا كان فيه قوة قادرة ودولة قادرة تستطيع أن تلزمه وأن تقاتله على ذلك فلهم ذلك، حتى لو كانوا دون هذا الشيء، لو كان لهم قوة قادرة تستطيع إلزامهم بهذا الشيء، إما أن تلتزم بهذا الشيء وإلا قاتلناك، هذا ذكره الشيخ تقي الدين ابن تيمية، إجماع أهل العلم على هذا، إذا وجد دولة لا تحكّم الشريعة أو لا تمنع الخمر أو لا تمنع الربا أو لا تمنع كذا أو لا تمنع كذا؛ وجب على الدولة الإسلامية أن تلزمها بهذا الشيء، وأن تقاتلها إذا أصرت وأبت.أهـ

❊ ❊ ❊

وأراد الشيخ رحمه الله بقوله: «ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله» مخالفة المرجئة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لعلها للمرجئة، يعني مخالف في هذا، لا يضر مع الإيمان ذنب، يضر مع الإيمان الذنب، يوجب الوعيد ويوجب الخطر، وينقص الإيمان ويضعف الإيمان، فوجود اللام أظهر للمعنى. أهـ

❊ ❊ ❊

وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين، فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك، فإن قدامة بن عبدالله[1] شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة، وتأولوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية، فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا، وقال عمر لقدامة: أخطأت استك الحفرة، أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر.

---

(١) قال شاكر: والصواب (قدامة بن مظعون) كما في سير أعلام النبلاء ١/ ١٦١، والإصابة ٣/ ٢٢٨.ن.أهـ

قال الذهبي: لقدامة هجرة إلى الحبشة، وقد شرب مرة الخمر متأولاً مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾، فحده عمر وعزله عن البحرين. انتهى من سير أعلام النبلاء ١/ ١٦١ «قدامة بن مظعون». وروى عبد الرزاق عن أيوب بن تيمية يقول: «لم يحد في الخمر أحد من أهل بدر إلا قدامة بن مظعون» انتهى، المصنف (١٧٠٧٥) ٩/ ٢٤٠ باب من حد من أصحاب النبي ﷺ.

وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر، وكان تحريمها بعد وقعة أحد، قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية، بين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين، كما كان من أمر استقبال بيت المقدس.

ثم إن أولئك الذين فعلوا ذلك يذمون على أنهم أخطأوا وأيسوا من التوبة، فكتب عمر إلى قدامة يقول له: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ ما أدري أي ذنبيك أعظم؟ استحلالك المحرم أولاً؟ أم يأسك من رحمة الله ثانياً؟

وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أن المستحل للحرام يكفر بذلك، أما من فعلها غير مستحل فيقام عليه الحد، من شرب الخمر غير مستحل أقيم عليه حدها، وهكذا السرقة والقذف وأشباه ذلك، ومن فعلها مستحلاً ارتد وقتل قتل المرتدين، إذا علم من الدين بالضرورة أنه محرم لا نزاع فيه، فقدامة وأصحابه ظنوا أنهم إذا اتقوا وآمنوا كما ظن المرجئة، أنهم لا يضرهم ذنب، فأجمع الصحابة على أن هذا خطأ، بل يضرهم الذنب، تضرهم المعاصي وتضعفهم إيمانهم، وأن الإيمان يمنع من ذلك، فإن العبد إذا آمن واتقى منعه إيمانه من المعاصي، والآية ليست فيما ذهبوا إليه، ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ﴾ [المائدة:٩٣] هي في الذين أصابوا هذا قبل

التحريم، فهم لا يضرهم ذلك لأنهم كانوا من المتقين، وفعلوا ذلك على أنه مباح، أما من فعله بعد التحريم؛ فإن هذا لا يكون مباحاً له، ولا يكون من المتقين المؤمنين، بل من ناقصي الإيمان ومن ضعيفي التقوى، إذ لو قوي إيمانه واستقام على دينه لامتنع، ولهذا حكم الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأمر، حكموا عليهم بأنهم إن رجعوا عن استحلالها جلدوا حد الخمر، وإن أصروا على استحلالها قتلوا قتل المرتدين، ثم أصيبوا بعد ذلك باستعظام الأمر، وعرفوا بأنهم وقعوا في أمر عظيم، فصاروا خائفين من عدم قبول توبتهم، فلهذا كتب عمر إلى قدامة وقال: ما أدري أي ذنبيك أعظم؟ استحلالك المحرم أولاً؟ أم يأسك من رحمة الله ثانياً؟

فالواجب عدم غشيان المحرم، والوقوف عند حدود الله، ثم إذا وقع في المحرم أن لا ييأس، بل يبادر إلى التوبة، ويضرع إلى الله في قبولها، ولا ييأس ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:٨٧] ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه:٨٢].أهـ

* * *

قوله: (ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم).

ش: وعلى المؤمن أن يعتقد هذا الذي قاله الشيخ رحمه الله في حق نفسه وفي حق غيره، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ ومدح أهل الخوف،

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله المؤلف الطحاوي رحمه الله هو قول أهل السنة والجماعة، فيرجون للمحسنين ولا يشهدون لهم بالجنة، ولكنهم يرجون لهم الخير، ويعتقدون فيهم الخير، ولا يأمنون عليهم، بل يخافون عليهم من شر اللسان وشر الجوارح وشر المعاصي، وهم يشهدون لهم بالخير، ويرجون لهم الخير، ولكن لا يشهدون لهم بالجنة، ويخافون عليهم من مغبة الذنوب.

وأما العصاة فهم أيضاً لا يشهدون لهم بالنار، ولكنهم يخافون عليهم من النار لسوء أعمالهم، ولا يخلدونهم، بل يخافون عليهم من سوء الأعمال، هكذا أهل الحق يرجون للمحسن ويخافون على المسيء، لا يأمنون على المؤمن، ولا يقنطون المسيء، ولا يشهدون لأحد بجنة ولا نار إلا لمن شهد له الله أو رسوله، لكن يشهدون بأن المؤمن في الجنة على الإطلاق، وأن الكفار في النار على الإطلاق، من مات على الإيمان فهو من أهل الجنة، ومن مات على الكفر والنفاق فهو من أهل النار في الجملة، أما فلان بن فلان فهذا هو محل التوقف، فمن كان ظاهره الخير يرجى له الخير، ولكن لا يأمنون عليه، قد يضل، قد ينتكس، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهم لا يشهدون له بالجنة قطعاً، بل يرجون له الجنة، وكذلك العاصي يخافون عليه النار، ولا يقنطونه ولا يشهدون له بالنار، فقد يتوب ويهديه الله ويرجع ولو كان كافراً، لكن من مات على الكفر فله

النار، ومن مات على الإيمان فله الجنة، من حيث الإجمال.أهـ

❊ ❊ ❊

وفي المسند والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ هو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه»(١).

قال الحسن رضي الله عنه: عملوا - والله - بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشيةً، والمنافق جمع إساءة وأمناً. انتهى.

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فتأمل كيف جعل رجاءهم مع إيمانهم بهذه الطاعات؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا يبين لنا أن الرجاء له أسباب، أما زعم الرجاء مع تخلف الأسباب فهو غرور، خديعة من الشيطان، نسأل الله السلامة، فالذي يرجو يعمل، ولهذا قال جل وعلا: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف:١١٠] الراجي يعمل والخائف يعمل، فرجاء وخوف بدون عمل دعوى كاذبة، بل هو غرور وخديعة من الشيطان، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ

---

(١) حديث حسن، وقد خرجته في «الأحاديث الصحيحة» (١٦٢).أهـ ألباني

وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [التوبة:٧١] فجعل الرحمة معلقة بهذه الأعمال، فالرحمة والرجاء والخوف كل ذلك يقتضي عملاً، مثل ما في آية: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٦١] فهذا يوجب للمؤمن ألا يخدع من النفس الأمارة بالسوء، أو من جلساء السوء أو من الشيطان، لأن مجرد كونه مسلماً، أو مجرد كونه موحداً، أو مجرد أنه يقول لا إله إلا الله، ممن لا يخاف عليه أو لم يعرف الرجاء الحقيقي، وهو مفرط مضيع لأمر الله راكب محارم الله؛ فهذا على خطر عظيم، فلينظر، قد يكون رجاؤه باطلاً، وقد يكون رجاؤه ضعيفاً، وهكذا الخوف الحقيقي ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن:٤٦] فالخوف الحقيقي يقتضي العمل، ولهذا وعد الله الخائفين بالجنة ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن:٤٦] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢] فعلق بالخشية المغفرة والأجر في الجنة، فلو كانت الخشية مجرد خشية ما معها عمل، ما علق عليها المغفرة والأجر، فدل ذلك على أن الخشية لها ثمرة، والرجاء له ثمرة، فالراجي حقيقة يعمل، والخائف حقيقة يعمل، وما لا فلا.أهـ

* * *

فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى، شرعه وقدرته وثوابه وكرامته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحكمة غير الشرع، الحكمة شيء والشرع شيء، الحكمة العلة، والشرع ما شرعه الله، والقدر

ما قدره الله، والحكمة علة الشرع وعلة القدر، شرع الصلاة لكذا، فهو غير الحكمة، شرع الزكاة لكذا، قدر الشمس خلقها كذا، قدر الأمطار بكذا، قدر الرياح بكذا، قدر الأعمال السيئة بكذا، فالشرع شيء والحكمة شيء، والشرع والقدر شيء ثان. أهـ

❊ ❊ ❊

ولو أن رجلاً له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يحرثها ولم يبذرها، ورجا أنه يأتي من مغلها مثل ما يأتي من حرث وزرع وتعاهد الأرض -: لعده الناس من أسفه السفهاء!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ليس من أسفه السفهاء، بل يعد مجنوناً، يعد من المجانين، يعد ممن لا عقل له، عنده أرض يرجو منها كذا وكذا من الغلات، وهو لم يحرث ولم يزرع ولم يوصل الماء إليها !! ما يفعله إلا مسلوب العقل. أهـ

❊ ❊ ❊

وكذا لو رجا وحسن ظنه أن يجيئه ولد من غير جماع! أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام! وأمثال ذلك. فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم، من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا يجوز حسن الظن والرجاء مع التفريط،

إذا ساء فعل العبد ساءت ظنونه

إذا ساء الفعل ساءت الظنون، وإنما يقع حسن الظن في العاقبة

وطيب الظن وراحة النفس وراحة الضمير عند حسن العمل. أهـ

* * *

ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً: أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك، فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير، مخافة الفوات، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ فالمشرك لا ترجى له المغفرة، لأن الله نفى عنه المغفرة، وما سواه من الذنوب في مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الآية الكريمة من الآيات المحكمات، التي بين الله سبحانه فيها حكم الشرك وحكم ما دونه من المعاصي، بياناً واضحاً شافياً، فحكم على المشرك إذا مات على شركه أنه لا يغفر له، وعلق ما دون ذلك على المشيئة، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨] يعني إذا مات على هذا، بإجماع أهل العلم، ثم قال: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨] فهنا خصص وعلق، خصص الشرك بعدم المغفرة، وعلق ما دونه بالمشيئة، وفي آية الزمر عمم وأطلق، فقال سبحانه: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣] هنا أطلق ولم يستثن شيئاً ولم يقيد، فدل ذلك على أنه أراد بهذا التائبين، كما أجمع على هذا علماء التفسير، أنها في التائبين، فإن الله يغفر ذنوبهم جميعاً، الشرك وما دونه، من تاب إلى الله من ذنبه تاب عليه مطلقاً، سواء كان شركاً أم دونه، ولهذا أطلق في الآية الكريمة آية الزمر، وعمم بالمغفرة وحذر من القنوط، فدل ذلك على أن من تاب تاب الله عليه من أي ذنب، وإن لم تقبل توبته في الدنيا حكما، فإنها مقبولة عند الله إذا كان صادقاً، فقد يقتل ساب الدين وساب الرسول ﷺ حكماً، ولو قال إنه تائب، كما هو قول جمع من أهل العلم، ولكنه في نفس الأمر إذا كان صادقاً فتوبته مقبولة، لأن هذه النصوص دالة على أن كل تائب تقبل توبته، ومن ذلك قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفساً بغير حق ثم قتل راهباً وتمم به المائة لما أفتاه أنه لا توبة له، ثم سأل بعض علماء وقته فأفتاه بأن له توبة، وأمره أن يهاجر إلى بلاد صالحة، ويترك بلاده لأنها بلاد سوء، وهاجر ومات في أثناء الطريق، فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فبعث الله إليهم ملكاً يحكم بينهم، فقال: قيسوا ما بين البلدتين، فقيس ما بينهما، فإذا هو أقرب إلى الأرض الصالحة بشبر، فقبضته ملائكة الرحمة[(١)]، فهو أقبل على الله بقلبه وقالبه تائباً، فقبل الله توبته، والمقصود أن التوبة الصادقة المشتملة على الشروط المطلوبة من الندم والإقلاع والعزم الصادق على عدم العود، يمحو الله بها الخطايا من الشرك وما دونه، فلا ينبغي لعاقل بل لا يجوز له أبداً أن يقنط، ما دام في قيد الحياة فباب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها، فليبادر بالتوبة ولو عظمت الذنوب، فعفو الله أعظم،

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب:. ومسلم (٢٧٦٦) كتاب الرقاق/ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فمن تاب تاب عليه، ومن أقبل عليه أقبل عليه سبحانه وتعالى، ومن صدق في توبته وعمله نجح غاية النجاح، وإنما المصيبة العظيمة الإصرار على الذنوب والبقاء عليها، نسأل الله العافية. أهـ

* * *

وفي معجم الطبراني: «الدواوين عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وهو الشرك بالله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ وديوان لا يترك الله منه شيئاً، مظالم العباد بعضهم بعضاً، وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الثالث تحت المشيئة، والوسط كل يعطى حقه إلا أن يسمح ويعفو، وقد يعوض الله المظلوم عن حقه بثواب عظيم وخير كثير عن الظالم إذا صدق الظالم في التوبة، إذا صدق واستقام أمره وبذل وسعه في إيصال الحق إلى أهله، فإن الله جل وعلا يتحمل عنه ويرضي خصمه، بسبب صدقه في التوبة وحرصه على أداء الحق، وأما الديوان الأول فهو في الهلكة، وهو الشرك الذي لا يغفر الله منه شيئاً، فمن مات عليه فقد يئس منه، وقد صار إلى النار مخلداً فيها أبد الآباد، لا رجاء له، نسأل الله العافية ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان:٢٣] نسأل الله العافية، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بأن الذنوب تحت المشيئة، فليحرص وليحذر من

(١) ضعيف، ولم يروه الطبراني بل أحمد (٦/ ٢٤٠) والحاكم (٤/ ٥٧٥_٥٧٦) وقال «صحيح الإسناد» ! ورده الذهبي بقوله: «قلت: صدقة، ضعفوه، وابن بابنوس فيه جهالة».أهـ ألباني

الإصرار، وليبادر بالتوبة أيضاً ولو كانت دون الشرك، فكم من عاصٍ دخل النار، وكم من عاصٍ أصابه من شرها وبلائها ما أصابه بسبب عدم توبته، وقد تواطأت الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أن كثيراً من العصاة يدخلون النار ويحترقون فيها ـ نسأل الله العافية ـ وأنهم يخرجون قد امتحشوا، قد احترقوا، فيلقون في روض يقال له نهر الحياة[١]، فجدير بالعاقل أن لا يغتر بعفو الله وتعليقه المغفرة بالمشيئة، فإن الأمر عظيم، ومن لك أن يغفر لك؟ من لك أنك من المغفور لهم؟ من لك أنك ممن يعفى عنه؟ وأنت تعلم أن هناك جماً غفيراً يدخلون النار بذنوبهم، ويشفع فيهم الشفعاء، فيخرجون في أوجه محدودة، حتى النبي محمد ﷺ يشفع في جم غفير ويحد الله له حداً، يشفع أربع شفاعات، يحد الله له في كل شفاعة حداً محدوداً، يخرجهم من النار ممن مات على التوحيد والإيمان، لكنه دخلها بذنوب ومعاصٍ مات عليها، لم يتب، وهكذا شفاعة غيره، ثم يبقى بقية في النار من أهل التوحيد، يخرجهم الله من النار بعد ذلك برحمته سبحانه وتعالى.

فجدير بالعاقل، جدير بمن يخاف الله أن يكون أبداً على توبة، وأن يحذر الإصرار أبداً، وأن يكون دائماً يحاسب نفسه ويتعاهد أعماله ويبادر بالتوبة، ويسأل الله الثبات على الخير والهدى، ولا يغتر بعفو الله ومغفرته، ولا يغتر بإمهاله، فربما أصر على معصيته فجرته إلى معاصٍ أخرى، ثم جرته إلى سوء الختام، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ

* * *

وقد اختلفت عبارات العلماء في الفرق بين الكبائر والصغائر،

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وقد تقدم.

وستأتي الإشارة إلى ذلك عند قول الشيخ رحمه الله: «وأهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون» ولكن ثم أمر ينبغي التفطن له، وهو: أن الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقرن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره.

وأيضاً: فإنه قد يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، فإن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة:

السبب الأول: التوبة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ وغيرها.

والتوبة النصوح، وهي الخالصة، لا يختص بها ذنب دون ذنب، لكن هل تتوقف صحتها على أن تكون عامة؟ حتى لو تاب من ذنب وأصر على آخر لا تقبل؟

والصحيح أنها تقبل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب مثل ما قال المؤلف، أن التوبة تتبعض، وتصح من ذنب دون ذنب، فلو كان عنده ذنب السرقة وذنب الزنا وذنب الخمر، فتاب من أحدها توبة صادقة، بقي عليه الذنب الثاني والثالث وهكذا، صحت توبته مما تاب منه بالندم والإقلاع والعزم أن لا يعود فيه، وبقيت عليه تبعة الذنوب الأخرى. أهـ

※ ※ ※

وهل يجب الإسلام ما قبله من الشرك وغيره من الذنوب وإن لم يتب منها؟ أم لا بد مع الإسلام من التوبة من غير الشرك؟ حتى لو أسلم وهو مصر على الزنا وشرب الخمر مثلا، هل يؤاخذ بما كان منه في كفره من الزنا وشرب الخمر؟ أم لا بد أن يتوب من ذلك الذنب مع إسلامه؟ أو يتوب توبة عامة من كل ذنب؟

وهذا هو الأصح: أنه لا بد من التوبة مع الإسلام،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله المؤلف هو الصواب، أن الإسلام يجب ما قبله إذا أحسن في الإسلام، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، فإذا أحسن في الإسلام وتاب توبة صادقة من جميع الذنوب صار إسلامه خاتماً لجميع الذنوب، أما لو تاب من الشرك لكن بقي على شرب الخمر، فإنه يؤخذ بالأول والآخر، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، قال: «**فإن لم يحسن إسلامه أخذ بالأول والآخر**»[(١)]. أهـ

* * *

وكون التوبة سبباً لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها - مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس شيء يكون سبباً لغفران جميع الذنوب إلا التوبة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وهذا لمن تاب، ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُواْ﴾ وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ الآية.

---

(١) رواه مسلم (١٢٠) كتاب الإيمان/ باب: هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية؟ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

السبب الثاني: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ لكن الاستغفار تارة يذكر وحده، وتارة يقرن بالتوبة، فإن ذكره وحده دخلت معه التوبة، كما إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار، فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

ونظير هذا: الفقير والمسكين، إذا ذكر أحد اللفظين شمل الآخر، وإذا ذكرا معا كان لكل منهما معنى، قال تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لا خلاف أن كل واحد من الاسمين في هذه الآيات لما أفرد شمل المقل والمعدم، ولما قرن أحدهما بالآخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية -: كان المراد بأحدهما المقل، والآخر المعدم، على خلاف فيه، وكذلك: الإثم والعدوان، والبر والتقوى، والفسوق والعصيان.

ويقرب من هذا المعنى: الكفر والنفاق، فإن الكفر أعم، فإذا ذكر الكفر شمل النفاق، وإن ذكرا معا كان لكل منهما معنى، وكذلك الإيمان والإسلام، على ما يأتي الكلام فيه، إن شاء الله تعالى.

السبب الثالث: الحسنات: فإن الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده عشراته وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ

ٱلسَّيِّئَاتِۚ﴾ وقال ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن هذا الباب قوله جل وعلا: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه:٨٢] فبين أن التوبة من أسباب المغفرة، ثم الإيمان والعمل الصالح بعد ذلك، فالعمل الصالح له آثار صالحة في تكفير السيئات وحط الخطايا فينبغي للمؤمن مع التوبة الصادقة والندم أن يستكثر من الحسنات أيضاً ومن الأعمال الصالحات، فإنه يجمع أسباباً إلى أسباب، ولعل الله ينفعه بذلك. أهـ

❊ ❊ ❊

السبب الرابع: المصائب الدنيوية، قال ﷺ: **«ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا غم ولا هم ولا حزن، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه»**(٢) **وفي المسند: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ قال أبوبكر: يا رسول الله، نزلت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءً؟**

فقال: «يا أبا بكر، ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست يصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به»(٣).

---

(١) حديث حسن، وهو مخرج في «الروض النضير» (٨٥٥). أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معا. أهـ ألباني

(٣) ضعيف الإسناد، صحيح المعنى، قال أحمد شاكر في تعليقه هنا:

حديث أبي بكر هذا في المسند برقم ٦٨ بشرحنا، ولكن أوله هناك، أن أبا بكر قال: «يا رسول الله: كيف الصلاح بعد هذه الآية ؟.. فكل سوء عملناه جزينا به ؟» ليس فيه قوله هنا «نزلت قاصمة الظهر..» وهو حديث ضعيف، إسناده منقطع، وكان الأجدر بالشارح أن يذكر حديث =

فالمصائب نفسها مكفرة، وبالصبر عليها يثاب العبد، وبالسخط يأثم، والصبر والسخط أمر آخر غير المصيبة، فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد، وهي جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفر ذنبه بها، وإنما يثاب المرء ويأثم على فعله، والصبر والسخط من فعله، وإن كان الأجر قد يحصل بغير عمل من العبد، بل هدية من الغير، أو فضلاً من الله من غير سبب، قال تعالى: ﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فنفس المرض جزاء وكفارة لما تقدم، وكثيراً ما يفهم من الأجر غفران الذنوب، وليس ذلك مدلوله، وإنما يكون من لازمه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصبر والرضا عملان صالحان، فصبر العبد على المصيبة ورضاه يحصل له ما وعده الله من التكفير، يحصل له أجر عظيم من الدرجات الرفيعة والثواب الجزيل على صبره واحتسابه ورضاه، وقد جاء في بعض الروايات ما يدل على أنه أيضاً قد يؤجر على مسألة المصائب مع الكفارات أو العفو منه سبحانه وتعالى، قد تكون المصيبة أيضاً من أسباب رفع درجاته زيادة على تكفير

= أبي هريرة في المسند (٧٣٨٠) أنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين، وبلغت منهم ما شاء الله أن تبلغ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: «قاربوا وسددوا، فكل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها» وهو حديث صحيح، رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٢٨٢) وزاد في آخره: «والشوكة يشاكها» ولو رجع الشارح رحمه الله إلى تفسير شيخه ابن كثير في هذه الآية (٢/ ٨٥٦ـ ٥٩٠) لوجد حديث أبي هريرة وأحاديث أخر في معناه، بعضها أصح إسناداً من حديث أبي بكر.

قلت: وهو في «مسند أبي بكر الصديق» للحافظ أبي بكر المروزي (رقم ٢٠ و١١١) طبع المكتب الإسلامي، تحقيق الأستاذ شعيب الأرناؤوط من طريقين ضعيفين عن الصديق رضي الله عنه. أهـ ألباني

السيئات، ما أصاب العبد من مرض ومن نصب أو جوع وما أشبه ذلك هي أسباب، أسبابها فعل العبد، والمقدر هو الله سبحانه وتعالى. أهـ

سؤال/ إذا أصيب بمصيبة فلم يصبر، هل يؤجر؟

أجاب سماحته/ إذا جزع: لا، متوعد «ومن سخط فله السخط»[١] لكن لا يمنع ذلك من كونها قد تكفر السيئات مع جزعه، ولا يحصل له الأجر الذي يعطيه الله للصابرين، وأما في نفسها فهي مكفرة. أهـ

❊ ❊ ❊

السبب الخامس: عذاب القبر، وسيأتي الكلام عليه، إن شاء الله تعالى.

السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

السبب السابع: ما يهدى إليه بعد الموت، من ثواب صدقة أو قراءة أو حج، ونحو ذلك، وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

السبب الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده.

السبب التاسع: ما ثبت في الصحيحين: أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة[٢].

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وقد تقدم.

(٢) هو من طرف من حديث أخرجه البخاري في «المظالم» و«الرقاق» وأحمد (٣/ ١٣ و٦٣ و٧٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، ولم أره في صحيح مسلم، ولا عزاه السيوطي إليه. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني المقاصة بين المؤمنين لإزالة ما بقي من أذى، يقتص لبعضهم من بعض، هذا يتسامح وهذا يتسامح، أو يرضيهم الله بأشياء تدعو للتسامح، فالمقصود هو المقاصة بينهم على ما بينهم من أشياء في النفوس لم تزل قبل ذلك، بعدما يجوزون الصراط إلى الجنة، هذا لأهل الإيمان خاصة، بعد الجواز على الصراط. أهـ

* * *

السبب العاشر: شفاعة الشافعين، كما تقدم عند ذكر الشفاعة وأقسامها.

السبب الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، كما قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فإن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلا بد من دخوله إلى الكير، ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه، فلا يبقى في النار من في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، بل من قال: لا إله إلا الله، كما تقدم من حديث أنس رضي الله عنه[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني من لم يحصل على شيء من هذه الأسباب يطهر به ويزول به خبث السيئات؛ ما بقي في حقه حينئذ إلا أن يدخل النار، الكير، حتى يطهر ويمحص من بقية سيئاته، ثم بعد ذلك يخرج إلى الجنة، كما جاءت به الأحاديث وتواترت به السنة عن النبي ﷺ أن أناسا يدخلون النار بمعاصيهم ثم يخرجون منها بعد ذلك، بعدما يحترقون، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في

(١) متفق عليه. أهـ ألباني

حميل السيل[١]، ولا يبقى في النار إلا أهلها وهم الكفار يخلدون فيها أبد الآباد، نعوذ بالله، أما من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فهذا وما أشبهه لا يخلد، بل بعد ما يطهر ويمحص ويزول خبثه يخرج من النار، نسأل الله السلامة، وهذا في حق الذين لم يتوبوا، ماتوا على المعاصي ولم يتوبوا، وقد تزول آثار ذنوبهم بغير التوبة، من الدعاء والاستغفار، من المصائب، الأعمال الصالحات، شفاعة الشفعاء، دعاء المؤمنين، الصدقات، إلى غير هذا، وجاء في الأحاديث الصحيحة أنه إذا شفع الشفعاء يقول الله جل وعلا: «**شفع النبيون، شفع المؤمنون، شفعت الملائكة، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، فيخرج الله من النار أقواماً لم يفعلوا خيراً قط**»[٢] إلا أنهم ماتوا على التوحيد، إلا أنهم ماتوا وهم يقولون لا إله إلا الله، قد وحدوا الله وأخلصوا له، ولكن ابتلوا بسيئات ومعاصٍ أضعفت هذا الإخلاص وهذا التوحيد، حتى استحقوا بها دخول النار، نسأل الله العافية.

وبالنسبة للتخليد في حق قاتل المؤمن، فالخلود خلودان: خلود دائم، هذا للكفار، وخلود مؤقت، هذا المقصود في حق القاتل والزاني ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان:٦٩] الزاني والقاتل، وقصة الذي قتل نفسه كذلك ذكر فيه الخلود، فهو خلود مؤقت له نهاية، بخلاف خلود الكفار فلا نهاية له، والعرب تعرف هذا، تطلق الخلود على الشيء الطويل، أقاموا فأخلدوا، يعني أطالوا الإقامة. أهـ

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري (٦٥٦٠) كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار، ومسلم (١٨٥) كتاب الإيمان/ باب إثبات الشفاعة، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد ومسلم، وقد تقدم.

وإذا كان الأمر كذلك، امتنع القطع لأحد معين من الأمة، غير من شهد له الرسول ﷺ بالجنة، ولكن نرجو للمحسنين، ونخاف عليهم.

قوله: (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة)

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «ينقلان عن ملة الإسلام» محل نظر، والشارح ما نبه على هذا، فإن قوله: «والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام» غلط، هما كبيرتان من كبائر الذنوب ولا ينقلان، فإن الخوارج غلب عليهم الخوف فكفّروا بالذنوب، والمرجئة غلب عليهم الرجاء فأمنوا مكر الله، فالقنوط واليأس والأمن من مكر الله كلاهما من كبائر الذنوب، فلا ينقلان من ملة الإسلام، ولكن صاحبهما على شفا جرف، على خطر عظيم من دخول النار، لضعف إيمانه بقنوطه، ولضعف إيمانه بأمنه، وسبيل الحق بين الطريقين، سبيل الحق بين الأمن والقنوط، هذا سبيل أهل الحق، سبيل الرسل وأتباعهم، لا قنوط ولا أمن، ولكن رجاء وخوف، رجاء ليس معه أمن، وخوف ليس معه قنوط، فمن قنط أو أمن فقد أتى كبيرة من الكبائر، وأتى خطراً عظيماً، ولكنه لا يكفر بذلك وينتقل من الملة، ملة الإسلام، بل يكون ظالماً لنفسه، قد أتى كبيرة عظيمة يجب أن يتوب إلى الله منها، فالرجاء الصادق يحمل على فعل الخير والمسارعة إليه، والخوف الصادق المحمود يحمل على الحذر من الشر والبعد منه، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٩] وقال سبحانه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف:١١٠]

فالرجاء يحمل على العمل ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة:٧١] فالرحمة لأهل العمل الصالح، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢١٨] فجعلهم راجين لمّا عملوا، فدل ذلك على أن الرجاء يدعو إلى العمل، الرجاء المحمود، لا إلى أمن مكر الله وارتكاب محارم الله، وهكذا الخوف المحمود يدعو إلى الجد والنشاط في طاعة الله ورسوله، والحذر من محارم الله، لا إلى القنوط واليأس، ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر:٥٦].

والمقام يحتاج إلى مزيد عناية، والمعروف من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهما كبيرتان، وأن الضلال هنا والكفر هنا ليس هو الكفر الأكبر والضلال الأكبر، فليتأمل، والمؤلف أعرض عن هذا. أهـ

سؤال/ إذا وصل قنوطه إلى درجة أن قال: إن الله لن يدخله الجنة وأنه سيدخل النار، أو وصل الرجاء إلى درجة أيقن معه أنه سيدخل الجنة، كل هذا لا يخرجه عن الملة؟

أجاب سماحة الشيخ: فيه نظر، لأن الإنسان قد يكون موحداً مسلماً، ولكن اشتد معه الخوف بسبب ما تعاطى من الزنا أو شرب الخمر، فحمله ذلك على أن قال أنه لا يدخل الجنة، وأنه من أهل النار، مثل ما جرى لثابت بن قيس لما نزلت ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢] لزم بيته وقال: هو من أهل النار، إنه يرفع صوته على رسول

الله، فبعث إليه النبي ﷺ وقال: «**إنه ليس من أهل النار ولكنه من أهل الجنة**»[(١)] قد يقع على الإنسان في نفسه يأس شديد بسبب أعماله السيئة، وقد يقع في نفسه أمن بسبب ما هو عليه من التوحيد والإيمان، ولا يرى ما قد يقع منه مثل السيئات المؤثرة، فخروجه بهذا من الدائرة، من ملة الإسلام، هذا محل نظر، يحتاج على مزيد عناية، وأظن أن ابن القيم رحمه الله في المدارج بسط هذا، لأن هذا من منازل السائرين فليراجع كلامه. أهـ

سؤال/ قول المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب !!

أجاب سماحة الشيخ: أقوال باطلة على كل حال، لكن هل ينقل من دائرة الإسلام أم لا؟

هذا محل البحث، وإلا فقولهم باطل. أهـ

* * *

ش: يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً، فإن الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) رواه البخاري (٣٦١٣) كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، و(٤٨٤٦) كتاب التفسير/ باب ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾. ومسلم (١١٩) كتاب الإيمان/ باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، من حديث أنس رضي الله عنه.

يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

قال: أبوعلي الروذباري رحمه الله: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت[(١)]. وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ الآية، وقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ الآية.

فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه.

وقال صاحب منازل السائرين رحمه الله: الرجاء أضعف منازل المريد.

وفي كلامه نظر، بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «المريد» يعني مريد الله والدار الآخرة، من أراد الله والدار الآخرة فلا بد أن يكون له رجاء محمود وخوف محمود، رجاء يحمله على المسارعة إلى الطاعات وأداء الفرائض، وخوف يحمله على ابتعاده عن المحارم وحذره منها، فهو سائر

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٣٦.

إلى الله بين الرجاء والخوف، بين حبه سبحانه وحسن الظن به ورجاء مغفرته والفوز بكرامته، وبين خوف يتضمن تعظيمه والإيمان بعظم حقه، ويتضمن أيضاً الابتعاد عن محارمه ومساخطه، هكذا يكون الخوف والرجاء، ولهذا قال بعض السلف: إنه ينبغي أن يكون للسائر إلى الله كالجناحين للطائر، وجاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ دخل على مريض فقال: «**ما حالك؟**»

قال: أخاف ذنبي وأرجو رحمة ربي، فقال: «**ما اجتمعا في قلب مؤمن في مثل هذه الحالة إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**»(١) فالمقصود أن الخوف والرجاء لابد أن يتوفرا، فلا يغلب هذا ولا هذا، فالقانطون واليائسون غلبوا جانب الخوف، والآمنون من مكر الله غلبوا جانب الرجاء فخسروا، والواجب أن تسير إلى الله على الطريقة التي سار عليها الأخيار، من الأنبياء والصالحين وأتباعهم، بين الخوف والرجاء ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠] هذه حال الأنبياء والصالحين، بين الرغبة والخوف، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧] قال جماعة من السلف، كابن عباس وجماعة: إنها نزلت في العزير والمسيح وأمه، وفي كل صالح يعبد من

(١) رواه الترمذي (٩٨٣) كتاب الجنائز/ باب: من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: حسن غريب، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٦٢) وابن ماجه (٤٢٦١) كتاب الزهد/ باب ذكر الموت والاستعداد له، ورواه ابن بطة في الإبانة ٢/ ٧٥٧ (١٠٥٥) باب الإيمان خوف ورجاء، وفي جامع المسانيد والسنن (٢١٥٩) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

دون الله[١]، قال ابن مسعود: نزلت في أناس من الإنس يعبدون أناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك الإنس بعبادتهم[٢].

فالمقصود أن الصالحين من صفاتهم الخوف والرجاء، فلا قنوط ويأس، ولا أمن من مكر الله سبحانه وتعالى، وإخلال من البطالة والشهوات المحرمة، ولكن بين ذلك. أهـ

❊ ❊ ❊

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»[٣] وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»[٤]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله يتضمن الرجاء، حسن الظن بالله يتضمن الرجاء. أهـ

❊ ❊ ❊

ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه.

---

(١) جامع البيان للطبري، سورة الإسراء، آية (٥٧).

(٢) جامع البيان للطبري، سورة الإسراء، آية (٥٧).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة بفظ «.. وأنا معه إذا ذكرني..» الحديث، وقد مضى في الكتاب معزواً للصحيح أيضاً، وعزوه إليه هنا خطأ، فإنه إنما رواه بهذا اللفظ الذي هنا عن أبي هريرة الإمام أحمد، وفيه ابن لهيعة، لكن له شاهد من حديث واثلة، رواه أحمد وغيره بسند صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي، وهو مخرج في «الصحيحة» تحت الحديث (١٦٦٣).أهـ ألباني

(٤) رواه مسلم وغيره، كما في «أحكام الجنائز» (ص٣).أهـ ألباني

وقال بعضهم: من عبدالله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، وروي: ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد[١].

ولقد أحسن محمود الوراق في قوله:

لو قد رأيت الصغير من عمل الخـ ـير ثواباً عجبت من كبره
أو قد رأيت الحقير من عمل الشـ ـر جزاءً أشفقت من حذره

قوله: (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه).

ش: يشير الشيخ إلى الرد على الخوارج والمعتزلة في قوله بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة، وفيه تقرير لما قال أولاً: «لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله» وتقدم الكلام على هذا المعنى.

قوله: (والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى).

ش: اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان، اختلافاً كثيراً: فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو المشهور عند أهل السنة والجماعة، المشهور عندهم هو هذا: قول باللسان وعمل

---

(١) ذكره صاحب معارج القبول، وقال في الحاشية: انظر كتاب العبودية لابن تيمية (ص ٣٨-٥٦).

بالأركان واعتقاد بالجنان، يعني قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، بخلاف ما ذكره المؤلف عن الحنفية أنه اعتقاد بالجنان وقول باللسان فقط دون العمل، ويأتي في بقية البحث. أهـ

❊ ❊ ❊

وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبومنصور الماتريدي رحمه الله، ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه.

وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط! فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به! وقولهم ظاهر الفساد.

وذهب الجهم بن صفوان وأبوالحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية - إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب! وهذا القول أظهر فساداً مما قبله! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وعلى هذا فالشيطان مؤمن أيضاً، لأنه يعرف ربه وعصاه على بصيرة، نسأل الله العافية، وكل

هذه أقوال باطلة، ولكن أحب المؤلف أن يذكرها فقط، وأن يبين أقوال الناس، وإلا فهي أقوال باطلة مخالفة لشرع الله، ليس لهم دليل ظاهر على اعتقادهم. أهـ

* * *

وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به، معادين له، وكذلك أبوطالب عنده يكون مؤمناً، فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمناً كامل الإيمان! فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه! فإنه جعله الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته، ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافراً بشهادته على نفسه! وبين هذه المذاهب مذاهب أخر، بتفاصيل وقيود، أعرضت عن ذكرها اختصاراً، ذكر هذه المذاهب أبوالمعين النسفي[1] في تبصرة الأدلة وغيره..

وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله، كما تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفه وأصحابه رحمهم الله، أو باللسان وحده،

---

(١) هو ميمون بن محمد بن محمد أبو المعين النسفي الحنفي، عالم بالأصول والكلام، وكان بسمرقند وسكن بخارى، له كتب عدة.أهـ ألباني

كما تقدم ذكره عن الكرامية، أو بالقلب وحده، وهو إما المعرفة، كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبومنصور الماتريدي رحمه الله.

وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر.

والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة - اختلاف صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه -: نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد، والقائلون بتكفير تارك الصلاة، ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى، وإلا فقد نفى النبي ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب، ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية، اتفاقاً.

ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل، لكن هذا المطلوب من العباد: هل يشمله اسم الإيمان؟ أم الإيمان أحدهما، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازاً؟

هذا محل النزاع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن أهل السنة والجماعة من الصحابة ومن سلك سبيلهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي، والأدلة من الكتاب والسنة كلها تؤيد هذا، وتدل على أن الإيمان يشمل قول القلب وقول اللسان، ويشمل

عمل القلب والجوارح، وكلها تسمى إيماناً، والآيات من القرآن الكريم واضحة في ذلك كثيرة، وكذلك السنة عن النبي ﷺ واضحة في ذلك، فإن الله جل وعلا أمر عباده بالإيمان، وفصّله في الآيات في بيان أعمال الإيمان، قال جل وعلا: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ [التغابن:٨] والنور الذي أنزل فيه الأعمال وفيه الأقوال، كلها داخلة فيما أنزل، والناس مأمورون بالإيمان بهذا والإيمان بهذا، وهكذا الإيمان بكل ما حرم الله وأنه حق، كله داخل في الإيمان ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء:١٣٦] فالمقصود أن الإيمان يشمل كل ما أمر الله بالتصديق به، ويشمل كل ما نهى الله عنه إيماناً بتحريمه والنهي عنه، وهكذا قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة ـ أو قال ـ بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»(١) داخل فيه كل شيء مما شرعه الله وأمر به من قول وعمل، وهكذا قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣] يعني صلاتكم، إلى غير هذا، فأهل السنة والجماعة قولهم في هذا هو الصواب، وقول الحنفية في هذا ضعيف، وإن قالوا إنه متوعد، إن عصى وترك الواجب فهو متوعد، لكن إخراجهم للأعمال من الإيمان خطأ واضح، ويأتي بقية البحث على هذا.

وقول الشارح: «الخلاف لفظي» على إطلاقه ليس بجيد، يعني إن كان مؤمناً كاملاً، كيف يعاقب على الأعمال إذا تركها؟!

فهو متناقض، فتحوا باب التساهل بدين الله وركوب محارم الله.

---

(١) رواه البخاري مسلم، وقد تقدم.

وقولهم: «خلاف صوري مجازي» غلط، ليس بجيد، بل هو حقيقة، فإن أهل السنة والجماعة يقولون: من عصى فإيمانه ناقص، وهم يقولون: إيمانه كامل، إذا كان إيمانه كاملاً كيف يعذب؟! سبحان الله أهـ

❊ ❊ ❊

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه ـ: أنه عاص لله ورسوله، مستحق للوعيد،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الإجماع إذا صح من المرجئة، يكون ما قاله الشارح من كون الخلف لفظياً مع أهل السنة والمرجئة، يكون قريباً، إذا أجمعوا على أن من آمن بقلبه وصدّق بلسانه، ولكن لم ينقد بالعمل، فما صلى ولا صام، أنه مستحق للوعيد أو دخول النار، فهذا هو قول أهل السنة والجماعة، لكن نقرأ قولهم أنه يكون كامل الإيمان لإيمانه بقلبه وبلسانه، إذا قال إنه كامل الإيمان، كيف يكون هذا الإجماع؟ إذا كان كامل الإيمان كيف يستحق الوعيد؟

فحكاية الإجماع مع قول المرجئة أن العمل ليس من الإيمان يتضمن بعض النظر. أهـ

سؤال/ من آمن بقلبه ولسانه ولم يعمل بجوارحه؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا محل خلاف بين العلماء، فمن قال إن ترك الصلاة كفر، يقول: هو مخلد في النار، ومن قال إنه كفر أصغر، يكون حكمه حكم سائر الكبائر، تحت المشيئة.أهـ

❊ ❊ ❊

لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان من قال:

لما كان الإيمان شيئاً واحداً فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبرائيل وميكائيل عليهم السلام!! وهذا غلو منه، فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم الأخفش والأعشى، ومن يرى الخط الثخين دون الدقيق إلا بزجاجة ونحوها، ومن يرى عن قرب زائد على العادة، وآخر بضده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أن المبصرين بالنسبة للعميان كالمؤمنين فيما يتعلق بإيمانهم بالله واليوم الآخر، وكما أن المبصرين يتفاوتون في إبصارهم؛ فهكذا المؤمنون يتفاوتون في إيمانهم، فليس إيمان الرسل والأنبياء والصديقين كإيمان من دونهم، لا قولاً ولا قلباً ولا عملاً، فمن قال إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل وإيمان الأنبياء وإيمان أبي بكر وعمر، وأنه لا يتفاوت، فهذا جهل صرف وغفلة وغلو زائد، حتى إيمان أهل البلد الواحدة والقبيلة الواحدة يتفاوت، فكيف بالأمم؟ كيف بالأنبياء والمؤمنين والصديقين؟ هذا من أقوال الغلاة الضالين.أهـ

* * *

ولهذا - والله أعلم - قال الشيخ رحمه الله: «وأهله في أصله سواء» يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصله، ولا يلزم منه التساوي من كل وجه، بل تفاوت درجات نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيها[1] إلا الله تعالى: فمن الناس من نور لا إله إلا الله في قلبه كالشمس، ومنهم

(١) لعله: لا يحصيه، يعني التفاوت، ابن باز.

من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنباً إلا أحرقه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا المعنى من كلام ابن القيم رحمه الله. أهـ

❊ ❊ ❊

وهذه حال الصادق في توحيده، فسماء إيمانه قد حرس بالرجوم من كل سارق، ومن عرف هذا عرف معنى قول النبي ﷺ: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»[١] وقوله: «لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله»[٢] وما جاء من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، ونحو ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومثله ما جاء من حديث عبادة بن الصامت: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى

---

(١) متفق عليه من حديث عتبان بن مالك.أهـ ألباني

(٢) متفق عليه، نحوه من حديث عتبان.أهـ ألباني

مريم وروح منه والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[١] كل هذه الأحاديث متعلقة بـ:لا إله إلا الله وبالتوحيد، معناها من صدق في هذا الشيء، وقال كلمة التوحيد على حقيقتها، عن إيمان صادق وإخلاص ومعرفة وبصيرة بهذا المعنى، فإن توحيده الخالص وإيمانه الصادق لا يدعه يصر على سيئة، بل يحمله إيمانه الصادق وتوحيده الخالص على محاربة السيئات وعدم الإصرار عليها، فيكون بمثابة من تاب توبة نصوحاً، فلا تبقى له سيئة، فيكون من أهل الجنة ويحرم على النار، فإذا ضعفت هذه الكلمة وضعف هذا الإيمان وقعت المعاصي، وصار تحت مشيئة الله، وصار من المتوعدين، وكلما قوي الإيمان بالله ورسوله وقوي الإخلاص والتوحيد، انتفت السيئات وابتعد عن السيئات وحذرها، ولم يقم على شيء منها ولم يصر على شيء منها، ومتى قارف السيئات ضعف إيمانه وضعف توحيده وهكذا. أهـ

❊ ❊ ❊

والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تقديرها: انتفاؤه، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام انتفاؤه، تقديرها: انتفاؤه أو بطلانه أو عدم صحته، كلها متقاربة، فإن هذا الذي قلنا من المعلوم بالاضطرار أنه لم يجعله، ولهذا المنافق يقول لا إله إلا الله، ولم تنفعه. أهـ

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٥) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قوله تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ ومسلم (٢٨) كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك أن هذه البطاقة بطاقة إخلاص وصدق وإيمان كامل أحرقت السيئات وأزالتها، وصار صاحب هذه البطاقة بمثابة التائب التوبة النصوح، لأن إخلاصه وإيمانه أزال سيئاته وقضى عليها وصفا قلبه وسَلِمَ من شرها فمات على هذا، مات على توبة صادقة وإيمان صادق وابتعاد عن هذه المحرمات التي سجلت عليه. أهـ

* * *

ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار، وتأمل ما قام بقلب قاتل المائة من حقائق الإيمان، التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية، وحملته وهو في تلك الحال أن جعل ينوء بصدره وهو يعالج سكرات الموت[٢]، وتأمل ما قام بقلب البغي من

(١) صحيح، وهو من حديث عبد الله بن عمرو، أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما، وهو مخرج في الأحاديث الصحيحة (١٣٥) وغيره. أهـ ألباني.

(٢) قال شاكر: إشارة إلى حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو في الترغيب والترهيب ٤/ ٧٧. أهـ

الإيمان، حيث نزعت موقها وسقت الكلب من الركية، فغفر لها[1]، وهكذا العقل أيضاً، فإنه يقبل التفاضل، وأهله في أصله سواء، مستوون في أنهم عقلاء غير مجانين، وبعضهم أعقل من بعض، وكذلك الإيجاب والتحريم، فيكون إيجاب دون إيجاب، وتحريم دون تحريم، هذا هو الصحيح، وإن كان بعضهم قد طرد ذلك في العقل والوجوب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا لايطرده العقل، العقول متفاوته والأذهان متفاوتة والإيمان متفاوت لا شك في هذا. أهـ

* * *

وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل -: فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره، كما في حق النجاشي وأمثاله، وأما الزيادة بالعمل والتصديق، المستلزم لعمل القلب والجوارح -: فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم، ولهذا قال النبي ﷺ: «ليس المخبر كالمعاين»[2]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا رواه أحمد بإسناد

(١) قال شاكر: إشارة أيضاً إلى حديث صحيح رواه البخاري وغيره، انظر فتح الباري ٦:٢٥٦ـ٣٧١ـ٣٧٣.أهـ

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٢١٥ـ٢٧١) والطبراني والخطيب وغيرهم بسند صحيح بلفظ: «ليس الخبر كالمعاينة» وانظر تخريج المشكاة (٥٧٣٨).أهـ ألباني

فيه بعض الضعف، وفي اللفظ الآخر «**ليس الخبر كالعيان**»[1] وهذا صحيح، ومن هذا علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فإن علم اليقين هو الخبر الصادق الثابت، وعين اليقين المشاهدة، وهي أبلغ من علم اليقين، وحق اليقين أبلغ من عين اليقين، وهو المخالطة للشيء والتحقق منه بالأمور الحسية، غير البصر، كاللمس، وضربوا لهذا مثلاً فقالوا: لو جاء الخبر من طريق الثقات أن الوادي سال، هذا علم اليقين، فإذا وقفت عليه ورأيت بعينك، هذا عين اليقين، فإذا شربت منه أو توضأت منه صار حق اليقين، وهكذا أخبار الجنة والنار، فهي الآن علم اليقين عند أهل الإيمان، والذي شاهدها في الدنيا قبل الآخرة فصارت عين اليقين، والناس يوم القيامة إذا شاهدوها صارت عين اليقين، فإذا دخل المؤمنون الجنة والكفار النار صار ذلك عندهم حق اليقين. أهـ

❊ ❊ ❊

وموسى عليه السلام لما أخبر أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها، وليس ذلك لشك موسى في خبر الله، لكن المخبر، وإن جزم بصدق المخبر، فقد لا يتصور المخبر به نفسه، كما يتصوره إذا عاينه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فموسى ﷺ ألقاها من شدة الغضب، لما عاين الأمر المنكر الفظيع ألقاها من شدة الغضب، ولما كان خبراً كان أسهل، فلما شاهد الأمر الفظيع اشتد غضبه عليهم وعيل صبره، فلم يتمالك حتى ألقى الألواح. أهـ

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد ١/ ٢١٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٣).

كما قال إبراهيم الخليل صلوات الله على نبينا محمد وعليه: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومقصود المؤلف بهذا أن الإيمان يزيد وينقص، وأن زيادة الإيمان تختلف، فقد تكون الزيادة من غير فعل العبد واجتهاده، بل من مجيء الفرائض، كالذين أدركوا أول الإسلام ثم أدركوا بقية الشرائع، زاد إيمانهم بما شرع الله لهم من الفرائض كالصلاة والزكاة، زاد الإيمان بالشرائع الجديدة، وقوم ماتوا قبل ذلك وصار إيمانهم كاملاً بالنسبة إلى حالهم، لأنهم لم يفرض عليهم شيء ذلك الوقت سوى ما آمنوا به وصدقوا به، فهؤلاء إيمانهم كامل وهؤلاء إيمانهم كامل، لكن هذا أكثر من هذا بما شرع الله من الفرائض في المدينة بعدما هاجر النبي ﷺ، وتكون الزيادة من جهة عمل المؤمن، فيزداد إيمانه بطاعاته لله واستكثاره من الحسنات، ويضعف إيمانه بعدم ذلك، ويضعف إيمانه أيضاً بالمعاصي، فأهل السنة والجماعة يقولون: يزيد وينقص، الإيمان بالأعمال الصالحات يزداد، وبالغفلة والإعراض ينقص، وبالمعاصي ينقص، خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين قالوا: لا يزيد ولا ينقص، وهذا من جهلهم بما يعقل وبما شرع الله سبحانه وتعالى، فقد جهلوا المعقول وجهلوا المنقول جميعاً، كل إنسان يعقل أن الإيمان يزيد وينقص، وأن ليس إيمان أبي بكر وعمر كإيمان من دونهم، وليس إيمان أهل العلم والبصيرة والتقوى والجهاد كإيمان المعرضين والغافلين، هذا معقول بلا حاجة إلى النقل، فكيف بالنقل؟. أهـ

❊ ❊ ❊

وأيضاً: فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلاً، يجب عليه من الإيمان أن يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره الإيمان به إلا مجملاً، وهذا يجب عليه فيه الإيمان المفصل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني لأنه دخل في الطاعات، فيجب عليه أن يؤمن أن الله أوجب عليه الحج مع استطاعته، لكن الإيمان المجمل أن يعلم أن الحج واجب على المسلمين بشرط، ولكن هو بعينه لما استطاع صار واجباً عليه عيناً. أهـ

* * *

وكذلك الرجل أول ما يسلم، إنما يجب عليه الإقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان.

ولا شك أن من قام بقلبه التصديق الجازم، الذي لا يقوى على معارضته شهوة ولا شبهة لا تقع معه معصية، ولولا ما حصل له من الشهوة والشبهة أو إحداهما لما عصى، بل يشتغل قلبه ذلك الوقت بما يواقعه من المعصية، فيغيب عنه التصديق والوعيد فيعصي، ولهذا - والله أعلم - قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وعند أهل السنة والجماعة أن هذا نفي الإيمان الكامل الواجب «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» الحديث في

---

(١) متفق عليه، وقد مضى. أهـ ألباني.

الصحيحين[١]، فالمعنى لا يشربه وهو مؤمن الإيمان الكامل، لضعف إيمانه بالشهوة وبالمعصية التي سبقت هذه المعصية، وبالجهل لعقوبة هذه المعصية وشأنها وخطرها عند الله، ولهذا قال بعض السلف: من عصى فهو جاهل[٢].

والمقصود أن مواقعته للمعصية تضعف إيمانه، فلو كان إيمانه كاملاً حين همّ بهذه المعصية لما واقعها، ولكن لضعف الإيمان واستيلاء الغفلة والشيطان والشهوات المحرمة تزعجه إلى هذه المعصية، فيكون بذلك قد فارقه الإيمان الكامل، وبقي معه أصل الإيمان بالله ورسوله وبتحريم هذه الأشياء. أهـ

* * *

فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنا، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، ثم يعاوده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني يرجع إليه إيمانه بالتوبة والرجوع إلى الله، يزيد إيمانه وينقص إيمانه، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ثم يعود بالتوبة والرجوع إلى الله، هكذا الإنسان في حياته بين جزر ومد، بين زيادة ونقص، فيرتفع عنه كمال إيمانه الواجب عند المعصية لا أصل الإيمان، لأنه لو ارتفع كله لكفر وارتد.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥) كتاب المظالم/ باب النهي بغير أذن صاحبه، و(٥٥٧٨) كتاب الأشربة/ باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ ﴾ و(٦٧٧٢) كتاب الحدود/ باب الزنا وشرب الخمر،و (٦٨١٠) باب إثم الزناة، ومسلم (٥٧) كتاب الإيمان/ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن كثير في سورة النساء آية (١٧) عن مجاهد وأبي العالية وغيرهم، وساق الطرق.

وقول المؤلف: «فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنا» ليس بجيد، إنما يضعف التصديق، يضعف الإيمان بسبب غلبة الشهوة، ويغلب عليه أيضاً تذكر عفو الله ورحمة الله، وأن هذا لا يخرج من الملة، تأتيه مواد الشيطان وشبهاته. أهـ

* * *

فإن المتقين كما وصفهم الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ قال ليث عن مجاهد: هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه[١].

والشهوة والغضب مبدأ السيئات، فإذا أبصر رجع، ثم قال تعالى: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾ أي: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس تقصر عن السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم[٢].

فإذا لم يبصر بقي قلبه في عمى، والشيطان يمده في غيه، وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب، فذلك النور والإبصار، وتلك الخشية والخوف تخرج من قلبه، وهذا كما أن الإنسان يغمض عينه فلا يرى، وإن لم يكن أعمى، فكذلك القلب، بما يغشاه من رين الذنوب، لا يبصر الحق وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر، وجاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ: أنه قال: «إذا زنا العبد نزع منه الإيمان، فإذا تاب أعيد إليه»[٣].

---

(١) رواه البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» ١/ ٣١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، سورة الأعراف/ آية (٢٠٢).

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود والحاكم وصححه هو والذهبي، وهو مخرج في الصحيحة (٥٠٩). أهـ ألباني

إذا كان النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعاً لفظياً، فلا محذور فيه، سوى ما يحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخرى والافتراق بسبب ذلك، وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى ظهور الفسق والمعاصي، بأن يقول: أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان والإسلام ولي من أولياء الله! فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي، وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله! وهذا باطل قطعاً، فالإمام أبوحنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغة مع أدلة من كلام الشارع، وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع، فإن الشارع ضم إلى التصديق أوصافاً وشرائط، كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك.

فمن أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله: أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، قال تعالى خبراً عن إخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي بمصدق لنا، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك، ثم هذا المعنى اللغوي، وهو التصديق بالقلب، هو الواجب على العبد حقاً لله، وهو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى، والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا. هذا على أحد القولين، كما تقدم، ولأنه ضد الكفر، وهو التكذيب والجحود، وهما يكونان بالقلب، فكذا ما يضادهما، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ يدل على أن القلب هو موضع الإيمان، لا اللسان،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولكن هذا عند أهل

العلم والشرع باطل، لأن الشارع زاد على ما في اللغة من العمل والقول، واللغة أيضاً لا تأبى ذلك، فإن المصدق بالقلب ما ينفع تصديقه إذا ما صدّق باللسان ولا صدّق بالعمل، فلو صدّق بقلبه أن هذا الخبر واقع، ولكنه يقول بلسانه: لا، ليس بواقع وفلان كاذب، ما نفع هذا التصديق ولا سمي مصدقاً ولا مؤمناً، فلا بد أن يكون إيمان القلب يتبعه شيء، كذلك إذا كان صدّق بقلبه ولسانه، ثم تأخر عن العمل المقتضي، الذي يقتضيه هذا التصديق، صدّق بلسانه وقلبه أن أباه له حق وأنه يجب بره، ولكن ما بره ولا أحسن إليه، يراه فقيراً يراه مريضاً فلا يبالي به، هل هذا يسمى مصدقاً بأن البر حق؟

لا يمكن أن يكون مصدقاً بأن البر حق، كذلك تصديقه بقلبه أو بلسانه أن الجهاد واجب عليه، ويرى إخوانه محتاجون لجهاده ومساعدته والعدو قد أحاط بهم، ثم يقول: لا يجب عليّ الجهاد، أنا صدقت بقلبي وصدقت بلساني ويكفي، كذب، لو صدق بقلبه ولسانه لانطلق في العمل، ولهذا تقول العرب: حملة صادقة، إذا كان معها العمل، العمل الذي يؤيد القلب ويؤيد القول يسمى صدقاً ويسمى إيماناً، فاللغة وإن كان أصل الإيمان فيها بالقلب، لكن أيضاً في اللسان وأيضاً في العمل، حتى في اللغة، فالمرجئة لا حجة لهم في هذا، بل قولهم فاسد.

ثم لو سلمنا أن اللغة فقط هي التصديق بالقلب أو باللسان مع القلب، فالشرع جاء بأمر زائد على هذا، جاء بالصلوات والأعمال الأخرى وسماها إيماناً، فوجب الأخذ بقول الشارع الذي جاء بالحقيقة العرفية، الحقيقة الشرعية حقيقة اعتنى بها وأوجبها وألزم بها، فوجب الأخذ بالحقائق الشرعية وتقديمها على الحقائق العرفية، كما أن الصلاة الدعاء في الأصل، والصوم الإمساك عن الكلام، لكن الشارع جاء بالصلاة

والصوم غير هذا، جاء بصلاة غير الدعاء، صلاة فيها ركوع، فيها سجود، فيها قراءة، فيها تسبيح خاص، وجاء بصوم خاص، صوم عن أكل وعن شرب وعن كذا وعن كذا، ليس مجرد الإمساك فقط، وهكذا الحج أصله القصد، قصد المعظمين، لكن الشرع جاء حجاً خاصاً، حجاً فيه أعمال، فيه قصد عرفات ووقوف بها، وفيه عمل في منى وفي مزدلفة، وعمل يتعلق بالكعبة، لا يكون الحج المجرد، بل يكون أعمالاً، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»(١) الحديث، وحديث وفد عبدالقيس(٢) وما أشبه ذلك.

فالمقصود أن الواجب على أهل الإسلام الأخذ بعرف الشرع والحقائق الشرعية، وما زاد عليه الشرع، ولا يلتفت إلى اللغة مع الشرع، لو سلمنا أن ما في اللغة خالف الكتاب، فالشرع له حقائق جاء بها غير مجرد ما في اللغة، أمسك ما في اللغة وزاد عليها أشياء فيها تكميل وتشريع للعباد بما ينفعهم ويصلح شئونهم، فقول المرجئة بكل حال ـ سواء قالوا إن الإيمان تصديق القلب فقط أو بالقلب واللسان وأخرجوا العمل أو أخرجوا القول ـ كله باطل، كله غلط، مخالف للأحاديث الصحيحة ومخالف للآيات القرآنية ومخالف لإجماع سلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم، وليس بخلاف لفظي، بل خلاف جذري حقيقي، لأن معناه أن من قال باللسان وصدق بالقلب فإيمانه كامل، فإذا كان الإيمان كاملاً كيف عذب بالمعاصي؟

لا يستقيم ذلك. أهـ

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وقد تقدم.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تقدم.

ولأنه لو كان مركباً من قول وعمل، لزال كله بزوال جزئه،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا غلط أيضاً، ما يلزم أن يزول الكل بزوال الجزء، إذا زال منه جزء بشيء في بعض الأحيان، أو الزكاة تأخر عنها، لا يزول الإيمان كله، والحيوان نفسه قد تقطع يده، قد تقطع رجله ولا يزول، يبقى عاقلاً مكلفاً مأموراً منهياً وقد زالت يده أو زالت رجله أو زالت يداه أو زالت رجلاه أو زالت أذنه أو غير ذلك، فالإيمان يزيد وينقص، لا يزول كله بزوال بعضه، فإذا زلت قدمه وشرب الخمر أو زنى أو أربى، أو تأخر عن الصيام مثلاً أو عن الحج مع قدرته عليه لا يزول إيمانه، لكن يأثم. أهـ

❊ ❊ ❊

ولأن العمل قد عطف على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، قال تعالى: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وغيرها، في مواضع من القرآن.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والقرآن يأتي بالألفاظ المتقاربة والمتغايرة عند الحاجة إلى تنويعها، وعند الإطلاق يدخل أفرادها في المطلق، فعند إطلاق الإيمان تدخل الأعمال، وعند التفصيل يذكر الرب عز وجل بعض الأعمال للتأكيد فيها، لا لأنها خارجة من الإيمان، فإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس معناها أن الأعمال غير الإيمان، ولكن للتنصيص عليها، حتى يعلم أنها مرادة وأنه لا بد منها، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣] ليس معناه أنه جعل التواصي بالحق والتواصي بالصبر

خارجاً عن الإيمان، بل هو داخل في الإيمان، لكن للتنصيص فائدة، وهكذا ما يأتي في النصوص. أهـ

* * *

وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق - بمنع الترادف بين التصديق والإيمان، وهب أن الأمر يصح في موضع، فلم قلتم إنه يوجب الترادف مطلقاً؟

وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان.

ومما يدل على عدم الترادف: أنه يقال للمخبر إذا صدق: صدقه، ولا يقال، آمنه، ولا آمن به، بل يقال: آمن له، كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ﴾ وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ففرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام، فالأول يقال للمخبر به، والثاني للمخبر، ولا يرد كونه يجوز أن يقال: ما أنت بمصدق لنا، لأن دخول اللام لتقوية العامل، كما إذا تقدم المعمول، أو كان العامل اسم فاعل، أو مصدراً، على ما عرف في موضعه.

فالحاصل أنه لا يقال: قد آمنته، ولا صدقت له، إنما يقال: آمنت له، كما يقال: أقررت له، فكان تفسيره بـ«أقررت» أقرب من تفسيره بـ«صدقت» مع الفرق بينهما، لأن الفرق بينهما ثابت في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهد أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال له: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدقت، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب، فيقال لمن قال: طلعت الشمس -: صدقناه، ولا يقال: آمنا له، فإن فيه أصل معنى الأمن، والإيمان إنما يكون في الخبر عن الغائب، فالأمر الغائب هو الذي يؤتمن عليه المخبر، ولهذا

لم يأت في القرآن وغيره لفظ «آمن له» إلا في هذا النوع.

ولأنه لم يقابل لفظ الإيمان قط بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق، وإنما يقابل بالكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك -: لكان كفراً أعظم، فعلم أن الإيمان ليس التصديق فقط، ولا الكفر التكذيب فقط، بل إذا كان الكفر يكون تكذيباً، ويكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب، فكذلك الإيمان، يكون تصديقاً وموافقة وانقياداً، ولا يكفي مجرد التصديق، فيكون الإسلام جزء مسمى الإيمان.

ولو سلم الترادف، فالتصديق يكون بالأفعال أيضاً، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «العينان تزنيان، وزناهما النظر، والأذن تزني، وزناها السمع - إلى أن قال - والفرج يصدق ذلك ويكذبه» وقال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال.

ولو كان تصديقاً فهو تصديق مخصوص، كما في الصلاة ونحوها كما قد تقدم، وليس هذا نقلاً للفظ ولا تغييراً له، فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق، بل بإيمان خاص، وصفه وبينه. فالتصديق الذي هو الإيمان، أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام، فلا يكون مطابقاً له في العموم والخصوص، من غير تغير اللسان ولا قلبه، بل يكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفاً من العام والخاص، كالإنسان الموصوف بأنه حيوان ناطق، ولأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه من لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم.

ونقول: إن هذه لوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة، وتخرج عنه

أخرى، أو إن اللفظ باق على معناه في اللغة، ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً، أو أن يكون الشارع استعمله في معناه المجازي، فهو حقيقة شرعية، مجاز لغوي، أو أن يكون قد نقله الشارع، وهذه الأقوال لمن سلك هذا الطريق.

وقالوا: إن الرسول قد وافقنا على معاني الإيمان، وعلمنا من مراده علماً ضرورياً أن من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان، مع قدرته على ذلك، ولا صلى، ولا صام، ولا أحب الله ورسوله، ولا خاف الله بل كان مبغضاً للرسول، معادياً له يقاتله -: أن هذا ليس بمؤمن، كما علمنا أنه رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع الإخلاص والعمل بمقتضاهما، فقد قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[1] وقال أيضاً ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»[2] وقال أيضاً ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[3].

وقال أيضاً ﷺ: «البذاذة من الإيمان»[4].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى «البذاذة من الإيمان» يعني في بعض الأحيان، يكون يأخذ هذا تارة وهذا تارة، الجمال

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، واللفظ لمسلم باختلاف بين، وهو مخرج في الصحيحة (١٧٦٩). أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه، وهو طرف من الحديث الذي قبله.أهـ ألباني.

(٣) صحيح، رواه أبو داود وابن حبان والحاكم وأحمد وغيرهم. أهـ ألباني.

(٤) حسن، رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وأحمد والطبراني، وهو مخرج في «الصحيحة» (٣٤١) والمراد «البذاذة» التواضع في اللباس وترك التبجح به.أهـ ألباني.

تارة، والبذاذة في بعض الأحيان للتواضع وكسر النفس. أهـ

* * *

فإذا كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى: إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج، والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه من شعب الإيمان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا قول أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة هم الصحابة، إذا قيل أهل السنة والجماعة فالمراد بهم أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، هم أهل السنة والجماعة، أهل السنة: يعني للعمل بسنة النبي ﷺ والكتاب والاجتماع على ذلك، فهم أصحاب النبي ﷺ، ويقال لهم أهل الكتاب والسنة وأهل الجماعة، والمعنى أنهم هم الذين أخذوا بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام واجتمعوا على ذلك وتواصوا بذلك، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن سلك سبيلهم من أئمة الهدى إلى يومنا هذا.

فعندهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، قول القلب: اعترافه وتصديقه وإيمانه.

وعمله: حبه وبغضه، حبه في الله وبغضه في الله والإخلاص والمحبة والخوف والرجاء، كل هذا من عمل القلب.

وعمل الجوارح: الصلوات والجهاد والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك.

وقول اللسان تصديقه، وعمله ما يفعله من الأذكار، فهو يصدق

ويعمل بما يأتي من أذكار وتسبيح وتحميد ودعاء وأمر بمعروف ونهي عن منكر وغير ذلك، وبهذا تكون شعب الإيمان كثيرة، بخلاف من قال: إن الإيمان قول فقط، أو تصديق القلب فقط، أو تصديق القلب واللسان فقط، فإن الشعب تكون قليلة، وأهل السنة والجماعة أخذوا هذا من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن الكتاب والسنة دل على أن الإيمان قول وعمل، الصلاة إيمان والزكاة إيمان والصوم إيمان والحج إيمان والحب في الله والبغض في الله إيمان إلى غير ذلك، ولهذا قالوا: يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص في المعاصي، ومما ورد في هذا صحيحاً في السنة قوله ﷺ لوفد عبد قيس: «**آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**»(١) فسمى هذه الأمور إيماناً، وهكذا حديث أبي هريرة في الصحيحين: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**» وفي لفظ آخر: «**بضع وستون شعبة**» ثم قال: «**فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»(٢) فجعل عمل القلب وعمل الجوارح إيماناً، الحياء من أعمال القلب، إماطة الأذى عن الطريق من عمل الجوارح، قول لا إله إلا الله من قول اللسان وعمل اللسان، جعل هذا كله إيماناً، فإذا اجتهد العبد في الصلاة والصيام والصدقات والجهاد زاد إيمانه، وإذا غفل وأعرض نقص إيمانه، وإذا أقدم على معصية من المعاصي من غيبة ونميمة أو زنا أو سرقة أو ربا نقص إيمانه وضعف إيمانه، فإذا تاب إلى الله ورجع وأناب زاد إيمانه وهكذا. أهـ

---

(١) رواه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد مضى.

(٢) رواه الشيخان، وقد مضى.

سؤال/ كما هو معلوم أن ناساً يعتقدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويعتنون بكل أركان الإسلام، ولكن اختلف عليهم الأمر، يرتكبون بعض المنكرات أو الشركيات كالطواف عند القبور وكمناجاة عند الأموات وما أشبه ذلك!.

أجاب سماحة الشيخ: إذا أتى الإنسان بالإيمان نظر في عمله الآخر، إذا أتى بالصلاة والصيام والشهادتين ونحو ذلك نظر في عمله الآخر، فإن كان عمله الذي خالف فيه شرع الله معاصٍ، مثل السرقة وهو يعلم أنها محرمة، مثل عقوق الوالدين، مثل قطيعة الرحم وما أشبه ذلك، فهذا نقص في الإيمان وضعف في الإيمان، أما إذا كان يتعلق بالشرك فهذا ينافي الإيمان، فالذي يتعلق بالأموات، يدعوهم، يستغيث بهم، ينذر لهم، ويطوف بقبورهم يرجو البركة منهم، هذا كفر أكبر، هذا يبطل الإيمان، مثل الذي توضأ ثم يحدث، إذا توضأ الإنسان ثم خرج منه الريح ماذا يصير حكم طهوره؟

بطل وضوءه، فهكذا الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلي ويصوم، ثم يسب الدين أو يستهزئ بالدين أو يستهزئ بالمصحف ويجعله تحت أقدامه إهانة له، أو يسب الأنبياء أو يسب النبي محمد ﷺ فإنه يكون كافراً لا مسلماً، وصلاته وصومه تبطل ولا تنفع، فهكذا إذا دعا الأموات، يا سيدي أغثني، يا سيدي البدوي، يا سيدي فلان، أو يا سيدي الميرغني وأشباههم، معنى هذا مثل الحدث في الطهارة، الشرك بالله يبطل الأعمال والإيمان كما أن الحدث يبطل الطهارة، فالواجب التوبة، التوبة والرجوع إلى الله، فإذا تاب إلى الله ورجع إلى الله واستقام على الإيمان ثبت إيمانه، وإن بقي على الشرك بطل

إيمانه، ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨] وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥] فلو أن إنساناً يصوم النهار ويقوم الليل ويؤدي الصلوات الخمس ويزكي ويتعبد ولا يترك شيئاً من الأعمال، لكن يقول: مسيلمة نبي، ماذا يكون؟

يكون كافراً، أو يقول: المختار بن أبي عبيد نبي، أو يقول: محمد كذاب، أو يسب الدين ويقول إن الدين خرافة، ولكن أنا أجامل الناس وأصوم مع الناس وأصلي مع الناس، يكون منافقاً كافراً. أهـ

سؤال/ مثل هؤلاء الجماعات بعضهم ما وصلتهم الحجة؟

أجاب سماحة الشيخ: يعلّمون، بعض أهل العلم يتوقف عن الكفر، يقول: أعماله كفر، ولكن نتوقف عن كفره حتى نبين له، ثم إن أجاب فالحمد لله وإلا وجب قتله، إذا كان هناك ولي أمر يقيم الحدود، لأن الحجة لا بد من بيانها، مثل ما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥] فإذا كان مثله يجهل، لكن اليوم أكثر الناس لا يبالي، لا يريد الدين، وإذا أردت أن تعلمه يأبى عليك وربما قاتلك، لأنه قد أقام على هذا الشرك واستقر في قلبه وعظم تقليده لأسلافه، فإذا قلت: هذا عمل باطل وهذا شرك لأن الله قال كذا والرسول قال كذا، قال: لا، أنت تبغض الصالحين، تبغض الأنبياء، أو يقول: أنت وهابي، أو ما أشبه ذلك من العبارات، ما يرضى أن ينبه على باطله، هذه حال كثير منهم أو

أكثرهم، نسأل الله العافية، لكن لا يمنع هذا من البيان، إذا جاء الله بالسلطان الذي يقيم الحدود على هؤلاء.

ولاتؤكل ذبائحهم إذا كانوا يطوفون بقبور الأموات، لأن أعمالهم أعمال أهل الشرك، ولا تنكح نساؤهم. أهـ

❊ ❊ ❊

وهذه الشعب، منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً، كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً، كترك إماطة الأذى على الطريق،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه المسائل مسائل عظيمة، وأكثر الخلق ليس عندهم الفهم كما ينبغي، يسمعون بعض الأحاديث ولا يفهمونها، مثل حديث إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «من قال لا إله إلا الله صدقاً من قلبه دخل الجنة»(١) «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»(٢) وما أشبه ذلك، لا يفهمون أن المراد من قالها وأدى حقها، وإلا معناه تضاربت النصوص وأبطل بعضها بعضاً، المعنى أن من قال لا إله إلا الله وأدى حقها من أداء الواجبات والفرائض وترك المحارم وترك الشرك والتصديق بما قاله الله ورسوله، فلا بد من شيء واحد، لابد أن تجمع أطرافه، يجمع هذا مع

---

(١) رواه البخاري (١٢٨) كتاب العلم/ باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٢٥) كتاب الصلاة/ باب المساجد في البيوت، ومسلم (٦٥٧) كتاب المساجد/ باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر، من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه.

هذا، فمن آمن ببعض وكفر ببعض ما صح إيمانه، بل لابد أن يؤمن بالجميع. أهـ

* * *

وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى. وكما أن شعب الإيمان إيمان، فكذا شعب الكفر كفر، فالحكم بما أنزل الله مثلاً من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله كفر، وقد قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[١] رواه مسلم.

وفي لفظ: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله ـ فقد استكمل الإيمان»[٢] ومعناه ـ والله أعلم ـ أن الحب والبغض أصل حركة القلب، وبذل المال ومنعه هو كمال ذلك، فإن المال آخر المتعلقات بالنفس، والبدن متوسط بين القلب والمال، فمن كان أول أمره وآخره كله لله، كان الله إلهه في كل شيء، فلم يكن فيه شيء من الشرك، وهو إرادة غير الله وقصده ورجاؤه، فيكون مستكملاً الإيمان، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل.

وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله في شأن الصحابة رضي الله عنهم: «وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» فسمى حب الصحابة إيماناً، وبغضهم كفراً.

---

(١) مسلم باللفظين، وهو مخرج في «تخريج مشكلة الفقر» (٦٦) و«صحيح أبي داود» (١٠٣٤). أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في «تخريج المشكاة» (٣٠-٣١) و«الصحيحة» (٣٨٠). أهـ ألباني

وما أعجب ما أجاب به أبوالمعين النسفي وغيره، عن استدلالهم بحديث شعب الإيمان المذكور، وهو: أن الراوي قال: «بضع وستون أو بضع وسبعون» فقد شهد الراوي بفعله نفسه حيث شك فقال: «بضع وستون أو بضع وسبعون» ولا يظن برسول الله ﷺ الشك في ذلك! وأن هذا الحديث مخالف للكتاب.

فطعن فيه بغفلة الراوي و مخالفته الكتاب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا من مصائب التقليد ومن آفات التقليد نعوذ بالله، نسأل الله العافية.

هذا في عقيدته خلل، وهذا ليس شكاً للرواة، قد يقع للراوي الشك، وليس معناه أن الرسول هو الذي شك، الراوي هو الذي شك، هذا إذا شك الراوي فهو يدل على إتقان الرواة وعنايتهم وحرصهم على ضبط الأمور، وأن لا يقولوا على الرسول إلا بحق، فإخباره بشكه دليل على قوة إيمانه وصلابة إيمانه وعظمة خوفه من الله، لا على غفلته، لكن نعوذ بالله من الهوى، ونعوذ بالله من سوء القصد، ونعوذ بالله من آفة التقليد الأعمى، من أجل تقليد أبي حنيفة في نفي كون العمل من الإيمان، نسأل الله العافية.

والمقصود أن الأحناف في الإيمان قولهم رديء، لأنهم من مرجئة الفقهاء، وهم على خلاف قول أهل السنة والجماعة في هذا. أهـ

❊ ❊ ❊

فانظر إلى هذا الطعن ما أعجبه! فإن تردد الراوي بين الستين والسبعين لا يلزم منه عدم ضبطه، مع أن البخاري رحمه الله إنما رواه:

«بضع وستون» من غير شك[1]، **وأما الطعن بمخالفة الكتاب، فأين في الكتاب ما يدل على خلافه؟! وإنما فيه ما يدل على وفاقه، وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب.**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: من أعظم الآيات في بيان أن العمل من الإيمان قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة:٧١] فجعل كل هذا من الإيمان، من أعمال المؤمنين.

الشارح حنفي ولكنه من تلاميذ ابن كثير، ومحاولة توفيق الشارح بين الرأيين ليس بجيد، قوله: إن الخلف لفظي، بناه على أنهم مجمعون على أن من ترك الواجب أو فعل المحرم فقد عصى الله ورسوله وهو متوعد بالعذاب، فيكون الخلف لفظياً، وليس الأمر كذلك، فإن لازمهم أن من اكتمل إيمانه لا يضره شيء كما تقوله المرجئة صريحاً، لا يضر مع الإيمان شيء، والإيمان هو الذي في القلوب. أهـ

سؤال/ مسألة الاستثناء في الإيمان، الأحناف لا يقولون بعموم الاستثناء على الإطلاق، هذه من ثمرة الخلاف، فهل يكون الخلف لفظياً؟

أجاب سماحة الشيخ: أصل الخلاف في هذا معروف، منهم من يرده إلى العاقبة، الوفاة والخاتمة، ومنهم من يرده إلى العمل، وأهل السنة

---

(١) قلت: ورواه مسلم بلفظ: «بضع وسبعون» كما تقدم، وهو الأرجح عندي كما هو مبين في المجلد المشار إليه من «الصحيحة». أهـ ألباني

والجماعة يرون الاستثناء.

ويقولون: إن شاء الله، لكن لا يعلم كمّل أو لم يكمل، لا يدرون هل يموتون على ذلك أم لا؟

وهم يلزمهم أيضاً أن يقولوا بالمشيئة، لأنهم ما يضمنون لأنفسهم حسن الخاتمة، ولا ينظرون لأنفسهم أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل على الصحيح، الإيمان يتفاوت حتى في القلب، إيمان القلب يتفاوت، غير العلم والعمل، فينظر في أصولهم ومذهبهم، لكن يلزمهم ذلك، يلزمهم أن يقولوا مثل ما قال أهل السنة والجماعة، لأن كل واحد منا لا يدري هل يختم له بحسن الخاتمة أم لا؟ ولا يدري هل استكمل الواجبات أم لا؟

والواجبات منها ما هو قلبي ومنها ما هو جارحي، فيلزمهم مثل ما قال أهل السنة والجماعة، ولا يلزم من هذا شك، الشك لا يلزم. أهـ

* * *

وقالوا أيضاً: وهنا أصل آخر، وهو: أن القول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم ينفع بقية الآخر،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأنه صار منافقاً، إذا زال إيمان القلب ما نفعت الأخرى. أهـ

* * *

فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة، وإذا بقي تصديق

القلب وزال الباقي فهذا موضع المعركة!!

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد، لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب»(١) فمن صلح قلبه صلح جسده قطعاً، بخلاف العكس.

وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله، فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت، فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مثل الإنسان، لا يلزم من زوال أجزائه زواله، فلو قطعت يده أو رجله مازال اسمه إنساناً، يكون إنساناً ناقصاً، هكذا الإيمان عند أهل السنة، إذا زال منه شعبة من الشعب التي لا تخرجه من الإسلام، كشعبة الصيام عند الجمهور، بأنه كان مصدقاً ولكنه لا يصوم، فهي كبيرة ويعاقب عليها، أو زالت منه شعبة من شعب عدم استقامته على بر والديه وصلة رحمه، أو إقدامه على بعض المعاصي، فلا يلزم من هذا زوال أصل الإيمان. أهـ

❊ ❊ ❊

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية

---

(١) هو طرف من حديث متفق عليه عن النعمان بن بشير، وهو مخرج في «غاية المرام في تخريج الحلال والحرام» برقم (٢٠). أهـ ألباني

كثيرة جداً: منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

وكيف يقال في هذه الآية والتي قبلها إن الزيادة باعتبار زيادة المؤمن به؟ فهل في قول الناس: ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ زيادة مشروع؟ وهل في إنزال السكينة على قلوب المؤمنين زيادة مشروع؟

وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مرجعهم الحديبية ليزدادوا طمأنينة ويقيناً، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وأما ما رواه الفقيه أبوالليث السمرقندي رحمه الله، في تفسيره عند هذه الآية، فقال: حدثنا محمد بن الفضل وأبوالقاسم الساباذي، قالا: حدثنا فارس ابن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضل العابد، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، قال: حدثنا أبومطيع، عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم، عن أبي هريرة، قال: جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: «لا الإيمان مكمل في القلب، زيادته كفر، ونقصانه شرك»(١).

---

(١) موضوع، آفته أبو المهزم، فقد اتهمه شعبة كما ذكره الشارح وغيره، وأبو مطيع اتهمه الجوزقاني والذهبي بالوضع كما في «اللسان» ونحوه ما سأذكره عن ابن حبان. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا من الموضوعات بلا شك، نسأل الله العافية. أهـ

* * *

فقد سئل شيخنا عماد الدين ابن كثير رحمه الله عن هذا الحديث؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الموضع الآن هو أحد المواضع التي صرح فيها بأن شيخه ابن كثير. أهـ

* * *

فأجاب: بأن الإسناد من أبي ليث إلى أبي مطيع مجهولون لا يعرفون في شيء من كتب التواريخ المشهورة، وأما أبومطيع، فهو: الحكم بن عبدالله بن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعمرو بن علي الفلاس، والبخاري، وأبوداود، والنسائي، وأبوحاتم الرازي، وأبوحاتم محمد بن حبان البستي[1]، والعقيلي، وابن عدي، والدار قطني، وغيرهم، وأما أبوالمهزم، الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تصحف على الكتاب، واسمه: يزيد بن سفيان، فقد ضعفه أيضاً، غير واحد، وتركه شعبة بن الحجاج، وقال النسائي: متروك، وقد اتهمه شعبة بالوضع، حيث قال: لو أعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثاً[2]!

---

(١) قال في «الضعفاء والمجروحين» (١/ ٢٥٠): «كان من رؤساء المرجئة، ممن يبغض السنن ومنتحليها، وهو الذي روى..» ثم ساق له هذا الحديث.أهـ ألباني

(٢) قال شاكر: أبو مطيع البلخي هذا مترجم في الميزان ولسان الميزان، وذكره ابن حبان في كتاب المجروحين (الورقة ٨٥ من المخطوطة) وذكروا هذا الكلام الذي رواه أو افتعله، وقال ابن حبان: «كان من رؤساء المرجئة، ممن يبغض السنن ومنتحليها» ثم نقل روايته هذه، ثم قال: «فيما يشبه هذا الذي يكره من جالس أهل العلم فكيف الممعن في الصناعة؟!» وكان لفظ هذه الرواية في المطبوعة محرفاً فصححناه من هذه المراجع. =

وقد وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين، وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[١] والمراد نفي الكمال، ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان، وحديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني كل هذا يدل على الزيادة والنقصان، لأن قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة**»[٢] يدل على أنه متى توافرت الشعب كمل الإيمان، ومتى نقص منها شيء نقص الإيمان، وهكذا إخراج العصاة من النار، من كان في قلبه مثقال كذا مثقال كذا، يدل على زيادة الإيمان ونقصانه، ولهذا أجمع أهل السنة والجماعة على ذلك، ذكره البخاري في أول الكتاب وذكره غيره، فالمقصود أن المرجئة والمعتزلة والجهمية والخوارج وأشباههم كل هؤلاء خالفوا أهل الحق في هذه المسألة، والصواب مع أهل السنة والجماعة، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن سلك سبيلهم من أهل الكتاب والسنة من أئمة الهدى.

ثم ما تواترت به الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من إخراج العصاة من النار رد صريح على المعتزلة والخوارج في قولهم إن

= وأبو المهزم له ترجمة في الكنى من التهذيب، وذكره ابن حبان في كتاب المجروحين (الورقة ٢٤٣) وروى جرح شعبة إياه، وأنا أميل إلى أن العهدة في هذه الفرية على أبي مطيع البلخي، كما يفهم من صنيع ابن حبان، فما أظن حماد بن سلمة يروي مثل هذا عن أبي المهزم ولا عن عشرة من أمثال أبي المهزم.أهـ

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم.

العاصي مخلد في النار، قول الخوارج والمعتزلة إن العاصي مخلد في النار هذا مخالف للكتاب والسنة، ومخالف لما تواترت به الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وأجمع عليه أهل السنة بأن العاصي لا يخلد الخلود الذي وعد به الكفار، نعم هناك خلود دون خلود، قال أهل السنة: الخلود خلودان: خلود لا خروج معه بالكلية بل إلى أبد الآباد، وهذا خلود أهل الكفر والنفاق والضلال، خلودهم أبداً، وهناك خلود له نهاية، وهذا خلود بعض أهل المعاصي الذين اشتدت جريمتهم، كالقاتل عمدا بغير حق والذي قتل نفسه والزاني، هؤلاء موعودون بالخلود، ولكنه خلود له نهاية، ليس خلوداً دائماً دائماً أبداً كخلود الكافر، لا، بل خلود له نهاية، والعرب تسمي الإقامة الطويلة خلوداً، أقاموا فأخلدوا، يعني أطالوا. أهـ.

* * *

فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السماوات والأرض سواء؟! وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان؟! وكلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضاً، منه: قول أبي الدرداء رضي الله عنه: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص[1]، وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله تعالى عز وجل[2]، وكان ابن مسعود رضي الله عنه[3] يقول

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١١٤٠) ٢/ ٨٤٩ بلفظ: «من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص؟ وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه؟»

(٢) الإبانة لابن بطة (١١٣٤) ٢/ ٨٤٧، ورواه الخلال في السنة (١٥٨٤) ٥/ ٤٩.

(٣) قال شاكر: في المطبوعة «أبو مسعود» وصححناه من فتح الباري ١/ ٤٥ وذكر أنه رواه الإمام أحمد في كتاب الإيمان، قال: «وإسناده صحيح». أهـ

في دعائه: اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً[١]، وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة[٢]. ومثله عن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه[٣]، وصح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: إنصاف من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم.[٤] ذكره البخاري رحمه الله في صحيحه.

وفي هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أثر عظيم» الإنصاف من نفسك» وهذا أشدها «والإنفاق من الإقتار» وفي اللفظ الآخر: «مع الإقتار» يعني مع قلة المال ينفق مما آتاه الله ولو كان يسيراً «وبذل السلام للعالم» يعني نشره للسلام وإفشاؤه وعدم البخل، وهذا

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٧) ١/ ٣٦٩، وابن بطة في الإبانة (١١٣٢) ٢/ ٨٤٦

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠٥و١٠٧) بتحقيقي، وكذا أبو عبيد في «الإيمان» (٢٠) بسند صحيح عنه، وعلقه البخاري في صحيحه (رقم٢- مختصر البخاري) طبع المكتب الإسلامي.أهـ ألباني

وكذا رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٦) ١/ ٣٦٨، وابن بطة في الإبانة (١١٣٥) ٢/ ٨٤٧، والخلال في السنة (١٥٨٧) ٥/ ٤٩.

(٣) رواه ابن بطة ولفظه: «قال أبو الدرداء: كان ابن رواحة يأخذ بيدي فيقول: تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياً» الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١١٣٧) ٢/ ٨٤٨.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣١) بإسناد صحيح عنه موقوفاً، وأورده البخاري في «الإيمان» معلقا مجزوماً وموقوفاً (رقم٩- مختصر البخاري) ورواه بعضهم مرفوعاً، وهو خطأ، كما قال أبو زرعة وغيره، ذكره الحافظ في الفتح (١/ ٩٠طبع مصطفى الحلبي) وقال: «إلا أن مثله لا يقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع»وهو مخرج في تعليقي على «الكلم الطيب» (رقم التعليق١٤٢طبع المكتب الإسلامي).أهـ ألباني

تؤيده أحاديث كثيرة، أما الإنصاف من نفسك فهذا أمر واجب، وهو مقتضى العدل، ويؤخذ من قوله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء:١٣٥] كذلك الإنفاق من الإقتار يؤخذ من العموم، وفي الحديث: «**خير الصدقة جهد المقل**»[(١)] وبذل السلام للعالم هذا له شواهد، ما رواه مسلم في الصحيح من حديث الزبير رضي الله عنه وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»[(٢)] والحديث الذي في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام سئل أي الإسلام أفضل؟ قال: «**أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[(٣)]، وأيضاً من حديث عبدالله بن سلام أن النبي عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة قال: «**أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[(٤)] فإفشاء السلام له شأن، ولكن لا يلزم من هذا ترك الهجر المشروع، فالهجر المشروع مستثنى، ولا يدخل في هذا أيضاً بدء اليهود والنصارى والكفرة بالسلام، غير داخل في هذا، فكلام النبي ﷺ يحمل ويفسر بما تقتضيه

---

(١) رواه أبو داود (١٦٠٨) كتاب الزكاة/ باب الرخصة في ذلك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني ٢/ ٦٩ سنن أبي داود وسنن النسائي ٥/ ٥٨.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة/ باب:

(٣) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بنحوه.

(٤) رواه الترمذي (٢٤٨٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ باب: من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة ٢/ ١١٣.

الأدلة الأخرى، فالمطلق عند أهل العلم يقيد والعام يخص، فمراد النبي ﷺ في إفشاء السلام بالنسبة إلى من لا يلزم هجره، وبالنسبة إلى من لا يجوز بدؤه بالسلام كما هو معلوم. أهـ.

❊ ❊ ❊

وأما كون عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة، فلا يكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان: فلا شك أن الإيمان تارة يذكر مطلقاً عن العمل وعن الإسلام، وتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام، فالمطلق مستلزم للأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ الآية، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(١) الحديث «لا تؤمنوا حتى تحابوا»(٢) «من غشنا فليس منا»(٣) «من حمل علينا السلاح فليس منا»(٤).

وما أبعد قول من قال: إن معنى قوله: «فليس منا» أي فليس مثلنا! فليت شعري فمن لم يغش يكون مثل النبي ﷺ وأصحابه(٥).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه ابن أبي شيبة (٣٨-٤١-٧٣) عنه وعن عائشة وابن أبي أوفى. أهـ ألباني

(٢) رواه مسلم وأبو عوانة في «صحيحيهما» وغيرهما، وصححه الترمذي، وهو مخرج في الإرواء (٧٧٧). أهـ ألباني

(٣) رواه مسلم وأبو عوانة في «صحيحيهما» وغيرهما، وصححه الترمذي والحاكم، وهو مخرج في الإرواء (١٣١٩). أهـ ألباني

(٤) رواه البخاري ومسلم. أهـ ألباني

(٥) قال شاكر: وكان سفيان الثوري ينكر هذا التفسير أيضاً، كما نقلنا في شرحنا للمسند، في الحديثين ٢٣٢٩-٧٢٩٠. أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أن الإيمان متى أطلق دخلت فيه الأعمال القلبية والجارحية كما قال أهل السنة والجماعة، ومنه الآية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٣] فقوله ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢] ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢] هذا مما يتعلق بعمل القلب، ومثل الصلاة والزكاة تتعلق بعمل الجوارح، فدخل هذا في الإيمان، كذلك في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات:١٥] جعل الجهاد داخلاً في ذلك، وهكذا في آيات كثيرات ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة:٧١] فجعل هذا كله داخلاً في الإيمان، وحديث وفد عبد القيس «**آمركم بالإيمان**» ثم فسر لهم الإيمان بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصيام رمضان، هذا أمر معلوم، كذلك حديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة ـ أو قال ـ بضع وستون شعبة» وإذا قرن معه غيره صار ذلك لمزيد تأكيد هذا الشيء وأنه داخل فيه، أو ليتبين هذا من هذا، وأن هذا شيء وهذا شيء عند الاقتران كالإسلام والإيمان، الإسلام يكنى به عن الأعمال الظاهرة، وعما يعمل في الظاهر من صلاة وصوم ونحو ذلك، والإيمان عما يتعلق بالقلوب، مثل قوله تعالى ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة:٢٣٨] الصلاة

الوسطى من الصلوات، لكن خصها بالذكر لمزيد العناية، فلا يستنكر هذا، وهكذا قوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب:٧٠] القول السديد من التقوى، لكن خص بالذكر لمزيد العناية، هكذا قوله: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر:٣] كون الإيمان من العمل الصالح هذا شيء كثير، كون الشيء يذكر في بعض الأحيان مجملاً ومفرداً، وفي بعض الأحيان يضاف إليه غيره ويعطف عليه غيره، غير مستنكر في اللغة العربية ولا في الكتاب العزيز ولا في السنة المطهرة. أهـ.

❊ ❊ ❊

أما إذا عطف عليه العمل الصالح، فاعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب: أعلاها: أن يكونا متباينين، ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءاً منه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ وهذا هو الغالب،

ويليه: أن يكون بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فلا بد من الإيمان بالتوراة والإيمان بالإنجيل أيضاً، ولابد من العمل بمقتضاهما جميعاً، كتب الله ورسل الله الإيمان بهم فيه تلازم، وهو من الثاني فيما يظهر، بخلاف الأرض والسماء. أهـ.

❊ ❊ ❊

الثالث: عطف بعض الشيء عليه، كقوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ ﴾ وفي مثل هذا وجهان:

أحدهما: أن يكون داخلاً في الأول، فيكون مذكوراً مرتين.

والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلاً فيه هنا، وإن كان داخلاً فيه منفرداً، كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين ونحوهما، تتنوع دلالته بالإفراد والاقتران.

الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ وقد جاء في الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط، كقوله:

فألفى قولها كذباً وميناً

ومن الناس من زعم أن في القرآن من ذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ والكلام على ذلك معروف في موضعه.

فإذا كان العطف في الكلام يكون على هذه الوجوه، نظرنا في كلام الشارع: كيف ورد فيه الإيمان؟

فوجدناه إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر، والتقوى، والدين، ودين الإسلام.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الدين إذا أطلق هو الإيمان، وإذا أطلق دين الإسلام هو الإيمان ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون:٦] دين الله هو الإيمان وهو التقى وهو البر وهو الإسلام، مضاف ومطلق، يعني دين الحق. أهـ.

* * *

ذكر في أسباب النزول أنهم سألوا عن الإيمان؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ الآيات، قال محمد بن نصر: حدثنا إسحق بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرىء، والملائي، قالا: حدثنا المسعودي، عن القاسم، قال: جاء رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه، فسأله عن الإيمان؟ فقرأ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ إلى آخر الآية، فقال الرجل: ليس عن هذا سألتك، فقال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فقرأ عليه الذي قرأت عليك، فقال له الذي قلت لي، فلما أبى أن يرضى، قال: «إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنه سرته ورجا ثوابها، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني هذا من مقتضى الإيمان أن يكون سعيداً، وأن المؤمن إذا عمل بهذه الأمور، فمن كمال إيمانه أيضاً أنه تسره الحسنة ويرجو ثوابها، وتسوؤه السيئة ويخشى عقابها. أهـ.

❊ ❊ ❊

(١) ضعيف بهذا السياق والإسناد، وعلته الانقطاع، واختلاط المسعودي، لكن صح الحديث من رواية أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: يارسول الله ما الإيمان؟ قال: «إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن» قال: يا رسول ما الإثم؟ قال: «إذا حاك في صدرك شيء فدعه» رواه الحاكم (١/ ١٤) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وإنما هو على شرط مسلم وحده، فإن ممطوراً لم يخرج له البخاري في صحيحه «الصحيحة» (٥٥٠).أهـ ألباني

قال شاكر: ذكره ابن كثير في التفسير ١/ ٣٨٦-٣٨٧ من رواية ابن أبي حاتم، من طريق مجاهد عن أبي ذر، ومن كتاب ابن مردويه، من طريق المسعودي عن القاسم عن أبي ذر، وأعلهما كليهما بالانقطاع، لأن أبا ذر مات قديماً.أهـ

وكذلك أجاب جماعة من السلف بهذا الجواب، وفي الصحيح قوله لوفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم»(١). ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود، وفي المسند عن أنس، عن النبي ﷺ، أنه قال: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أصل الإيمان أمر معلوم، تصدر عنه الأعمال الظاهرة والخفية. أهـ.

* * *

وفي هذا الحديث دليل على المغايرة بين الإسلام والإيمان، ويؤيده قوله [في حديث سؤالات جبريل، في معنى الإسلام والإيمان](٣) وقد قال فيه النبي ﷺ: «هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم دينكم»(٤) فجعل الدين

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه. أهـ ألباني

(٢) إسناده ضعيف، فيه علي بن مسعدة، قال العقيلي في الضعفاء: «قال البخاري: فيه نظر» وقال عبد الحق الأزدي في «الأحكام الكبرى» (ق٣/ ٢): «حديث غير محفوظ». أهـ ألباني
قال شاكر: ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥٢ ونسبه لأحمد وأبي يعلى والبزار وإسناده ثقات. أهـ

(٣) قال شاكر: زيادة زدناها بالمعنى، ضرورية لا يستقيم بدونها الكلام. أهـ

(٤) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر، والبخاري من حديث أبي هريرة نحوه. أهـ ألباني

هو الإسلام والإيمان والإحسان، فتبين أن ديننا يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاثة: فمسلم، ثم مؤمن، ثم محسن.

والمراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام قطعاً، كما أنه أريد بالإحسان ما ذكر مع الإيمان والإسلام، لا أن الإحسان يكون مجرداً عن الإيمان، هذا محال، وهذا كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد، وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن فإنه معرض للوعيد.

فأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين، وهذا كالرسالة والنبوة، فالنبوة داخلة في الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها، فكل رسول نبي، ولا ينعكس.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] حتى يعم الجميع، وقال في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٣٥] إلى آخره، فالسياق قد يقف على شيء لأسباب اقتضت ذلك مع اتحاد الأصل. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقد صار الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال: فطائفة جعلت الإسلام هو الكلمة، وطائفة أجابوا بما أجاب به النبي ﷺ حين سئل عن الإسلام والإيمان، حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأصول الخمسة يعني ما عدا القدر، والقول الثاني تسمى الأصول الستة، لأن القدر أحدها، وقد جاء ذكر القدر في حديث جبرائيل، وإن سقط من آية البقرة ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ [البقرة:١٧٧] الآية، لكنه ثابت في رواية جبريل وسؤاله النبي ﷺ، فالصواب أن يقال: الأصول الستة لا الخمسة، وإن كان القدر داخلاً في الإيمان بالله، يعني من صفات الله أنه قدر الأمور، فهو عند الإطلاق داخل في الإيمان بالله، وكما أنه عند الإطلاق يدخل الإيمان بالملائكة والكتب والرسل أيضاً، وفي الآيات: ﴿ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ [التوبة:٩٩] فإذا جاءت الآية والحديث بالله واليوم الآخر دخل الإيمان بالكتب والرسل والملائكة والقدر، دخل في الإيمان بالله. أهـ.

❊ ❊ ❊

وطائفة جعلوا الإسلام مرادفاً للإيمان، وجعلوا معنى قول الرسول ﷺ: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة»[2] الحديث ـ: شعائر الإسلام، والأصل عدم التقدير، مع أنهم قالوا: إن الإيمان هو التصديق

---

(١) مسلم، وهو حديث جبريل المتقدم آنفاً. أهـ ألباني

(٢) متفق عليه. أهـ ألباني

بالقلب، ثم قالوا الإسلام والإيمان لشيء واحد،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب القول الأوسط هنا، وهو الوسط في الحقيقة والعدل والخيار، وهو أن الإسلام والإيمان عند الاجتماع يفترقان، وعند الانفراد يجتمعان، كالفقير والمسكين ونحوهما، فعند إطلاق الإسلام أو الإيمان يدخل فيه الآخر ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران:١٩] يعني والإيمان والإحسان «الإيمان بضع وسبعون شعبة»[١] يعني داخل فيه الإسلام، وعند الاجتماع والاقتران يفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والشعائر الظاهرة والإيمان بالأصول الباطنة، كما فسره النبي عليه الصلاة والسلام بهذا. أهـ.

* * *

فيكون الإسلام هو التصديق! وهذا لم يقله أحد من أهل اللغة، وإنما هو الانقياد والطاعة، وقد قال النبي ﷺ: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت»[٢] وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بينهم أن نجيب بغير ما أجاب النبي ﷺ. وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام، وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع، وهذا هو الواجب، وهل يكون مسلماً ولا يقال له مؤمن؟

وقد تقدم الكلام فيه.

---

(١) متفق عليه، وتقدم.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس، وهو طرف من دعاء النبي ﷺ في استفتاح صلاة الليل، انظر «صفة الصلاة». أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: خلاف بين أهل السنة والجماعة، لأن المسلم أعم من المؤمن والمؤمن أخص، فالإطلاق إذا أطلق المسلم عم الجميع، المسلمين والمؤمنين والمحسنين، ولكن قد ينفرد المسلم بوصف الإسلام دون الإيمان عند المدح، إذا كان من العصاة: يقال مسلم وليس بمؤمن الإيمان الكامل، ولكن الأولى في مثل هذا أن يقال: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن فاسق، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، كما ذكر أبو العباس في العقيدة الواسطية، لأن مقام المدح بالإيمان مقام عظيم، والله فصّل بينهما فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٣٥] هذا عند مقام التفصيل «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(١)] يعني بل هو مسلم ليس بمؤمن الإيمان الكامل، الإيمان الذي يستحق أهله المدح الكامل، فلا بد من الجمع بين النصوص بما يؤلف بينها ويوضح معناها. أهـ.

❊ ❊ ❊

وكذلك هل يستلزم الإسلام الإيمان؟

فيه النزاع المذكور، وإنما وعد الله بالجنة في القرآن وبالنجاة من النار باسم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ **وقال تعالى:** ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ **وأما اسم الإسلام مجرداً فما علق به في القرآن دخول الجنة، لكنه فرضه وأخبر أنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه،**

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: جاء في بعض الروايات «واعلموا أنه لن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة - وفي لفظ - مسلمة»[1] هذا عند الإطلاق يعني مسلمة الإسلام الكامل المطلق الذي دخل فيه الإيمان، أو المعنى أنه لا يدخل الجنة دخولاً سليماً ليس فيه عذاب إلا نفس مؤمنة، بخلاف المسلمة فقد تبتلى بعذاب قبل ذلك، فعلى رواية الإطلاق «مسلمة» فالمراد به المسلمة المؤمنة، أو المراد أنه يدخل الجنة مسلمة، ولكن لا يمنع ذلك من كونه قد يؤخذ بسيئاته، ثم يصير إلى الجنة. أهـ.

* * *

وبه بعث النبيين ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حاله إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهاده الوحدانية، فهما شيئان في الأعيان وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم، كشيء واحد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني شيئان في الوجود وهما شيء واحد في الحكم، فلا تكفي شهادة أن لا إله إلا الله

---

(١) رواه البخاري (٤٢٠٤) كتاب المغازي / باب غزوة خيبر، و(٦٦٠٦) كتاب القدر / باب العمل بالخواتيم، ومسلم (١١١) كتاب الإيمان / باب بيان غلظ قتل الإنسان نفسه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(١١٤) باب تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٨٧١) كتاب الحج/ باب ما جاء في كراهية الطواف عرياناً، و(٣٠٩٢) كتاب التفسير / من سورة التوبة، من حديث علي رضي الله عنه.

عن شهادة أن محمداً رسول الله، ولا تكفي شهادة أن محمداً رسول الله عن شهادة لا إله إلا الله، لابد منهما، ولكنهما شيئان من حيث الواقع، ليسا شيئاً واحداً، ولكن من حيث الحكم لا بد منهما، هكذا الإسلام والإيمان شيئان عند الاجتماع، ولكن في الحكم لابد من إسلام وانقياد، ولابد من الإيمان بالقلب، فانقياد في الظاهر من دون إيمان القلب نفاق، لا يصح ولا ينجي من عذاب الله، وإيمان بالقلب دون إسلام وانقياد في الظاهر كإيمان اليهود وإبليس وأشباه ذلك، لا ينفع. أهـ.

* * *

كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به صح إسلامه، ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله وفي كلام الناس كثيرة، أعني في الإفراد والاقتران، منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذكر مفرداً في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ ونظائره كثيرة، وإذا قرن بينهما كان الكافر من أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه.

وكذلك لفظ البر والتقوى، ولفظ الإثم والعدوان، ولفظ التوبة والاستغفار، ولفظ الفقير والمسكين، وأمثال ذلك.

ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان، قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ إلى آخر السورة، وقد اعترض على هذا بأن معنى الآية: ﴿قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا بظواهرنا،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني استسلمنا، معنى الاستسلام لا بمعنى الإسلام، هذا قول مرجوح ضعيف. أهـ.

* * *

فهم منافقون في الحقيقة، وهذا أحد قولي المفسرين في هذه الآية الكريمة، وأجيب بالقول الآخر، ورجح، وهو أنهم ليسوا بمؤمنين كاملي الإيمان، لا أنهم منافقون، كما نفى الإيمان عن القاتل، والزاني، والسارق، ومن لا أمانة له[1]، ويؤيد هذا سياق الآية، فإن السورة من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي، وأحكام بعض العصاة، ونحو ذلك، وليس فيها ذكر المنافقين، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة، ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الآية، يعني - والله أعلم - أن المؤمنين الكاملي الإيمان، هم هؤلاء، لا أنتم، بل أنتم منتف عنكم الإيمان الكامل، يؤيد هذا: أنه أمرهم، أو أذن لهم، أن يقولوا: أسلمنا، والمنافق لا يقال له ذلك، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام، كما نفى عنهم الإيمان، ونهاهم أن يمنوا بإسلامهم، فأثبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يمنوا به على رسوله، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً لقال: لم تسلموا، بل أنتم كاذبون، كما كذبهم في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ والله أعلم بالصواب.

---

(١) قال شاكر: هذا إشارة إلى حديث أنس مرفوعاً: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» رواه أحمد في المسند ١٢٤١٠، ونسبه السيوطي في الجامع الصغير ٩٧٠٤ أيضا لصحيح ابن حبان. أهـ

وينتفي بعد هذا التقدير[١] والتفصيل دعوى الترادف، وتشنيع من ألزم بأن الإسلام لو كان هو الأمور الظاهرة لكان ينبغي أن لا يقبل إلا ذلك، ولا يقبل إيمان المخلص! وهذا ظاهر الفساد، فإنه قد تقدم تنظير الإيمان والإسلام بالشهادتين وغيرهما، وأن حالة الاقتران غير حالة الانفراد، فانظر إلى كلمة الشهادة، فإن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[٢] الحديث، فلو قالوا: لا إله إلا الله، وأنكروا الرسالة ـ: ما كانوا يستحقون العصمة، بل لا بد أن يقولوا: لا إله إلا الله قائمين بحقها، ولا يكون قائماً بـ لا إله إلا الله حق القيام، إلا من صدق بالرسالة، وكذا من شهد أن محمداً رسول الله، لا يكون قائماً بهذه الشهادة حق القيام، إلا من صدق هذا الرسول في كل ما جاء به، فتضمنت التوحيد وإذا ضممت شهادة أن لا إله إلا الله إلى شهادة أن محمداً رسول الله -كان المراد من شهادة أن لا إله إلا الله إثبات التوحيد، ومن شهادة أن محمداً رسول الله إثبات الرسالة، كذلك الإسلام والإيمان: إذا قرن أحدهما بالآخر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. وقوله ﷺ: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت»[٣]: كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لكن الأظهر من هذا حديث سعد في الصحيح قال: تركت فلاناً وما أعلمه إلا مؤمناً، قال «أو

(١) لعله التقرير، يعني الإيضاح والبيان، مقرر وموضح ومبين.ابن باز

(٢) متفق عليه من حديث جمع من الصحابة، وهو حديث متواتر كما قال السيوطي، وقد خرجت طائفة من طرقه في «الأحاديث الصحيحة» (٤٠٧).أهـ ألباني

(٣) متفق عليه كما تقدم قريبا .أهـ ألباني.

مسلماً»[١] وهذا شيء واضح، فإن الاقتران له حالة من المعنى غير حالة الانفراد في مسائل كثيرة، والواجب الجمع بين النصوص وضم بعضها إلى بعض وإيضاح معانيها وإبعاد ما قد يخشى أو يظن - يظنه بعض ناقصي الفهم - من اضطراب أو تناقض أو اختلاف، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات وأعظمها وأوسعها، فللدلالات في التنوع كالاقتران والعطف والانفراد والسياق فيما يتعلق بالكلام السابق واللاحق إلى غير ذلك، فالإسلام هو الأعمال الظاهرة التي تتضمن الانقياد والذل، ولا يتم هذا إلا بإيمان يصدق هذا الذل والانقياد، وإلا صار نفاقاً. ولهذا نعى الله على المنافقين وذمهم وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة:٨] فدل ذلك على أن الإسلام الظاهر إذا لم يصحبه إيمان باطن وتصديق صار نفاقاً، وهكذا الإيمان الباطن إذا لم يصحبه انقياد وذل وإسلام لم يكن إيماناً، ففرعون يعلم ربه، وإبليس واليهود وعلماء السوء، وهكذا رؤساء الكفرة من قريش يعلمون أن محمداً جاء بالحق وأن دينه هو الحق، ولكن حملهم البغي والحسد، فلم ينفعهم هذا الإيمان، فلا بد من هذا وهذا، ولهذا بين المؤلف أن لو شهد أن لا إله إلا الله ولكن لم يصدق بأن

(١) رواه البخاري (٢٧) كتاب الإيمان / باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ و (١٤٧٨) كتاب الزكاة / باب قول الله تعالى ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ وكم الغنى؟ وقول النبي ﷺ: «**ولا يجد غنى يغنيه**».
ومسلم (١٥٠) كتاب الإيمان / باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

محمداً رسول الله فلا إيمان له ولا إسلام له، ولو شهد أن محمداً رسول الله وصدق الرسل جميعاً، ولكنه لم يشهد أنه لا إله إلا الله ولم يوحد الله بل عبد معه سواه لم يكن مسلماً، ولو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكنه لم يكذب مسيلمة ونحوه، بل صدق مدعي النبوة بعد محمد ﷺ صار كافراً، لأنه مكذب لله مكذب لرسوله عليه الصلاة والسلام فيما أخبر عنه من ختم الرسالات والنبوات بمحمد عليه الصلاة والسلام وأنه لا نبي بعده، وهكذا غير ذلك من المسائل، فلابد في الإيمان بالله ورسوله من مراعاة تصديق الله ورسوله في كل شيء، والبعد عن استحلال ما حرم الله، أو إسقاط بعض ما أوجب الله، فالإيمان لابد أن يجتمع فيه الإيمان بالله ورسوله وبكل ما أخبر به الله ورسوله، ولابد من الانقياد لما أمر الله به ورسوله قولاً وعملاً.

وكثير من الناس لقلة العلم وقلة البصيرة يظن أن مجرد انتسابه للإسلام أو نطقه بالشهادتين يكفيه، وأن هذا هو الإسلام، ولم يعلم أن المقام يحتاج إلى ما هو فوق ذلك، إلى ما هو أوسع من ذلك من العمل، من توحيد الله والإخلاص له، ومن تصديق الرسول في كل شيء، ومن الانقياد لأمر الله ورسوله، ومن عدم الاستهزاء بالله ورسوله، ومن عدم جحد شيء مما أوجب الله ورسوله، ومن عدم إنكار شيء مما حرم الله ورسوله، فلا بد من إيمان كامل مصدق لجميع ما جاء به الرسول ﷺ، ولا بد من حفظ الجوارح عما يسبب انتقاض الإسلام والردة عن الإسلام. أهـ.

* * *

وكما قال ﷺ: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تقدم ما فيه من الضعف. أهـ.

* * *

وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه، وكما في الفقير والمسكين ونظائره، فإن لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، فهل يقال في قوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ أنه يعطى المقل دون المعدم، أو بالعكس؟ وكذا في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ﴾.

ويندفع أيضاً تشنيع من قال: ما حكم من آمن ولم يسلم؟ أو أسلم ولم يؤمن؟ في الدنيا والآخرة؟

فمن يثبت لأحدهما حكماً ليس بثابت للآخر ظهر بطلان قوله! ويقال له في مقابلة تشنيعه: أنت تقول: المسلم هو المؤمن، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فجعلهما غيرين، وقد قيل لرسول الله ﷺ: مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً؟ قال: «أو مسلماً»[٢] قالها ثلاثاً، فأثبت له الإسلام وتوقف في اسم الإيمان، فمن قال: هما سواء كان مخالفاً، والواجب رد موارد النزاع إلى الله ورسوله، وقد يتراءى في بعض النصوص معارضة، ولا معارضة بحمد الله تعالى، ولكن الشأن في التوفيق، وبالله التوفيق.

---

(١) ضعيف كما سبق آنفاً. أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص. أهـ ألباني.

وأما الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ على ترادف الإسلام والإيمان، فلا حجة فيه، لأن البيت المخرج كانوا متصفين بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما.

والظاهر أن هذه المعارضات لم تثبت عن أبي حنيفة رضي الله عنه، وإنما هي من الأصحاب، فإن غالبها ساقط لا يرتضيه أبو حنيفة! وقد حكى الطحاوي حكاية أبي حنيفة مع حماد بن زيد، وأن حماد بن زيد لما روى له حديث: «أي الإسلام أفضل»[1] إلى آخره، قال له: ألا تراه يقول: «أي الإسلام أفضل قال: الإيمان» ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان؟

فسكت أبو حنيفة، فقال بعض أصحابه: ألا تجيبه يا أبا حنيفة؟ قال: بم أجيبه؟ وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ.

ومن ثمرات هذا الاختلاف: مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول أي الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، والناس فيه على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط، منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار، وهذا أصح الأقوال.

أما من يوجبه فلهم مأخذان: أحدهما: أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «باعتبار الموافاة»

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري، ولهما نحوه من حديث ابن عمرو، وانظر لفظهما إن شئت في «مختصر البخاري» (٩ـ٨). أهـ ألباني

معناه باعتبار ما يموت عليه من حسن الخاتمة أو سوء الخاتمة، ولهذا كان كثير من السلف يخشون السابقة واللاحقة، السابقة هي الخاتمة. والخاتمة على حسب السابقة، فلهذا كان الواجب على المؤمن أن يهتم بالخاتمة، وأن يحرص على الاستمرار في العمل الصالح، لأن ذلك من أسباب حسن الخاتمة، والإصرار على المعاصي من أسباب سوء الخاتمة، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به، قالوا: والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً -: ليس بإيمان، كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال، والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم، وعند هؤلاء أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم منه أنه يموت مؤمناً، فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد! وليس هذا قول السلف، ولا كان يقول بهذا من يستثنى من السلف في إيمانه، وهو فاسد، فإن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فأخبر أنه يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط المحبة، والمشروط يتأخر عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة، ثم صار إلى هذا القول طائفة غلوا فيه، حتى صار الرجل منهم يستثني في الأعمال الصالحة، يقول: صليت إن شاء الله! ونحو ذلك، يعني القبول.

ثم صار كثير منهم يستثنون في كل شيء، فيقول أحدهم: هذا ثوب إن شاء الله! هذا حبل إن شاء الله! فإذا قيل لهم: هذا لا شك فيه؟ يقولون:

نعم، لكن إذا شاء الله أن يغيره غيره!!

المأخذ الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار-: فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين، القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقربين! وهذا مع تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال، وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا المعنى يرجع إلى كمال العمل وتمام العمل، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، يعني إن شاء الله لإكمال العمل وإتمامه، فإن العمل في الغالب لا يكون تاماً، بل يكون فيه من النقص ما فيه، من تفريط في واجب أو ارتكاب لمحرم، فأهل السنة والجماعة يستثنون لهذا المعنى، يستثنون لأنهم لا يدرون هل كملوا أو لم يكملوا؟ والغالب النقص، ولهذا يقول: إن شاء الله، يعني إن شاء الله أني كملت إيماني وأتممت إيماني، كما يقول السفاريني في العقيدة التي ينسبها للسلف:

ونحـــن في إيماننـــا نـــستثني ... من غير شك فاستبن واستبني

فالمقصود أن السلف يقولون هذا من غير شك، بل من باب رد ذلك إلى كمال العمل وتمام العمل، وليس بواجب كما تقوله الكلابية وأشباههم، بل هو مستحب، من باب الإزراء على النفس وعدم الشهادة لها بالكمال والتمام، وبعض السلف يتورع عن هذا ويقول إذا قيل له أنت

مؤمن؟ قال: أنا مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر، ويتورع عن قول إن شاء الله.

ثم إن هذا ليس من هدي السلف، السؤال أنت مؤمن؟ أو هل أنت مؤمن؟ ليس هذا من هدي السلف ولا حاجة إلى ذلك ولا وجه له ولا يرغب فيه، لكن لو قدر أن إنساناً سئل، فأهل السنة يقولون: أنا مؤمن إن شاء الله، إذا قال أنت مؤمن؟ لأن بعض المبتدعة قد يمتحنون الناس بهذا فيسألونهم ثم يرمونهم بالعظائم، فإذا قال: إن شاء الله، قالوا: هذا شك في إيمانه فيكون كافراً، وهذا من جهلهم وضلالهم، فإن المؤمن من أهل السنة إذا قال: أنا مؤمن إن شاء الله، ليس قصده الشك، وإنما قصده الإزراء على نفسه وعدم الشهادة لها بالكمال والتمام، هذا وجه ما يقوله السلف، يستثنون خشية أن لا يكونوا كملوا ما أوجب الله عليهم وتركوا ما حرم الله عليهم، كل بني آدم خطاء، فلهذا المؤمن من أهل السنة لا يشهد لنفسه بالإيمان الكامل، بل يقول: أنا مؤمن إن شاء الله عندما يسأل عن ذلك، لئلا يزكي نفسه، ولئلا يشهد لها بالتمام والكمال. أهـ.

❊ ❊ ❊

ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

وقال ﷺ حين وقف على المقابر: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[(١)].

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، انظر «أحكام الجنائز وبدعها» (١٨٩). أهـ. ألباني.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه يؤتى بها للتبرك والتجرد من الحول والقوة، ولهذا قال: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» من باب البراءة من الحول والقوة.

وقال بعضهم: إنه يرجع إلى البقعة، يعني في هذه البقعة، وإلا فالموت لا بد منه، فالحاصل أنه يؤتى بها للبركة والتبرؤ من الحول والقوة في كل شيء، ولهذا ينهى أن يقول الرجل سأفعل كذا وسأعاين كذا وسأسافر كذا من غير استثناء، بل السنة أن يقول: إن شاء الله، لأنه لا يدري أيتم له الأمر أو لا؟

وهذا شيء مشروع، في الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤] والتبرك المقصود به المشيئة، هذا المقصود، لأنه كلمة عظيمة تفيد التجرد من الحول والقوة، وأن الله هو الذي بيده كل شيء، فيتبرك بقولها لئلا ينسب إلى نفسه ما ليس في قدرته، فقد لا يلحقه الله بهم في البقعة هذه أو في العمل والإيمان أو في أشياء أخرى. أهـ.

* * *

وقال أيضاً: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله»[١] ونظائر هذا.

وأما من يحرمه، فكل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أنا أعلم أني مؤمن، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون في إيمانهم: الشكاكة، وأجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ بأنه يعود إلى الأمن

(١) أخرجه مسلم، والبخاري نحوه. أهـ ألباني

والخوف، فأما الدخول فلا شك فيه! وقيل: لتدخلن جميعكم أو بعضكم، لأنه علم أن بعضهم يموت! وفي كلا الجوابين نظر: فإنهم وقعوا فيما فروا منه، فأما الأمن والخوف فقد أخبر أنهم يدخلون آمنين، مع علمه بذلك، فلا شك في الدخول، ولا في الأمن، ولا في دخول الجميع أو البعض، فإن الله قد علم من يدخل فلا شك فيه أيضاً، فكان قول: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هنا تحقيقاً للدخول، كما يقول الرجل فيما عزم على شيء أن يفعله لا محالة: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يحنث الحالف في مثل هذه اليمين لأنه لا يجزم بحصول مراده.

وأجيب بجواب آخر لا بأس به، وهو: أنه قال ذلك تعليماً لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن مستقبل.

وفي كون هذا المعنى مراداً من النص- نظر، فإنه ما سيق الكلام إلا أن يكون مراداً من إشارة النص.

وأجاب الزمخشري بجوابين آخرين باطلين، وهما: أن يكون الملك قد قاله، فأثبت قرآناً! أو أن الرسول قاله!! فعند هذا المسكين يكون من القرآن ما هو غير كلام الله! فيدخل في وعيد من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ نسأل الله العافية.

وأما من يجوز الاستثناء وتركه، فهم أسعد بالدليل من الفريقين، وخير الأمور أوسطها: فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه، وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ فالاستثناء حينئذ جائز.

وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكاً في إيمانه، وهذا القول في القوة كما ترى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والخلاصة في هذا أن الأقوال كما قال الشارح ثلاثة: قول بوجوب الاستثناء، وقول بوجوب الترك، وأن الاستثناء شك لا يجوز، وكلا الطرفين خطأ، فالاستثناء ليس بشك، والوجوب ليس بواجب، والعبرة بالظواهر وما عليه الحال، والوسط هو الجواز، فإن شاء قال ذلك: أنا مؤمن إن شاء الله، وإن شاء ترك ذلك، وإذا قاله فهو على سبيل التبرك والتجرد من الحول والقوة وخوف تزكية النفس، لا عن شك في ذلك.

وأما ما تقوله الخوارج والمعتزلة من أن الاستثناء شك، لأنهم يقولون: الإيمان شيء واحد لا يتبعض، فلهذا عندهم من عصى كفر، فهذا قول فاسد ولا وجه له، وما عليه أهل السنة والجماعة هو الصواب، أن الاستثناء جائز وتركه جائز، ومن استثنى فليس للشك، بل للتجرد من الحول والقوة، وللتبرك بالمشيئة، وأن الله جل وعلا هو مصرف الأمور، ومن ترك ذلك قبل على الظاهر، وأنه بحمد الله على الإيمان والإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ وليس قصده التزكية، وإنما قصده الإخبار أنه

في جملة المسلمين والمؤمنين. أهـ.

سؤال/ الاستثناء في أمر قد وقع مثل: هل صليت؟ فيقول: إن شاء الله.

أجاب سماحة الشيخ: إذا قاله على طريقة أهل السنة والجماعة أنه من باب التجرد من الحول والقوة، وأنه إن شاء الله أدى الواجب؛ ما نعلم فيه حرجاً، ولكن إذا أراد «صليت» يعني أديت الصلاة المعروفة، فلا يحتاج إلى استثناء، لكن لو قالها ـ صليت إن شاء الله ـ يعني على سبيل أنه أدى الواجب إن شاء الله، ولا يدري لعله يكون قصّر في الصلاة، في خشوعها أو في شيء منها، فهذا المعنى لا حرج فيه. أهـ.

سؤال/ المعروف عن الأحناف من أهل السنة أنهم يمنعون من الاستثناء.

أجاب سماحة الشيخ: لأنهم مرجئة، قد يكونون من مرجئة الفقهاء، لأن الإيمان عندهم هو التصديق، كيف يشك في التصديق؟

عندهم الإيمان هو التصديق، ما عندهم عمل، هذا وجهه، يلحقون بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، كلهم شيء واحد. أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: «**وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق**».

يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة، القائلين بأن الأخبار قسمان: متواتر وآحاد، فالمتواتر - وإن كان قطعي السند - لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة

اللفظية لا تفيد اليقين!! ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات! قالوا: والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها! فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية، سموها قواطع علقية، وبراهين يقينية!! وهي في التحقيق ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ من العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي، وعزلوا لأجلها النصوص، فأقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا البلاء الذي وقع في الناس، ترتب عليه من الشرور والفساد والإعراض عن الله ورسوله ما لا يحصي شره وخطره إلا الله سبحانه وتعالى، فإن هذا التقسيم الذي وقع في الناس، قسّمه قوم فأخذوا به واحتجوا به واستقاموا عليه، من أئمة الحديث وغيرهم، فلم يحصل به بالنسبة إليهم ضرر، حيث قالوا: الأخبار تنقسم إلى تواتر وآحاد، وهذا واقع، ولكن أهل البدع قسّموا هذا التقسيم من أجل الوصول إلى نتيجتهم وإلى قصدهم الباطل، حتى يقولوا ما قالوا، بأن المتواتر وإن كان صح سنده واضطرت العقول إلى تصديقه، لكنه ليس قطعي الدلالة، فلا يحتج به على ما دل عليه من إثبات أسماء الرب وصفاته، فعزلوا القرآن عن أن يفيد العلم، ثم عزلوا

السنة وقالوا: إن أكثرها آحاد لا تفيد العلم، وما تواتر منها جعلوه كالقرآن أيضاً ليس قطعي الدلالة، فعطلوا هذا وهذا وضلوا عن سواء السبيل، من الجهمية والمعتزلة والرافضة، وغيرهم من صنوف أهل البدع الذين تورطوا في هذا الأمر، وأقفرت قلوبهم من الإيمان والهدى بالنصوص، واستحوذ عليهم الشيطان، فحكموا عقولهم الفاسدة وآراءهم الكاسدة وقضاياهم الوهمية، وتعطلت بالنسبة إليهم حجة الله على عباده.

أما أهل السنة الجماعة فقبلوا ما جاءت به النصوص فاحتجوا بها، وردوا بها على أعداء الله وخصوم الإسلام، فاستقام أمرهم واستقام إيمانهم واستقامت لهم الأدلة، وبطلت شبهات المشبهين بسبب نور الحق والإيمان الذي احتج به أهل الحق، وما يكون من آحاد فهو حجة إذا استقام الإسناد، وقد أجمع المسلمون ـ كما حكى ذلك ابن عبد البر والخطيب البغدادي وغيرهما ـ على أن الآحاد حجة كما أن المتواتر حجة، في باب العقائد وفي باب الأحكام جميعاً، فالآحاد متى استقامت أسانيدها ولو من طريق واحدة فهي حجة في العمل وحجة في وجوب الاعتقاد على من خالف ذلك، وهذا حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى**»[1] حجة قائمة عند أهل العلم قاطبة مع أنه خبر آحاد، ونظائر هذا في النصوص كثيرة لا يحصى، والمقصود أن الحديث متى استقام إسناده، ومتى اتصل وعدلت رجاله فهو حجة في العقائد وغير العقائد، في أبواب العبادات وفي أبواب المعاملات وفي أبواب الجنايات وفي أبواب النكاح والطلاق

---

(١) رواه البخاري (١) كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (١٩٠٧) كتاب الإمارة / باب قوله ﷺ «**إنما الأعمال بالنية**» وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، من حديث عمر رضي الله عنه.

وغير ذلك، حجة في الجميع عند أهل العلم، وهو حجة بالإجماع عند أهل السنة والجماعة، وإنما اختلفوا هل يفيد العلم القطعي أم لا؟

على قولين، والصواب أنه يفيد العلم عند وجود القرائن التي يعرفها أهل العلم وأهل البصيرة من ثقة الرجال واتصال السند وعدم المعارض، فإن مثل هذا يفيد العلم كما ذكر ذلك أئمة الحديث في المصطلح، ومن ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله، حتى في النخبة التي هي من أخصر المختصرات ومن أقلها كلمات، يقول فيها: «وقد يقع فيها ـ يعني الآحاد ـ ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار» والقرائن هي استقامة الأسانيد وثقة الرجال وظهور وشهرة عدالتهم واستقامتهم، مع عدم الشذوذ والعلة، فيستقيم الإسناد ويحتج به ويفيد العلم النظري بالنسبة إلى أهل العلم والنظر، وقد يفيد العلم الضروري عند تعدد الأسانيد وظهور المعنى.

والحاصل أن الأدلة من الكتاب والسنة حجة قائمة على أعداء الله وعلى خصوم الإسلام في جميع الشئون الإسلامية، عقدية أو فرعية، في جميع الأمور، فالآيات حجة قائمة بالإجماع، وهكذا الأحاديث حجة قائمة بالإجماع، سواء سميت متواترة أو سميت آحاداً فالحكم فيها واحد، كلها تفيد القطع وتفيد الحجية على الأحكام، ما عدا أشياء قليلة من الآحاد، قد يتوقف في إفادتها العلم، وإن كانت حجة قائمة في أسانيدها الصحيحة وثبوتها، فكونها تفيد العلم النظري أو الضروري أمر ثانوي، المهم أنها حجة قائمة، متى استقامت الأسانيد ولو إسناداً واحداً فإنه حجة قائمة في العقائد والأحكام. أهـ.

* * *

ولو حكموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح، الموافق

للفطرة السليمة، بل كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته، وما ظنه معقولاً:

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فصار عاقبتهم الشك والحيرة نعوذ بالله، هؤلاء المتكلمون الضالون الملحدون، وهؤلاء الذين قلدوهم، صار عاقبتهم الشك والحيرة. أهـ.

* * *

فما وافقه قال: إنه محكم، وقبله واحتج به!! وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم رده، وسمى رده تفويضاً! أو حرفه، وسمى تحريفه تأويلاً!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الله يقول: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى:١٠] وهؤلاء الضالون يقولون: لا، ما تنازعتم فيه واختلفتم فيه ردوه إلى قضايا العقول التي خلقها الله لنا لنميز بها وننظر بها، فجعلوا عقولهم الكاسدة المختلفة المتناقضة هي الأساس، بأي عقل يحتج؟ وعلى أي عقل يعتمد؟ العقول متناقضة ومختلفة ومتنوعة، فعلى أي عقل لو كانوا يعقلون ؟. أهـ.

* * *

فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم.

وطريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوه بمعقول، ولا قول فلان، كما أشار إليه الشيخ رحمه الله، وكما قال البخاري رحمه الله: سمعت الحميدي يقول: كنا عند الشافعي رحمه

الله، فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟! فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة! تراني في بيعة! تراني على وسطي زنار ؟! أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت ؟![١]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى: قضايا الرسول موقوفة على رأيي؟ مادام أنه قال رسول الله فليس لي كلام أنا ولا غيري، من أنا حتى أقول شيئاً يخالف رسول الله؟

ومقصوده من هذا الإنكار، يعني هل رأيتني عليّ علامة اليهود أو النصارى، في كنيسة أو في بيعة حتى تقول: ما تقول أنت؟

أنا مسلم، مادام أنه قضى رسول الله فأنا مع قضايا رسول الله.

ومن هذا الباب ما ذكره الشيخ محمد رحمه الله في كتاب التوحيد، في باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات، وقال أحمد رحمه الله حين قال: عجبت لمن عرف الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣] يتعجب رحمه الله من قوم من أهل الحديث عرفوا الإسناد وصحته إلى النبي ﷺ، ثم يذهبون إلى رأي سفيان الثوري لعدم ثقتهم بعلومهم وعقولهم، فيعجب منهم ويقول: كيف يذهبون إلى رأي سفيان؟

ومن هو سفيان؟ سفيان المعروف بالورع والعلم والفضل والفقه،

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء٩/ ١١٣ والبيهقي في المناقب١/ ٤٧٤ـ٤٧٥ وابن كثير في مناقب الإمام الشافعي (١٩١)ص/ ١٧٩، وذكره ابن القيم في إعلام الموقعين ٢/ ٢٨٥.

فكيف بمن ذهب إلى من لا يحاذي ولا يقارب تلاميذ سفيان في العلم والفضل والورع والدين؟ بل يذهبون إلى آراء أناس منحرفين عن الهدى، حكموا عقولهم وضيعوا دينهم؟

نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

ونظائر ذلك في كلام السلف كثير، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له -: يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع، كخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما الأعمال بالنيات»[(١)] وخبر ابن عمر رضي الله عنهما: «نهى عن بيع الولاء وهبته»[(٢)] وخبر أبي هريرة: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها»[(٣)] وكقوله: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[(٤)] وأمثال ذلك، وهو نظير خبر الذي أتى مسجد قباء وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة، فاستداروا إليها[(٥)].

وكان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحاداً، ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون لا نقبله لأنه خبر واحد! وقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾

---

(١) متفق عليه من حديث عمر، وهو أول حديث في صحيح البخاري. أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر. أهـ ألباني.

(٣) متفق عليه، وهو مخرج في «الإرواء» (١٨٨٢). أهـ ألباني.

(٤) متفق عليه من حديث عائشة، وهو في الإرواء أيضا (١٨٧٦). أهـ ألباني.

(٥) متفق عليه من حديث البراء بن عازب، وانظر لفظه وتخريجه في «صفة الصلاة». أهـ ألباني.

فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه، لئلا تبطل حججه وبيناته.

ولهذا فضح الله من كذب على رسوله في حياته وبعد وفاته، وبين حاله للناس، قال سفيان بن عيينة: ما ستر الله أحداً يكذب في الحديث[١]. وقال عبد الله بن المبارك: لو هم رجل في البحر أن يكذب في الحديث، لأصبح والناس يقولون: فلان كذاب[٢].

وخبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب - ولكن التفريق بين صحيح الأخبار وسقيمها لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته مشتغلاً بالحديث، والبحث عن سير الرواة، ليقف على أحوالهم وأقوالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً في كلمة يتقولها على رسول الله ﷺ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل إليهم، فهم ترك الإسلام[٣]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصواب يَزَكْ الإسلام، بالياء والزاي والكاف، يعني جند الإسلام، ولعلها كلمة تركية

(١) انظر الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح ١/ ٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) قال شاكر: «ترك» بضم التاء المثناة والراء، جمع تريكة بفتح التاء وكسر الراء، وهي بيضة الحديد للرأس، يريد أنهم دروع الإسلام وحفظته، وفي المطبوعة «بزك»! وهو تحريف لا معنى له، ويمكن أن تقرأ «بزل» بضم الباء الموحدة والزاي وآخرها لام، وهو جمه «بازل» وأصله وصف للبعير إذا بزل نابه، أي طلع، وهو أقصى أسنان البعير، قال في اللسان: «وقد قالوا: رجل بازل، على التشبيه بالبعير، وربما قالوا ذلك يعنون به كماله في عقله وتجربته، وفي حديث علي*بازل عامين حديث سني* يقول: أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة» وليس بيدنا أصل مخطوط للشرح حتى نستطيع أن نجزم أي اللفظين أرجح.أهـ

أخذوها من الأتراك، اليزك الجند والعسكر، ونبه على هذا ابن القيم رحمه الله، وقال إنها لغة تركية، لأن الترك ملكوا الشام مدة طويلة وكثرت كلماتهم واستعملها الناس، وليس لها فيما نعلم أصل في العربية، ولكنها مما استعمل من لغات الآخرين، أما تُرْك وبُزْل فليس بواضح، والمقصود أن هذه الكلمة فيما يظهر كلمة أعجمية من لغة الأتراك ومن استعمالهم، استعملها ابن القيم واستعملها جماعة آخرون، لأنها اشتهرت في الجند والعساكر التي ترصد للحرب، فصوابه يزك، بالياء والزاي والكاف، وهم الجند، جند الإسلام. أهـ.

* * *

وعصابة الإيمان، وهم نقاد الأخبار، وصيارفة الأحاديث، فإذا وقف المرء على هذا من شأنهم، وعرف حالهم، وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم -: ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه، ومن له عقل ومعرفة يعلم أن أهل الحديث لهم من العلم بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره، ما ليس لغيرهم به شعور، فضلاً أن يكون معلوماً لهم أو مظنوناً، كما أن النحاة عندهم من أخبار سيبويه والخليل وأقوالهما ما ليس عند غيرهم، وعند الأطباء من كلام بقراط وجالينوس ما ليس عند غيرهم، وكل ذي صنعة هو أخبر بها من غيره، فلو سألت البقال عن أمر العطر، أو العطار عن البز، ونحو ذلك!! لعد ذلك جهلاً كبيراً.

ولكن النفاة قد جعلوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ مستنداً لهم في رد الأحاديث الصحيحة، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم، وما وضعته خواطرهم وأفكارهم ردوه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كلمة حق أريد بها باطل، كلمة حق أريد بها باطل، خفي عليهم معناها وضلوا بها، نسأل الله العافية، وهي آية عظيمة وحجة قاطعة في نفي مشابهة الله لخلقه، مع إثبات أسمائه وصفاته، فهو سبحانه الذي قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] هو الذي أثبت الأسماء والصفات، وأخبر بها عن نفسه جل وعلا، فكيف يرد كلامه بكلامه لو كان القوم يعقلون؟

كلامه لا ينقض بعضه بعضاً، فقد أخبر عن نفسه بصفات وأخبر أنه لا مثل له ولا كفو له ولا سمي له ولا ند له ولا تضرب له الأمثال، فهذا حق وهذا حق، فهو سميع ليس كمثله شيء، بصير ليس كمثله شيء، قوي ليس كمثله شيء، عليم ليس كمثله شيء، وهكذا، فهي صفات عظيمة كاملة لا مثل له فيها سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

تلبيساً منهم وتدليساً على من هو أعمى قلباً منهم، وتحريفاً لمعنى الآي عن مواضعه، ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله، ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام، أنه يقتضي إثباتها التمثيل بما للمخلوقين! ثم استدلوا على بطلان ذلك بـ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ تحريفاً للنصين!! ويصنفون الكتب، ويقولون: هذا أصول دين الإسلام الذي أمر الله به وجاء من عنده، ويقرؤون كثيراً من القرآن ويفوضون معناه إلى الله تعالى، من غير تدبر لمعناه الذي بينه الرسول، وأخبر أنه معناه الذي أراده الله، وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب الأول على هذه الصفات الثلاث،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه الصفات الثلاث:

تحريف الكلم عن مواضعه، يعني تفسيره بغير معناه.

كتابة الكتب من عند أنفسهم ويقولون هذه من عند الله، هذا الثاني.

والثالث التفويض.

تحريف وكذب وتفويض للمعاني، يقولون: ما نعرف معناه، هذه ألفاظ لا نعرف معناها، هذه مما ذم الله عليها الأوائل، فذمهم بالتحريف ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء:٤٦] ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة:٧٩] ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [البقرة:٧٨] مجرد التلاوة، لا يعرفون المعنى بل يفوضونه.

فالمقصود أن الله جل وعلا أنزل كتاباً وأنزل سنة، وبين معانيها وأوضحها، فلا يجوز أن تأول بغير تأويلها أو تحرف، ولا يزاد فيها شيء من عند الناس، يكتبون ويقولون: هذا من عند الله، ولا يجوز أن تفوض ويقال: لا نعلم معناها، بل يجب التدبر، والله أمر بالتدبر ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء:٨٢] فهم مأمورون بالتدبر، يعني أن يعلموا المعنى، والتفويض معناه إعراض عن التدبر وإعراض عن فهم ما أوحى الله إليهم، فالله ما أوحى إليهم ليعرضوا، بل أوحى إليهم ليتدبروا ويعقلوا ويتعلموا ويستفيدوا ويعملوا، فالتفويض الذي تدعيه بعض أهل البدع وتنسبه إلى أهل السنة، وإيجاد كتب ما أنزل الله بها من سلطان تخالف الحق وتباين الحق، هذا كذلك باطل ومن عمل اليهود وأشباههم، وتحريف الكلم

عن مواضعه وتغيير معانيه، كقولهم استوى استولى، أو المحبة بمعنى إرادة الإنعام، والبغضاء معناها إرادة الانتقام، هذا تأويل للكلم عن مواضعه، تحريف، المحبة غير الإرادة، والبغضاء غير الإرادة، فالبغضاء وصف مستقل، والمحبة وصف مستقل، والإرادة وصف مستقل، فتفسير البغضاء والغضب بعدم إرادة الإنعام، وتفسير المحبة والرضى بإرادة الإنعام، تحريف للكلم عن مواضعه، وتفسير الاستواء بالاستيلاء أو بمعنى آخر غير العلو، كل هذا من باب التحريف.

والواجب على أهل العلم والإيمان وعلى أهل الإسلام وعلى أهل الخوف من الله أن يتقبلوا ما جاءت به النصوص تقبلاً حسناً، بالرضى والقبول والتدبر والعمل والتفقه، لا بالتحريف ولا بالتأويل وبإعراض وغفلة، ولا بإيجاد أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، تضاف إلى من جحد ما جاء به الرسول للتدليس والتأويل والتلبيس وصرف الناس عن الحق، فهذا كله من عمل أهل الكتاب، ومن عمل أعداء الله، أما أهل الإيمان والإسلام فلا، بل يتقبلون الحق ويتدبرونه ويتعقلونه ويتفهمون المعاني، لأنهم خوطبوا بلغة يفهمونها، والذي لا يفهمها يجب أن تترجم له وتفسر له بلغته ليتعقلها، وليس له أن يأتي بشيء من عنده ويقول: هذا من عند الله، لا، هذا من عمل أعداء الله، وليس له أن يأول النصوص على غير تأويلها بغير حجة وبغير دليل من كلام العرب الذي نزل به القرآن وجاءت به السنة، وليس له أن يعرض ويقول: هذا لا نعرفه ولا نعلم معناه فيعرض ويفوض، كل هذا لا يجوز، بل الواجب تقبل الحق والرضى به، وتدبر المعاني وفهمها والتفقه فيها وإمرارها كما جاءت وإبقاؤها كما جاءت، لا تغير ولا تحرف ولا يزاد فيها ولا ينقص. أهـ.

* * *

وقص ذلك علينا من خبرهم لنعتبر ونزجر عن مثل طريقتهم، فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فالأول التحريف والثاني التفويض. أهـ.

❊ ❊ ❊

والأماني: التلاوة المجردة، ثم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الثالث. أهـ.

❊ ❊ ❊

فذمهم على نسبة ما كتبوه إلى الله، وعلى اكتسابهم بذلك، فكلا الوصفين ذميم: أن ينسب إلى الله ما ليس من عنده، وأن يأخذ بذلك عوضاً من الدنيا مالاً أو رياسة.

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل، في القول والعمل، بمنه وكرمه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أنهم جمعوا بين الشرين، كذبوا ثم أخذوا في مقابل ذلك عوضاً، مالاً أو رياسة أو نحو

ذلك، فما كفاهم الكذب فقط، بل كذبوا وأخذوا في مقابل ذلك التأويل والكذب والتحريف المال، اشتروا به ثمناً قليلاً، يعني حتى تبقى لهم الرياسة التي هم فيها، أو حتى يعطوا مالاً في مقابل هذا الكذب الذي يرضي من كذّبوا له، حتى يغيروا شرع الله ويحرفوه، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

ويشير الشيخ رحمه الله بقوله: «من الشرع والبيان» إلى أن ما صح عن النبي ﷺ نوعان: شرع ابتدائي، وبيان لما شرعه الله في كتابه العزيز،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الشرع الابتدائي: الأحكام التي ليست في القرآن، هذا الشرع الابتدائي، ليس في القرآن.

والبياني: إيضاح لما في القرآن، مثل بيان الرضاعة، يعني ما هي الرضاعة؟ وأنها خمس رضعات، وفي نهاية الحولين، وأنها تقوم مقام النسب.

وبيان معنى أقيموا الصلاة، ما معنى إقامة الصلاة؟

وأنه تصلى الظهر أربعاً والعصر أربعاً والمغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً والفجر ثنتين، وأن فيها ركوعاً وفيها سجودان، هذا من البيان.

آتوا الزكاة ما معناها؟ بيان الأنصبة وبيان الحق الواجب في المال ما هو؟ هذا البيان.

صيام رمضان: ما هو الصيام؟ ما دليل الصيام؟ ما هو الذي يمسك عنه؟

الحج ما أعماله؟ ما هي أوقاته؟ كل هذا بيان.

أما الشرع المستقل الذي جاء به الرسول ﷺ من غير بيان، بل هو

شرع مستقل فله أمثلة: مثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، فإن هذا شرع مستقل لم يرد في الكتاب في بيان المحرمات، وعندما ذكر الله المحرمات قال: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء:٢٤] فجاءت السنة ببيان تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، فهذا شرع مستقل، كذلك تحريم من عدا الأمهات والأخوات من الرضاع، نص القرآن: ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ [النساء:٢٣] ولم يذكر في ذلك بنات الأخ ولا بنات الأخت ولا الخالات ولا العمات، فجاءت السنة ببان الزيادة، وأنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب(١)، فتحرم الخالة والعمة وبنت الأخ وبنت الأخت والبنت من الرضاع، فهؤلاء خمس جاءت بهم السنة، أما الكتاب فجاء بالأم والأخت، وجاءت السنة بتحريم البنت من الرضاعة والخالة من الرضاعة والعمة من الرضاعة وبنت الأخ من الرضاعة وبنت الأخت من الرضاعة، خمس، وأشياء من جنس ذلك. أهـ.

* * *

وجميع ذلك حق واجب الاتباع.

وقوله: «وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى» وفي بعض النسخ: «بالخشية والتقى» بدل قوله: «بالحقيقة» ففي العبارة الأولى يشير إلى أن الكل مشتركون في أصل التصديق، ولكن التصديق يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت، كما تقدم نظيره بقوة البصر وضعفه، وفي العبارة الأخرى يشير إلى أن

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤٥) كتاب الشهادات / باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض والموت القديم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (١٤٥٥) كتاب الرضاع / باب ما يحرم الرضاع، من حديث عائشة رضي الله عنها.

التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق فلا تفاوت فيه، والمعنى الأول أظهر قوة، والله أعلم بالصواب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المعنى الأول هو الصواب، أصل التصديق، الناس فيه سواء من جهة التصديق، كلهم يجب عليهم التصديق بما أخبر الله به ورسوله، لكنه يتفاوت كما يتفاوت العمل، والمرجئة في هذا لهم كلمات انتقدها أهل السنة والجماعة، فقولهم «في أصله سواء» مع الاختلاف في العمل والخشية، هذا غلط، فليس تصديق الصدّيق وعمر وعثمان وعلي مثلاً مثل تصديق من بعدهم من الناس، وليس تصديق الصحابة كتصديق من بعدهم، تصديقهم أقوى، وليس الناس بعدهم سواء، وليس تصديق العلماء أهل البصائر مثل تصديق العامة، بينهما فرق في التصديق، وليس تصديق من شاهد السيل يجري ورأى السيل يجري كتصديق من قيل له: الوادي الفلاني سال، تصديق هذا بالمشاهدة غير تصديق ذاك الذي جاءه الخبر، التصديق يتفاوت، وهكذا العمل يتفاوتون فيه، فهم متفاوتون في العمل متفاوتون في التصديق، ولهذا قال أهل السنة: الإيمان يزيد وينقص، هذا يزيد إيمانه لكثرة أعماله الصالحة وقوة تصديقه وكمال تصديقه، وهذا ينقص إيمانه بضعف تصديقه وبضعف عمله الصالح وبضعف خشيته لله.

فأعمال القلوب: الخشية والمحبة والرجاء والخوف والإخلاص متفاوتة، وهكذا أعمال الجوارح، الصلاة والزكاة والصيام والحج وترك المحارم والمسارعة في الخيرات وترك السيئات متفاوتة، ولهذا من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزداد بالطاعات والأعمال الصالحات وقوة اليقين وكمال العلم، وينقص بخلاف ذلك.

والمرجئة جعلوا العمل ليس من الإيمان، وأن الإيمان مجرد التصديق فقط، ولكن هذا قول عند أهل السنة مرجوح، والصواب أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، هذا الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة قاطبة. أهـ.

* * *

قوله: (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن).

ش: قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ **الآية، الولي: من الولاية بفتح الواو، التي هي ضد العداوة. وقد قرأ حمزة:** ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ **بكسر الواو، والباقون بفتحها، وقيل: هما لغتان، وقيل: بالفتح النصرة، وبالكسر الإمارة، قال الزجاج: وجاز الكسر، لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكل ما كان كذلك مكسور، مثل: الخياطة ونحوها، فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليهم،**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والأظهر والأكثر بالفتح، من وَلاية التي هي المولاة والمحبة، وفي الوِلاية التي هي الإمارة والعمل بالكسر، وِلاية البلد الفلاني يعني إمارة البلد والتصرف، والوَلاية المحبة والتعاطف والتناصر والتعاون يقال لها وَلاية ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنفال:٧٢] ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾ [الكهف:٤٤] فالمؤمنون أولياء لما بينهم بحسب إيمانهم وتقواهم لله، لكن ما تقوله الصوفية أن الولي له شروط كذا وكذا من الخوارق، أو أنه يتصرف في الكون أو أنه يعلم الغيب أو أنه كيت وكيت، كل هذا من الأباطيل، بل

الولي هو المؤمن، هذا هو الولي، وضده هو العدو والكافر، والعاصي فيه نوع ولاية وفيه نوع عداوة، فهو بمعاصية صار في قسم العداوة، وفي طاعته لله صار في قسم الولاية، ففيه شعبتان، بل شعب، على حسب طاعاته ومعاصية، فهو ذو شائبتين: شائبة تلحقه بأهل الإيمان بتقواه لله وإيمانه، وشائبة تلحقه بالأعداء بمعاصيه لله، والكفار هم أعداء الله، والمؤمنون هم أولياء الله، والعاصي بين البين، فإن له وصفاً يلحقه بأولياء الله، وله وصف يلحقه بالأعداء، فهذا يوجب له البدار والمسارعة إلى التخلي من كل ما يلحقه بالأعداء من معاصي الله، وأن يكون حريصاً على أن يكون أبداً في ولاية الله وفي طاعة الله ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣] هؤلاء أولياء الله، ليس من شرطهم أن يكون لهم خوارقهم، لا، ليس بشرط، قد يقع الخارق، لكن ليس بشرط، أكثر الصحابة لم ترد عنهم خوارق وهم رأس أولياء الله، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٣٤] فالذي لا يتقي الله ولا يستقيم ليس بولي لله، ولو طار في الهواء بين الناس ولو مشى على البحر جامداً، تحته البحر يمشي عليه لا يكون ولياً لله، يكون من أولياء الشيطان، حتى يستقيم على أمر الله، وحتى يعرف بالاستقامة على أمر الله، أما الجهلة إذا رأوا شيئاً من الشعوذة التي يفعلها بعض أولياء الشيطان قالوا: هذا ولي، لأنه كذب عليهم في أشياء وادعى أشياء، فقالوا: الولي من حصل له خارق، ثم قال: فلان يصل بدعوى علم الغيب، أو فلان يحضر له طعام في غير وقته، أو ما أمثل لوقته بالطرق الخفية، أو فراسة يتفرسها فيصيب أو ما أشبه ذلك، فيقولون: هذا هو

الولي، ولو كان يعصي الله ليلاً ونهاراً ويأتي الفواحش ليلاً ونهاراً، فهذا جهل كبير والعياذ بالله وفساد عظيم واستيلاء الشيطان على قلوبهم ومشاعرهم، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم، فالله يتولى عباده المؤمنين، فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة، وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ فالله تعالى ليس له ولي من الذل، بل لله العزة جميعاً،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أولياؤه ليس في

حاجة إليهم، فهو غني عنهم وعن غيرهم سبحانه وتعالى، إنما هم أولياء محبة وطاعة وإحسان منه جل وعلا إليهم، وليسوا بأولياء من الذل، بل هو العزيز سبحانه وتعالى، وعباده هم الأذلاء الفقراء إليه. أهـ.

* * *

خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره.

والولاية أيضاً نظير الإيمان، فيكون مراد الشيخ: أن أهلها في أصلها سواء، وتكون كاملة وناقصة: فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ منصوب على أنه صفة أولياء الله، أو بدل منه، أو بإضمار أمدح، أو مرفوع بإضمار هم، أو خبر ثان لـ «إن» وأجيز فيه الجر، بدلاً من ضمير «عليهم» وعلى هذه الوجوه كلها فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة، ولا تملق ولا رياضة.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مبتدأ، والخبر: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ وهو بعيد، لقطع الجملة عما قبلها، وانتثار نظم الآية.

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هؤلاء هم العصاة وهم الطبقة الثالثة، فإن الناس طبقات ثلاث:

الطبقة الأولى: أهل الإيمان والتقوى، وتشمل الرسل والأنبياء ومن تبعهم بإحسان.

الطبقة الثانية: من عادى الله وكفر به، وهم الكفار من المنافقين ومن سائر أنواع الكفار، وهم أعداء الله وأهل غضبه وحربه.

والطبقة الثالثة: من فيه شعبة من الإيمان وشعبة من النفاق والكفر، وهم أهل المعاصي والسيئات على اختلاف أصنافهم، فيهم المقل من المعاصي وفيهم المكثر، فمن كانت طاعته أكثر صار إلى ولاية الله أقرب، وإن صارت معاصيه وشره أكثر صار إلى عداوة الله أقرب، على حسب أحوالهم، ما لم يتوبوا، فإذا تابوا التحقوا بأولياء الله، وإذا ارتدوا التحقوا بأعداء الله، وما داموا في المعاصي مع أصل الإيمان والإسلام فهم أصحاب الشائبتين، وهم أصحاب الخلط وعدم التجرد وعدم التمييز. أهـ.

❊ ❊ ❊

وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم في الإيمان، ولكن موافقة الشارع في اللفظ والمعنى - أولى من موافقته في المعنى وحده، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الآية، وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين، وقال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»[١] وفي رواية «وإذا ائتمن خان بدل: وإذا وعد أخلف» أخرجاه في الصحيحين،

---

(١) متفق عليه، وسبق. أهـ ألباني.

وحديث: شعب الإيمان تقدم، وقوله ﷺ: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»(١) **فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار، وإن كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك، ثم يخرج من النار.**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا النفاق العملي، النفاق العملي مثل المعاصي، ليس ينافي التوحيد، فإذا دخل النار بخيانته أو بكذبه أو بفجوره في الخصومات أو ما أشبه ذلك من المعاصي، فإنه لا يخلد في النار، بخلاف المنافق النفاق الاعتقادي النفاق الأكبر وهو نفاق التكذيب، هذا مع المخلدين في النار نعوذ بالله، هذا كافر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء:١٤٥].

فالنفاق نفاقان: نفاق عملي لا ينافي التوحيد والإيمان ولكن ينقصهما كالمعاصي، فهذا مثل ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو: «**إذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر وإذا أؤتمن خان**»(٢) وفي حديث أبي هريرة: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان**»(٣) وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فالحاصل أن هذه

---

(١) متفق عليه. أهـ ألباني.

(٢) حديث ابن عمرو رضي الله عنهما رواه الشيخان، وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٣٣) كتاب الإيمان / باب علامات المنافق، و(٢٦٨٢) كتاب الشهادات / باب من أمر بإنجاز الوعد، و(٢٧٤٩) كتاب الوصايا / باب قول الله عز وجل ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ و(٦٠٩٥) كتاب الأدب / باب قول الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ وما ينهى عن الكذب. =

كلها لا تتنافى مع أصل الإيمان، وقد يعذب صاحبها في النار إذا مات عليها، لكن لا يخلد ما دام موحداً مؤمناً بالله واليوم الآخر لا يعبد إلا الله، وإن كان توحيده قليلاً، وإن كان توحيده مثاقيل الذر، لكن ليس عنده الشرك الأكبر، فهذا لا يخلد في النار، وإنما يخلد من فقد الإيمان، من فقد التوحيد بنفاقه الأكبر وكفره، فإن المنافق المكذب تكذيبه بالرسول ﷺ أو تكذيبه بيوم القيامة أو تكذيبه بما جاء عن الله من الأخبار يحبط أعماله كلها، ما يبقى له توحيد وما يبقى له حسنة، تكون أعماله كلها حابطة، مثل سائر الكفار نعوذ بالله، لأن الله قال في كتابه العظيم: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥] وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨] وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] فهذا يدل على أن الكفر يحبط الأعمال، ولو أن صاحب هذا الكفر يصلي ويصوم ويتصدق ويعتق، هذه أعمال باطلة حابطة ما لها قيمة ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان:٢٣].

ثم مما يوضح هذا، لو أن إنساناً توضأ أحسن الوضوء وتطهر أحسن الطهارة، ثم أحدث من ريح أو بول أو غائط بطلت هذه الطهارة، ولو كانت أحسن طهارة، فإن هذا الناقض أفسدها، فهكذا نواقض الإسلام تفسد هذه الأعمال، نواقض الإسلام بمثابة نواقض الطهارة بل أشد،

= ومسلم (٥٨) كتاب الإيمان / باب بيان خصال المنافق، والترمذي (٢٦٣١) كتاب الإيمان / باب ما جاء في علامة المنافق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فالذي يصوم ويصلي ويتصدق ويحج، ولكنه يشرك بالله ويدعو غيره ويطلب المدد من الآلهة، من القبور ومن الكواكب ومن الأصنام ومن الشيوخ، شركه أبطل عمله، وهكذا استهزاؤه بالدين، هكذا تكذيبه بيوم القيامة، تكذيبه للرسول عليه الصلاة والسلام، سبه للدين، أي ناقض من النواقض، تبقى هذه الأعمال لا قيمة لها، مثل ما أن الطهارة التي نقضها بالريح أو بالبول أو نحوهما ما لها قيمة، ولو كان قد أكملها وأحسنها حين توضأ، فينبغي التفطن لهذا الأمر، لأن كثيراً من العبّاد في النصارى في هذه الأمة وفي غيرها من أمم الكفر، كالبوذية والوثنية وغير هذا من أنواع الكفر، قد يكون عندهم شيء من العبادات، قد يكون عندهم شيء من صدقات، من عطف على الفقراء والمساكين، من إكثار من بعض الخير الذي يحبه الله، لكن ما عندهم من الكفر بالله أفسد عليهم هذا كله وأبطل عليهم هذا كله، وصار وجوده كعدمه، بسبب الكفر الذي معه. أهـ.

سؤال/ ما يلزم الجاهل القبوري؟

أجاب سماحة الشيخ: هذه من الأمور العظيمة التي جاء بها الإسلام وجاءت بها الرسل، لا يخفى مثلها، والقرآن بين أيديهم والسنة بين أيديهم والعلماء بين أيديهم، ولكنهم قانعون بما هم عليه لا يرضون أن ينبهوا، نسأل الله العافية.

ثم لو قدِر أنهم جهلوا، فالحكم في الدنيا على هذا، مثل سائر الكفار، أما الآخرة، إذا كان الله جل وعلا يعلم من قلوبهم أنهم جهلوا وأنهم يطلبون الحق، يكون لهم حكم الآخرة عند الله، الله يتولى حسابهم، كأهل الفترات، قد يمتحنون يوم القيامة، نسأل الله العافية، وقد

بين الله سبحانه أن أكثرهم لا يعقل ولا يفهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:٣٠] وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

فالطاعات من شعب الإيمان، والمعاصي من شعب الكفر، وإن كان رأس شعب الكفر الجحود، ورأس شعب الإيمان التصديق، وأما ما يروى مرفوعاً إلى النبيﷺ أنه قال: «ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله، لا هم يدرون به، ولا هو يدري بنفسه»(١) فلا أصل له، وهو كلام باطل،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا من وضع المتصوفة، الملاحدة الضلال والجهلة الطَغام، هذا من وضعهم وأشباههم. أهـ.

* * *

فإن الجماعة قد يكونون كفاراً، وقد يكونون فساقاً يموتون على الفسق(٢)، وأما أولياء الله الكاملون فهم الموصوفون في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) باطل لا أصل له كما قال المؤلف.أهـ ألباني

(٢) قال شاكر: كلام الشارح هذا نقله ملا علي القاري في (الموضوعات ص٦٢ طبعة الهند) بشيء من الاختصار، ونسبه لبعضهم دون تعيين القائل، ونقله العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٩٤) عن القاري.أهـ

وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الآية، والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

وهم قسمان: مقتصدون، ومقربون، فالمقتصدون: الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح.

والسابقون: الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما أفترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته»[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبعضهم قد يشكل عليه قوله: «كنت سمعه» إلخ، وبعضهم يجره إلى وحدة الوجود، وأن المخلوق هو الخالق والعبد هو المعبود، فللملاحدة والصوفية وأهل وحدة الوجود في هذا الحديث كلام قبيح وشنيع، وأما أهل السنة

---

(١) صحيح لإخراج البخاري إياه، وإسناده قوي لغيره، له طرق وشواهد عدة، خرجتها في «الأحاديث الصحيحة» (١٦٤٠) لكن لفظ المبارزة ليس عند البخاري، وإنما هو عند غيره من حديث أبي أمامة بسند فيه ضعيفان، كما بينته هناك. اهـ ألباني

والجماعة فليس عندهم في هذا البحث أي إشكال، كسائر الأحاديث التي فيها الصفات.

ويبين الرسول ﷺ شناعة معاداة أوليائه وأهل طاعته، وأن معاداة المؤمنين وظلمهم وإيذاءهم في الحقيقة محاربة لله، فيدل ذلك على وجوب موالاة المؤمنين و محبتهم والتعاون معهم على الخير، والحذر من إيذائهم وظلمهم، ويبين الحديث أنه ما تقرب أحد إلى الله بأحب ولا بأفضل من أداء الفرائض وترك المحارم، وهذا يرد على كثير من الناس، تجدهم نشيطين في النوافل ضعيفين في الفرائض، وهذا من الجهل، فما تقرب عبد إلى الله بشيء أحب إليه من أداء فرائضه، وهي ترك المحارم وأداء الفرائض، هذا أحب شيء إلى الله أن تؤدي فرائضه من صلاة وصوم ونحو ذلك، ومن الفرائض ترك المحارم، فإن ترك ما حرم الله فرض، والكف عن ذلك فرض، ثم بعد هذا يأتي أمر النوافل.

و مما يشكل في ذلك على بعض الناس و يجره الملاحدة إلى تفاسير خطيرة خاطئة قوله: «كنت سمعه» إلى آخره، فليس المراد أن الرب هو سمع الإنسان وبصره إلى آخره، يعقل هذا كل مؤمن وكل من يفهم اللغة العربية، وإنما المراد من هذا تسديده وتوفيقه له وعنايته به وهدايته له وإرشاده له، حتى تكون هذه الحواس موفقة مسددة بعيدة عما يغضب الله عز وجل، وقد فسر هذا بالرواية الأخرى: «**فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي**» فتكون حركاته وتصرفاته موفقة في الله، فلا يعقل أحد أن يكون المراد أن الرب عز وجل صار هو السمع وهو البصر وهو اليد، ولكن أهل الكفر والضلال وأهل الانحراف وسوء الفهم عن الله يقولون في النصوص ما لا يقوله عاقل، ولا يفهمه من يعقل ما يقول، نسأل الله السلامة.

وما وقع في الحديث في آخره: «**وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن**» هذا شيء يليق بالله، يدل به سبحانه على محبته لعبده المؤمن وكراهته لكل ما يؤذيه، ولكن الأمور التي لابد منها لابد منها، ولهذا قد يصيبه بعض الأذى كما جرى للنبي ﷺ في أحد وللصحابة، وهم رؤوس الأولياء وهم القمة في مسألة الولاية، ما هنا أحد أفضل منهم، أفضل الأولياء الرسل، ثم يليهم أتباعهم الصادقون، وعلى رأس الرسل محمد عليه الصلاة والسلام، ومع هذا جرى عليه ما جرى في يوم أحد من كسر رباعيته وكسر البيضة على رأسه وإدماء وجهه الشريف وسقوطه في بعض الحفر التي هناك، إلى غير هذا مما وقع له وللصحابة، فليس هذا لهوانهم على الله، لا، هم أعزة على الله، ولكن ليبتليهم بالسراء والضراء، وليكونوا قدوة لغيرهم ويتأسى بهم من بعدهم، وليعلم العبد أنه مهما بلغ من الفضل فلن يخرج عن طبيعة البشر وما يصيب البشر، فأولياء الله وإن كانوا أعز خلقه عليه، لكن ليس معناه أنهم معصومون من كل شيء، وأنهم محفوظون من كل شيء، لا يصيبهم مرض ولا يصيبهم جرح ولا يصيبهم كذا ولا تقع منهم سيئة، ولكن الله يسددهم ويوفقهم ويعينهم ويبتليهم، ومن ذلك الموت، فهو يعمهم ويعم غيرهم. أهـ.

* * *

والولي: خلاف العدو، وهو مشتق من الولاء وهو الدنو والتقرب، فولي الله: هو من والى الله بموافقته محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته، وهؤلاء كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ قال أبو ذر رضي الله عنه: لما نزلت الآية، قال النبي ﷺ:

«يا أبا ذر، لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم»(١)،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي وجه تصحيح الحاكم وإقرار الذهبي يمكن أن فيه قولاً آخر للأئمة؛ أن أبا السليل لقي أبا ذر، فإذا كان قاله بعضهم فهذا هو وجه التصحيح، سواء صح هذا الحديث عن أبي ذر أو لم يصح فالآية جامعة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] جامعة، لأنها جمعت خير الدنيا والآخرة، والتقوى جماع الدين، فالمتقي لله هو الذي أدى فرائضه وترك محارمه، فمن اتقى الله جعل الله له مخرجاً في الدنيا والآخرة، مخرجاً من مضايق الدنيا ومخرجاً من مضايق الآخرة، وأعظم المضايق مضايق الآخرة، كما يكون من الأهوال يوم القيامة، فإذا كان ينجو من المضايق ويرزق من حيث لا يحتسب؛ فماذا بقي عليه؟

فهي جامعة لخير الدنيا والآخرة كما في هذا الحديث. أهـ.

* * *

فالمتقون يجعل الله لهم مخرجاً مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع الله عنهم المضار، ويجلب لهم المنافع، ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها، من المكاشفات والتأثيرات.

قوله: (وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن).

ش: أراد أكرم المؤمنين هو الأطوع لله والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وفي

---

(١) ضعيف، رواه أحمد والحاكم بسند فيه انقطاع. أهـ ألباني

قال شاكر: رواه بنحوه الإمام أحمد مطولاً، كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٣٨٨.

السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض ـ: إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب»(١).

وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر، وترجيح أحدهما على الآخر، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة في نفسها، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان، لا بفقر ولا غنى، ولهذا - والله أعلم - قال عمر رضي الله عنه: الغنى والفقر مطيتان، لا أبالي أيهما ركبت(٢).

والفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ الآية، فإن استويا ـ الفقير الصابر والغني الشاكر ـ في التقوى، استويا في الدرجة، وإن فضل أحدهما فيها فهو الأفضل عند الله، فإن الفقر والغنى لا يوزنان، وإنما يوزن الصبر والشكر.

ومنهم من أحال المسألة من وجه آخر: وهو أن الإيمان نصف صبر ونصف شكر، فكل منهما لا بد له من صبر وشكر، وإنما أخذ الناس فرعاً من الصبر وفرعاً من الشكر، وأخذوا في الترجيح، فجردوا غنياً منفقاً

---

(١) صحيح، ولكن عزوه للسنن وهم، فإنه لم يروه أحد منهم، وإنما هو في مسند الإمام أحمد، وقد كنت توقفت فيه قبل سنين، ثم يسر الله تعالى لي جمع كثير من طرقه، وحققت الكلام عليها، فتبين لي أنه صحيح بمجموعها، وأودعت تفصيل ذلك في الموضع المشار إليه، وعليه استجزت إيراده في كتابي الكبير «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (١٧٨٠).أهـ ألباني.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١١/ ١٢٣.

«يا أبا ذر، لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم»(١)،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي وجه تصحيح الحاكم وإقرار الذهبي يمكن أن فيه قولاً آخر للأئمة؛ أن أبا السليل لقي أبا ذر، فإذا كان قاله بعضهم فهذا هو وجه التصحيح، سواء صح هذا الحديث عن أبي ذر أو لم يصح فالآية جامعة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] جامعة، لأنها جمعت خير الدنيا والآخرة، والتقوى جماع الدين، فالمتقي لله هو الذي أدى فرائضه وترك محارمه، فمن اتقى الله جعل الله له مخرجاً في الدنيا والآخرة، مخرجاً من مضايق الدنيا ومخرجاً من مضايق الآخرة، وأعظم المضايق مضايق الآخرة، كما يكون من الأهوال يوم القيامة، فإذا كان ينجو من المضايق ويرزق من حيث لا يحتسب؛ فماذا بقي عليه؟

فهي جامعة لخير الدنيا والآخرة كما في هذا الحديث. أهـ.

* * *

فالمتقون يجعل الله لهم مخرجاً مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع الله عنهم المضار، ويجلب لهم المنافع، ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها، من المكاشفات والتأثيرات.

قوله: (وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن).

ش: أراد أكرم المؤمنين هو الأطوع لله والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وفي

(١) ضعيف، رواه أحمد والحاكم بسند فيه انقطاع. أهـ ألباني

قال شاكر: رواه بنحوه الإمام أحمد مطولاً، كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٣٨٨.

السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض ـ: إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب»[(١)].

وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر، وترجيح أحدهما على الآخر، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة في نفسها، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان، لا بفقر ولا غنى، ولهذا - والله أعلم - قال عمر رضي الله عنه: الغنى والفقر مطيتان، لا أبالي أيهما ركبت[(٢)].

والفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ الآية، فإن استويا ـ الفقير الصابر والغني الشاكر ـ في التقوى، استويا في الدرجة، وإن فضل أحدهما فيها فهو الأفضل عند الله، فإن الفقر والغنى لا يوزنان، وإنما يوزن الصبر والشكر.

ومنهم من أحال المسألة من وجه آخر: وهو أن الإيمان نصف صبر ونصف شكر، فكل منهما لا بد له من صبر وشكر، وإنما أخذ الناس فرعاً من الصبر وفرعاً من الشكر، وأخذوا في الترجيح، فجردوا غنياً منفقاً

---

(١) صحيح، ولكن عزوه للسنن وهم، فإنه لم يروه أحد منهم، وإنما هو في مسند الإمام أحمد، وقد كنت توقفت فيه قبل سنين، ثم يسر الله تعالى لي جمع كثير من طرقه، وحققت الكلام عليها، فتبين لي أنه صحيح بمجموعها، وأودعت تفصيل ذلك في الموضع المشار إليه، وعليه استجزت إيراده في كتابي الكبير «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (١٧٨٠).أهـ ألباني.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١١/ ١٢٣.

متصدقاً باذلاً ماله في وجوه القرب شاكراً لله عليه، وفقيراً متفرغاً لطاعة الله ولأداء العبادات صابراً على فقره.

وحينئذ يقال: إن أكملهما أطوعهما وأتبعهما، فإن تساويا تساوت درجتهما، والله أعلم، ولو صح التجريد، لصح أن يقال: أيما أفضل معافى شاكر، أو مريض صابر، أو مطاع شاكر، أو مهان صابر، أو آمن شاكر، أو خائف صابر؟ ونحو ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كلام طيب، وهذه الحقيقة مثل ما قال المؤلف: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات:١٣] فمن كان أتقى لله وأكمل للعبادة والعمل الصالح كان أفضل عند الله، سواء كان مبتلى بالفقر أو بالغنى، ولهذا لما جاء الفقراء وسألوا النبي ﷺ وقالوا: ذهب أهل الدثور بالأجور، لأن لهم فضلاً من المال، قال: «**ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين**» ففعلوا، ثم جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال ففعلوا مثلنا، فقال النبي ﷺ: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**»(١) فالمسابقة على الخيرات فضل الله. أهـ.

قوله: (والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، من الله تعالى).

---

(١) رواه البخاري (٨٤٣) كتاب الأذان / باب الذكر بعد الصلاة،و (٦٣٢٩) كتاب الدعوات / باب الدعاء بعد الصلاة، ومسلم (٥٩٥) كتاب المساجد / باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ش: تقدم أن هذه الخصال هي أصول الدين، وبها أجاب النبي ﷺ في حديث جبرائيل المشهور المتفق على صحته، حين جاء إلى النبي ﷺ على صورة رجل أعرابي، وسأله عن الإسلام؟ فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»[(١)] وسأله عن الإيمان؟ فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره» وسأله عن الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وقد ثبت كذلك في الصحيح عنه ﷺ: أنه كان يقرأ في ركعتي الفجر تارة بسورتي الإخلاص: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص، وتارة بآيتي الإيمان والإسلام: التي في سورة البقرة: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، والتي في آل عمران: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية[(٢)] وفسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس، المتفق على صحته، حيث قال لهم: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم»[(٣)] ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وقد تقدم الكلام على هذا.

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم. أهـ ألباني.

(٢) مسلم، وهو في «صفة الصلاة» ص (٩٢). أهـ ألباني.

(٣) متفق عليه. أهـ ألباني.

والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي حديث جبرائيل ما يبين أن هذه الأصول تتعلق بالإيمان بالقلب، تتعلق بتصديق القلب واعترافه وإقراره، والأعمال الظاهرة تتعلق بأركان الإسلام الظاهرة، فكل ما يتعلق بالظاهر فهو أَمَسُّ بالإسلام، لأنه يدل على الخضوع والذل والانقياد، فما كان من الأعمال الظاهرة فهو ألصق بالإسلام، وما كان من الأعمال الباطنة فهو ألصق بالإيمان، ولهذا ذكر أصول الإيمان ستة كلها تتعلق بالقلب «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**» وذكر أصول الإسلام خمسة وكلها تتعلق بالظاهر «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت**» فلما ذكر هذا وهذا علم أنه لابد من ذا وذا، لابد من الإيمان الباطن حتى يخلص من صفات أهل النفاق، ولا بد من الإسلام الظاهر حتى يخلص من صفات الكفار والمعرضين المنافدين والمعاندين، فبإسلامه الظاهر يفارق الكفار من أهل الأوثان وغيرهم، وبإيمانه الباطن يفارق المنافقين الذين قالوا بأفواههم ونطقوا بألسنتهم وعملوا بظواهرهم ما ليس في قلوبهم، فصاروا بذلك من أهل الدرك الأسفل من النار نعوذ بالله، بتكذيبهم في الباطن وإنكارهم ما جاء به الرسول باطناً، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ

إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝﴾ [البقرة:٨-١٠] لأنهم قالوا آمنا وهم كاذبون، وقرئ «بما كانوا يُكذِبون» والأظهر التخفيف، لأن الله حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ وليس الأمر كذلك، بل هم غير مؤمنين، فكذبهم الله بقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ هذا يدل على أن العقوبة أصابتهم وتوعدوا بها بسبب كذبهم، حيث قالوا وزعموا أنهم مؤمنون وأنهم مسلمون، والحقيقة خلاف ذلك، فالإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، إذا اجتمعا افترقا، فالإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة كما في حديث جبريل، فإذا انفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ولهذا قال لوفد عبد القيس: «**آمركم بالإيمان**» وفسره لهم بالإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن يؤدوا الخمس»[1] وذكر في حديث أبي هريرة في الصحيحين «**الإيمان بضع وسبعون - أو قال - بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[2] فبين هنا أن الإسلام والإيمان يجتمعان، عند انفراد مثل الإيمان أو عند انفراد مثل الإسلام يدخل فيه الآخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] فهو يشبه موضوع الفقير والمسكين، عند الاجتماع يفترقان وعند الافتراق يجتمعان، هذا هو الصواب عند أهل السنة والجماعة.

وقال بعض أهل السنة إنهما شيء واحد، فالإيمان هو الإسلام

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

(٢) متفق عليه، وقد تقدم.

والإسلام هو الإيمان، ولكن الصواب التفرقة كما دل عليه حديث جبرائيل من رواية عمر ومن رواية أبي هريرة. أهـ.

* * *

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ فنفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية - :

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «فنفي الإيمان» ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] الرب جل وعلا نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية وهي تحكيم الشريعة.

وإذا قيل «نفي الإيمان» يعني مبتدأ و«دل» خبره، نفي الإيمان دل على كذا وكذا. أهـ.

* * *

دل على أن هذه الغاية فرض على الناس،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ودل على أنها من الإيمان، فالشريعة من الإيمان، فعلم بذلك أن الأعمال داخلة في الإيمان، خلافاً للحنفية والمرجئة جميعاً، الأعمال داخلة في الإيمان

بالنص، ولهذا ينقص الإيمان ويزيد، ينقص الإيمان عند أهل السنة ويزيد، فالإيمان قول وعمل يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي، هكذا الإيمان عند أهل الحق، عند أهل السنة والجماعة أنه قول وعمل، قول القلب واللسان، قول القلب تصديقه واعترافه، وقول اللسان كذلك تصديقه واعترافه بالنطق، وعمل القلب والجوارح، عمل القلب بما يحصل منه من محبة وخوف ورجاء وإخلاص وخضوع، إلى غير هذا من أعمال القلوب، وعمل الجوارح بأدائها ما فرض عليها من صلاة وصوم وجهاد وغير ذلك، فهو قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، والآيات والنصوص في هذا واضحة، فهو يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصي، كلما ازداد المؤمن في طاعة الله وأداء حقه زاد إيمانه وكمل إيمانه، وبالغفلة والمعصية ينقص هذا الإيمان ويضعف حتى لا يبقى مع الإنسان إلا مثاقيل الذر، والله المستعان. أهـ.

❊ ❊ ❊

فمن تركها كان من أهل الوعيد ولم يكن قد أتى بالإيمان الواجب، الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب، ولا يقال إن بين تفسير النبي ﷺ الإيمان في حديث جبرائيل وتفسيره إياه في حديث وفد عبد القيس معارضة. لأنه فسر الإيمان في حديث جبرائيل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام، كما أن الإحسان متضمن للإيمان الذي قدم تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد عبد القيس، لأنه فسره ابتداء، لم يتقدم قبله تفسير الإسلام.

ولكن هذا الجواب لا يتأتى على ما ذكره الشيخ رحمه الله من تفسير الإيمان، فحديث وفد عبد القيس مشكل عليه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا إشكال، يقال كلام الطحاوي غلط، والحديث هو الصحيح وهو الجواب، وكلام الطحاوي وأشباهه أن الإيمان هو تصديق القلب فقط غلط، وهكذا قول من قال بقوله من المرجئة، كله غلط، والصواب ما دل عليه الكتاب والسنة، فالإشكال في كلامهم هم، هم الذين أشكلوا وهم الذين وقعوا في الإشكال وغلطوا، أما الآيات والأحاديث فليس فيها إشكال، لكن مقصوده بـ: أشكل، يعني لا ينطبق على قوله، فيكون قوله خطأ والحديث هو الصواب. أهـ.

* * *

ومما يسأل عنه: أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من الخصال الخمس التي أجاب بها النبي ﷺ في حديث جبرائيل المذكور، فلم قال إن الإسلام هذه الخصال الخمس؟ وقد أجاب بعض الناس بأن هذه أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده.

والتحقيق: أن النبي ﷺ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً، الذي يجب لله على عباده محضه على الأعيان،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «محضه» يعني خالصاً. أهـ.

* * *

فيجب على كل من كان قادراً عليه، ليعبد الله مخلصاً له الدين، وهذه هي الخمس، وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب مصالح، فلا يعلم وجوبها جميع الناس، بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية كالجهاد،

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما يتبع ذلك من إمارة، وحكم، وفتيا، وإقراء، وتحديث، وغير ذلك، وأما ما يجب بسبب حق الآدميين، فيختص به من وجب له وعليه، وقد يسقط بإسقاطه، من قضاء بإسقاطه، من قضاء الديون، ورد الأمانات والغصوب، والإنصاف من المظالم، من الدماء والأموال والأعراض، وحقوق الزوجة والأولاد، وصلة الأرحام، ونحو ذلك، فإن الواجب من ذلك على زيد غير الواجب على عمرو، بخلاف صوم رمضان وحج البيت والصلوات الخمس والزكاة، فإن الزكاة وإن كانت حقاً مالياً فإنها واجبة لله، والأصناف الثمانية مصارفها، ولهذا وجبت فيها النية، ولم يجز أن يفعلها الغير بلا إذنه، ولم تطلب من الكفار، وحقوق العباد لا يشترط لها النية، ولو أداها غيره عنه بغير إذنه برئت ذمته، ويطالب بها الكفار، وما يجب حقاً لله تعالى، كالكفارات، هو بسبب من العبد، وفيها معنى العقوبة، ولهذا كان التكليف شرطاً في الزكاة، فلا تجب على الصغير والمجنون عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى، على ما عرف في موضعه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب الذي عليه الجمهور أنها تجب على الصغير والمجنون، لأنها حق مالي، فهم داخلون في المطالبة بالحقوق المالية. أهـ.

* * *

وقوله: «والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، من الله تعالى» تقدم قوله ﷺ في حديث جبرائيل: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1] وقال تعالى:

---

(١) متفق عليه، على التفصيل المشار إليه قبل قليل. أهـ ألباني

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ الآية.

فإن قيل: فكيف الجمع بين قوله: ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ وبين قوله: ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾؟

قيل: قوله: ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ الخصب والجدب، والنصر والهزيمة، كلها من عند الله، وقوله: ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ أي ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه قرأ: ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ «وأنا كتبتها عليك».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والأحسن في هذا المعني أن يقال: كل من عند الله قضاءً وقدراً، الخصب والجدب والنصر والذل، هذا لا يكفي، هذا بعضه، بعض ما يقع، قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٧٨] يعني قضاءً وقدراً، قد سبق بها علم الله وقضاؤه وتقديره، ثم التفصيل بعد ذلك من جهة الأسباب، فما أصابك من حسنة فمن الله، هو الذي وفق لها وهدى لها ويسرها وساقها إليك، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩] يعني من أسباب نفسك من أجل معاصيك وسيئاتك وتفريطك وإضاعتك ونحو ذلك، فالأمور من الله قضاءً وقدراً، ومن العبد تسبباً في ذلك بسبب معاصيه

وأعماله السيئة وتفريطه وتقصيره أو غلوه وإفراطه، فما يقع في الدنيا وفي الآخرة ينسب إلى الله قضاءً وقدراً، وينسب إلى العبد كسباً وعملاً، فالعبد يعمل ويكسب ويفعل ويؤجر على الحسن، ويستحق العقاب على السيئ، وذلك كله سبق به علم الله وتقديره وكتابته سبحانه وتعالى. أهـ.

والمراد بالحسنة هنا النعمة، وبالسيئة البلية، في أصح الأقوال، وقد قيل: الحسنة الطاعة، والسيئة المعصية،و قيل: الحسنة ما أصابه يوم بدر، والسيئة ما أصابه يوم أحد.

والقول الأول شامل لمعنى القول الثالث، والمعنى الثاني ليس مراداً دون الأول قطعاً، ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه، مع أن الجميع مقدر، فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل، والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

وليس للقدرية أن يحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فإنهم يقولون: إن فعل العبد - حسنة كان أو سيئة - فهو منه لا من الله! والقرآن قد فرق بينهما، وهم لا يفرقون، ولأنه قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فجعل الحسنات من عند الله، كما جعل السيئات من عند الله، وهم لا يقولون بذلك في الأعمال، بل في الجزاء، وقوله بعد هذا: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ و﴿مِن سَيِّئَةٍ﴾ مثل قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وفرق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى الله، إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من أوجهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي

باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح: «والخير كله بيديك، والشر ليس إليك» أي: فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق -: فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفرداً قط، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ وإما أن يضاف إلى السبب، كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مقام يغلط فيه كثير من الناس، ولا يفهمه كثير من الناس، فالشر ليس إليه بمعنى أنه لا يخلقه سبحانه وتعالى شراً محضاً، ولا يتقرب إليه بالشر أيضاً، وليس من صفاته خلق الشر، وإنما يخلقه عن حكمة وعن غاية محمودة، وإن كان شراً بالنسبة إلى من أصيب به، فخلقه إبليس لحكمة بالغة، لامتحان العباد وبيان من يطيع ومن يعصي، وهكذا خلقه ما خلق من أفعال العباد من معاصيهم وسيئاتهم، هو بالنسبة إليه ابتلاء وامتحان وجزاء لهم على ما قد فرط منهم من معاص وسيئات وغفلة وإضاعة وإفراط وتفريط وغير ذلك، فهو خلقها لحكمة بالغة ومقاصد عظيمة وغايات محمودة، والعبد يذم على فعله ذلك وعلى اقترافه ذلك، فهي من حيث فعلها فعلها

لحكمة بالغة وغاية محمودة، ومن جنس وقوعها من المخلوق يذم عليها المخلوق، فهي شر بالنسبة إلى المخلوق لكونها معصية منه لله، وكونها مخالفة لأمره، ولكونها تسبب غضب الله عليه، فصارت شراً قبيحاً بالنسبة إليه. أهـ.

❊ ❊ ❊

وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل لله[1] من الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله تعالى، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة - يكون شراً كلياً عاماً، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيراً أو مصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام، وهذا مما يقتضي أنه لا يجوز أن يؤيد كذاباً عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين، فإن هذا شر عام للناس، يضلهم، فيفسد عليهم دينهم ودنياهم وأخراهم.

وليس هذا كالملك الظالم والعدو، فإن الملك الظالم لا بد أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه، وقد قيل: ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام[2]، وإذا قدر كثرة ظلمه، فذاك خير في الدين، كالمصائب، تكون كفارة لذنوبهم، ويثابون على الصبر عليه، ويرجعون فيه إلى الله، ويستغفرونه ويتوبون إليه، وكذلك ما يسلط عليهم من العدو.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ستون سنة بإمام ظالم خير من ليلة واحدة بلا إمام، هذا من كلام بعض الناس، وبعضهم يقول:

(١) بل لله فيه، زيادة «فيه» أوضح. ابن باز.

(٢) ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣٠/ ١٣٦، ومنهاج السنة النبوية ١/ ٥٤٨.

ستون عاماً من ملك ظلوم خير من ليلة واحدة من فتنة تدوم، والمقصود أن الله يدفع بالملك ـ وإن كان ظالماً ـ شراً كثيراً، من أمن البلاد واستقامة الأحوال وأمن الناس في دينهم ودنياهم إلى غير ذلك، وظلمه وإن كان يضر بعض الناس، لكن الله يدفع به شراً كثيراً أكبر. أهـ.

* * *

ولهذا قد يمكن الله كثيراً من الملوك الظالمين مدة، وأما المتنبئون الكذابون فلا يطيل تمكينهم، بل لا بد أن يهلكهم، لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.

وفي قوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه ولا يسكن إليها، فإن الشر كامن فيها، لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساؤوا إليه، فإن ذلك من السيئات التي أصابته، وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر.

ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لكن الذنوب هي لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الطعام والشراب، ليس كما يقوله بعض المفسرين: إنه قد هداه! فلماذا يسأل الهدى؟!

وإن المراد التثبيت، أو مزيد الهداية! بل العبد محتاج إلى أن يعلمه الله ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتركه من تفاصيل الأمور، في كل يوم، وإلى أن يلهمه أن يعمل ذلك، فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله مريداً للعمل بما يعلمه، وإلا كان العلم حجة عليه، ولم يكن مهتدياً، ومحتاج إلى أن يجعله قادراً على العمل بتلك الإرادة الصالحة، فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤاله سؤال تثبيت، وهي آخر الرتب، وبعد ذلك كله هداية أخرى، وهي الهداية إلى طريق الجنة في الآخرة، ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة، لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدعاء.

فيجب أن يعلم أن الله بفضل رحمته جعل هذا الدعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير، المانعة من الشر، فقد بين القرآن أن السيئات من النفس، وإن كانت بقدر الله، وأن الحسنات كلها من الله تعالى، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يشكر سبحانه، وأن يستغفره العبد من ذنوبه، وألا يتوكل إلا عليه وحده، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، فأوجب ذلك توحيده، والتوكل عليه وحده، والشكر له وحده، والاستغفار من الذنوب.

وهذه الأمور كان النبي ﷺ يجمعها في الصلاة، كما ثبت عنه في الصحيح: أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «ربنا لك الحمد،

حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه[١] ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ماشئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قاله العبد، وكلنا لك عبد»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: زيادة «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» هذه أقرها ﷺ وندب إليها في هذا الكلام، أما الذي من فعله «ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد» إلى آخره، فالزيادة «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» فاتت على الشارح أنها ليست من فعله ولكنها من قوله، يعني مِن قوله الذي يتضمن الثناء على هذا الشيء، وأن الله رضيه وأحبه من العبد حتى صار بضعة وثلاثون ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً[٣]، ولا نعلم أنه جاء في السنن والروايات أنه كان يقولها عليه الصلاة والسلام، إنما جاء الثناء وهذا الفضل العظيم فيها، وربما يكون المؤلف وقف على شيء في هذا من الفعل، ربما، لكن المعروف من هذا أنه كلام الرجل الذي حمد الله بهذه المحامد، فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك.

وفي ضمن ذلك الهداية إلى كل خير، فإن الهداية إلى الصراط المستقيم، صراط المنعم عليهم، مضمونه الهداية إلى كل ما ينفعنا

---

(١) البخاري، لكن ليس من فعله ﷺ، بل إنه سمع رجلا يقول ذلك، فقال ﷺ: «لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً» انظر كتابي «صفة الصلاة» ص (١١٩). أهـ ألباني

(٢) صحيح متفق عليه، وهو حديث آخر، والمصنف دمجه بالأول، فأوهم أنهما حديث واحد، انظر المصدر الآنف الذكر. أهـ ألباني

(٣) رواه البخاري (٧٩٩) كتاب الأذان / باب: من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه.

وصرف كل ما يضرنا، فمن هدي إلى الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم فقد وفق إلى الخيرات وصرفت عنه الشرور، وفاز بما يوصله إلى دار الكرامة.

والهداية فيها أنواع: هداية مطلقة تشمل الهداية إلى الصراط دلالة، وإلى تفصيل الهداية وما يحتاج إليه، وإلى إعانة وإلى تحريك الإرادة وإلى منح القدرة إلى غير ذلك، فمن رزقه الله الهداية الكاملة أعانه ويسر أمره ونشطه على إرادة الخير ووفقه للتفاصيل في ذلك، وما يدفع عنه الشر وما يعينه على الخير وما يثبته عليه، فالهداية المطلقة تتضمن أموراً كثيرة، ولهذا ينبغي للعاقل، ينبغي للمؤمن عند هذا الدعاء أن يستحضر شدة حاجته إليه، وأنه في أشد الضرورة إلى أن يهديه مولاه إلى الصراط المستقيم هداية كاملة، فيها العلم وفيها التفصيل وفيها التوجيه وفيها الإعانة على فعل الخير وفيها شرح الصدر له وفيها صرف الموانع المضادة، إلى غير ذلك، والله المستعان. أهـ.

❊ ❊ ❊

فهذا حمد، وهو شكر لله تعالى، وبيان أن حمده أحق ما قاله العبد، ثم يقول بعد ذلك: «لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» وهذا تحقيق لوحدانيته، لتوحيد الربوبية، خلقاً وقدراً، وبداية ونهاية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وتوحيد الإلهية، شرعاً وأمراً ونهياً، وإن العباد وإن كانوا يعطون جداً: ملكاً وعظمة وبختاً ورياسة، في الظاهر، أو في الباطن، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، فلا ينفع ذا الجد منك الجد، أي لا ينجيه ولا يخلصه، ولهذا قال: لاينفعه منك، ولم يقل ولا ينفعه عندك، لأنه لو قيل ذلك أوهم أنه لا يتقرب به إليك، لكن قد لا يضره، فتضمن

هذا الكلام تحقيق التوحيد، أو تحقيق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: أو تحقيق قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ الألف في ـ أو ـ ما لها معنى، تحقيق التوحيد تحقيق لقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ لعل الألف زائدة، فهو يحقق هذا وهذا جميعاً، فإن تحقيق توحيد الربوبية يحقق توحيد الإلهية ويقرره، وأنه المستحق للعبادة سبحانه وتعالى.

وأن العباد وإن كانوا يعطون جداً: ملكاً وعظمة وبختاً ورياسة، في الظاهر، أو في الباطن، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، مقصوده أصحاب المكاشفات إذا كانوا مهتدين وكانوا على الصراط المستقيم، قد يرزقهم الله العلم والبصيرة والهداية والفراسة ما يعينهم على أمر الدنيا والآخرة، أما المكاشفات الشيطانية فهي بلاء ونقمة، نسأل الله العافية، والمكاشفات المراد بها الخير، وعلى فرض أنهم يعطون المكاشفات الشيطانية، قد تنفعهم في الدنيا، فهي ضرر عليهم عاجلاً وآجلاً، نسأل الله العافية، ولا تنفعهم عند الله إن لم يوفقوا للهداية «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» هذا الجد الذي سمي مكاشفة أو قدرة على بعض الأشياء، لا تنفعه عند الله إذا لم تعنه على طاعة الله، ولا تغني صاحبها من الله، وهكذا المكاشفات الصحيحة والكرامات للمؤمن، لا تغني صاحبها من الله إن لم يستعن بها على طاعته وهداية الإيمان.

والمكاشفات الذي يظهر أنها تنقسم إلى قسمين: قسم صالح وقسم

طالح، قسم لأهل الخير والإيمان، مثل ما يجري للملهمون «**إن يكن في أمتي مُحَدّث فهو عمر**»[(١)] فيكشف له أشياء مثل ما في قصة «**يا سارية الجبل**»[(٢)] فالمقصود أنه قد يقع لأهل الإيمان مكاشفات واطلاع على أشياء دقيقة يكشف الله لهم عنها تسمى فراسة وتسمى كرامة، وغير ذلك مما أوقع الله في قلوبهم من العلم والبصيرة والهداية، حتى استدلوا على أشياء مهمة بأشياء دقيقة وفقوا بها.

أما أولئك فمكاشفاتهم شيطانية وخوارقهم شيطانية من فعل الشياطين وما تجلبه إليهم وتنقله إليهم، ما عندهم بصيرة، إنما تنقل لهم الشياطين أشياء خفية فيخبون بها الناس بزعم أنها غيوب اطلعوا عليها، وإنما هي أشياء من أخبار الشياطين. أهـ.

❊ ❊ ❊

فإنه لو قدر أن شيئاً من الأسباب يكون مستقلاً بالمطلوب، وإنما يكون بمشيئة الله وتيسيره -: لكان الواجب أن لا يرجى إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يسأل إلا هو، ولا يستغاث إلا به، ولا يستعان إلا هو، فله الحمد وإليه المشتكى، وهو المستعان، وبه المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا به.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٩) كتاب فضائل الصحابة / باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) كتاب فضائل الصحابة / باب فضائل عمر رضي الله عنه، من حديث عائشة رضي الله عنها، ورواه اللالكائي ٩/ ٩٨ (٤١) سياق ما روي عن النبي ﷺ في تعظيم أولياء الله عز وجل.

(٢) رواه اللالكائي ٩/ ١٢٦ (٢٥)، وابن حجر الهيتمي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ١/ ٣١٤ وعزاه إلى البيهقي وأبي نعيم وابن الأعرابي والخطيب، وكذا في الصواعق المحرقة ١/ ٢٩٣، وتلبيس إبليس ٣٩٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣/ ١٠١.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا كان بمشيئة الله ما صار مستقلاً، ما هنا شيء مستقل، كل شيء بمشيئة الله، لكن لو فرضنا أن هناك شيئاً مستقلاً لكان الواجب أن يلجأ إلى الله، لأنه خالق تلك الأشياء وموجدها وقادر على التصرف فيها سبحانه وتعالى، وهو الذي جعلها مستقلة، لكن ما هنا شيء مستقل إلا بمشيئته، فالأقرب أن يقال: فإنه لو قدر أن شيئاً من الأسباب يكون مستقلاً بالمطلوب ولا يكون بمشيئة الله وتيسيره. أهـ.

❊ ❊ ❊

فكيف وليس شيء من الأسباب مستقلاً بمطلوب، بل لا بد من انضمام أسباب أخر اليه، ولا بد أيضاً من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يحصل المقصود، فكل سبب فله شريك، وله ضد، فإن لم يعاونه شريكه، ولم ينصرف عنه ضده -: لم يحصل مسببه، والمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جعل في البدن من الأعضاء والقوى، ومجموع ذلك لا يفيد إن لم تصرف عنه المفسدات.

والمخلوق الذي يعطيك أو ينصرك، فهو- مع أن الله يجعل فيه الإرادة والقوة والفعل -: فلا يتم ما يفعله إلا بأسباب كثيرة، خارجة عن قدرته، تعاونه على مطلوبه، ولو كان ملكاً مطاعاً، ولا بد أن يصرف عن الأسباب المتعاونة ما يعارضها ويمانعها، فلا يتم المطلوب إلا بوجود المقتضي وعدم المانع.

وكل سبب معين فإنما هو جزء من المقتضي، فليس في الوجود شيء

واحد هو مقتض تام، وإن سمي مقتضياً، وسمي سائر ما يعينه شروطاً - فهذا نزاع لفظي، وأما أن يكون في المخلوقات علة تامة تستلزم معلولها فهذا باطل.

ومن عرف هذا حق المعرفة انفتح له باب توحيد الله، وعلم أنه لا يستحق أن يسأل غيره، فضلاً عن أن يعبد غيره، ولا يتوكل على غيره، ولا يرجى غيره.

قوله: (ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به).

ش: الإشارة بذلك إلى ماتقدم، مما يجب الإيمان به تفصيلاً، وقوله: «لا نفرق بين أحد من رسله» إلى آخر كلامه ـ أي: لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض وكفر ببعض، كافر بالكل، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ فإن المعنى الذي لأجله آمن بمن آمن به منهم - موجود في الذي لم يؤمن به، وذلك الرسول الذي آمن به قد جاء بتصديق بقية المرسلين، فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين كان كافراً بمن في زعمه أنه مؤمن به، لأن ذلك الرسول قد جاء بتصديق المرسلين كلهم، فكان كافراً حقاً، وهو يظن أنه مؤمن، فكان من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يعلم أن اليهود مع أنواع الكفر التي وقعوا فيها، كفروا بإنكارهم نبوة عيسى وزعمهم أنه

ولد بغي، صاروا كفاراً بذلك، ثم جاء محمد ﷺ أيضاً فلم يؤمنوا به فكانوا كفاراً أيضاً بذلك، فصاروا كفاراً من جهة عدم إيمانهم بعيسى وعدم إيمانهم بمحمد عليه الصلاة والسلام.

والنصارى من أدرك منهم محمداً ﷺ فلم يؤمن به صار كافراً، لأنه آمن ببعض وكفر ببعض، فلا يتم الإيمان ولا يصلح الإيمان إلا بالجميع، من كذب ببعضهم وآمن ببعضهم فهو كافر حقاً، وهكذا من آمن ببعض ما جاء به محمد ﷺ وكفر ببعض، كمن آمن بالشهادتين وكفر بالصلاة أو بالصوم أو بالحج أو بالزكاة أو بالجهاد أو ما أشبه ذلك يكون كافراً حقاً، وكما أن من آمن ببعض المرسلين وكفر ببعض يكون كافراً؛ فهكذا من آمن ببعض ما جاءوا به وأنكر بعض ما جاءوا به. أهـ.

* * *

قوله: (**وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته، الذين خابوا من هدايته، ولم ينالوا من ولايته. اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به**).

ش: فقوله: «**وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون**» رد لقول الخوارج والمعتزلة، القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لكن الخوارج تقول بتكفيرهم، والمعتزلة

بخروجهم عن الإيمان، لا بدخولهم في الكفر، بل لهم منزلة بين منزلتين، كما تقدم عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

وقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد» تخصيصه أمة محمد، يفهم منه أن أهل الكبائر من أمة غير محمد ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع به، حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد، وفي ذاك نظر، فإن النبي ﷺ أخبر أنه: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»(١) ولم يخص أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقاً، فتأمله، وليس في بعض النسخ ذكر الأمة.

وقوله: «في النار» معمول لقوله: «لا يخلدون» وإنما قدمه لأجل السجعة، لا أن يكون في النار خبر لقوله: «وأهل الكبائر» كما ظنه بعض الشارحين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: القول بأنهم في النار ليس بمتعين، لأنه قد يعفى عن بعضهم لأسباب، لكن لو قال أهل الكبائر متوعدون بالنار أو مستحقون للنار صح الكلام، أما الجزم بأنهم في النار فلا، ولهذا نبه الشارح على أن قوله في النار متعلق بـ: «يخلدون»، وأهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون، يعني لا يخلدون في النار، وإن كان قد يعفى عن بعضهم، لكن من دخلها منهم لا يخلد، بل له نهاية، وهذا قول أهل السنة والجماعة قاطبة، إذا مات على الكبائر وليس بتائب فهو متوعد بالنار ومستحق لها، لكن لا يتعين دخولهم إياها، بل قد

(١) متفق عليه، وهو مخرج في «الظلال» (٨٤٩-٨٥٢). أهـ ألباني

يعفى عن بعضهم بأعمال صالحة كثيرة عملها، وبشفاعة بعض الشفعاء قبل دخول النار، لكن الجزم أنهم مستحقون لها، إذا أدخلهم إياها فقد أدخلهم سبحانه وتعالى بعدله وهم مستحقون لها بذنوبهم.

وكما قال الشارح: أراد بهذا الرد على الخوارج والمعتزلة، لأن المعتزلة والخوارج غلوا في هذا الأمر، إذ زعموا أن من دخل النار لا يخرج منها أبداً، من دخل النار لا يخرج منها أبداً عندهم، سواءً كنا حكمنا بكفره أم لا؟

ما دام من أهل الكبائر، مادام دخل النار بذنبه فلا يخلد فيها، واحتجوا بأشياء اشتبهت عليهم وظنوها عامة، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧] ومثل قوله جل وعلا: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة:٣٧] هذه في الكفرة، كلها في الكفرة ليست في العصاة، أما العصاة فقد جاءت فيهم أحاديث محكمة دالة على أنهم لا يخلدون ولا يكفرون أيضاً، وإن أطلق على بعضهم الكفر، فهو كفر دون كفر، ليس المراد الكفر الأكبر، فالمقصود أن أهل الكبائر الذين ماتوا على معاصيهم، على الزنا مثلاً أو على السرقة أو على عقوق الوالدين أو أحدهما أو ماتوا على الربا أو ماتوا على شهادة الزور، شهدوا بالزور وماتوا ولم يتوبوا، أو على أيمان فاجرة، أو على ظلم الناس في دم أو في مال أو في عرض ولم يتوبوا، هؤلاء هم أهل الكبائر، وهم لا يخلدون في النار عند أهل السنة والجماعة، بل لهم أمد ينتهون إليه ثم يخرجون منها، ولهذا تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة

خردل من إيمان، والرسول يشفع فيهم أربع شفاعات، يحد الله له حداً في كل شفاعة فيخرجهم من النار، ويشفع الأنبياء والمؤمنون والملائكة والأفراط، ثم تبقى بقية فيخرجهم الله من النار بغير شفاعة أحد، بل بمجرد رحمته سبحانه وتعالى، وهذا قول أهل الحق، هو قول الصحابة رضي الله عنهم أصحاب النبي ﷺ ومن سار على طريقهم من أئمة الهدى، ومن كفرهم كالخوارج فقد غلط وضل ضلالاً بعيداً، وهكذا من قال فيهم إنهم ليسوا بكفار ولكنهم مخلدون في النار كذلك كالمعتزلة، قد ضلوا في ذلك وأخطأوا.

وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد أن العاصي إذا دخل النار يميته الله إماتة[١]، يعني إماتة خاصة، وهذا من رحمة الله جل وعلا وإحسانه، وهذا ظاهره العموم في العصاة، وفي بعض الأحاديث إطلاق، قد يفهم منها أنهم يعذبون فيها وأن لهم حياة فيها بالنسبة إلى الإطلاق **«أخف الناس عذاباً يوم القيامة من يوضع على قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه، هو يرى أنه أشد الناس عذاباً وهو أهونهم عذاباً»**[٢] فإن هذا ظاهره يعم جميع أهل النار، يعني لا يخص الكفار، قال: **«أهون أهل النار عذاباً»** وهو من أهل النار مادام دخل فيها، نسأل الله السلامة، وفي بعضها: **«إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة من يكون له نعلان من نار**

---

(١) رواه مسلم (١٨٥) كتاب الإيمان / باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٢) كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار، ومسلم (٢١٣) كتاب الإيمان/ باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، والترمذي (٢٦٠٤) كتاب صفة النار/ باب: من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

يغلي منهما دماغه»[١] جاء في أبي طالب وجاء في غير أبي طالب، فالحاصل أنهم يعذبون، لكن تلك الموتة التي أراد الله لهم متى تكون؟

الله أعلم، قد تكون بعد عذاب طويل وقد تكون بعد عذاب قليل، الله أعلم، ثم يخرجون من النار ظبائر، كالفحم، يخرجون منها كأنهم الفحم، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل[٢]، نهر الحياة، هذا يبين أنهم يحيون فيه، في هذا النهر بعدما ماتوا وامتحشوا واحترقوا، إلا آثار السجود من ابن آدم، قد جاء في الحديث الصحيح **«إن الله حرم على النار آثار السجود»**[٣]. أهـ.

* * *

واختلف العلماء في الكبائر على أقوال، فقيل: سبعة، وقيل: سبعة عشر، وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه، وقيل: ما يسد باب المعرفة بالله، وقيل: ذهاب الأموال والأبدان، وقيل: سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها، وقيل: لا تعلم أصلاً، أو: أنها أخفيت كليلة القدر، وقيل: إنها إلى السبعين أقرب[٤]**، وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو**

(١) مسلم (٢١٣) كتاب الإيمان / باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٠) كتاب الرقاق / باب صفة الجنة والنار، ومسلم (١٨٥) كتاب الإيمان / باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٨٠٦) كتاب الأذان / باب فضل السجود، و (٦٥٧٣) كتاب الرقاق / باب الصراط جسر جهنم، و (٧٤٣٧) كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان / باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩١٧-١٩٢٠) ٦/ ١١٠٣، ١١٠٩ ما روي عن النبي ﷺ في الذنوب التي عدهن في الكبائر.

كبيرة، وقيل: **إنها ما يترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثل الأقوال.**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ما فيه حد في الدنيا أو وعيد كغضب ولعنة ونار؛ هذا يسمى كبيرة، وما سوى ذلك يسمى صغيرة، مالا حد فيه في الدنيا ولا وعيد في الآخرة ولا جاء مذكوراً بلعنة ولا بغضب ولا بنار، والحكمة في عدم تحديدها بنصوص واضحة للتحذير منها، لأن الشارع له حكمة عظيمة فيما قد يخفيه من الأشياء، مثل ليلة القدر، أخفيت في العشر الأواخر من رمضان ليجتهد المسلمون في العشر كلها رجاء هذه الليلة، وكساعة الجمعة ساعة الدعاء، ليجتهد المسلم في الدعاء، والساعة التي في الليل. أهـ.

❊ ❊ ❊

واختلفت عبارات السلف في تعريف **الصغائر: منهم من قال**: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة، **ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم** بلعنة أو غضب أو نار، **ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة**، والمراد بالوعيد: **الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة** الخاصة في الدنيا، أعني المقدرة، **فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب، وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على** غيره،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا عرف ضابط الكبيرة فما دونه صغيرة، وإذا كان ضابط الكبيرة فيه خلاف مشهور، علم

المؤمن أن الواجب عليه تجنب السيئات كلها والحذر منها كلها، أولاً: لأن الله نهى عنها.

ثانياً: المؤمن ينظر إلى عظم من عصى لا إلى المعصية نفسها، بل إلى عظم من عصى، وأنه جل وعلا جدير بأن يطاع وأن لا يعصى سبحانه وتعالى.

ثالثاً: لئلا تكون كبيرة وهو لا يشعر، فيحصل له بها من البلاء العظيم والعواقب الوخيمة ما لا يخطر بالبال، فالحزم كل الحزم في اجتناب المعاصي كلها دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، ولهذا جاء في الحديث «إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً»[١] وفي لفظ: «**فإنها تجتمع على العبد حتى تهلكه، ثم ضرب النبي ﷺ لهذا مثلاً بالقوم المسافرين، فينزلون منزلاً فيحضر صنيعهم ـ حاجتهم للطبخ ـ فيأتي هذا بالعود وهذا بالبعرة، ثم يوقدون ناراً ثم ينضجون عليها حاجتهم**»[٢] فالصغيرة مع الصغيرة، والصغيرة مع الصغيرة تجتمع حتى

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٣٥) كتاب الزهد / باب في ذكر الذنوب، من حديث عائشة رضي الله عنها وقال الحافظ في الفتح ١١/ ٣٢٩: أخرجه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود، وعند النسائي وابن ماجه عن عائشة، وصححه ابن حبان. انتهى وصححه الألباني في السلسلة ٦/ ٥٢١.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٨ باب فيما يحتقر من الذنوب: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح، غير عمران بن داور القطان وقد وثق. انتهى، هذا من رواية ابن مسعود رضي الله عنه، وأما من رواية سهل بن سعد فقد قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة. انتهى، قال الألباني في السلسة: صحيح ١/ ٧٤٤.

ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب جماع من تجوز شهادته ومن لا تجوز، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

تهلك العبد وهو لا يشعر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة، كالشرك، والقتل، والزنا، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

وترجيح هذا القول من وجوه: أحدها: أنه هو المأثور عن السلف، كابن عباس،و ابن عيينة،و ابن حنبل رضي الله عنهم، وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبعة، أو سبعة عشرة، أو إلى السبعين أقرب مجرد دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه يقتضي أن شرب الخمر، والفرار من الزحف، والتزوج ببعض المحارم، والمحرم بالرضاعة والصهرية، ونحو ذلك - ليس من الكبائر! وأن الحبة من مال اليتيم، والسرقة لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: ما سد باب المعرفة بالله، أو ذهاب الأموال والأبدان يقتضي أن شرب الخمر، وأكل الخنزير والميتة والدم، وقذف المحصنات - ليس من الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة: يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر! وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

ومن قال: إنها لا تعلم أصلاً، أو إنها مبهمة: فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره، والله أعلم.

وقوله: «وإن لم يكونوا تائبين» لأن التوبة لا خلاف أنها تمحو الذنوب، وإنما الخلاف في غير التائب.

وقوله: «بعد أن لقوا الله تعالى عارفين» لو قال: مؤمنين، بدل قوله: «عارفين» كان أولى، لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر، وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم، وقوله مردود باطل، كما تقدم، فإن إبليس عارف بربه ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وكذلك فرعون وأكثر الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى، وكأن الشيخ رحمه الله أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء، التي يشير اليها أهل الطريقة، وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر، بل هم سادة الناس وخاصتهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «التي يشير إليها أهل الطريقة» عبارة فيها نظر، فإن هذا يعبر به عن الصوفية، هذا كلام مجمل، لكن عذره لعله أراد بها بالمعرفة التامة، لعل مراده المعرفة التي تضمنت الإيمان، إذا ماتوا وهم عارفين بالله معرفة اقتضت إيمانهم به وتوحيدهم له سبحانه وتعالى، مثل ما تقدم في «الموحدون» فكلامه يفسر بعضه بعضاً، وهو ابتلي بهذه السجعات التي أوجبت له أشياء مما لا يحسن ذكرها. أهـ.

سؤال/ **أهل الطريقة يشيرون إلى أن المعرفة تسقط التكاليف ؟**

أجاب **سماحة الشيخ:** لا ليس مراده هذا، هؤلاء أهل الزيغ والإلحاد، ليسوا مراده، هذه الطريقة التي يعبرون بها عن الصوفية، والطريقة التي لعموم الناس لهم الشريعة الظاهرة، والصوفية لهم الحقيقة التي هي الطريقة الباطنة، ولكن لعل المراد غير هذا، لعل مراده طريقة الذين هم أهل الزهد والاستقامة وليس على طريقة الصوفية المذمومين، وقد يحمل على محمل آخر أسلم من هذا الشيء، فهم أهل الطريقة المحمودة، أهل السنة والجماعة، لا أهل الزيغ وأهل التصوف، والعبارة فيها إيهام. أهـ.

سؤال/ **الشيخ ابن تيمية رحمه الله في كتاب الفرقان وجدت أنه يثني على الجنيد مع أنه من رؤساء الصوفية!.**

أجاب **سماحة الشيخ:** الجنيد وأبو سليمان الداراني أهل خير، ليسوا من أهل الصوفية المذمومين، لأنهم قالوا: علمنا مقيد بالكتاب والسنة. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقوله: «وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله» إلى آخر كلامه - فصل الله تعالى بين الشرك وغيره لأن الشرك أكبر الكبائر، كما قال ﷺ، وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور، وعلق غفران ما دونه بالمشيئة، والجائز يعلق بالمشيئة دون الممتنع، ولو كان الكل سواء لما كان للتفصيل معنى، ولأنه علق هذا الغفران بالمشيئة، وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به، غير معلق بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فوجب أن يكون الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك بالله قبل التوبة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله المؤلف هو قول أهل السنة والجماعة قاطبة، قول أهل السنة والجماعة جميعاً، وأجمع أهل العلم والإيمان على أن الشرك لا يغفر لمن مات عليه، من مات على الشرك لا يغفر له، لأن الله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨] فجزم سبحانه بعدم مغفرة الشرك ولم يعلق، بل قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨] فدل على أن من مات على الشرك لا يغفر له، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] فعلم أن الشرك إذا مات عليه العبد فعمله حابط، والمغفرة ممتنعة في حقه محرمة عليه، نسأل الله العافية، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] هذا يدل على أن ما دون الشرك فهو معلق بالمشيئة، قد يغفر وقد لا يغفر، وهذا في حق من مات غير تائب، من مات على المعاصي لم يتب منها، فهذا

معلق أمره بالمشيئة، إن شاء الله غفر له فضلاً منه سبحانه وتعالى لإسلامه وما معه من العمل الصالح والتقوى لله، وإن شاء عذبه على قدر الجريمة التي مات عليها، وهو سبحانه أعلم بمقادير تلك الجرائم وعقوباتها، والجرائم أنواع: منها الزنا ومنها اللواط ـ والعياذ بالله ـ ومنها شرب المسكر ومنها شهادة الزور ومنها العقوق للوالدين أو أحدهما ومنها قطيعة الرحم واليمين الكاذبة والدعاوى الباطلة وظلم الناس في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم وقذف المحصنات الغافلات وقتل النفس بغير حق وأكل الربا، كل هذه معاصٍ، إذا كان لم يستحلها، فعلها ويعلم أنها معاص، فعلها ويعلم أنه عاصٍ بها وأنه مجرم وأنه مذنب، ولم يستحلها، فهذا يدخل تحت مشيئة الله إذا مات على ذلك، إن شاء الله غفر له لإسلامه وإيمانه وما معه من خير وعمل صالح، وإن شاء عذبه وقد توعده بالعذاب، وكثير من العصاة لا يغفر لهم بل يعذبون، جاءت النصوص دالة على أن كثيراً منهم يعذبون في النار على قدر معاصيهم، ثم يخرجون منها بعد ذلك حسب ما يشاء سبحانه وتعالى، ثم يلقون في نهر الحياة، يخرجون ـ كما قال في آخر الحديث ـ ظبائر ظبائر، يعني جماعات جماعات، قد احترقوا كالحمم، كالفحم، نسأل الله العافية، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبة في حميل السيل[1]، ثم بعد أن يتم خلقهم يدخلهم الله الجنة، وقد يشفع فيهم الشفعاء مثل الملائكة والأنبياء والمؤمنين والأفراط، يشفعون في أهل المعاصي بعد دخولهم النار، والنبي ﷺ أيضاً يشفع شفاعات عديدة في أهل المعاصي، فيحد الله له حداً غير مرة فيخرجهم من النار، ثم يبقى بقية من أهل

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقد تقدم.

المعاصي في النار لم تنلهم الشفاعات ولم تحط بهم الشفاعات، فيخرجهم الله فضلاً منه جل وعلا لم يعملوا خيراً قط، إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله، إلا أنهم من الموحدين، فيدخلهم الجنة بعد ذلك، بعدما عذبهم سبحانه العذاب الذي اقتضته حكمته وعدله سبحانه وتعالى، فهذا معنى قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] وهذا إجماع أهل السنة والجماعة، خلافاً للمعتزلة والخوارج.

أما الطائفتان المعتزلة والخوارج، فيقولون: من دخل النار لا يخرج منها، فالعصاة مخلدون في النار عندهم، عندهم أن العاصي مخلد في النار، إذا مات على الزنا ولم يتب يخلد في النار، إذا مات على العقوق يخلد في النار، إذا مات على الربا يخلد في النار، ولو ما استحله، هذا قول هاتين الطائفتين من الخوارج والمعتزلة، وقد أنكر عليهم أهل السنة ذلك، وصاحوا بهم ونددوا بهم وبينوا خطأهم وضلالهم في هذا الأمر.

أما التائبون فيغفر لهم، من تاب تاب الله عليه، الشرك وما دونه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الزمر:٥٣] يعني بالمعاصي أو بالشرك: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر:٥٣] ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ ﴾ يعني لا تيأسوا من رحمة الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ يعني يغفرها للتائبين، أجمع أهل السنة وأجمع علماء التفسير على أنها في التائبين، هذه الآية آية الزمر في التائبين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ المسرفين في المعاصي: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ يعني لا تيأسوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] ثم

قال بعده: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر:٥٤] يعني بعد التوبة أنيبوا واستقيموا على طاعة الله والله يغفر الذنوب سبحانه وتعالى، ومن تاب توبة صادقة بالندم على الذنوب الماضية والإقلاع منها والعزم ألا يعود فيها ورد المظالم لأهلها تاب الله عليه وعفا عنه سبحانه وتعالى إذا كان صادقاً، فعليه أن يستقبل أمره وأن ينيب إلى الله بالعمل الصالح ويجتهد، فهذه في التائبين، وآية النساء في غير التائبين، آية النساء قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] هذه آية النساء، بين أن الشرك لا يغفر له ولم يعلقه، بل قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨] فلم يعلق، ثم جعل ما دونه تحت المشيئة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] فجعل ما دون الشرك معلقاً بالمشيئة، فهذا في غير التائبين، إذا ماتوا على غير التوبة، ماتوا على الشرك أو على ما دونه، فإن كانوا على الشرك فلا مغفرة لهم والجنة عليهم حرام، نعوذ بالله، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢] وما دون ذلك فهو معلق بالمشيئة، إذا كان مات على المعاصي وهو غير مستحل لها، يعني غير معتقد حلها له، بل مات وهو يعلم أنه عاصٍ وأنه مخطئ وأنه مذنب، ولكن غلب عليه الهوى والشيطان، فهذا هو الذي تحت مشيئة الله، أما الذي يرى أن الزنا حلال فهذا كافر، نعوذ بالله، الذي يستحل الزنا أو اللواط أو المسكر، هذا يكون كافراً مرتداً، إذا مات على هذا يكون مخلداً في النار، نعوذ بالله، هذا مخلد في النار عند أهل السنة جميعاً، بإجماع أهل السنة والجماعة، وهكذا من استحل عقوق الوالدين أو

استحل قطيعة الرحم أو استحل الربا وقال إنه حلال، يكون كافراً مرتداً، نعوذ بالله، نسأل الله العافية.

هذه مسائل عظيمة يجب أن تلاحظ وأن تكون على البال. أهـ.

سؤال/ بالنسبة للشرط الأخير من شروط التوبة الذي هو رد المظالم، يقول: أنا فقير لا أستطيع أن أرد المظالم ممن كان سرق مثلاً؟

أجاب سماحة الشيخ: يستحله منها، فإذا عجز عن ذلك فالله يعلم تمام عزمه، إذا عزم على ذلك عفا الله عنه، إذا عجز عنها ولم يسمحه عنك فالله يسامحك، إذا صدق في التوبة، لأن العاجز الصادق كالراد. أهـ.

سؤال/ فوائد الربا بعضهم يعتبرها ليست ربا.

أجاب سماحة الشيخ: هذا غلط، هذا منكر، هذا منكر خلاف قول أهل السنة والجماعة قاطبة، فوائد الربا ربا ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٩]. أهـ.

سؤال/ هل هذا يدخل في معنى استحلال الربا ؟

أجاب سماحة الشيخ: يبين له الحكم إذا كان جاهلاً، فإذا أصر على أن فوائد الربا جائزة فهذا استحلال منه، إذا قال إنه يجوز له أن يرابي، وإذا حل الدين قال له مثلاً: أنا أمهلك كذا وعليك زيادة كذا، أو يبيعه الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين. أهـ.

سؤال/ هم لا يقولون هذا ربا مباشرة، وإنما يقولون هذه أجرة العاملين من كتبة ومن إدارة؟

أجاب سماحة الشيخ: الربا الصريح ردة عن الإسلام، أما الذي فيه شبهة يبين لهم. أهـ.

* * *

وقوله: «**ذلك أن الله مولى أهل معرفته**» **فيه مؤاخذة لطيفة، كما تقدم.**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لو قال تولى أهل الإيمان منهم، لأن المعرفة لا تكفي كما تقدم، فإبليس يعرف ربه وفرعون يعرف ربه ولكن لا تنفعهم المعرفة، إنما الذي ينفع الإيمان، فهذا تسامح من المؤلف مثل ما تقدم، ما كل عارف ناجياً، الذي ينفع الإيمان الصادق الذي يثمر العمل، أما المعرفة فاليهود تعرف ربها والكافر يعرف ربه وإبليس يعرف ربه ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص:٨٢] ومع هذا هو من المخلدين في النار، نعوذ بالله، معرفة ما معها إيمان وتقوى ما تنفع، نسأل الله العافية، ولو كان أعلم الناس، بلعام[1] يعرف ربه وانسلخ من آيات الله بسبب إيثاره الهوى والدنيا. أهـ.

* * *

قوله: «**اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكناً بالإسلام**» **وفي نسخة: «ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به» روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق، بسنده عن أنس رضي الله عنه، قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول: «يا ولي الإسلام وأهله، مسكني بالإسلام حتى**

(١) انظر ترجمته في تفسير ابن كثير عند قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ سورة الأعراف، آية: ١٧٥.

ألقاك عليه»[١] ومناسبة ختم الكلام المتقدم بهذا الدعاء ظاهرة. وبمثل هذا الدعاء دعا يوسف الصديق صلوات الله عليه، حيث قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وبه دعا السحرة الذين كانوا أول من آمن بموسى صلوات الله على نبينا وعليه، حيث قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ومن استدل بهاتين الآيتين على جواز تمني الموت فلا دليل له فيه، فإن الدعاء إنما هو بالموت على الإسلام، لا بمطلق الموت، ولا بالموت الآن، والفرق ظاهر.

قوله: (ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم).

ش: قال ﷺ: «صلوا خلف كل بر وفاجر»[٢] رواه مكحول عن

---

(١) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (ق/ ١٥٠/ ١) رواه من طريق الطبراني بسنده عن أنس بن مالك به، وهو إسناد جيد، كما حققته في «الأحاديث الصحيحة» (١٨٣٣) وراجع مقدمة الطبعة الثالثة ص٦. أهـ ألباني

(٢) ضعيف، علته الانقطاع بين مكحول وأبي هريرة، وهو مخرج في «ضعيف سنن أبي داود» (٩٧). أهـ ألباني

قال شاكر: الحديث رواه الدارقطني ص ١٨٥ مطولا، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٤: ١٩ من طريق الدارقطني، من رواية ابن وهب: «حدثني معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحرث، عن مكحول، عن أبي هريرة» قال الدارقطني: «مكحول لم يسمع من أبي هريرة، ومن دونه ثقات». وقال البيهقي - بعد كلام الدارقطني: «قد روي في الصلاة على كل بر وفاجر، والصلاة على من قال لا إله إلا الله» - أحاديث كلها ضعيفة غاية الضعف. وأصح ما روي في هذا الباب حديث مكحول عن أبي هريرة، وقد أخرجه أبو داود في كتاب السنن [يشير إلى الحديث الذي سيذكره الشارح عقب هذا] إلا أن فيه إرسالا، كما ذكره الدارقطني».

=

أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الدارقطني، وقال: مكحول لم يلق أباهريرة.

وفي إسناده معاوية بن صالح، متكلم فيه، وقد احتج به مسلم في صحيحه.

وخرج له الدارقطني أيضاً وأبو داود، عن مكحول، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم، براً كان أو فاجراً، وإن عمل بالكبائر، والجهاد واجب عليكم مع كل أمير، براً كان أو فاجراً، وإن عمل الكبائر»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأحاديث في هذا الباب ضعيفة، ولكن أهل السنة والجماعة على معناها، على معناها وإن كانت أسانيدها لاتخلو من ضعف، فإن الواجب على الرعية أن يكونوا مع ولاة الأمور في جهادهم وصلواتهم في الجماعة، وأن لا يتخلفوا عن ذلك، لما في إظهار الصلاة في الجماعة من إظهار شعائر الإسلام،و لما

= وقول الشارح هنا: «معاوية بن صالح متكلم فيه..» قد حققنا في شرح المسند، في الحديث (٥٧٢٤) أن الكلام فيه تعسف من غير حجة.

وعلة هذا الحديث والذي بعده، هي الانقطاع بين مكحول وأبي هريرة، كما قال الدارقطني والبيهقي.أهـ

(١) ضعيف أيضا للعلة المذكورة، وهو مخرج في الإرواء (٥٢٧).أهـ ألباني

قال شاكر: الحديث رواه الدارقطني ص١٨٤ من طريق يزيد بن يزيد بن جابر، عن مكحول، عن أبي هريرة، مطولاً، وكان لفظه في المطبوعة ناقصا و محرفا، وصححناه من الدارقطني، ورواه أبو داود (٢٥٣٣) من رواية ابن وهب: «حدثني معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحرث، عن مكحول، عن أبي هريرة» فذكره بنحوه.

ورواه البيهقي ٣/ ١٢١ من طريق أبي داود بإسناده، ورواه أيضا ٨/ ١٨٥ بإسناد آخر من طريق ابن وهب، وعلته الانقطاع، مثل الحديث السابق.أهـ

في الجهاد من إظهار دين الإسلام وإعزازه ودعوة الناس إليه وجهاد من تخلف عنه، فمصلحته أكبر وأعظم مما حصل من النقص من الإمام في الصلاة أو غيره كالجهاد. أهـ.

* * *

وفي صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً، وفي صحيحه أيضاً، أن النبي ﷺ قال: «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وأن أخطأوا فلكم وعليهم»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله يبين لنا المعنى. أهـ.

* * *

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «صلوا خلف من قال لا إله إلا الله، وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله»[٢] أخرجه الدارقطني من طرق، وضعفها.

اعلم، رحمك الله وإيانا: أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً، باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد؟! بل يصلي خلف المستور الحال، ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك: فإن

---

(١) صحيح، رواه أحمد أيضا، وهو في مختصر البخاري (٣٨٣).أهـ ألباني

(٢) ضعيف.أهـ ألباني

المأموم يصلي خلفه، عند عامة السلف والخلف. ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء.

والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون، كما كان عبد الله بن عمر يصلي خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس رضي الله عنه، كما تقدم، وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً، ثم قال: أزيدكم ؟!

فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة!![1]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا إخبار عن الواقع، ما زلنا معك في زيادة وإن كانوا جالسين لم يقوموا معه ـ إن صح الإسناد ـ شارب الخمر يمنع أن يصلي بالناس لأنه لا عقل له، لكن إذا كان يسرق أو يشرب الخمر ولكنه وقت الصلاة صحيح يصح أن يصلى خلفه، لأنه عاصٍ، ولا تترك صلاة الجماعة، فإذا كان عقله مع الصلاة صحيحاً فلا حرج في ذلك، لكن إذا وجد من هو أصلح منه يصلى معه، فيجب على

---

(١) قصة ابن مسعود مع الوليد بن عقبة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٢/ ٣٠٨ وعزاها الحافظ في الفتح ٧/ ٥٧ إلى مسلم من طريق أبي ساسان قال: «شهدت عثمان أتي بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم، فشهد عليه رجلان...وأخرج من طريق الشعبي قال: قال الحطيئة في ذلك:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم ... أأزيدكم سفها وما يدري
فأتوا أبا وهب ولو أذنوا ... لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك إذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري

ولاة الأمور أن يعينوا من هو أصلح للإمامة إذا أمكن ذلك.

وقتل الحجاج للنفوس بغير الحق وبأدنى شبهة هذا أعظم من الخمر، ومع هذا صلى معه ابن عمر وصلى معه أنس وصلى معه جماعة من الصحابة والتابعين لأنه هو الأمير. أهـ.

* * *

وفي الصحيح: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة؟

فقال: يا ابن أخي، إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم[1].

والفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

ومن ذلك: أن من أظهر بدعة وفجوراً لا يرتب إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإن أمكن هجره حتى يتوب كان حسناً، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره أثر ذلك في إنكار المنكر حتى يتوب أو يعزل أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه: فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم تفت المأموم جمعة ولا جماعة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني يفعل ما هو

(١) أخرجه البخاري في «الأذان» وهو في «المختصر» برقم (٨٤). أهـ ألباني

أصلح، إذا رأى أن الأصلح ترك الصلاة خلفه ويصلي خلف إمام آخر ليظهر إنكاره عليه، ويظهر أنه قد أنكر ولم يرض بعمله فعل ذلك، وإذا كان ترك الصلاة خلفه يسبب فتنة بين المسلمين، قد يترك ذلك ويصلى خلفه، وينكر بما استطاع. أهـ.

* * *

وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة، فهنا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة رضي الله عنهم. وكذلك إذا كان الإمام قد رتبه ولاة الأمور، ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية، فهنا لا يترك الصلاة خلفه، بل الصلاة خلفه أفضل، فإذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهراً للمنكر في الإمامة، وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاه غيره، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر: فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، بحسب الإمكان.

فتفويت الجمع والجماعات أعظم فساداً من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجوراً، فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر، فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذ، فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر، فهو موضع اجتهاد العلماء: منهم من قال: يعيد، ومنهم من قال: لا يعيد، وموضع بسط ذلك في كتب الفروع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب أنه لا يعيد، فالصحابة ما أعادوا، وفي إمكانهم أن يصلوا جماعة وحدهم، والمقصود أن الصلاة خلف البر والفاجر جائزة عند أهل السنة والجماعة، ولاسيما في الجمع والأعياد والصلاة في الحج، ولو قدر أنه يمكن أن يصلي خلف البر، لأن إظهار الشعائر مع المسلمين والبعد عن أسباب الفتن وشق العصا أمر مطلوب، والقاعدة أن المؤمن يراعي تكميل المصالح وتثبيتها وتكثيرها، وتعطيل المفاسد وتقليلها مهما أمكنه ذلك، وهكذا صلاة الجماعة يراعي هذه الأصول أيضاً، ويحرص على إقامة صلاة الجماعة وإن كان الإمام فاسقاً، حتى يتيسر زواله. أهـ.

* * *

وأما الإمام إذا نسي أو أخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله، فلا إعادة على المأموم، للحديث المتقدم، وقد صلى عمر رضي الله عنه وغيره وهو جنب ناسياً للجنابة، فأعاد الصلاة، ولم يأمر المأمومين بالإعادة[1].

ولو علم أن إمامه بعد فراغه كان على غير طهارة، أعاد عند أبي حنيفة، خلافاً لمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب أنه لا يعيد، إذا صلى بالناس ولم يعلم أنه على غير طهارة إلا بعد ذلك؛ أعاد هو ولم يعيدوا، ولو علم أثناء الصلاة يقطعها ويستأنفون هم أو يكملون لأنفسهم، والصواب أنهم يكملون لأنفسهم، أو يستخلف عليهم من

(١) عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٣٤٧-٣٤٩) طبع المكتب الإسلامي، وكذا ابن أبي شيبة (١/ ٣٩٣) بأسانيد بعضها صحيح. أهـ ألباني.

يصلي بهم، فيقدم واحداً مثلاً، وإن لم يقم أحداً قدموا من يصلي بهم ويكمل لهم، فإذا صلى بهم وهو محدث ثم انصرف وقدموا من يكمل بهم صح على الصحيح ولا يسلّمون، وإن لم يقدموا وأتموا لأنفسهم صحت أيضاً على الصحيح، وإن قطعوها واستأنفوها من أولها فلا بأس أيضاً.أهـ.

وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم، وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع، ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء!! فليس له أن يصلي خلفه، لأنه لاعب، وليس بمصل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني لاعب قبل الدخول في الصلاة، ينكر عليه ولا يصلى خلفه، وإذا كان يرى نقض الوضوء بأكل لحم الجزور والإمام لا يرى نقضه تصلي خلفه، هذا محل اجتهاد، لكن لو علم أنه أظهر ما يوجب الوضوء من صوت أو ريح ومع ذلك يصلي بالناس فلا، أما الذي محل اجتهاد كمس المرأة ومثل أكل لحم الإبل لا يراه ناقضاً يصلى خلفه، وبعض الناس لا يذكر أنه على غير وضوء إلا في أثناء الصلاة وقد يخجل فيكمل بالجماعة، وهذا لا يجوز له أن يكمل، يجب عليه قطع الصلاة، لكن إذا ما علم فلا عليه. أهـ.

* * *

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر، وإمام الصلاة، والحاكم، وأمير الحرب، وعامل الصدقة: يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة

والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية، ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض، والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض.

يروى عن أبي يوسف: أنه لما حج مع هارون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ، وصلى بالناس، فقيل لأبي يوسف: أصليت خلفه؟ قال: سبحان الله! أمير المؤمنين. يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاة الأمور من فعل أهل البدع.

وحديث أبي هريرة، الذي رواه البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم»[١] نص صحيح صريح في أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه، لا على المأموم، والمجتهد غايته أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً، أو فعل محظوراً اعتقد أنه ليس محظوراً. ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف هذا الحديث الصريح الصحيح بعد أن يبلغه، وهو حجة على من يطلق من الحنفية والشافعية والحنبلية أن الإمام إذا ترك ما يعتقد المأموم وجوبه لم يصح اقتداؤه به!! فإن الاجتماع والائتلاف مما يجب رعايته وترك الخلاف المفضي إلى الفساد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا كانت بدعته مكفرة كبدعة الجهمية فهل يصلي خلفه؟

على حسب رأي المجتهد، إذا رآها مكفرة لا يصلي خلفه. أهـ.

* * *

(١) صحيح، وتقدم. أهـ ألباني.

وقوله: «وعلى من مات منهم» أي ونرى الصلاة على من مات من الأبرار والفجار، وإن كان يستثنى من هذا العموم البغاة وقطاع الطريق، وكذا قاتل نفسه، خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد، خلافاً لمالك والشافعي رحمهما الله، على ما عرف في موضعه، لكن الشيخ إنما ساق هذا لبيان أنا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع والفجور، لا للعموم الكلي، ولكن المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن، وإما منافق، فمن علم نفاقه لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له، ومن لم يعلم ذلك منه صلي عليه.

فإذا علم شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه، وصلى عليه من لم يعلم نفاقه. وكان عمر رضي الله عنه لا يصلي على من لم يصل عليه حذيفة، لأنه كان في غزوة تبوك قد عرف المنافقين، وقد نهى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ عن الصلاة على المنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم باستغفاره، وعلل ذلك بكفرهم بالله ورسوله، فمن كان مؤمناً بالله ورسوله لم ينه عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية أو العملية أو الفجورية ما له، بل قد أمره الله تعالى بالاستغفار للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ فأمره سبحانه بالتوحيد والاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات، فالتوحيد أصل الدين، والاستغفار له وللمؤمنين كماله، فالدعاء لهم بالمغفرة والرحمة وسائر الخيرات، إما واجب وإما مستحب، وهو على نوعين: عام وخاص، أما العام فظاهر، كما في هذه الآية، وأما الدعاء الخاص، فالصلاة على الميت، فما من مؤمن يموت إلا وقد أمر المؤمنون أن يصلوا عليه صلاة الجنازة، وهم مأمورون في صلاتهم عليه أن يدعوا له، كما روى أبوداود وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والخلاصة من هذا أن من مات وهو على ظاهر الإسلام يصلى عليه، ولكن لا مانع من ترك الصلاة على بعض الناس من باب التنفير عن عملهم السيئ كقاتل نفسه ومن ظهرت بدعته، لا يصلي عليه أعيان الناس وكبراؤهم للتنفير، ويصلي عليه بعض الناس لكونه مسلماً، فمن لم نحكم بكفره صلينا عليه، ومن حكمنا بكفره أو نفاقه النفاق الأكبر لم يصل عليه، ويستثنى من ذلك الشهيد كما تقدم، فالشهيد وإن كان مؤمناً ومن خيرة الناس فإنه لا يصلى عليه، لا يصلى على شهيد المعركة إذا مات في المعركة كما تقدم، والمحدود بحد يصلى عليه، النبي ﷺ صلى على الغامدية وصلى على ماعز[(٢)].أهـ.

* * *

قوله: (ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً).

ش: يريد: أنا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق ﷺ أنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم، وإن كنا نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم، لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيئين.

---

(١) إسناده جيد «أحكام الجنائز» (١٢٣) و«إرواء الغليل» (٧٣٢).أهـ ألباني

(٢) رواه أبو داود (٣٠٥٧) كتاب الجنائز/ باب الصلاة على من قتلته الحدود، من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، فإن عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وأتباعهم بإحسان عدم الشهادة لإنسان معين بالجنة والنار إلا من شهد له الله جل وعلا بالنار كأبي لهب(١)، أو شهد له بالجنة، كما شهد النبي ﷺ للعشرة(٢) ولعبد الله بن سلام(٣) ولعكّاشة(٤)

---

(١) وكذا فرعون، وعبدالله بن جدعان، والمرأة التي حبست الهرة، وأبوطالب، وعمرو بن لحي الخزاعي الذي سيّب السوائب، وآزر أبو إبراهيم عليه السلام، والرجل الذي قاتل مع المسلمين ثم لما جُرِح قتل نفسه، والرجل العابد من بني إسرائيل الذي قال لصاحبه: والله لا يغفر الله لك، وغلام النبي ﷺ الذي غلّ الشملة من الغنائم. وقد ثبت فيهم الأحاديث، والله أعلم.

(٢) أما العشرة فقد ثبت عند أحمد ١٦٧٥ والترمذي ٤/ ٣٣٤ كما قال الشيخ أحمد شاكر، من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**» وقال الألباني: صحيح. ورواه أبو بكر بن خيثمة وقدم فيه عثمان على علي.

(٣) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ البخاري ٧/ كتاب الفضائل، ومسلم (٢٤٨٣).
وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**يدخل من هذا الفج رجل من أهل الجنة**» فجاء عبد الله بن سلام. رواه مسلم.

(٤) وأما عكاشة بن محصن فقد ثبت من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ونظرت؛ فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**» رواه البخاري (٦٥٤١) كتاب الرقاق/ باب يدخل الجنة سبعون ألفاً، ومسلم (٢١٨) كتاب الإيمان/ باب دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

ولآخرين[(١)]، وإلا فنقول المؤمنون في الجنة والكفار في النار، هذا أمر

---

(١) وأما غيرهم فـ: حاصب بن أبي بلتعة رضي الله عنه: روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن غلام حاطب بن أبي بلتعة قال: يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: **«كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية»** (٢٤٩٥).

- الرميصاء، امرأة أبي طلحة **«أم سليم رضي الله عنها»**: روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ **«رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة»** ٧/ كتاب فضائل الصحابة (٣٦٧٩) ومسلم (٢٤٥٦).

- بلال بن رباح رضي الله عنه: روى البخاري في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ **«رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال، ورأيت قصراً بفنائه جارية فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر»** ٧/ ٣٦٧٩ ومسلم (٢٤٥٧) وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ **«يا بلال: حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يديّ في الجنة..»** الحديث (٢٤٥٨).

- أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها: روى البخاري في المناقب (٣٨٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: **«يا محمد: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه أدام وطعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»** ورواه مسلم (٢٤٣٢). وروى البخاري ومسلم **«خير نسائها مريم بنت عمران وخير نساءها خديجة بنت خويلد»**

- سعد بن معاذ رضي الله عنه: روى البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: أهديت للنبي ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: **«أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها وألين»**.(٣٨٠٢) كتاب مناقب الأنصار/ مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه ومسلم (٢٤٦٨).

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: أخرج البيهقي في الدلائل، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء»** ٤/ ٣٧٢ وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني وحديث **«رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين»** (١٢٢٧) وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: **«دخلت البارحة الجنة، فرأيت فيها جعفراً يطير مع الملائكة»** فتح الباري/ ٧.

- فاطمة رضي الله عنها: قال البخاري: وقال النبي ﷺ: **«فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»** قال الحافظ ابن حجر: هو طرف من حديث وصله المؤلف في علامات النبوة، وعند الحاكم من =

= حديث حذيفة بسند جيد: «**أتى النبي ﷺ ملكٌ وقال: إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**» ٧/ ٧٧ مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

- أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: روى البخاري عن أبي وائل قال: لما بعث علي عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم، خطب عمار فقال: «إني لأعلم أنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها» قال الحافظ: وعند ابن حبان من طريق سعيد بن كثير عن أبيه: حدثتنا عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «**أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة**» فلعل عماراً كان سمع هذا الحديث من النبي ﷺ .انتهى ٧/ ١٠٦ فضل عائشة.

- مريم بنت عمران رضي الله عنها: روى البخاري عن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة**» قال الحافظ: وقد رواه النسائي من حديث ابن عباس بلفظ: «**أفضل نساء أهل الجنة**» فعلى هذا المعنى خير نساء أهل الجنة مريم، وعند النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**» ٧/ كتاب الفضائل

- حارثة بن سراقة رضي الله عنه: روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أم الربيّع بنت البراء - وهي أم حارثة بن سراقة - أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ! ألا تحدثني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «**يا أم حارثة: إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**» (٢٨٠٩)

- حارثة بن النعمان رضي الله عنه: عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**دخلت الجنة، فسمعت قراءة، فقلت: من هذا؟ قيل: حارثة**» فقال النبي ﷺ: «**كذلكم البر، كذلكم البر**» الحاكم (٤٩٢٩) وصححه وافقه الذهبي وابن حجر في الإصابة ٢/ ١٩٠ وقال: إسناده صحيح، ورواه أحمد كذلك..

- ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه: أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ...﴾ الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: «**يا أبا عمرو: ما شأن ثابت؟ أشتكى**»؟ قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له شكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**» (١١٩).

- عمير بن الحمام رضي الله عنه: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى** =

= جنة عرضها السماوات والأرض» فقال عمير: بخ بخ، قال ﷺ: «ما حملك على قولك بخ بخ» قال: رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» مسلم (١٩٠١) كتاب الإمارة/ باب ثبوت الجنة للشهيد.

- روى النسائي عن شداد بن الهاد قال: جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ فآمن به وأسلم، فلما كانت غزوة خيبر غنم المسلمون غنائم، فقسم له الرسول ﷺ حصة من الغنائم، فقال الأعرابي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا بسهم - وأشار إلى حلقه - فأموت في سبيل الله فأدخل الجنة، فقال ﷺ: «إنك إن تصدق الله ليصدقنك» واحتدم القتال، وأتي الأعرابي وقد نفذ سهم من حلقه، فقال ﷺ: «أهو هو»؟ قيل: بلى يا رسول الله، قال: «يرحمه الله، صدق الله، فصدقه الله» رواه النسائي (١٩٥٣) والحاكم والطبراني وعبد الرزاق.

- زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما وجعفر رضي الله عنه قد تقدم: قال رسول الله ﷺ «أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً» قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبدالله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً» ثم قال: «لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً» ميلاً وعوجاً «عن سرير صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل لي: مضيا، وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى» رواه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٣٦٨ وعزاه لابن إسحاق.

- الحسن والحسين رضي الله عنهما: عن أبي سعيد مرفوعاً: «الحسن والحسين سيدا شباب الجنة» أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) كتاب المناقب، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم ٣/ ١٦٧ وصححه ووافقه الذهبي.

وعن حذيفة سمع النبي ﷺ يقول: «هذا ملك لم ينزل قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» أخرجه الترمذي (٣٧٨٢) المناقب، وقال: حديث حسن غريب.

- عمرو بن الجموح رضي الله عنه: عن أبي قتادة قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله فقال: يا رسول الله: أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أأمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ: «نعم» فقتلوا يوم أحد، هو وابن أخيه ومولى له، فمر رسول الله ﷺ فقال: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة» وسنده حسن كما قال الحافظ في الفتح ٣/ ١٧٣، ورواه أحمد في المسند.

- روى النسائي في السنن الكبرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع =

= رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد، قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. ٦/ ٢١٥ ورواه أحمد وعبد الرزاق.

- ماعز الأسلمي رضي الله عنه: روى الحافظ أبو يعلى ..أن ماعزاً ..أمر برجمه فرجم، فسمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجم رجم الكلب؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار، فقال: «**أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار**» قالا: غفر الله لك يا رسول الله، وهل يؤكل هذا؟ قال ﷺ «**فما نلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها**» إسناده صحيح، تفسير ابن كثير (١٢).

- روى البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يفرغ منها، ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بالأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «**يا فلان: ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة**»؟ قال: إني أحبها، قال: «**حبك إياها أدخلك الجنة**».

- عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ قالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» قالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها. رواه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٥٧٦).

- الأصيرم: قال ابن القيم في الهدي ٣ / ١٥٦: وكان عمرو بن ثابت، المعروف بالأصيرم من بني عبد الأشهل يأبى الإسلام، فلما كان يوم أحد، قذف الله الإسلام في قلبه، للحسنى التي سبقت له منه، فأسلم وأخذ سيفه، ولحق بالنبي ﷺ، فقاتل فأثبت بالجراح، ولم يعلم أحد بأمره، فلما انجلت الحرب، طاف بنو عبد الأشهل في القتلى، يلتمسون قتلاهم، فوجدوا الأصيرم وبه رمق يسير، فقالوا: والله إن هذا الأصيرم، ما جاء به، لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر، ثم سألوه ما الذي جاء بك؟ أحدب على قومك، أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة =

مقطوع به، ونرجو للمحسن التكفير ونخاف على المسيء، وأما علم الغيب فإلى الله سبحانه وتعالى. أهـ.

= في الإسلام، أمنت بالله ورسوله، ثم قاتلت مع رسول الله ﷺ حتى أصابني ما ترون، ومات من وقته، فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «**هو من أهل الجنة**» قال أبو هريرة: ولم يصل لله صلاة قط.
رواه أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده حسن ورجاله ثقات (٥/ ٤٢٨ ـ٤٢٩)
وقال في حاشية الهدي: رواه أبو داود (٢٥٣٧) وابن هشام (٣/ ١٣١) وحسن إسناده الحافظ في الإصابة (٢/ ٢٥٦ رقم ٥٧٨٥) وحسنه في صحيح سنن أبي داود (٢٢١٢).
ـ شهداء أحد رضي الله عنهم: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «**لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله هذه الآيات** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا..﴾» رواه أبو داود/ باب فضل الشهادة، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.
ـ القراء السبعون: روى البخاري عن أنس في القراء: «**فأنزل الله تعالى لنبيه في الذين قُتلوا أصحاب بئر معونة قرآناً قرأناه حتى نسخ بعد: بلغوا قومنا فقد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه**» وقال ﷺ «**إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا، فأخبرهم عنهم**» الحديث (٤٠٩٣).
ـ عبد الله بن حرام والد جابر رضي الله عنهما روى الترمذي عن جابر أن رسول الله ﷺ قال له: «**أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك**»؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا الله أباك فكلمه كفاحاً، فقال: يا عبدي تمن عليّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون**» قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ قال الترمذي: حديث حسن غريب.
- وروى البغوي في شرح السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر؛ كأنه يقول مذنب، فجعل يقول: أقصر عما أنت فيه. قال فيقول: خلّني وربي، قال: فوجده يوماً على ذنب استعظمه فقال: أقصر، فقال: خلّني وربي، أبُعِثت عليّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبداً. قال: فبعث الله إليهما ملكاً فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يا رب، قال: اذهبوا به إلى النار**. ورواه أبو داود في سننه.

وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال: أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية، والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الصواب، وهو قول أهل السنة والجماعة. أهـ.

* * *

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون، كما في الصحيحين: أنه مر بجنازة، فأثنوا عليها بخير، فقال ﷺ: «وجبت» ومر بأخرى، فأثني عليها بشر، فقال: «وجبت» وفي رواية كرر: وجبت ثلاث مرات، فقال عمر: يا رسول الله، ما وجبت؟

فقال رسول الله ﷺ: «هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[(١)].

وقال ﷺ: «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيئ»[(٢)].

فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني من أهل الحق، وهذا قول جمع من أهل العلم، وهو قول جيد، إذا أجمع أهل الحق وأهل الخير على شخص فهذه علامة أنه من أهل السعادة، وإذا أثنى أهل

---

(١) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (٤٤). أهـ ألباني

(٢) إسناده محتمل للتحسين، فإنه من رواية ابن أبي زهير الثقفي عن أبيه مرفوعاً، أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١) وأحمد (٣/ ٦، ٤١٦/ ٤٦٦) قال في «الزوائد»: «إسناده صحيح، رجاله ثقات».
قلت: أبو بكر هذا لم يرو عنه غير اثنين، ولم يوثقه غير ابن حبان (١/ ٢٦٧) وقال في التقريب: «مقبول» يعني عند المتابعة، وإلا فلين الحديث. أهـ ألباني.

الخير وأهل الحق شراً على إنسان فهذه علامة أنه من أهل النار، لهذا الحديث وما جاء في معناه «**وجبت وجبت**» قول جيد.

ولكن المشهور هو الأول، يعني القول الوسط من الثلاثة هو المشهور، من شهد له الرسول ﷺ بالجنة شهدنا له، ومن شهد له بالنار شهدنا له، وما لا فنمسك، لأن الله هو العالم بالبواطن والعالم بالخواتيم، ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

والقول الثالث هو هذا القول، أنه من اشتهر بالخير والصلاح والاستقامة وشهد له أهل الخير أهل الاستقامة من أهله أو أكثر بالاستقامة شهدنا له بالجنة، والضد بالضد «**أنتم شهداء الله في أرضه**»[١] وكان أبوثور المعروف، إبراهيم بن خالد الكلبي المشهور الفقيه يشهد لأحمد بالجنة، فيقولون: لم شهدت؟

قال: لأن المسلمين أثنوا عليه خيراً، فنشهد له بالجنة لقوله ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**».

واستنبط من هذا الحديث جماعة من أهل العلم هذا الحكم، وهو قول قوي جيد وبشرى للمؤمن، ولكن التوسط هو الأقرب والأحوط، لأنه قد يشهد أناس كثيرون لبعض الناس ولكن ليسوا على المستوى الذي يُطمئن إليه، فإن بعض الناس في آخر الزمان وفي غالب الأزمان قد يشهدون بغير بصيرة، قد يشهدون لمجرد عاطفة أو قرابة أو صداقة، أو لأنه أعطاهم بُنْية أو لأنه وظفهم، فليس الناس على المستوى الذي يطمئن إليه في الشهادة في غالب الأحوال وفي آخر الزمان، وهذا هو مما يوجب التوقف، ولكن إذا جاء النص عن رسول الله ﷺ فهذا له كلام ثانٍ.

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٧) كتاب الجنائز/ باب ثناء الناس على الميت، وبنحوه في كتاب الشهادات/ باب تعديل كم يجوز؟ (٢٦٤٢) ورواه مسلم (٩٤٩) كتاب الجنائز/ باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها، من حديث أنس رضي الله عنه.

وقول من قال: إنه مختص بالصحابة أو الجماعة الذين مرت بهم الجنازة من الصحابة ليس بصواب «**أنتم شهداء الله في الأرض**» ليس مراده الصحابة، مراده المؤمنون ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]. أهـ.

سؤال/ أليس الأصل عدم ذكر مساوئ من مات؟

أجاب سماحة الشيخ/ بلى، لكن إذا كان ذكر الشر للتنفير فهذا مستثنى، لأن الرسول ﷺ ما أنكر عليهم لما أثنوا شراً، فيكون للتنفير منه، تقول هذا مبتدع، هذا داعية سوء، هذا مما أعلم منه الفجور والمعاصي، للتنفير من شره فهو مستثنى، بخلاف من ستره الله فلا تبحث مساويه. أهـ.

سؤال/ إذا قلنا بالعموم فلماذا لا يصار إلى القول الثالث ويقال هو الأولى؟

أجاب سماحة الشيخ/ للتثبت، لأن شهادة الناس قد يعتريها ما يعتريها، قد يشهد أناس ممن لا يوثق بشهادتهم، بخلاف إذا شهد أهل الخير فهو الظن الغالب، لكن إذا شهد أناس لا يعتبر بحالهم، لكن إذا شهد العدول يرجى لهم الخير، القول بالشهادة بالجنة قول قوي، إذا شهد من يعرف أنهم من أهل الخير والاستقامة وشهد من لهم معرفة به. أهـ.

* * *

قوله: (ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، مالم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى).

ش: لأنا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا

به علم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى هذا الكلام السابق أن أهل السنة والجماعة رحمة الله عليهم يقبلون من الناس ظواهرهم ويوكلون سرائرهم إلى الله سبحانه، وهذا هو الحق، مثل ما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل**»[(١)] فالناس مطالبون بالاستقامة على ظاهر الشرع، والسير على ذلك منهاجاً لما درج عليه النبي وأصحابه، وأما التنقيب عن سرائرهم والتفتيش عما تنطوي عليه قلوبهم؛ هذا ليس إلينا، بل الله هو الذي يعلم السرائر سبحانه وتعالى، وإنما علينا أن نقيمه على الظاهر ونكل السرائر إلى الله عز وجل، فعلى كل مسلم أن يستقيم على أمر الله ويبتعد عن محارم الله وأن يقف

---

(١) رواه البخاري (٢٥) كتاب الإيمان/ باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ عن ابن عمر رضي الله عنهما، و(١٣٩٩-١٤٠٠) كتاب الزكاة/ باب وجوب الزكاة، و(٦٩٢٤) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، و(٧٢٨٤) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ وقول الله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه مسلم (٢٠) كتاب الإيمان/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما برقم (٢٢).

عند حدود الله، وعلى ولاة الأمور أن يقوموا بذلك، وأن يجتهدوا في إقامته على الشرع المطهر، وليس لهم من السريرة شيء، السريرة إلى الله سبحانه وتعالى، فمن أظهر شيئاً أُخذ به، ومن سكت وأسر ولم يظهر منه شيء يخالف الشرع فأمره إلى الله عز وجل، ولهذا ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: «**إن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم، فمن أظهر خيراً قربناه وآمناه، ومن أظهر شراً لم نأمنه ولم نقربه، وليس لنا من سريرته شيء، بل هي عند الله سبحانه وتعالى**»[١] فالمقصود أن الواجب على جميع المسلمين أن يستقيموا على الشرع وأن يحافظوا عليه وأن يتواصوا بذلك وأن يحسنوا الظن بإخوانهم، وأن لا يتهموهم بالنفاق أو بغيره من الشرور مالم يظهر منهم ما يدل على ذلك، والله المستعان. أهـ.

* * *

قوله: (**ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف**).

ش: **في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**[٢].

قوله: (**ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة**).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤١) كتاب الشهادات/ باب الشهداء العدول.

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود، وهو مخرج في «الإرواء» (٢١٩٦) و«الظلال» (٦٩و٨٩٣و٨٩٤). أهـ ألباني.

ش: **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ **وفي الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني»**[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أيضاً هو عقيدة أهل السنة والجماعة، أنهم لا يحملون السلاح على أمة محمد عليه الصلاة والسلام، بل هذا شأن الخوارج، وكذلك لا ينزعون يداً من طاعة، بل يطيعون ولاة الأمور ويدعون لهم بالتوفيق والهداية والصلاح، ولا يخرجون عليهم ولا ينزعون يداً من طاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله فلا يطاعون في المعصية «**إنما الطاعة في المعروف**»[٢] ولهذا قال عز وجل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩] يعني في المعروف، وقال النبي ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني**»[٣] وهو مخرج في الصحيحين، وقال ﷺ: «**على**

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، وهو مخرج في «الإرواء» (٣٩٤).أهـ ألباني.

(٢) رواه البخاري (٤٣٤٠) كتاب المغازي/ باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي،و (٧٢٥٧) كتاب أخبار الآحاد/ باب ما جاء في إجازة الواحد الصدوق، ومسلم (١٨٤٠) كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٢٩٥٧) كتاب الجهاد والسير/ باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، و(٧١٣٧)كتاب الأحكام/ باب قول الله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ ومسلم (١٨٣٥) كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية الله فإذا أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة»[١] فعلى المؤمن أن يعرف ما درج عليه السلف الصالح وأن يستقيم على ذلك، وأن يدعو لولاة الأمور بالتوفيق والهداية، وأن يناصحهم وأن يبين لهم الخير ويحذرهم من الشر، وأن يدعوهم إلى كل ما فيه طاعة الله ورسوله وأن يحذرهم من كل ما فيه معصية الله والرسول، وأن يكون عوناً لولاة الأمور في الخير، وعوناً لهم على ترك الشر، سواء كان السلطان نفسه، أو كان مع أمير البلد وأمير القرية وشيخ القبيلة ونحو ذلك، فإن السلطان يتنوع، فالسلطان الأعظم هو أمير المؤمنين ورئيس الدولة، ثم يجيء بعد ذلك الأمراء والرؤساء للمدن والقرى وشيوخ القبائل، كل واحد له سلطان، فالمساعدة على الخير والمعاونة على طاعة الله ورسوله والمساعدة على ترك ما نهى الله عنه ورسوله، سواء كانت ولايتهم كبيرة أو صغيرة، لما في هذا من اجتماع الكلمة والتعاون على البر والتقوى وتقليل الشر وتكثير الخير.

ولو كان كافراً يطاع في الخير ولا يطاع في الشر، لو بلي الناس بأمير كافر ولم يستطيعوا بالطرق الشرعية أن يعيِّنوا غيره؛ أطاعوه في الخير لا في الشر.

ويجوز الخروج عليه إذا كانت عندهم قدرة يترتب عليها زواله من دون ضرر أكبر، أما إذا كان يخشى من ضرر أكبر فلا، يصبرون حتى يأتي الله بالفرج.

وإذا أتى بالكفر الصريح ينصح ويبين له الحق ويحذر من الكفر

---

(١) رواه البخاري (٧١٤٤) كتاب الأحكام/ باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم (١٨٣٩) كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

والشرك، ويبين له أن هذا يزيل ولايته ويجوز الخروج عليه لعله ينتهي، فإن هداه الله وسلم فالحمد لله، وإلا نظروا، إن كان عندهم قدرة يعزلونه ويعيِّنون غيره فعلوا، وإلا صبروا حتى يأتي الله بالفرج، فلا يتعرضوا لسفك الدماء بغير طائل، الفرقة أعظم، يصبرون على الجماعة ويجتهدون في الصدع، فاجتماعهم على الحق وفي سبيل الدعوة إلى الحق ـ ولو كان أميرهم يدعو إلى الكفر ـ خير لهم من أن يتصدعوا على الانتشار والذبح وسفك الدماء وضياع الحق بينهم، فقاعدة الشريعة تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، فلابد من مراعاة المصالح والنظر إلى المصالح والمفاسد، فإذا كان القيام عليه لا يكون إلا بفساد وقتل المسلمين وإضاعة الحق أكثر لم يجز الخروج، حتى يوجد ما يعين على إزالة الشر وتقليله وتكثير الخير ويكون بتنصيب أهل الحق، مثل ما قال النبي ﷺ: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[1] فأباح لهم الخروج إباحة، وليس المعنى قوموا، وإنما معناه الإباحة، إباحة الخروج حتى يزيلوا الباطل، حسب المقام. أهـ.

❊ ❊ ❊

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف»[2] وعند البخاري: «ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»[3] وفي الصحيحين أيضاً: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع

(١) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقد تقدم.

(٢) رواه مسلم عنه. أهـ ألباني.

(٣) البخاري (٤/ ٣٨٥) عن أنس. أهـ ألباني.

ولا طاعة»(١) وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن» قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم: دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها» فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: «نعم، قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا» قلت: يا رسول الله، فما ترى إذا أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»(٢).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الحديث في الصحيح له شأن عظيم، حديث حذيفة رضي الله عنه قد رواه البخاري ومسلم في الصحيحين، وهو يبين أن المؤمن يسأل عن الخير والشر، حتى يتوقى الشر وحتى يأخذ بالخير، وكان حذيفة رضي الله عنه عني بسؤال رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه الشر، فلهذا قال له هذا الكلام: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، يعني على يدك،

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر. أهـ ألباني.

(٢) متفق عليه. أهـ ألباني.

قال شاكر: رواه مسلم ٢/ ٨٨ وهذا لفظه، وكان في المطبوعة تحريف ونقص، صححناه من صحيح مسلم، ورواه أيضاً البخاري وأبو داود وابن ماجه، كما في ذخائر المواريث: ١٧٣٨. أهـ

وهو ما دعا إليه من توحيد الله والإخلاص له واتباع شريعته وتعظيم أمره ونهيه والنهي عما نهى عنه والسير على منهاجه الذي رسمه سبحانه لعباده على يد نبيه عليه الصلاة والسلام، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**» ثم قال بعد ذلك: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**» قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**» تعرف أشياء وتنكر أشياء، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ هذا الخير الذي فيه دخن هل بعده من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» يعني دعاة للنار، نسأل الله العافية، يدعون إلى معاصي الله وإلى الشرك بالله وإلى ترك أوامر الله، ويزينون للناس الباطل ويصدونهم عن الحق في الأساليب التي يستطيعونها، وبالأساليب الواضحة وبالأساليب المغلفة النفاقية، تارة وتارة، قال حذيفة: صفهم لنا؟ قال: «**نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**» يعني عرب فصحاء يدعون إلى النار، وهذا هو الواقع منذ أزمان كثيرة، من خطباء ضالين وأصحاب صحف سيارة ومقالات رنانة، كلها في الباطل والشر والدعوة إلى النار، نعوذ بالله، ما بين مجلات فاسدة وصحافات فاسدة وإذاعات فاسدة وخطب منحرفة إلى غير ذلك، كلها دعوة إلى جهنم نعوذ بالله، ولكن لاتخلو الأرض من الخير «**لا تزال طائفة من الأمة على الحق منصورة لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله**»(١) فهذا موجود وهذا موجود، لكن غلبة الشر أكثر، كثرة

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٠) كتاب المناقب/ باب: و(٧٣١١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون**» وهم أهل العلم، و(٧٤٥٩) كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

=

الشر ودعاة النار أكثر ـ نسأل الله العافية ـ في آخر الزمان، كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام.

قال: فما ترى إذا أدركني ذلك؟ ماذا أفعل؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» يعني أي جماعة من المسلمين تلزمها وإمامٍ لهم، ولو قليلين، ولو عشرة ولو عشرين ولو ثلاثين ولو مائة ولو ألفاً، حسب ما تيسر، في أي مكان، أي جماعة للمسلمين تلزمها وتلزم أميرها، إمامها أميرها، قلت أو كثرت.

قال: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ ما وجد شيئاً، قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها**» يعني الفرق التي تدعو إلى النار وتدعو إلى غضب الجبار، اعتزلها «**ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» يعني حتى يدركك الموت وأنت على هذا الصبر وهذا الاعتزال الذي فارقت به أهل الباطل وبقيت فيه على الحق، فأنت على الحق وأنت الجماعة ولو كنت وحدك، أنت على الحق وأنت الجماعة وأنت صاحب الحق وأنت صاحب السنة، ولو كان أهل الأرض كلهم على خلافك فهم على الباطل وأنت على الحق، ما دمت على كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وبهذا يعلم عظم شأن هذا الحديث، وأنه حديث كبير عظيم الشأن، فيه دلالة على المخلص وطريق النجاة عند الفتن وعند انقسام الناس،

= ومسلم (١٥٦) كتاب الإيمان/ باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ وإكرام الله تعالى هذه الأمة زادها الله شرفاً وبيان الدليل على أن هذه الملة لا تنسخ وأنه لا تزال طائفة منها ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة، من حديث جابر رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٢١٩٢) كتاب الفتن/ باب ما جاء في الشام عن معاوية بن قرة عن أبيه، و(٢٢٢٩) باب ما جاء في الأئمة المضلين، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

وكثرة الفرق الضالة.

واقع اليوم يمثل ما قاله النبي ﷺ، أنصار العرب وأنصار المسلمين ومن كل مكان يمثل هذا، تجد دعوات صالحة وتجد دعوات مضللة، فالمؤمن يميز بين الصادقة فيلزمها أينما كان، في أوروبا، في أمريكا، في آسيا، في أفريقيا، في أي مكان، ولو عشرة ولو خمسة من بين ملايين، ويحذر من الدعوات الباطلة، أما آخر الزمان فسوف يأتي ما وعد من ذهاب الدين بالكلية، ولا يبقى من يقول لا إله إلا الله، نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتته جاهلية»[(١)] وفي رواية: «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[(٢)] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[(٣)] وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» فقلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، وهو مخرج في الإرواء (٢٤٥٣).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهي من رواية الحارث الأشعري في حديث طويل، أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠) وغيره بسند صحيح، وليست من رواية ابن عباس كما أوهم الشارح، وهو بتمامه في صحيح الترغيب والترهيب (٥٥٣) وصحيح الجامع الصغير (١٧٢٠) وفيه الرد على من حاول إعلاله بما لا يقدح من الدكاترة المعاصرين، فليراجعه من شاء فإن فيه الشفاء.أهـ ألباني

(٣) مسلم، وعزاه السيوطي في «الجامع» و«الزيادة على الجامع الصغير» لأحمد أيضاً، ولم نره في مسنده.أهـ ألباني

قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة»[(١)].

فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ كيف قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟

لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من المواضع التي قُيّد فيها الكتاب بالسنة، فإن القرآن أطلق أولي الأمر ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩] وجاءت السنة بالتقييد بأن الطاعة في المعروف، هذا من المواضع التي يمثل بها لتقييد آيات الكتاب بالسنة المطهرة الصحيحة. أهـ.

* * *

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل.

---

(١) مسلم وغيره، وهو مخرج في الصحيحة (٩٠٧).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أن ما يقع من ولاة الأمور من الشر على الناس والأذى والتعب ونحو ذلك، إنما هو بأسباب ذنوب الرعية وتقصير الرعية في أمر الله، فلهذا قد يسلط عليهم ولاة الأمور بأسباب أعمالهم الرديئة، كما قال عز وجل ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى:٣٠] فأمر الرب عز وجل بالصبر عليهم وأمر الرسول بذلك، لما في الصبر عليهم وعدم الخروج من المصالح العظيمة وكف الفساد، أما الخروج فيترتب عليه من الفساد والانشقاق وسفك الدماء ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، وهذا تحت قاعدة معروفة وهي:

ارتكاب أدنى المفسدتين لتفويت كبراهما، وتحصيل أعلى المصلحتين ولو بفوات الدنيا منهما.

ثم فيما يحصل للعباد من الأذى والتعب نوع من التكفير للسيئات التي فعلوها، ونوع من حط الخطايا، كما يبتلون بالجدب وعدم القسط ويبتلون بالأمراض ويبتلون بغير هذا مما يكفر الله به الخطايا ويحط به السيئات، لكن هذا كله لا يمنع من النصيحة ومن المناصحة والتعاون مع ولاة الأمور على البر والتقوى والتخويف من عذاب الله ونحو ذلك مما قد ينفع الله به. أهـ.

* * *

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ

يَكۡسِبُونَ ﴾ فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم.

وعن مالك بن دينار: أنه جاء في بعض كتب الله: أنا الله مالك الملك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، لكن توبوا أعطفهم عليكم(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من الآثار الإسرائيلية، فإن مالك بن دينار يروي عن بني إسرائيل، مالك بن دينار ووهب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن عمرو وأمم كثيرة، يروون هذه الآثار التي فيها ترغيب وترهيب، لأن النبي ﷺ قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»(٢) وفي بعضها «فإن فيهم الأعاجيب»(٣). أهـ.

* * *

قوله: (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة).

ش: السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم

---

(١) هذا من الإسرائيليات، وقد رفعه بعض الضعفاء إلى النبي ﷺ، ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء، قال الهيثمي: «فيه إبراهيم بن راشد، وهو متروك» أهـ ألباني

(٢) رواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود، وقد تقدم، وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ص (٣٠٠).

(٣) عبد بن حميد في المنتخب (١١٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه، وعزاه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ١٣٣ إلى الحافظ أبي يعلى وصححه الألباني في السلسلة ٦/ ١٠٢٨.

ضلال، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

وثبت في السنن الحديث الذي صححه الترمذي، عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع؟ فماذا تعهد إلينا؟

فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[1] وقال ﷺ: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة.

(١) صحيح كما قال الترمذي، انظر الإرواء (٢٤٥٥) والسنة لابن أبي عاصم (٢٧-٣٤).أهـ ألباني

يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»[١].

وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال؟ «ما أنا عليه وأصحابي»[٢].

فبين ﷺ أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا أهل السنة والجماعة.

وما أحسن قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[٣].

وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً» .

قوله: (ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة).

ش: وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (٢٠٣-٢٠٤) وفي تخريج السنة (٦٣-٦٩).أهـ ألباني

(٢) هذه الرواية فيها ضعف، وحسنها الترمذي في «الإيمان» وهو ممكن باعتبار شواهده، كما تقدم بيان في التعليق عليه، وقد ذكرت لها شاهدا في «الصحيحة» تحت الحديث (٢٠٤) ص ١٧ .أهـ ألباني

(٣) أورده البغوي في تفسيره «معالم التنزيل» ١/ ٢٨٤ عند قوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ وكذا ذكره ابن تيمية في مواضع متفرقة في الفتاوى ٣/ ١٢٦، ٤/ ١٣٧ وغيرها من كتبه، وابن القيم في هداية الحيارى والمدارج وغيرها، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٠٥ ولكن من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله، لا مع الله، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال، والله تعالى يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله، والله لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضاً، ونبغضهم، موافقة له سبحانه وتعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من كمال المحبة ومن كمال الإيمان، فإن من كمال الإيمان الحب في الله والبغض في الله، فكما أنه يجب علينا أن نحب الله عز وجل محبة صادقة، ونحب رسوله محبة صادقة تقتضي اتباع ما جاءوا به والاستقامة على توحيده والإخلاص له وأداء فرائضه وترك محارمه، فهكذا نحب من أحبه الله وأحبه رسوله عليه الصلاة والسلام، نحبهم في الله ولله عز وجل، هذا من كمال الإيمان ومن كمال الحب في الله سبحانه وتعالى، وهكذا نبغض من أبغضه الله ونكره من كرهه الله، وهذا من كمال الإيمان.

أما المحبة مع الله فهي الشرك بالله عز وجل، المحبة مع الله معناها جعل المحبة منقسمة، بعضها لله وبعضها لغيره، كمحبة الأنداد والأصنام وما يعبد من دون الله عز وجل، كما فعل المشركون الأولون وغيرهم ممن سار على نهجهم، وهي المراد في قوله جل وعلا ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] فالمحبة

مع الله تقتضي الإشراك به والتعلق بغيره وصرف بعض العبادة لغيره، فلهذا صارت شركاً بالله عز وجل، أما المحبة لله وبالله فهذه من كمال محبته ومن كمال الإيمان به سبحانه وتعالى.

إذا كانت الرواية معناها صحيح ودل عليها الشرع يجب الأخذ بها، لكن: ما يقال عن رسول الله ﷺ أنه قال كذا إلا بدليل، إلا بسند، لو قال واحد إن الرسول ﷺ قال: المحبة مع الله شرك بالله والمحبة في الله طاعة لله، نقول هذا ليس بصحيح عن النبي ﷺ، لكن معناها صحيح، لكن ما يقال عن النبي ﷺ إلا بدليل، إلا بشيء ثابت، لا يكذب على الرسول، قال الرسول ﷺ «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(١) فرق بين كون الشيء في نفسه صحيحاً، وكون الشيء في نفسه ينسب إلى أنه قرآن أو إلى أنه من السنة، فكونه صحيحاً هذا أوسع، لكن لا يقال: قال الله كذا إلا بنص جاء في القرآن أو جاء في السنة عن الله عز وجل، ولا يقال قال الرسول كذا إلا بشيء ثابت عن الرسول أنه قال كذا، ولو أن معناه صحيح.

ومحبة أبي طالب للنبي ﷺ لا مع الله ولا لله، بل هي محبة قرابة ونسب، محبة طبيعية، مثل محبة الأكل والشرب ومحبته للحيوان ومحبته للحوم ومحبة ما يناسب هواك، الله جعل في قلبه تلك المحبة لقرابته وأخلاقه العظيمة ولمعرفة صدقه، كل هذه مجتمعة، الإيمان

(١) رواه البخاري (١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٠) كتاب العلم/ باب إثم من كذب على النبي ﷺ، و(٦١٩٧) كتاب الأدب/ باب من سمى بأسماء الأنبياء، ومسلم (٢ـ٣ـ٤) المقدمة/ باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ من حديث الزبير وأنس وسلمة وأبي هريرة والمغيرة رضي الله عنهم، والترمذي (٢٢٥٧) كتاب الفتن/ باب:، و(٢٦٦٩) باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل من حديث ابن مسعود وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

بصدقه و محبته وقرابته له مجتمعة لكن ما هداه الله لاتباعه. أهـ.

* * *

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار»[١] فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه، وولايته وعداوته، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجه ومبغوضاً من وجه، والحكم للغالب. وكذلك حكم العبد عند الله، فإن الله قد يحب الشيء من وجه ويكرهه من وجه آخر، كما قال ﷺ، فيما يروي عن ربه عز وجل: «وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو بقية حديث أبي هريرة المعروف الذي أوله: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي

---

(١) أخرجه الشيخان عن أنس. أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو طرف من حديث تقدم بتمامه، وتكلمت عليه هناك. أهـ ألباني

يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ..» إلخ كما تقدم، رواه البخاري. أهـ.

* * *

فبين أنه يتردد، لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: «وأنا أكره مساءته» وهو سبحانه قضى بالموت فهو يريد كونه، فسمى ذلك تردداً، ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك، إذ هو يفضي إلى ما هو أحب منه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: معنى التردد شيء يليق به سبحانه وتعالى، مثل ما أخبر عن نفسه، شيء يليق بجلاله، هو الذي وصف نفسه، لكن هذا مقتضاه وموجبه، موجبه هذا الشيء، أن الموت لابد منه، والله يحب ما يحبه عبده المؤمن ويكره مساءة عبده المؤمن، ولكن الموت لابد منه، فلهذا قضى عليه الموت الذي لابد من ذلك، وأنه يفضي إلى ما هو أحب إلى الله من هذا وأحب إلى العبد من هذا أيضاً، يفضي إلى النعيم المقيم بجوار الرب الكريم في دار الكرامة، فهو يفضي إلى محاب عظيمة، فلهذا نفذ الأمر الآخر وإن كرهه الإنسان بعض الأحيان، مع أن العبد المؤمن قد يستقوي الموت في بعض الأحيان ويرغب حصوله، ليستريح مما هو فيه من تعب ونكد. أهـ.

* * *

قوله: (**ونقول: الله أعلم، فيما اشتبه علينا علمه**).

ش: تقدم في كلام الشيخ رحمه الله أنه «ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه» ومن تكلم

بغير علم فإنما يتبع هواه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يرد علم ما لم يعلم إليه، فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ وقد قال ﷺ، لما سئل عن أطفال المشركين: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(١).

وقال عمر رضي الله عنه: «اتهموا الرأي في الدين، فلو رأيتني يوم أبي جندل، فلقد رأيتني وإني لأرد أمر رسول الله ﷺ برأي، فأجتهد ولا آلو، وذلك يوم أبي جندل، والكتاب يكتب، وقال: «اكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: اكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله ﷺ، وكتب وأبيت، فقال: «يا عمر تراني قد رضيت وتأبى»؟(٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم.أهـ ألباني

(٢) الطبراني في الكبير (١/ ٥/ ١) وابن حزم في «الأحكام» (٦/ ٤٦) ورجاله ثقات، غير أن فضالة بن مبارك مدلس كما في «التقريب» وقد عنعنه، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٩) «رواه أبو يعلى ورجاله موثوقون، وإن كان فيهم مبارك بن فضالة» وقال في موضع آخر (٦/ ١٤٥-١٤٦) وقد ساقه بأطول من هذا، لكنه لم يذكره بتمامه: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح» وطرفه الأول في الصحيحين من قول سهل بن حنيف.أهـ ألباني

قال شاكر: كتب مصححو المطبوعة عند قوله «فأجتهد ولا آلو»: «كذا بالأصل، ولعله: =

وقال أيضاً رضي الله عنه: «السنة ما سنه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة»(١).

وقال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إن قلت في آية من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم»؟(٢).

وذكر الحسن بن علي الحلواني، حدثنا عارم، حدثنا حماد بن زيد، عن سعيد بن أبي صدقة، عن ابن سيرين قال: لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر رضي الله عنه، وإن أبا بكر نزلت به قضية، فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً، ولا في السنة أثراً، فاجتهد برأيه، ثم قال: «هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله،

= رأيتني ولو أستطيع أن أرد، إلخ». وهذا انتقال نظر، فإن الذي قال «ولو أستطيع» هو سهل بن حنيف، وحديثه في البخاري ١٣/ ٢٤٤-٢٤٥ ومسلم ٢/ ٦٦ فإنه قال: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته» وباقي الحديث سياق غير المروي هنا عن عمر.

وقال الحافظ في الفتح: «وقد جاء عن عمر نحو قول سهل، ولفظه: اتقوا الرأي في دينكم. أخرجه البيهقي في المدخل، هكذا مختصراً. وأخرجه هو والطبري والطبراني مطولا بلفظ». فذكر نحو ما هنا عن عمر.

وقد رواه ابن حزم في الأحكام بتصحيحنا ٦/ ٤٦ بإسناده إلى مبارك بن فضالة، عن عبيد الله ابن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر أنه قال: «يا أيها الناس، اتهموا آراءكم على الدين، فلقد رأيتني وإني لأرد أمر رسول الله ﷺ برأيي، أجتهد والله ولا آلو» إلى آخره، بنحو ما هنا، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٩ بنحوه وقال: «رواه أبو يعلى ورجاله موثوقون، وإن كان فيهم مبارك بن فضالة».

أقول: ومبارك بن فضالة: ثقة، كما حققنا ذلك في شرح المسند، في الحديثين ١٤٢٦-٥٩٨٩. اهـ.

(١) ابن القيم في إعلام الموقعين ١/ ٥٧ فيما روي عن صدّيق الأمة وأعلمها من إنكار الرأي، وانظر كنز العمال (٢٩٤٧٨) ١٠/ ٢٩٢.

(٢) ابن كثير في تفسيره، وعزاه لأبي عبيد القاسم بن سلام، سورة عبس ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾.

وإن يكن خطأ فمني، وأستغفر الله»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا منقطع، لكن معناه صحيح، فإن محمد بن سيرين لم يدرك عمر. أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (ونرى المسح على الخفين، في السفر والحضر، كما جاء في الأثر).

ش: تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة، فيقال لهم: الذين نقلوا عن النبي ﷺ الوضوء قولاً وفعلاً، والذين تعلموا الوضوء منه توضؤوا على عهده وهو يراهم ويقرهم، ونقلوه إلى من بعدهم -: أكثر عدداً من الذين نقلوا لفظ هذه الآية، فإن جميع المسلمين كانوا يتوضؤون على عهده، ولم يتعلموا الوضوء إلا منه، فإن هذا العمل لم يكن معهوداً عندهم في الجاهلية، وهم قد رأوه يتوضأ ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، ونقلوا عنه ذكر غسل الرجلين في ما شاء الله من الحديث، حتى نقلوا عنه من غير وجه، في كتب الصحيح وغيرها، أنه قال: «ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار»[٢].

مع أن الفرض إذا كان مسح ظاهر القدم، كان غسل الجميع كلفة لا

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٧٧ ذكر الصلاة التي أمر بها رسول الله ﷺ أبا بكر عند وفاته، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٠/ ٣٢٧، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله رقم (٨٨٦) ص ٣١٢

(٢) متفق عليه، دون قوله «وبطون الأقدام» وهو عند أحمد (٤/ ١٩١) بسند صحيح، من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي.أهـ ألباني

تدعو إليها الطباع، كما تدعو الطباع إلى طلب الرياسة والمال، فلو جاز الطعن في تواتر صفة الوضوء، لكان في نقل لفظ آية الوضوء أقرب إلى الجواز، وإذا قالوا: لفظ الآية ثبت بالتواتر الذي لا يمكن فيه الكذب ولا الخطأ، فثبوت التواتر في نقل الوضوء عنه أولى وأكمل، ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السنة، فإن المسح كما يطلق ويراد به الإصابة - كذلك يطلق ويراد به الإسالة، كما تقول العرب: تمسحت للصلاة، وفي الآية ما يدل على أنه لم يرد بمسح الرجلين المسح الذي هو قسيم الغسل، بل المسح الذي الغسل قسم منه، فإنه قال: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ ولم يقل: إلى الكعاب، كما قال: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ فدل على أنه ليس في كل رجل كعب واحد، كما في كل يد مرفق واحد، بل في كل رجل كعبان، فيكون تعالى قد أمر بالمسح إلى العظمين الناتئين، وهذا هو الغسل، فإن من يسمح المسح الخاص يجعل المسح لظهور القدمين، وجعل الكعبين في الآية غاية يرد قولهم، فدعواهم أن الفرض مسح الرجلين إلى الكعبين، اللذين هما مجتمع الساق والقدم عند معقد الشراك ـ مردود بالكتاب والسنة.

وفي الآية قراءتان مشهورتان: النصب والخفض، وتوجيه إعرابهما مبسوط في موضعه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة:٦] عطف على الرؤوس ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ عطف على الوجوه، وهو قراءة مشهورة، لأن المقصود الغسل، بدليل فعل النبي ﷺ أنه كان يغسلهما، ومن قرأ بالجر (وأرجلِكم) فليس المراد

بالمسح الذي هو مثل مسح الرأس، وإن اشتركا في اسم المسح، لكن مسح الرجلين فسره النبي ﷺ بأنه الغسل، والرسول هو المفسر لكتاب الله والمبين لمعنى كتاب الله، فمسح الرأس وغسل الرجل، فدل على أن الرجل تغسل غسلاً يسمى مسحاً، وهو الغسل الذي ليس فيه كثرة الماء.

والرافضة أحقر وأقل من أن يتكلموا، فإن الرافضة لهم من الأغلاط والمخالفة للكتاب والسنة ما لا يحصى، وليس هذا أول غلط، فأغلاطهم لا تحصى وشرهم لا يحصى، وسنة الرسول ﷺ تفسر الكتاب وتبين أن الرِّجل تغسل إذا كانت مكشوفة وتمسح إذا كانت مستورة في الخفين وما في معناهما، فتواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً، تواترت عن رسول الله ﷺ بالمسح من قوله وفعله عليه الصلاة والسلام، فلا كلام للرافضة ولا لغير الرافضة، فلهذا أدخلها السلف في العقائد رداً على الرافضة. أهـ.

* * *

وقراءة النصب نص في وجوب الغسل، لأن العطف على المحل إنما يكون إذا كان المعنى واحداً، كقوله:

فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وليس معنى: مسحت برأسي ورجلي - هو معنى: مسحت رأسي ورجلي، بل ذكر الباء يفيد معنى زائداً على مجرد المسح، وهو إلصاق شيء من الماء بالرأس، فتعين العطف على قوله: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب العطف على وجوهكم ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ [المائدة:٦] أيدي: معطوف

على الوجوه، وهكذا الأرجل معطوفة على الوجوه، كلاهما معطوفان على الوجوه لأنهما هما المباشران بالفعل، ثم الأيدي معطوفة عليهما. أهـ.

* * *

فالسنة المتواترة تقضي على ما يفهمه بعض الناس من ظاهر القرآن، فإن الرسول بين للناس لفظ القرآن ومعناه، كما قال أبوعبدالرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا معناها[١].

وفي ذكر المسح في الرجلين تنبيه على قلة الصب في الرجلين، فإن السرف يعتاد فيهما كثيراً، والمسألة معروفة، والكلام عليها في كتب الفروع.

قوله: (والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم، إلى قيام الساعة، لايبطلهما شيء ولاينقضهما).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الرافضة، حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضى من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه!! وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه بدليل، وهم شرطوا في الإمام أن يكون معصوماً، اشتراطاً، من غير دليل! بل في صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» قال: قلت: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٨٠ وقال الشيخ أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح متصل.

معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعته»(١) وقد تقدم بعض نظائر هذا الحديث في الإمامة، ولم يقل: إن الإمام يجب أن يكون معصوماً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا القول الذي قاله الرافضة قول فاسد لا أساس له، فليس هناك معصوم بعد الرسول ﷺ، فإن الله عصمه فيما يبلغه عن الله عز وجل، أما من بعده فكل واحد غير معصوم، قد تقع منه الذنوب، قد تقع منه السيئات، حتى أبوبكر الذي هو أشرف الأمة وأفضلها بعد رسول الله ﷺ، فما هنا أحد معصوم «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»(٢).

ولكن قول الرافضة قول خرق الإجماع وخالف النصوص، وقولهم إن أئمتهم معصومون وأنهم يعلمون الغيب، هذا من أفسد الأقوال وأبطلها وأضلها عن سواء السبيل، نسأل الله العافية.

لكن الرسل فيما لا يبلغون عن الله ليسوا بمعصومين، قد يقع منهم بعض الشيء، قول الجمهور أنه قد تقع منهم الصغائر.

والحديث«**ولا ينزعن يداً من طاعة**»وقوله«**من طاعته**»قد يكون رواه بالمعنى. أهـ.

* * *

والرافضة أخسر الناس صفقة في هذه المسألة، لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم، الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا!! فإنهم

---

(١) صحيح، وقد تقدم.أهـ ألباني

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٩) كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، من حديث أنس، قال الحافظ في بلوغ المرام: وسنده قوي وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/ ١٤٢٠.

يدعون أنه الإمام المنتظر، محمد بن الحسن العسكري، الذي دخل السرداب في زعمهم، سنة ستين ومائتين، أو قريباً من ذلك بسامرا! وقد يقيمون هناك دابة، إما بغلة وإما فرساً، ليركبها إذا خرج! ويقيمون هناك في أوقات عينوا فيها من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا، اخرج! يا مولانا، اخرج! ويشهرون السلاح، ولا أحد هناك يقاتلهم! إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم منها العقلاء!!

وقوله: «مع أولي الأمر برهم وفاجرهم» لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى في هذا أن الجهاد مع البر والفاجر تقام به أعلام الدين ويرفع به شأن الإسلام، وفجوره على نفسه، مادام أقام الحج والجهاد ففجوره على نفسه، وإن كان الأتقى والمؤمن خيراً للمسلمين وأنفع؛ لكن ليس في كل وقت يتوفر هذا، فإقامة الجهاد مع كل بر وفاجر فيه مصالح المسلمين العامة، وسياسة دينهم ودنياهم، وتنفيذ أوامر الله وإقامة حدوده. أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين).

ش: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى

وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم، فيسألهم، والله أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وفارقناهم وهم يصلون»[١] وفي الحديث الآخر: «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع، فاستحيوهم، وأكرموهم»[٢] جاء في التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، بدلاً، حافظان وكاتبان، وقال عكرمة عن ابن عباس: يحفظونه من أمر الله، قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لا نعلم في عدد الحفظة شيئاً محفوظاً، الحفظة المعروف أنها تكتب حسناتهم وسيئاتهم، أما تعدادهم فالله أعلم، ما ثبت شيء، ملكان، واحد من أمامه وواحد من خلفه، والحفظة الكاتبون لهم شأنهم، والمعقبات لهم شأنهم، والذين يتعاقبون لهم شأن آخر، والكاتبون لهم شأن آخر، فهم أقسام، فالعبد غير مهمل. أهـ.

* * *

(١) متفق عليه عن أبي هريرة، وهو مخرج في الظلال (٤٩١).أهـ ألباني

(٢) ضعيف «الضعيفة» (٢٢٤١).أهـ ألباني

وروى مسلم والإمام أحمد عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، لكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[(١)].

الرواية بفتح الميم من «فأسلم» ومن رواه «فأسلم» برفع الميم - فقد حرف لفظه، ومعنى «فأسلم» أي: فاستسلم وانقاد لي، في أصح القولين، ولهذا قال: «فلا يأمرني إلا بخير» ومن قال: إن الشيطان صار مؤمناً - فقد حرف معناه، فإن الشيطان لا يكون مؤمناً[(٢)].

---

(١) عبد الله هو ابن مسعود، وأخرجه الدارمي عنه أيضاً في «الرقاق» وقال: من الناس من يقول «أسلم»: استسلم، يقول :ذل.أهـ ألباني

قال شاكر: رواه مسلم ٢/ ٣٤٦ (١٧: ١٥٧ من شرح النووي) ورواه أحمد في المسند ٣٦٤٨،٣٧٧٩،٣٨٠٢،٤٣٩٢ بألفاظ متقاربة، واللفظ الذي هنا يوافق رواية المسند ٣٨٠٢ وكان في المطبوعة هنا «ولكن أعانني الله عليه» فصححناه من لفظ المسند.أهـ

(٢) قال شاكر: والخلاف في ضبط الميم من «فأسلم» خلاف قديم، والراجح فيها الفتح، كما قال الشارح، ولكن المعنى الذي رجحه غير راجح، فقال القاضي عياض في «مشارق الأنوار» (٢/ ٢١٨): «رويناه بالضم والفتح، فمن ضم رد ذلك إلى النبي ﷺ، أي فأنا أسلم منه، ومن فتح رده إلى القرين، أي :أسلم، من الإسلام، وقد روي في غير هذه الأمهات: فاستسلم».

يريد بالأمهات: الموطأ والصحيحين التي بنى عليها كتابه، وإن كان هذا الحديث لم يروه مالك ولا البخاري.

وقال النووي في شرح مسلم: «هما روايتان مشهورتان، واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: الصحيح المختار الرفع، رجح القاضي عياض الفتح».

وأما الحافظ ابن حبان، فإنه روى الحديث في صحيحه (٢/ ٢٨٣) من المخطوطة المصورة، وجزم برواية فتح الميم، وقال: «في هذا الخبر دليل على أن شيطان المصطفى ﷺ أسلم حتى لم يكن يأمره إلا بخير، لا أنه كان يسلم منه وإن كان كافراً».

وهذا هو الصحيح الذي ترجحه الدلائل، وادعاء الشارح أن هذا تحريف للمعنى «فإن الشيطان لا يكون مؤمنا» انتقال نظر.

فأولاً: أن اللفظ في الحديث «قرينه من الجن» ولم يقل «شيطانه». =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ظاهر الإطلاق أنه دخل في الإسلام، لأن الشياطين هم مردة الجن، كفارهم ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الجن:١١] فالشيطان هو رأسهم الأول، فالكفار من الجن هم الشياطين، ومن لم يكفر بالله فهو من المؤمنين، وهكذا ابن آدم منهم من تمرد ومنهم من كفر، ومن لم يتمرد فهو مؤمن، فالجن فيهم المؤمن والكافر والإنس فيهم المؤمن والكافر، ولعل أكثر الجن شياطين مثل ما أن أكثر الإنس شياطين ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣].

فالأقرب ـ والله أعلم ـ مثل ما قال «فأسلمَ» ولا حاجة إلى تأويلها فاستسلم، فالرواية المعروفة «فأسلمَ» يعني دخل في الإسلام.

شياطين الجن فيهم طبقات الناس، فيهم الكافر وفيهم اليهودي وفيهم النصراني وفيهم الجهمي وفيهم المعتزلي وفيهم الأشعري وفيهم الرافضي، مثل الإنس ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن:١١] طرائق وأقسام ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدًا ۝ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن:١٤-١٥] والإنس كذلك.

سؤال/ البدع التي تكون في الجن هل يتلقونها من الإنس أو عندهم مبتدعة يتلقى بعضهم عن بعض؟

أجاب سماحة الشيخ: الذي يظهر والله أعلم أن منهم من يتلقاها عن

= وثانياً: أن الجن فيهم المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم، فمن آمن منهم لم يسم شيطاناً.أهـ

الإنس ومن من يتلقاها عن الجن، لأنهم لهم اتصال بالإنس ولهم معرفة بأحوال الإنس، يعلمون بالمجالس ويقرأون ويكتبون، فلا مانع أن يأخذوا عن الإنس بعض الخير والشر وعن بعضهم، مثل الإنس. أهـ.

* * *

ومعنى: ﴿ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ قيل: حفظهم له من أمر الله، أي الله أمرهم بذلك، يشهد لذلك قراءة من قرأ: «يحفظونه بأمر الله».

ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية، لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا**»[1] وقال رسول الله ﷺ: «**قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرائي**»[2] خرجاهما في الصحيحين واللفظ لمسلم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا يوجب للمؤمن العناية التامة بأعماله وأقواله، مادام محفوظاً تكتب عليه سيئاته وحسناته، فما أجدره أن يكون حريصاً على إملاء الحسنات حذراً من إملاء السيئات، وهو كتاب عظيم سوف يعطاه يوم القيامة ويقال ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء:١٤] فما أولى المؤمن

---

(١) متفق عليه من أبي هريرة رضي الله عنه.أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من أبي هريرة رضي الله عنه.أهـ ألباني

وما أحقه بأن يحذر هذه الكتابة، وأن يستحي من الله ومن ملائكته أن يملي عليهم ما يغضبه سبحانه ويخالف أمره، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان. أهـ.

* * *

قوله: (ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين).

ش: قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ولا تعارض هذه الآية قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره، وحكمه وأمره، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا قول، القول الثاني أن له أعواناً، وأن أعوانه قد يتولون القبض بأمره وتوجيهه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١] ظاهر بأن التوفي قد يتوفاه جماعة، قد يتولاه جماعة، ويحتمل ما قاله الشارح أنه يقبضها ثم يتولون بقية الأمر، يحتمل الأمر القول الثاني، وهو أنه ينوب عنه أعوان، ويصدق عليه أنه هو الملك الموكل، ويصدق على الملائكة أنهم توفوا فلاناً وفلاناً وفلاناً ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال:٥٠] فجعل التوفي لجماعة، فهذا يدل على أنه له أعوان ونواب يتصرفون بتوجيهه، فلا منافاة بين كون الوفاة تسند إليه

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة:١١] وبين أن تسند إلى جماعة من الملائكة. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقد اختلف في حقيقة النفس ما هي؟ وهل هي جزء من أجزاء البدن؟ أو عرض من أعراضه؟ أو جسم مساكن له مودع فيه؟ أو جوهر مجرد؟ وهل هي الروح أو غيرها؟ وهل الأمارة، وهل اللوامة، والمطمئنة - نفس واحدة، أم هي ثلاثة أنفس؟ وهل تموت الروح، أو الموت للبدن وحده؟

وهذه المسألة تحتمل مجلداً، ولكن أشير إلى الكلام عليها مختصراً، إن شاء الله تعالى:

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد ألف ابن القيم رحمه الله كتاباً في هذا فصّل فيه سماه: كتاب الروح، كتاب عظيم كثير الفائدة، فالروح قال الله جل وعلا فيها: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥] الله سبحانه الذي أخبر أنها من أمره وأن شأنها عظيم، وأنه لم يجعل ذلك إلى أحد من الناس، بل هي شيء مستقل يدخل ويخرج، الله الذي يعلم كيفيتها سبحانه وتعالى وحقيقة أمرها، فهو الخلاق لها وهو العالم بشأنها وهو المدبر لها سبحانه وتعالى، وهي مستقلة غير البدن، وهي لا تموت كما يأتي بل هي مستقلة، بل بعد المفارقة إما إلى عذاب وإما إلى نعيم، بعدما تفارق البدن إما إلى نعيم وإما إلى عذاب. أهـ.

❊ ❊ ❊

فقيل: الروح قديمة، وقد أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم، أن العالم محدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة، واحتج بأنها من أمر الله، وأمره غير مخلوق! وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقف آخرون.

واتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة وغيرهما.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك في هذا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

والمضاف إلى الله قسمان:

قسم يضاف إليه لأنه صفة له، كعلمه وكلامه ورضاه وغضبه.

وقسم يضاف إليه لأنه خالقه ومدبره ومنشؤه.

ثم هذا الذي يضاف إليه على أنه خالقه قسمان:

أحدهما: أن يضاف إليه إضافة خلق وإيجاد، كما يقال: أرض الله، وسماء الله.

والثاني: يضاف إليه إضافة تشريف وتكريم مع كونه مخلوقاً، كناقة الله وبيت الله ورسول الله، ومن هذا الباب الروح، روح الله ﴿مِن رُّوحِى﴾

[الحجر:٢٩] فعيسى روح الله من باب إضافة مخلوق إلى خالقه إضافة تشريف وتكريم. أهـ.

* * *

ومن الأدلة على أن الروح مخلوقة، قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى، فإنها داخلة في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال، فعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وجميع صفاته - داخل في مسمى اسمه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق، وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعاً أن الروح ليس هي الله، ولا صفة من صفاته، وإنما هي من مصنوعاته، ومنها قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ وقوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٩] يعني يعم روحه وجسده ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان:١] لا روحاً ولا جسداً ثم خلق الله سبحانه وتعالى الجسد. أهـ.

* * *

والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لزكريا، لروحه وبدنه، والروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث، وأما احتجاجهم بقوله: ﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ فليس المراد هنا بالأمر الطلب، بل المراد به المأمور، والمصدر يذكر ويراد به اسم المفعول، وهذا معلوم مشهور.

وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِن رُّوحِي﴾ فينبغي أن يعلم أن

المضاف إلى الله نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً، يتميز بها المضاف عن غيره.

واختلف في الروح: هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟

وقد تقدم عند ذكر الميثاق الإشارة إلى ذلك.

واختلف في الروح: ما هي؟

قيل: هي جسم، وقيل: عرض، وقيل: لا ندري ما الروح، أجوهر أم عرض؟ وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع الأربع، وقيل: هي الدم الصافي الخالص من الكدرة والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة، وقيل: هو جوهر بسيط منبث في العالم كله من الحيوان، على جهة الإعمال له والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم، غير منقسمة الذات والبنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير، وقيل: النفس هي النسيم الداخل والخارج بالتنفس، وقيل غير ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مثل ما تقدم لنا، أنها شيء مستقل، ذات مستقلة كما قال أهل العلم، أهل السنة والجماعة، تدخل وتخرج وتتصرف ولها شأنها بأمر ربها سبحانه وتعالى، لكن كيفيتها، الله الذي يعلمها سبحانه وتعالى.

والطبائع الأربع معروفة: الغالبية والسماوية والصفراوية، ووصفها بالجسم، يعني لطيف جداً، لأنها تدخل وتخرج، فهذا تسامح في العبارة، والغالب في اللغة أن الأجسام التي لها جسد ولها ثخانة في الغالب، فقد يتسامحون في العبارة.

والصواب أن النفس والروح شيء واحد، والنفس توصف بالطمأنينة واللوامة، تارة تكون لوامة، تارة تكون مطمئنة، تارة تكون أمارة بالسوء، هذه أوصافها. أهـ.

* * *

وللناس في مسمى الإنسان: هل هو الروح فقط، أو البدن فقط، أو مجموعهما، أو كل منهما؟ وهذه الأقوال الأربعة لهم في كلامه: هل هو اللفظ، أو المعنى فقط، أوهما، أو كل منهما؟ فالخلاف بينهم في الناطق ونطقه.

والحق: أن الإنسان اسم لهما، وقد يطلق على أحدهما بقرينه، وكذا الكلام.

والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل: أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف سارياً في هذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار، من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الآية، ففيها الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج، والإخبار بعذابها ذلك اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ الآية، ففيها الإخبار بتوفي النفس بالليل، وبعثها إلى أجسادها بالنهار، وتوفي الملائكة لها عند الموت، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ ففيها وصفها بالرجوع والدخول والرضى، وقال ﷺ: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا في قصة أبي سلمة، رواه مسلم «إن الروح إذا قبض» والغالب فيها التذكير، قد تؤنث، ولكن الغالب فيها التذكير كالنفس. أهـ.

* * *

ففيه وصفه بالقبض، وأن البصر يراه، وقال ﷺ في حديث بلال: «قبض أرواحكم وردها عليكم»[(٢)] وقال ﷺ: «نسمة المؤمن طائر يعلق

---

(١) مسلم عن أم سلمة «أحكام الجنائز» (٢٥). أهـ ألباني

(٢) صحيح، أخرجه البخاري من حديث أبي قتادة، وليس من حديث بلال كما هو ظاهر كلام المؤلف، وكذلك أخرجه أحمد وغيره «صحيح أبي داود» (٤٦٥). أهـ ألباني

في شجر الجنة»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا رواه الإمام أحمد بإسناد جيد من حديث كعب بن مالك الأنصاري، وهو حديث إسناده جيد، لأنه من طريق الأئمة، الإمام أحمد عن الشافعي عن مالك عن عبدالرحمن بن كعب عن أبيه كعب. أهـ.

* * *

وسيأتي في الكلام على عذاب القبر أدلة كثيرة من خطاب ملك الموت لها، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، وأنها تصعد ويوجد منها ـ من المؤمن ـ كأطيب ريح، ومن الكافر كأنتن ريح، إلى غير ذلك، من الصفات، وعلى ذلك أجمع السلف ودل العقل، وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة، والشبه الفاسدة، التي لا يعارض بها ما دل عليه نصوص الوحي والأدلة العقلية.

وأما اختلاف الناس في مسمى النفس والروح: هل هما متغايران، أو مسماهما واحد؟

فالتحقيق: أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها، ويطلق على الدم، ففي الحديث: ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه[٢].

(١) «الصحيحة» (٩٩٥).أهـ ألباني

(٢) لا أعرف له أصلاً، وإنما هو من كلام الفقهاء.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مشهور، يقول الشاعر:

تسيل على حد السيوف نفوسنا ونشا على غير السيوف تسيل

نفوسنا: يعني دماؤنا، فالمقصود أن النفس تطلق على عين الشيء، نفس الشيء يعني عينه، أما ما يتعلق بالروح والنفس فهما شيء واحد فيما يتعلق بالبدن، فإنه تطلق النفس على الروح والروح على النفس، خلق الإنسان في نفسه، والنفس مؤنثة والروح في الغالب الأذكار، وتطلق النفس على نفس الدم وعلى عين الشيء وعلى أشياء أخرى، وهكذا الروح تطلق على نفس النفس التي هي روح الإنسان، وتطلق على أشياء أخرى، مثل تسمية الملك جبرائيل الروح، ومثل تسمية القرآن روحاً والوحي روحاً لما يحصل به من الحياة، كل شيء يحصل به الحياة يسمى روحاً. أهـ.

* * *

والنفس: العين، يقال: أصابت فلاناً نفس، أي عين، والنفس: الذات ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ ونحو ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يعلم أنه مشترك هنا بمعنى القوة. أهـ.

* * *

وأما الروح فلا يطلق على البدن، لا بانفراده، ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن، وعلى جبرائيل ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ويطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً،

وأما ما يؤيد الله به أولياءه، فهي روح أخرى، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «إيمان» هنا بمعنى القوة، الشيء الذي يحصل بعد الثبات من قوة القلب وقوة الغيرة وقوة البصيرة، إلى غير ذلك. أهـ.

❊ ❊ ❊

وكذلك القوى التي في البدن، فإنها أيضاً تسمى أرواحاً، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشام.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: عند أهل اللغة، الروح الباصرة والروح الشامة، يعني قوة هذه الأشياء، وصف لهذه الأشياء، يعني القوة الباصرة والقوة السامعة والقوة المتحركة وقوة الغيرة لله والقوة الثابتة والقوة التي بها إدراك الحقائق على ما هي عليه، كنوع من الحياة الخاصة ونوع من البصر الخاص، توسع اللغة في هذه الأشياء، العرب لهم توسع كبير في كلمات كثيرة. أهـ.

❊ ❊ ❊

وتطلق الروح على أخص من هذا كله، وهو: قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذه الروح إلى الروح، كنسبة الروح إلى البدن، فالعلم روح، والإحسان روح، والمحبة روح، والتوكل روح، والصدق روح، والناس متفاوتون في هذه الروح: فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانياً، ومنهم من

يفقدها أو أكثرها فيصير أرضياً بهيمياً.

وقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس: مطمئنة، ولوامة، وأمارة، قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

والتحقيق: أنها نفس واحدة، لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة، ولهذا قال ﷺ: «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن»[1] مع قوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[2] الحديث.

واختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟

فقالت طائفة: تموت، لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم

(١) «الصحيحة» (٥٥٠).أهـ ألباني

(٢) متفق عليه، وقد مضى الحديث.أهـ ألباني

وتفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الصواب، أن النفوس التي هي الأرواح لا تموت بمعنى العدم والفناء، ولكنها تموت بمفارقة الأجساد ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران:١٨٥] كل نفس تفارق جسدها وتنتقل إما إلى نعيم وإما إلى عذاب، موت النفوس كونها تفارق هذه الأجسام التي خلقت فيها وتنتقل عنها إلى غيرها، فإذا مات الإنسان فقد ذاقت نفسه الموت، وذلك لكونها فارقته وانتقلت عنه إلى شيء آخر وإلى محل آخر، إلى نعيم أو عذاب أو إلى ما بين هذا، تارة نعيماً وتارة عذاباً، وأما الجسد فقد خرب بمفارقتها إياه، ثم هي بعد ذلك مستمرة في حالها، إما في نعيم وإما في عذاب، حتى ترد إلى أجسادها يوم القيامة، يوم القيامة ترد إلى أجسادها فتنعم معها أو تعذب معها، نسأل الله السلامة. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد، وأما قول أهل النار: ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ فالمراد: أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصعق الأرواح عند

النفخ في الصور لا يلزم منه موتها، فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، وليس ذلك بموت، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى، وكذلك صعق موسى عليه السلام لم يكن موتاً، والذي يدل عليه أن نفخة الصعق - والله أعلم - موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما من ذاق الموت، أو لم يكتب عليه الموت من الحور والولدان وغيرهم، فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية، والله أعلم.

قوله: (وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم.

والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران).

ش: قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر، لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: عذاب القبر ونعيم القبر أمر قد أجمع عليه أهل السنة والجماعة، استقر إجماع أهل السنة على أن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، وقد

تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ من وجوه كثيرة وعن جماعة من الصحابه كثيرين، كلها تدل على أن القبر صاحبه إما معذب وإما منعم، وأن عذاب القبر شيء معجل لأهله، ونعيم القبر شيء معجل لأهله، ومما دل عليه من كتاب الله قوله جل وعلا: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر:٤٥-٤٦] هذا هو عذاب القبر ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦] هذا يوم القيامة، نسأل الله السلامة، وقوله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الطور:٤٧] يعني قبل يوم القيامة، هو ما يحصل لهم في الدنيا من أنواع العذاب من الغم والهم والقلق، وما يقع في صدورهم من الضيق والحرج والحيرة والشك، وما يكون لهم في القبور من العذاب المعجل قبل يوم القيامة، نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

سؤال/ استدل على عذاب القبر بالآيتين السابقتين، فما الدليل على النعيم؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا من باب أولى، وبعضهم يستدل بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ ﴾ [المطففين:٢٢] فالنعيم يعم نعيم الدنيا ونعيم القبر ونعيم الآخرة، يعم الثلاثة. أهـ.

* * *

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير ،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قوله: «كأن على رؤوسنا الطير» لأنهم في غاية من الخشوع والخضوع ليستمعوا لكلامه عليه الصلاة والسلام، يعني أنهم منصتون خاشعون خاتلون لا حركات ولا أصوات، كالذي على رأسه الطير يخشى أن يطير الطير، لأنه إذا تحرك طار، فهم خاشعون خاضعون يستمعون لما يقول عليه الصلاة والسلام، متشوقون لسماع الفائدة، ليس عندهم أصوات تشغل ولا حركات، ولهذا قال: كأن على رؤوسنا الطير. أهـ.

❊ ❊ ❊

وهو يلحد له، فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر» ثلاث مرات، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الحنوط هو الطيب، تكون في كفن يكون فيه الطيب الذي لا يعلم مدى حسنه وطيبه إلا الذي خلقه سبحانه وتعالى. أهـ.

❊ ❊ ❊

ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها، يعني على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما

هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الإعادة إعادة مؤقتة، إعادة الروح - روح المؤمن - إلى الأرض هذه إعادة مؤقتة للسؤال، ثم ترفع هذه الروح إلى الجنة، فإن أرواح المؤمنين في الجنة تسرح في الجنة حيث شاءت، في أشباه طير تسرح في الجنة وتعلق في أشجار الجنة وثمارها حتى يعيدها الله إلى جسدها عند البعث والنشور، كما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام من حديث كعب بن مالك الأنصاري، وأما أرواح الشهداء فإنها تكون في حواصل طير خضر يكون لها أجساد، يخلق الله لها أجساداً من طير خضر تحمل هذه الأرواح، تسرح بها في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، هذا شأنها حتى يردها الله إلى أجسادها يوم القيامة. أهـ.

* * *

فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من

روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المقصود أنها أشياء تشبه الكفن، لكنها أشياء خبيثة، إما من أشياء فيها نار وفيها أذى يؤذيه، لأنها ضد ما يقابل به المؤمن، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسؤوك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت، فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول رب لا تقم الساعة»[1] رواه الإمام أحمد وأبوداود، وروى النسائي وابن ماجة أوله ورواه الحاكم وأبوعوانة الإسفرائيني في صحيحيهما، وابن حبان.

وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد من الصحيح، فذكر البخاري رحمه الله

عن سعيد عن قتادة عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من

(١) صحيح، انظر أحكام الجنائز (١٥٦ـ١٥٩).أهـ ألباني

قال شاكر: رواه أحمد في المسند (ج٤ ص٢٨٧ـ٢٨٨ـ٢٩٥ـ٢٩٦طبعة الحلبي) مطولاً، ونقله ابن كثير في التفسير ٣/ ٤٧٤ـ٤٧٥ عن المسند، ورواه أبو داود: ٤٧٥٣ـ٤٧٥٤، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٧ـ٣٩، بأسانيد كلها من رواية الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا جميعاً بالمنهال بن عمرو، وزاذان أبي عمر الكندي». ووافقه الذهبي، وقد أطال الإمام ابن القيم القول في تصحيحه، والرد على من أعله في تهذيب السنن ٤٥٨٦(ج٧ ص١٣٩ـ١٤٦).أهـ

النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً[١] قال قتادة: وروي لنا أنه يفسح له في قبره، وذكر الحديث.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه إحدى الروايات، والمعروف رواية «لا يستتر من البول»[٣] وفي رواية«لا يستنزه من البول»[٤]. أهـ.

* * *

وفي صحيح أبي حاتم عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «إذا قبر أحدكم، أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر، وللآخر: النكير»[٥] وذكر الحديث إلخ. .

---

(١) «الصحيحة» (١٣٤٤).أهـ ألباني

(٢) متفق عليه «صحيح أبي داود» (١٥).أهـ ألباني

(٣) رواه البخاري (٢١٦) كتاب الوضوء/ باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، و(٢١٨) باب: و(١٣٦١) كتاب الجنائز/ باب الجريدة على القبر، و(١٣٧٨) باب عذاب القبر من الغيبة والبول، و(٦٠٥٢) كتاب الأدب/ باب الغيبة، و(٦٠٥٥) باب النميمة من الكبائر، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه أبو داود (١٩) كتاب الطهارة/ باب الاستبراء من البول، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الألباني في سنن أبي داود ١/ ٦.

(٥) حسن، أخرجه الترمذي أيضاً (١/ ١١٩) وقال: «حديث حسن غريب» قلت: وإسناده حسن، وفيه رد على من أنكر من المعاصرين تسمية الملكين بـ«المنكر والنكير» وهو مخرج في الصحيحة (١٣٩١).أهـ ألباني

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذا الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها البدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً، فالنوم أخو الموت، فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهو كما قال الشارح، فإن هذا التعلق كله صحيح، فإن الروح لها في الجسد خمسة أنواع من التعلق:

التعلق الأول: تعلقها به حين وجوده في بطن أمه، حركته في بطن أمه، فإن فيه روحاً بها صارت حركته في بطن أمه.

والتعلق الثاني: بعد الانفصال بعد الولادة، وهذا التعلق يقوى ويشتد مع الولد ببدنه وقوته.

والتعلق الثالث: تعلقها في النوم حين المنام، فإن لها تعلقاً به، فهو ليس بميت، وإن كان النوم أخو الموت لكنه موت أخص، فلها تعلق به وبه بقيت حياته حتى تعود إليه.

والتعلق الرابع: تعلقها في البرزخ بعد الموت، فإنها تعاد إليه عودة خاصة حتى يسأل عن ربه وعن دينه، ويسمع قرع نعالهم إذا ولوا، ويحس بالنعيم والعذاب، فهذا تعلق، الجسد له نصيبه والروح لها نصيبها، وفي الحديث: «**ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السلام**»[1] هذا له تعلق، وجاء هذا المعنى في بعض الروايات «**ما من عبد يزور أخا له كان يعرفه في الدنيا يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام**»[2] وإن كان فيه ضعف لكن المقصود أن له تعلقاً.

والخامس: التعلق الأخير التعلق الأكمل، وهو تعلقها به في الجنة أو النار بعد البعث والنشور، وهذا أكمل التعلقات، إذ هو تعلق ليس بعده

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٤٥ باب زيارة قبر النبي ﷺ، وفي شعب الإيمان كذلك ٢/ ٢١٥ (١٥٨١) و٣/ ٤٩٠ (٤١٦١) عن أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٦٧٩).

(٢) أورده الحافظ ابن رجب في كتابه «أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور» ٨٢/ ٢٧٨ وقال :خرجه ابن عبد البر، وقال عبد الحق الإشبيلي: إسناده صحيح، يشير إلى أن رواته كلهم ثقات، وهو كذلك، إلا أنه غريب منكر.أهـ

وأورده أيضاً من طريق أخرى (٢٨٠) وقال: عبد الرحمن بن زيد فيه ضعف وقد خولف في إسناده، وكذا (٢٨١-٢٨٢).

انفصال وليس بعده الموت، بل هو تعلق مستمر أبد الآباد إما في الجنة وإما في النار، وهذا أكمل التعلقات وأتمها. أهـ.

* * *

وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح! والأحاديث الصحيحة ترد القولين.

وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به.

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر- وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك - فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، والله المستعان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أن أصل كل شر في الوجود من بدعة ومعصية وغير ذلك، أصلها سوء الفهم عن الله وسوء البصيرة وقلة العلم، وإذا انضم إلى هذا اتباع الهوى ـ يعني

سوء القصد ـ تضاعف الشر وعظم الشر ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم:٢٣] هذا داء الكفار، اتباع الظن وقلة العلم وقلة البصيرة وسوء الفهم ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ هذا سوء القصد، فبناء كل شر وفساد في الدنيا والآخرة على هذين الأمرين، على قلة العلم وسوء الفهم، وعلى سوء القصد وعدم الإخلاص، القصد لله وحده سبحانه وتعالى، فإذا اجتمع للإنسان قلة علم مع اتباع الهوى تم فساده ـ نسأل الله العافية ـ وتمت الخسارة، وإذا رزق الله العبد المعرفة التامة بما قاله الله ورسوله، والفهم الصحيح بما قاله الله ورسوله، مع حسن القصد ومع الرغبة في الخير والبعد عن الهوى؛ كان ذلك أقرب إلى السلامة وأقرب إلى حسن العاقبة. أهـ.

* * *

فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم؛ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً، فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يتبين أن الروح والجسد مصطحبين، لكن تعلق الروح بالبدن في الدنيا أعظم من تعلقها

بالبدن في البرزخ، والنعيم والعذاب والأحكام في الدنيا أكثر تعلقاً بالبدن، وفي البرزخ أكثر تعلقاً بالروح، فهي تعذب وتنعم أكثر، والبدن له نصيبه، وأما في الآخرة فيتعلق الأمر بهما جميعاً، النعيم والعذاب يتعلق بهما جميعاً تعلقاً كاملاً، فإن الروح تجتمع بالبدن ولا تفارقه أبداً لا نوم ولا موت، فالروح مصاحبة للبدن في الآخرة مصاحبة كاملة، لأنه ليس هناك نوم وليس هناك سكر وليس هناك موت، فتعلق الروح بالبدن في الآخرة تعلق كامل تام، أما في الدنيا فيعتريه النوم ويعتريه السكر ويعتريه أشياء أخرى، ثم الموت بعد ذلك، وفي البرزخ تنفصل الروح وتكون للعذاب والنعيم أكثر، ويكون نصيب الجسد أقل، وفي الآخرة يكون النعيم والعذاب لهما جميعاً كاملاً تاماً، واتصال الروح بالجسد تام يوم القيامة، وفي الآخرة في الجنة وفي النار، فليس هناك موت ولا نوم ولا غير ذلك مما يفصل الروح عن الجسد، بل اتصالها به اتصال تام يوم القيامة وفي الجنة أو في النار، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: له شاهد في الدنيا، له شاهد في الحياة، الإنسان قد ينعم في قبره ويعذب ومن حوله لا يشعر بشيء، وقد يكون الميت بين الناس في نعيم أو في عذاب لم يدفن ولا يشعر به الناس، وهكذا في الحياة الدنيا، الإنسان في نومه، قد يعذب في

النوم وينعم في النوم ومن حوله لا يشعر به، وهو في عذاب في نومه، فيه أشياء كثيرة مؤذية في نومه، فإذا استيقظ من نومه وجد راحة عظيمة من ذلك العذاب في النوم، مما يعرض عليه ومما يؤذى به في النوم، وقد يكون في نعيم في النوم، في راحة وسرور وأحلام طيبة إلى غير هذا، ومن حوله لا يشعر به، فكيف بحال الآخرة؟

فإن البرزخ أمره لا يقارن ما في الدنيا ولا يداني ما في الدنيا، وليس بشرط عذابه أو نعيمه في البرزخ أن يعلمه جيرانه أو الناس، لا، هذا شيء خاص، الله جل وعلا يرسله إلى الروح ويرسله إلى الجسد، وإن كان أهل الدنيا لا يشعرون بذلك، ولا من حوله من الأحياء ولا من حوله من الأموات. أهـ.

* * *

بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً، وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيح عنه ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»[١].

(١) أخرجه مسلم عن أبي سعيد وعن أنس، لكن دون قوله «ما أسمع». أهـ ألباني

قال شاكر: صحيح مسلم ٢/ ٣٥٨ ولكن ليس في آخره كلمة «ما أسمع» فلعل الشارح رآها في رواية أخرى، فإن البخاري لم يرو هذا الحديث. أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من رحمة الله أنه لم يسمعنا عذاب المعذبين، ولو أسمع الناس عذاب المعذبين في قبورهم لما تهنئوا بنوم ولا بعيش، ولتكدرت عليهم هذه الدنيا إذا سمعوا عذاب المعذبين من آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وقراباتهم وغيرهم، ولكن من رحمة الله أن الله أخفى علينا ذلك، وهذا من إحسانه سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعته وأدركته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأجل الروايات المعروفة «**فيسمعه كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق**»[١] فيدل على أنهم يسمعون، ما استثنى إلا الإنسان، وفي رواية «**إلا الثقلين**»[٢].

ويذكر أن أبا العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سأله بعض الناس، قالوا: بعض الخيل يصيبها مرض في بطونها، فنذهب بها إلى قبور معروفة فيصيبها إسهال وتلقي ما في بطونها، ويظنون أن هذا من بركة هذه القبور! .

قال: لا، هذه القبور قبور من قبور النصارى وكذا وكذا معذبون، فإذا

---

(١) رواه البخاري (١٣١٤) كتاب الجنائز/ باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، و(١٣١٦) باب قول الميت وهو على الجنازة قدموني، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٣٣٨) كتاب الجنائز/ باب الميت يسمع خفق النعال، و(١٣٧٤) باب ما جاء في عذاب القبر، وأبو داود (٤٥٨٤) كتاب السنة/ باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، من حديث أنس رضي الله عنه.

ذهبتم بها إليهم وسمعت تلك الأهوال في القبور أصابها ما أصابها من إسهالها وإخراج ما في بطونها من الروعة والخوف مما تسمع، فلهذا يصيبها ما يصيبها من إخراج ما في بطونها، لا لأنهم مباركون، بل لأنهم معذبون، وأبلغ من هذا الحديث الصحيح: «**يسمعها كل شيء إلا الثقلين**»[1] وفي لفظ «**إلا الإنسان**»[2]. أهـ.

سؤال/ بعض الحيوانات تعيش في المقابر !!

أجاب سماحة الشيخ: ما كل مقبرة معذبة. أهـ.

سؤال/ الحكايات والأخبار التي تروى في مشاهدة بعض الناس لشيء من النعيم؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا واقع، ذكره ابن رجب رحمه الله وغيره، ذكره ابن رجب في «أهوال القبور» والقرطبي في «التذكرة» والسفاريني في «البحور الزاخرة» وغيرهم، ذكروا أشياء من هذا كثيرة، ابن رجب ذكر من هذا أشياء في «أهوال القبور» أطلع الله الناس على ما يشاء سبحانه وتعالى، عبرة للعظة والتذكر، مثل ما أطلع الله نبيه ﷺ على القبرين قال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»[3] هذا مما أُطلع عليه النبي ﷺ، وفي

---

(١) رواه البخاري وأبو داود من حديث أنس رضي الله عنه، وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٢١٦) كتاب الوضوء/ باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، و(٢١٨) و(١٣٦١) كتاب الجنائز/ باب الجريدة على القبر، و(١٣٧٨) باب عذاب القبر من الغيبة والبول، و(٦٠٥٢) كتاب الأدب/ باب الغيبة، و(٦٠٥٥) باب النميمة من الكبائر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تقدم.

غلام مولاه قال «إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه ناراً»[(١)] وأشياء من هذا جاءت عن النبي ﷺ. أهـ.

* * *

وللناس في سؤال منكر ونكير: هل هو خاص بهذه الأمة أم لا ثلاثة أقوال: الثالث التوقف، وهو قول جماعة، منهم أبوعمر بن عبدالبر، فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ، قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها»[(٢)] منهم من يرويه «تسأل» وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع به، ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم.

وكذلك اختلف في سؤال الأطفال أيضاً: وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟

جوابه أنه نوعان: منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة»[(٣)] رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

والنوع الثاني: أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، كما تقدم ذكره في الممحصات العشرة.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٣٤) كتاب المغازي/ باب غزوة خيبر، و(٦٧٠٧) كتاب الأيمان والنذور/ باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم والزرع والأمتعة ؟، وأبو داود (٢٥٩٦) كتاب الجهاد/ باب في تعظيم الغلول، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مسلم وأحمد، وهو مخرج في الصحيحة (١٥٩).أهـ ألباني

(٣) صحيح، وقد تقدم بتمامه.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه المسألة القطع فيها محل نظر، لأن عذاب القبر حق ونعيم القبر حق، وأما كون العذاب مستمراً حتى يبعث يوم القيامة، فهذا يحتاج إلى دليل واضح، فإن قوله سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ﴾ [غافر:٤٦] قد يظهر منه خلاف المدعى، ما قال النار يعرضون عليها دائماً، بل: ﴿غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ فيظهر من ذلك أن هناك فترات في البرزخ، فإذا كان آل فرعون لهم فترات فغيرهم من باب أولى، وليس في أخبار منكر ونكير ما هو صريح في ذلك في حديث: «**يفتح له باب إلى النار فيأتيه من سمومها وعذابها**» ليس بالصريح بأن ذلك مستمر حتى يبعث، بل قد يحتمل أن يكون هناك فترات.

فالحاصل أن علينا أن نؤمن بأن عذاب القبر حق ونعيمه حق، وأما كونه قد يفتر بعض الشيء عن بعض الناس أو لا يفتر من عذاب القبر؛ هذا أمر إلى الله سبحانه وتعالى، هو الذي يعلم الحقائق جل وعلا، فعذاب القبر حق ونعيمه حق بالنص والإجماع، أما استمرار العذاب للعصاة أو الكفار دائماً حتى يبعثوا لا يفتر عنهم في القبر شيء، هذا محل نظر.

وأما الأطفال كذلك، فالأقرب في الأطفال أنهم لا يمتحنون لأنهم غير مكلفين، فأقرب الأقوال في هذا أنهم لا يمتحنون، لأن الامتحان لأهل التكليف الذين لهم عذاب وعقاب، أما هؤلاء فغير مكلفين وليسوا من أهل التكليف، فالأقرب والله أعلم أنهم غير ممتحنين، أطفال المؤمنين تبع لآبائهم في الجنة وأطفال الكفار مثل ما قال فيهم النبي ﷺ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(١) يمتحنون يوم القيامة. أهـ.

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تقدم.

سؤال/ سؤال نكير هل هو خاص بالأمة؟

أجاب سماحته: هذا محل نظر، والأقرب أنه لهذه الأمة، قال النبي ﷺ: «إنها تبتلى في قبورها»[١] هذا ظاهره أنه خاص بهذه الأمة، قوله: «إنكم تمتحنون في قبوركم قريباً من فتنة المسيح الدجال» ظاهره أنه خاص بهذه الأمة، أمة الدعوة وأمة الإجابة جميعاً، فهو عام، المؤمن والكافر. أهـ.

* * *

وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة: فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار، وقيل: إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها، وقيل: على أفنية قبورهم، وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة، تذهب حيث شاءت، وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله عز وجل، ولم يزيدوا على ذلك، وقيل: إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق، وأرواح الكافرين ببرَهوت بئر بحضرموت! وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكافرين في سجين في الأرض السابعة تحت خد إبليس! وقيل: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكافرين ببئر برهوت. وقيل: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله. قال ابن حزم وغيره: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

وقال أبوعمر بن عبدالبر: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم. وعن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن أرواح

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش، تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها كل يوم تسلم عليه. وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض. وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن، كحياته وإدراكه! وقولهم مخالف للكتاب والسنة. وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح! وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب القول الأول، أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار، نعوذ بالله، حتى يردها الله إلى أجسادها، فأرواح المؤمنين في الجنة كما جاء به النص الصحيح في الحديث: «**أن الشهداء أرواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش**» رواه مسلم، وأرواح المؤمنين طائر يسرح في الجنة، كما رواه أحمد بإسناد جيد عن الشافعي عن مالك عن عبدالرحمن بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺ بإسناد صحيح لا بأس به، وكذلك ظاهر الأخبار العامة الدالة على أنهم في نعيم وأن الكفار في عذاب، وهكذا عموم قوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ ﴾ [الانفطار:١٣-١٤] كلها دالة على أن أرواح المؤمنين في الجنة وفي نعيم، وأرواح الكفار في النار حتى ترد إلى أجسادها، نسأل الله السلامة، هذا هو القول الأول وهو الصواب. أهـ.

* * *

ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال والكلام عليها.

ويتلخص من أدلتها: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت، فمنها: أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، كما في المسند عن عبدالله بن جحش: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يارسول الله: مالي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: «الجنة» فلما ولى، قال: «إلا الدين، سارني به جبرائيل آنفاً»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا شيء مؤقت، حبس الروح في الدَّيْن شيء مؤقت، ثم يزول بقضاء الدَّيْن، فالمقصود أن الحديث الصحيح جاء بأن أرواح الشهداء في الجنة، الشهداء في المعركة، الشهداء القتلى في سبيل الله، في أجواف طير خضر، عوضهم الله عن أجسادهم بهذه الطيور الخضر التي تحمل أرواحهم وتسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة في العرش، وأما أرواح المؤمنين فهي نفسها طائر، يعني جعلها الله جل وعلا في شكل طائر يعلق بشجر الجنة، يعني يأكل منها ويرعى منها حتى يرد الله روحه إلى جسده. أهـ.

* * *

ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة، كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة»(٢)

(١) صحيح، مسند أحمد (٤/ ١٣٩و ٣٥٠).أهـ ألباني

(٢) صحيح، أحكام الجنائز (١٥).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل هذه أشياء عارضة، والأصل هو الأول. أهـ.

* * *

ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون في الأرض، ومنها أرواح في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة، والله أعلم.

وأما الحياة التي اختص بها الشهيد وامتاز بها عن غيره، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ فهي: أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم، يعني يوم أحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب مظلة في ظل العرش»[١] الحديث رواه الإمام أحمد وأبوداود، وبمعناه في حديث ابن مسعود، رواه مسلم. فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير.

وتأمل لفظ الحديثين، ففي الموطأ أن كعب بن مالك كان يحدث

---

(١) صحيح، وأخرجه الحاكم وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وانظر المشكاة (٣٨٥٣). أهـ ألباني

أن رسول الله ﷺ قال: «إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»[(١)] فقوله: «نسمة المؤمن» تعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «هي في جوف طير خضر» ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم، [فله][(٢)] نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، والله أعلم.

وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في السنن، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه - والله أعلم - كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه الأمور ليس لها ضابط معروف من جهة السنة، وهي بقاء الأجساد في القبور، هذا ليس له ضابط معروف من السنة، قد تبقى طويلاً وقد تبقى قليلاً، أجساد الشهداء وغيرهم، إنما جاء الحديث من حديث أوس بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(٣)] هذا الذي رواه أهل السنن، ولا بأس بإسناده في الجملة، ولا يستغرب أن يختص الأنبياء

---

(١) صحيح، وقد مضى.أهـ ألباني

(٢) قال شاكر: في الأصل: (فلهم) والتصويب من «الروح» ص٩٨. ن.

(٣) رواه أبو داود (١٠٠٥) كتاب الجمعة/ باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه وصححه الشيخ الألباني في السلسلة ٤/ ٣٢.

بهذا الشيء، وأما غيرهم فقد يبقى مدة طويلة وقد يبلى، والقاعدة أن ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب «كل شيء من ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب»(١) هذا الحديث معروف بالنصوص، وهو الواقع أيضاً، وقد تتأخر بعض الأجساد ولا تبلى، كما في قصة الشهداء الذين قبر عنهم في أول خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين فوجدوا على حالهم، أجسادهم باقية على حالهم لم يتغير منها شيء، مثل قصة عبدالله بن عمرو والد جابر لما نقله من محله ولم يتغير منه إلا شعيرات حول أذنه، وأخبرني من لا أتهم أنه شاهد أجساداً باقية على حالها في قبورها لم تتغير بعد دفن طويل، وهذا لله فيه حكمة سبحانه وتعالى.

والمهم أن المؤمنين أرواحاً وأجساداً منعمون تنعيماً لا يعقله من يشاهده، والكفار معذبون وإن لم يطلع الناس على عين عذابهم، وقد أخفاه الله عنهم، هذا هو الأمر المقطوع به المعلوم من الدين بالضرورة من الأدلة الشرعية، فأولياء الله ورسله وأهل طاعته في نعيم في الدنيا والآخرة، وأعداؤهم في شقاء وشر وعذاب في الدنيا والآخرة، وإن لم يشعر بذلك من جاورهم في مساكنهم وقبورهم، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

قوله: (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب والصراط والميزان).

ش: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن، وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلهم

(١) رواه البخاري ومسلم.

متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب، إلا من عاند، كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون،و محمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي - بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخييل! وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ ولما قال إبليس اللعين: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ وأما نوح عليه السلام فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ إلى آخر القصة، وقال: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ الآية، وأما موسى عليه السلام فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فلا

يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ إلى قوله: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ وقال موسى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾ وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا.

فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم، من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها: في الدنيا والآخرة، وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

وأخبر عن اقترابها، فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ ﴿ٱقْتَرَبَ

لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ وذم المكذبين بالمعاد، فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل: فإنهم قالوا أولاً: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ فقيل لهم في جواب هذا السؤال: إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب لكم، فهلا كنتم خلقاً لا يفنيه الموت، كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟!

فإن قلتم: كنا خلقاً على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء - فما الذي

يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقاً جديداً؟!

وللحجة تقدير آخر، وهو: لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما، فإنه قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم، وينقلها من حال إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام، مع شدتها وصلابتها، بالإفناء والإحالة - فما الذي يعجزه فيما دونها؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: مثل ما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [غافر:٥٧] فالذي خلق السماوات وخلق الأرض هو القادر من باب أولى على خلق هذا الحيوان، ثم الفطر السليمة والعقول الصحيحة الصريحة تؤمن بالبعث والنشور وتعتقد أنه لا بد منه، لأن الله عز وجل هو الحكم العدل، وكثير من هؤلاء الناس يظلمون ويجورون ويتعدون الحدود ويموتون على حالهم، فلا بد لهم من جزاء، لابد لهم من جزاء إزاء ما فعلوا في الدنيا وما ظلموا في الدنيا، والآخرون يعملون الصالحات ويجتهدون في الخيرات، ويفوتهم أشياء مما يعطاه المنعمون في هذه الدنيا، فلا بد لهم من جزاء في الآخرة على تلك الأعمال الطيبة واجتهادهم في سبيل الحق، فلابد لهم من جزاء عظيم عند ربهم سبحانه وتعالى بما قدموا من عمل صالح، فالإيمان بالبعث والنشور والجنة والنار والحساب والجزاء كما أجمعت عليه الرسل وأجمعت عليه الكتب وجاء به أفضلها وهو الكتاب العزيز وأفضل الرسل وهو محمد عليه الصلاة والسلام، فقد دلت عليه الفطر السليمة والعقول الصحيحة التي لم يعتريها في هذا لبس ولا ريب لمن تدبر

وتعقل، ولهذا: الصحيح أن الإيمان بالبعث والنشور والمعاد أمر تشهد له الفطر السليمة والعقول الصحيحة، كما جاءت به النصوص والأدلة القطعية والبراهين الكثيرة التي قد تواترت نقلاً بالإجماع. أهـ.

* * *

ثم أخبر أنهم يسألون آخراً بقولهم: من يعيدنا إذا استحالت جسومنا وفنيت؟

فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلل المنقطع، وهو قولهم: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾؟

فأجيبوا بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

ومن هذا قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾؟ إلى آخر السورة، فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان، أن يأتي بأحسن من هذه الحجة، أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضح الأدلة وصحة البرهان لما قدر، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله: ﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ ما وفى بالجواب، وأقام الحجة وأزال الشبهة لما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق، وعلمه

بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته، ومواده وصورته، فكذلك الثاني، فإذا كان تام العلم، كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة، وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر، الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم.

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾؟ فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامها[1]، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظاماً قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى، كما

(١) الصواب: أجسامهما، ابن باز.

قال في موضع آخر: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وقال: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره، الذي يفعل بالآلات والكلفة، والنصب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكونه نفس إرادته، وقوله للمكون: ﴿ كُن ﴾ فإذا هو كائن كما شاءه وأراده، ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ومن هذا قوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملاً عن الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء، كما قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ إلى آخر السورة، فإن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوى، والعظام والمنافع، والأعصاب والرباطات التي هي أشده، وأحكم خلقه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة، التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى؟

فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته.

فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب، بالقول الوجيز، الذي لا يكون

أوجز منه، والبيان الجليل، الذي لا يتوهم أوضح منه، ومأخذه القريب، الذي لا تقع الظنون على أقرب منه .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القيامة:٣٦-٣٨] إلى آخره، لا ريب أن الذي عُني بهذا الأمر وركّب فيه ما ركّب وجعل فيه ما جعل من القوى، هو القادر على أن يجعله مكلفاً صالحاً عاملاً بما أمر به تاركاً لما نهي عنه، أو ضد ذلك إذا لم ينقد لهذا الأمر وسار على الهوى، فالمقصود أنه جل وعلا على كل شيء قدير، وهو القادر على إضلاله وعلى هدايته وعلى رشده وعلى ضد ذلك، لأنه القادر على كل شيء، من قدر على الأمور البديعة الخفية الدقيقة كيف يعجز عما هو أسهل منها؟

والذي ابتدأه وأوجده من العدم وغذاه بالنعم وركب فيه ما ركب وجعل فيه ما جعل، هو على الإعادة أقدر وأقدر سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

وكم في القرآن من مثل هذا الاحتجاج، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ إلى أن قال: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ وذكر قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم موتى ثلاثمائة سنة شمسية، وهي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية، وقال فيها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾.

والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين:

منهم من يقول: تعدم الجواهر ثم تعاد.

ومنهم من يقول: تفرق الأجزاء ثم تجمع.

فأورد عليهم: الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تعد من هذا؟

وأورد عليهم: أن الإنسان يتحلل دائماً، فماذا الذي يعاد؟ أهو الذي كان وقت الموت؟

فإن قيل بذلك، لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض! فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني! والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، ليس فيه شيء باق، فصار ما ذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان.

والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى: فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظاماً ولحماً، ثم أنشأه خلقاً سوياً، كذلك الإعادة: يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، ومنه يركب»(١).

(١) البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له في بعض رواياته (٢/ ٤٢٨) وزاد: «ويأكله التراب» وسنده جيد. اهـ ألباني. =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهو عظيم صغير جداً في المقعدة منه يركب الإنسان، وهو يبلى إلا هذا الشيء الحقير، والله على كل شيء قدير سبحانه وتعالى، والمقصود أن الله جل وعلا خلق هذا الإنسان وخلق هذه الحيوانات، وهو ينشؤها كما يشاء سبحانه وتعالى ويعيدها كما يشاء ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [الروم:٢٧] وله القدرة الكاملة سبحانه وتعالى في كيفية هذه الإعادة، فالذي أنشأهم من عدم يعيدهم كما يشاء سبحانه وتعالى ويردهم كما يشاء، ويجازيهم بما يستحق من خير وشر، هؤلاء المكلفون، وأما الحيوانات الأخرى فإنها تعاد للقصاص ثم تكون تراباً.

والجواهر المفردة ذكر العلماء أنه ليس لها أصل، الله سبحانه وتعالى خلقه من تراب وهو أعلم بما أنزله في هذا التراب، والجواهر المفردة معناها أنها جواهر لا تنقسم، يعني أنها في غاية من الصلابة فلا تتحلل، وكلامهم غير معقول، ما هناك شيء إلا ويتحلل ولو صلب، يعني في النهاية الذي لا يتحلل كلام باطل، كل جزء مهما دق ومهما صلب فلابد أن يتحلل. أهـ.

❊ ❊ ❊

= قال شاكر: ليس هذا اللفظ في الصحيحين تماماً، ومعناه ثابت في البخاري ٨/ ٤٢٤، ٥٢٩ ومسلم ٢/ ٣٨٣ من حديث أبي هريرة، وأقرب لفظ إلى ما ذكره الشارح، إحدى روايات مسلم: «كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب» و«العجب» بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة: عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع. قاله الحافظ في الفتح.أهـ.

وفي حديث آخر: «إن السماء تمطر مطراً كمني الرجال، ينبتون في القبور كما ينبت النبات»[١].

فالنشأتان نوعان تحت جنس، يتفقان ويتماثلان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه، والمعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق، فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره فيستحيل، فيعاد من المادة التي استحال إليها.

ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو صغير، ثم رآه وقد صار شيخاً، علم أن هذا هو ذاك، مع أنه دائماً في تحلل واستحالة، وكذلك سائر الحيوان والنبات، فمن رأى شجرة وهي صغيرة، ثم رآها كبيرة، قال: هذه تلك، وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال إن الصفات هي المغيرة، لاسيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم، طوله ستون ذراعاً، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، وروي: أن عرضه سبعة أذرع، وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والأمر كما قال الشارح، فإن نشأتهم يوم القيامة لها حال أخرى، فأهل النار يعظمون في

(١) ضعيف، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٤٦/ ١ـ٢) في حديث طويل عن أبي الزعراء قال: ذكروا عند عبد الله الدجال، فقال، فذكره بطوله موقوفاً، وله حكم المرفوع، لكنه منقطع بين أبي الزعراء واسمه يحيى بن الوليد، ولم يرو عن أحد من الصحابة، بل عن بعض التابعين، ثم إن في الحديث فقرة لم تذكر هنا مخالفة لحديث صحيح، نبه عليه الهيثمي (١٠/ ٣٣٠) وقد أخرجه الحاكم (٤/ ٦٠٠) وصححه على شرطهما ورده الذهبي بأنهما ما احتجا بأبي الزعراء، وفاته أنه منقطع كما بينا.أهـ ألباني

النار كما في الحديث[١] نسأل الله العافية، وتكون لهم أجسام تتحمل بقاءهم في النار وعذابهم فيها أبد الآباد، غير أجسامهم الضعيفة هذه، وأهل الجنة كذلك أجسامهم غير أجسامهم في الدنيا، أجسامهم عظيمة طويلة، ثم لا تتأثر بما تتأثر به في الدنيا من الغائط والبول والبصاق والمخاط والحيض، يأكلون ويشربون ويتمتعون بنعيم الجنة، ولكن ليس لهم ما في الدنيا من النقص والضعف، بل طعامهم وشرابهم كله يذهب عرقاً وجشاءً، لا يكون له فضلات، ولا يكون له بول ولا غائط ولا شيء من النواقص، هذا شيء آخر يدل على أن الحال غير الحال وأنهم أنشئوا نشأة أخرى غير نشأتهم السابقة، سبحان الحكيم العليم.

ورواية: «**عرضه سبعة أذرع**»[٢] فيها ضعف لأنها من رواية علي بن زيد بن جدعان، ولا نعلم لها طريقاً غير طريقه، مع أنني ما تتبعتها، لكن الذي أعلم أنه رواه الترمذي بإسناد فيه علي، وعلي بن زيد يحسن له الترمذي و جماعة، والجمهور على تضعيفه، ولا نعلم له طريقاً آخر، رواه الترمذي من طريق علي بن زيد «**وعرضه سبعة أذرع**» العرض فقط، أما الطول فثابت في الصحيحين وغيرهما وليس فيه نزاع ولا إشكال، فكل إنسان طوله ستون ذراعاً في السماء طول أبيه آدم، أما العرض فقد جاء في رواية أنه سبعة أذرع وهو شيء مناسب للطول، فالطول مع دقة الجسم، هذا في الدنيا غير ظاهر، والله أعلم، لابد أن يكون كما أنه طويل في الطول لابد أن يكون والله أعلم طويلاً في العرض. أهـ.

* * *

(١) مسلم (٢٨٥١) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ باب: جهنم أعاذنا الله منها، والترمذي (٢٥٧٧-٢٥٧٨-٢٥٧٩) كتاب صفة النار/ باب ما جاء في عظم أهل النار، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) جامع المسانيد والمراسيل ١١/ ٣٨٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: «وجزاء الأعمال» قال تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾.

والدين: الجزاء، يقال: كما تدين تدان، أي كما تجازي تجازى، وقال تعالى: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ وأمثال ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، ومن المعلومة بالأدلة من كتاب الله ومن سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهو أن الله جل وعلا يجازي عباده إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهذا الإيمان العظيم كلما قوي في القلب أوجب لصاحبه الاستعداد للآخرة وأهبة للآخرة والعناية بأعمال الآخرة والحذر مما يضره في الآخرة، وكلما ضعف الإيمان باليوم الآخر والجزاء والحساب ضعف الإعداد للآخرة وضعف الحذر من المعاصي والسيئات، وضعف النشاط في الأعمال الصالحة، وهل جرّأ من جرّأ على الفسوق والعصيان والكبائر إلا عدم إيمانهم بالآخرة.

فإن أكثر العالم لا تؤمن بالآخرة وليس عندها بصيره بهذا الأمر العظيم، ولهذا جرى ما جرى ووقع ما وقع من فسادهم وشرهم وظلمهم وعدوانهم، فالإيمان بالآخرة والجزاء والحساب أمره عظيم، ومن أركان الإيمان وأصول الإيمان العظيمة التي من أنكرها كفر إجماعاً، وهذه

الأدلة التي ذكرها المؤلف وأمثالها كثير في القرآن العظيم، كلها تدل على وجوب الإيمان بالآخرة والجزاء والحساب والجنة والنار، ووجوب الإعداد لهذا اليوم العظيم، ومن هذا قوله سبحانه ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم:٣١] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:٧-٨] والعباد مجزيون بأعمالهم خيرها وشرها، وهو سبحانه يجازي على الحسنات بأضعاف مضاعفة، ويجازي على السيئة بمثلها أو يعفو سبحانه وتعالى، فلا يهلك على الله إلا هالك، فيجب على ذي العقل أن يتبصر وأن ينتبه لهذا الأمر، وأن تكون له عناية كاملة بالإعداد للآخرة والحذر مما يضره في الدنيا والآخرة، والله المستعان. أهـ.

* * *

وقال ﷺ، فيما يروي عن ربه عز وجل، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[(١)] وسيأتي لذلك زيادة بيان عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وقوله: «والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب» قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ إلى آخر السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد من حديث أبي ذر. أهـ ألباني

مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾
إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: معنى ﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق:١٤] من حار يحور إذا رجع، يعني ظن أنه لا يرجع إلى الله ولا يبعث ولا يجازى، فلهذا اجترأ على الفساد والشر، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ إلى آخر السورة ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الروح هو الوحي، هذا أمر معلوم، الروح الذي يلقى من عند الله عز وجل إلى الرسل والأنبياء هو الوحي الذي به الحياة وبه السعادة وبه النور والبصيرة، هذا هو الذي تأتي به الرسل والأنبياء، وهو المذكور في قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ [الشورى:٥٢] فما

جاءت به الرسل هو الروح الذي به الحياة وبه البصيرة وبه النور، من فاته هذا الروح فاته الحياة وفاته النور ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢] هداه الله بهذا الروح وجعل له بصيرة بهذا الروح، فمن فاته هذا الروح فهو ميت وإن كان أقوى الناس جسماً، وإن كان أكثرهم مالاً فهو مع الأموات، فمن فاته هذا النور فهو لا يزال في الظلمات لم يخرج منها حتى يدركه هذا النور، فالناس وإن كانوا في غاية من النور الدنيوي الحسي من كهرباء وغيره، فهم في الظلمات حتى يحصل لهم هذا النور بقلوبهم، نور الوحي نور الهدى، فيعرفوا ما أوجب الله وما حرم الله وما أعد الله لأوليائه وما أعد الله لأعدائه، وحتى يعرفوا ما يرضي الله وما يقرب لديه، وحتى يعلموا ما يسخط الله وما يباعد من رحمته، هذا هو النور، وهو ما جاءت به الرسل وهو ما دل عليه كتاب الله، القرآن في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وما جاءت به السنة الصحيحة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وما استنبط من ذلك، هذا النور وهذا الذي به الحياة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

وروى البخاري رحمه الله في صحيحه، عن عائشة، أن النبي ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب»[1] يعني أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح، وسيأتي لذلك زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

---

(١) صحيح. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وما ذلك إلا لأن العبد محل السيئات ومحل الخطايا ومحل الزلل، فلو نوقش عن زلاته وخطاياه وما اجترمه لهلك، ولكنه جل وعلا يعفو عن أوليائه وأنبيائه وأهل طاعته ولا يناقشهم الحساب سبحانه وتعالى، بل يتقبلهم برحمته ويجازيهم على أعمالهم الطيبة ويعفو ويصفح سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

وفي الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة يوم الطور»؟[1] وهذا صعق في موقف القيامة، إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ يصعق الخلائق كلهم.

فإن قيل: كيف تصنعون بقوله في الحديث: «إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش»؟[2]

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم. أهـ ألباني

(٢) صحيح، أخرجه البخاري في أول كتاب «الخصومات» من حديث وهيب، حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً في قصة ضرب الصحابي لليهودي بلفظ «**لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى**».

وأخرجه مسلم (٢٣٧٤) من طريق سفيان عن عمرو بن يحيى به، لكنه لم يسق لفظه بتمامه، وقد ساقه أحمد (٣/ ٣٣) من هذه الطريق بلفظ: «**وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فأفيق فأجد موسى..**» الحديث.

ويشهد لهذه الرواية حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٣٧٣) بلفظ: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، قال: ثم ينفخ** =

قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا، ومنه نشأ الإشكال، ولكنه دخل فيه على الراوي حديثاً في حديث، فركب بين اللفظين، فجاء هذان الحديثان هكذا: أحدهما: «أن الناس يَصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق» كما تقدم، والثاني: «أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة»[١] فدخل على الراوي هذا الحديث في الآخر، وممن نبه على هذا أبوالحجاج المزي، وبعده الشيخ شمس الدين ابن القيم، وشيخنا الشيخ عماد بن كثير[٢]، رحمهم الله، وكذلك اشتبه على بعض الرواة، فقال: «فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله عز وجل»؟[٣].

والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول، وعليه المعنى الصحيح، فإن الصعق يوم القيامة لتجلي الله لعباده إذا جاء لفصل القضاء، فموسى عليه السلام إن كان لم يصعق معهم، فيكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكاً، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضاً عن صعقة الخلائق لتجلي ربه يوم القيامة، فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تهمله.

= فيه أخرى فأكون أول من بعث، أو في أول من بعث، فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أو بعث قبلي».

من هذين الحديثين يتبين أن هذه الصعقة الثانية إنما هي صعقة البعث، المذكورة في الآية، وليست صعقة تقع لفصل القضاء كما ذكر الشارح تبعاً للإمام ابن القيم، وعلى هذا فلا إشكال في الحديث، والله أعلم.أهـ ألباني

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨) باب تفضيل نبينا ﷺ بلفظ: «وأول من ينشق عنه القبر» وأبو داود والترمذي وأحمد.أهـ ألباني

(٢) عماد الدين، ابن باز.

(٣) صحيح، وهو آخر حديث أبي هريرة المذكور قبله في رواية عنه عند البخاري، والمراد بقوله: «ممن استثنى» أي لا تصيبه النفخة، كما صرحت به رواية ابن أبي الدنيا في كتاب «البعث» عن الحسن مرسلاً كما في «الفتح».أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي نبه عليه هؤلاء الأخيار هو عين الصواب، وهو الحقيقة، فإن الصعق يوم القيامة غير الصعق يوم تحمل الناس إلى المحشر، الناس يفزعون يوم القيامة عند نفخة البعث، نفخة البعث فيها الحياة والنشور، ونفخة الموت فيها صعق الموت، فهي نفختان وصعقتان، إحداهما يموت فيها الناس إلا من استثنى الله، والنفخة الثانية يحيا فيها الناس وينشرون، هاتان عامتان، أما هذه الصعقة الثالثة في القيامة، والناس موجودون في القيامة بارزون، وهذه هي المرادة بقوله «**فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بقائمة العرش**» فهذه والناس أحياء أصابهم هذا الفزع وهذا الغشي من تعظيم الله وإجلاله سبحانه وتعالى.

أما أن يقال إن هناك ثلاث نفخات في الصور ففيه نظر، المحفوظ نفختان، الذي دل عليه القرآن نفختان في الصور، نفخة الموت وهي نفخة طويلة، ونفخة ثانية نفخة البعث والنشور، ويروى في حديث الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع ونفخة الموت ونفخة البعث والنشور، لكن حديث الصور ضعيف، وإنما المحفوظ نفختان كما دلت عليه الآيات القرآنية في سورة النمل وفي سورة الزمر، فهما نفختان.

والصعق صعق الموت وصعق يوم القيامة والناس أحياء، الصعق الأول الموت، وصعق يوم القيامة فزع وغشي ليس بموت. أهـ.

* * *

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وأبوبكر بن أبي الدنيا، عن الحسن، قال: سمعت أبا موسى الأشعري يقول: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتي كتابه بيمينه، وحوسب حساباً يسيراً، دخل

الجنة، ومن أوتي كتابه بشماله، دخل النار»[1] وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك: أنه أنشد في ذلك شعراً:

وطارت الصحف في الأيدي منشرة فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف سهوك والأنباء واقعة عما قليل، ولا تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهوي بساكنها طوراً وترفعهم إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم فيها، ولا رقية تغني ولا جزع
لينفع العلم قبل الموت عالمه قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

(١) ضعيف، لأن الحسن البصري مدلس وقد عنعنه، وهذه علة، وإن ثبت سماعه من أبي هريرة وأبي موسى، فإن ثبوت مطلق السماع لا يغني من رواية المدلس حتى يصرح بالتحديث كما هو مقرر في المصطلح، إلا إذا ثبتت رواية الكتاب التي فيها التصريح بسماع الحسن من أبي موسى.أهـ ألباني

قال شاكر: وهم الشارح رحمه الله في نسبة هذا الحديث للترمذي، من حديث أبي موسى، فإن الترمذي رواه بنحو معناه ٣/ ٢٩٤ من طريق الحسن البصري عن أبي هريرة، وأشار إلى حديث أبي موسى فقال: «ولا يصح هذا الحديث، من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه، وقدرواه بعضهم عن علي بن علي، وهو الرفاعي، عن الحسن، عن أبي موسى، فقد رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٤١٤ (طبعة الحلبي) عن وكيع عن علي بن علي، عن الحسن عن أبي موسى، وكذلك رواه ابن ماجه: ٤٢٧٧ من طريق وكيع بنحوه، بل إن رواية الترمذي إياه ـ من حديث أبي هريرة ـ هي من رواية وكيع عن علي بن علي أيضاً، فالإسنادان ثابتان إذن عن وكيع».

والحديث ـ عندنا ـ صحيح من الوجهين، فإن سماع الحسن من أبي هريرة صحيح ثابت، كما بينت ذلك مفصلاً في شرح الحديث ٧١٣٨ من المسند، وقد أعل البوصيري في زوائد ابن ماجه ـ حديث أبي موسى أيضاً، بأن الحسن لم يسمع من أبي موسى، وفي ذلك خلاف، ولكنه عاصره يقيناً، فإن الحسن ولد سنة ٢١ وأبو موسى مات سنة ٥٢ على القول الراجح، وأما هذه الرواية ـ التي ذكرها الشارح ـ وفيها قول الحسن: «سمعت أبا موسى الأشعري» ـ فإن إسنادها ليس بين يدي، ولعلها رواية ابن أبي الدنيا، فلو كان إسنادها صحيحاً كصحة إسنادي أحمد وابن ماجه، لكانت قاطعة في سماع الحسن من أبي موسى.أهـ

قوله: «و الصراط» أي: ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟

فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»[١] وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

وروى البيهقي بسنده، عن مسروق، عن عبدالله، قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة» إلى أن قال: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفيء قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملاً[٢]، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخر يد، وتعلق يد،

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٧٣).أهـ ألباني.

(٢) قال شاكر: في المطبوعة «كأشد الرحل ويرمل رملا» وهو كلام غير مستقيم، ولم أجد نص الأثر كاملاً في موضع آخر، ولكن روى الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٥ عن ابن مسعود مرفوعاً نحو هذا المعنى مختصراً، وفيه: «ثم كالراكب ثم كشد الرجال ثم كمشيهم» وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وذكر ابن كثير في التفسير ٥/ ٣٩٠ نحو معناه مطولاً موقوفاً، ونسبه لابن أبي حاتم في تفسيره.أهـ.

وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد»[1] الحديث.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك أن هذا يوجب للمؤمن الحذر والعناية وسؤال الله سبحانه وتعالى الثبات، فإن الجَسر - يقال جَسر وجِسر، الجيم تفتح وتكسر - هو الصراط، وهو صراط خطير يمر عليه الناس، ولا ينجو منه إلا أهل الجنة، لا ينجو منه ويجوزه إلا أهل الجنة، من جازه نجى ومن لم يجزه هلك ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا

(١) صحيح، وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٦) وأظن أن البيهقي من طريقه رواه، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي.
قلت: وفيه يزيد بن عبد الرحمن، أبو خالد الدالاني، ولم يخرج له الشيخان شيئاً، ثم هو وإن كان صدوقا، فقد كان يخطئ كثيراً، وكان يدلس، كما في التقريب، وقد صرح في هذا الأثر بالتحديث، فأمنا بذلك تدليسه، فإنما يخشى منه الخطأ فيه، لكنه قد توبع كما يأتي، فأمنا بذلك خطأه أيضاً، وقد أخرجه الحاكم أيضاً (٤/ ٥٩٠-٥٩٢) بتمامه مطولا، وكذا الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٤٦/ ٢-٤٧/ ٢) من طريق أبي خالد هذا عن ابن مسعود مرفوعاً، وقد تابعه زيد بن أبي أنيسة مرفوعاً أيضاً بتمامه عند الطبراني، وزيد ثقة، فصح بذلك الحديث والحمد لله. أهـ ألباني

١- كذا في الرواية الموقوفة عند الحاكم، وفي المرفوعة عنده: «دون» وعند الطبراني «أصغر» ولعل هذه الرواية أولى لأن السياق يدل عليها. أهـ ألباني

٢- كذا في «الموقوفة» وفي المرفوعة عند الحاكم والطبراني: «فيمرون». أهـ ألباني

٣- وكذا في المستدرك والمعجم، أما الرواية التي علقها هنا الشيخ أحمد شاكر رحمه الله بفظ: «ثم كشد الرجال، ثم كمشيهم» فهي رواية أخرى للحاكم (٢/ ٢٧٥) من طريق غير الدالاني، وهذه الطريق لم يقع بصر الشيخ عليها، مع أنها في الصفحة التي تلي صفحة الرواية الأخرى، والموفق الله تبارك وتعالى. أهـ ألباني

وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم:٧١-٧٢] فيجوزه أهل التقوى ويسقط منه غيرهم، أما الكفار فيساقون إلى النار سوقاً ولا يجوزون هذا الصراط ولايمرون عليه، بل يساقون إلى النار نعوذ بالله، ويدفعون إليها قصداً لكونهم أهلها، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ما هو؟

والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة» قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال: «ألم تسمعيه قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾»[1] أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا ﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بين ﷺ في حديث جابر المذكور: أن الورود هو الورود على الصراط.

(١) صحيح، رواه مسلم، وأحمد نحوه من حديث أم مبشر. أهـ ألباني

وروى الحافظ أبونصر الوائلي[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة، فلا تحدثن في دين الله حدثاً برأيك»[2] أورده القرطبي، وروى أبوبكر بن أحمد بن سليمان النجار[3]، عن يعلى بن منية، عن رسول الله ﷺ، قال: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي»[4].

وقوله: «والميزان» أي: ونؤمن بالميزان، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

---

(٢) قال شاكر: هو الحافظ الوائلي البكري، أبو نصر السجزي، المتوفى سنة ٤٤٤، ترجمه الذهبي في تذكرة الحافظ ٣/ ٢٧٩-٢٩٨.أهـ

(٢) موضوع، وهو قطعة من حديث رواه أبو نعيم والخطيب عن أبي هريرة مرفوعاً، ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، وتكلمت عليه في «الأحاديث الضعيفة» (٢٦٥).أهـ ألباني

(٣) المعروف: أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد، بالدال، وأبو بكر كنية أحمد، حنبلي مشهور أهـ ابن باز.

(٤) ضعيف، رواه الطبراني وابن عدي وأبو نعيم وغيرهم بسند فيه ضعف وانقطاع.أهـ ألباني
قال شاكر: الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٠ وقال: «رواه الطبراني، وفيه سليم ابن منصور بن عمار، وهو ضعيف».أهـ

قال: وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان، روى الإمام أحمد، من حديث أبي عبدالرحمن الحُبُلي، قال سمعت عبدالله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيختص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا، يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول أحضروه، فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»(١) وهكذا روى الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا، من حديث الليث، زاد الترمذي: «ولا يثقل مع اسم الله شيء».

---

(١) صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي، وفي روايتهما: «فلا يثقل مع اسم الله شيء» وأما رواية الكتاب فهي لأحمد (٢/ ٢١٣) وهي شاذة، وقد تكلمت على إسناد الحديث في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٣٥).أهـ ألباني

قال شاكر: هو الحديث ٦٩٩٤ من المسند، وهذا لفظه، وكان في المطبوعة بعض تحريف صححناه منه، وزيادة [والبطاقة في كفة] ليست في نسخ المسند، وهي ثابتة في رواية الترمذي ٣/ ٣٦٧، والحديث من رواية الليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبدالرحمن الحبلي.أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المقصود أن هذا الرجل أتى بهذه الشهادة عن إخلاص وصدق وختم بها عمله فرجحت جميع سيئاته، فالمؤمن إذا أتى بتوبة صادقة وعمل صالح ختم له بها رجحت بجميع سيئاته، فإن الأعمال بالخواتيم، فإذا تاب توبة صادقة، أو أتى بالشهادتين على طريقة مستقيمة وعارف بمعناها معتقد لمعناها مستقيم على معناها من توحيد الله والإخلاص له والإيمان بالرسول ﷺ إيماناً صادقاً؛ فإن هذه الشهادة تتضمن توبة من جميع السيئات وإنكاره لها وعدم إصراره عليها، فتكون راجحة بجميع سيئاته، فمن ختم له بالخاتمة الحسنة غفرت سيئته ورجح ميزانه.

وظاهر قوله سبحانه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧] أن هناك موازين كثيرة توزن بها أعمال العباد، وهي موازين جمع ميزان وهي ميزان عدل، القسط العدل ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء:٤٧] لا قليلاً ولا كثيراً ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة:٧-٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء:٤٠] فجدير بالمؤمن أن لا يحقر شيئاً من الحسنات ولا شيئاً من السيئات، بل يحذر السيئات كلها ويسارع ويبادر إلى الحسنات كلها، ولا يحتقر شيئاً، فإن مثاقيل الذر من الخير تنفعه، ومثاقيل الشر تضره، فالعاقل يكون أبداً حريصاً على الحسنات مطلقاً وحذراً من السيئات مطلقاً، ولهذا في الحديث الآخر يقول النبي ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله**

طالباً»[١] وفي اللفظ الآخر: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنها تجتمع على العبد حتى تهلكه**» ثم ضرب لهذا مثلاً بالقوم ينزلون مكاناً في السفر ليس عندهم شيء يطبخون به فيأتي هذا بالعود وهذا بالبعرة حتى أججوا ناراً وأنضجوا طبيخهم[٢]، وهكذا المتساهل، يعمل هذه السيئة ثم السيئة ثم السيئة ويتحاقرها حتى تجتمع عليه وتهلكه، فالواجب على ذي العقل السليم أن يحذر السيئات كلها، ويبتعد عنها غاية الابتعاد أينما كان، وأن يكون حريصاً على جمع الحسنات وفعل الحسنات والخيرات مهما كان، ولا يحتقر شيئاً، رد السلام، بذل السلام، بذل المعروف، الذكر، الاستغفار، سائر أنواع الحسنات مع الله ومع العباد. أهـ.

سؤال/ ظاهر الحديث أنه ما قال هذا في آخر حياته!!

أجاب سماحة الشيخ: هو ظاهره الإطلاق، لكن المراد أنه قاله على وجه ختم له به، وإلا فالمعروف من الأدلة الأخرى أنه لا ينفعه العمل إذا كان مصراً على السيئات، لا يكون تائباً حتى يكون ليس معه إصرار، فالأحاديث المطلقة والآيات المطلقة تقيد بالآيات المقيدة والأحاديث المقيدة، وهذا شأن النصوص، يقبل مطلقها وعامها على مقيدها وخاصها، حتى تجتمع النصوص على الحق الذي جاءت به الرسل وطلب من العباد، ويدلك على هذا أن المنافقين يقولون لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله وهم في الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله، لماذا؟

(١) رواه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم.

(٢) رواه أحمد، والبيهقي، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقد تقدم.

لأنهم قالوهما على غير بصيرة، على غير صدق وعلى غير هدى، وإنما قالوها مجاملة وطلباً للعاجلة. أهـ.

سؤال/ استدل بالحديث على أن الإنسان إذا قال لا إله إلا الله مخلصاً فهو ناج حتى ولو لم يصل.؟

أجاب سماحة الشيخ: هذا غلط، فإنه قال: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٥] لابد من عدم الإصرار، فإذا قالها ولم يأت بما ينقضها، مثل الذي توضأ ثم أحدث، إذا توضأ ثم أحدث ريحاً أو بولاً بطل وضوءه، فالذي قال لا إله إلا الله وأتى بالشهادتين أو أركان الإسلام ثم سب الدين، سب الله أو سب رسوله أو جحد ما أوجب الله أو جحد ما حرم الله بطلت تلك الأعمال، صار مثل من نقض الطهارة بناقض من النواقض، بإجماع أهل العلم، ولهذا ذكروا باب حكم المرتد وذكروا فيه النواقض الكثيرة، إذا أتى بواحد منها انتقض إسلامه وصار في حكم المرتدين، نسأل الله السلامة.

ولكن من عادة ضعفاء البصيرة أو من كان قصده غير سليم، من عادته التشبه بالمشتبهات والمطلقات والعامات، وليس هذا من شأن أهل الإيمان، أهل الإيمان وصفهم الله بأنهم يؤمنون بالمتشابه ويردونه إلى المحكم، وأما أهل الزيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، نسأل الله السلامة. أهـ.

❊ ❊ ❊

وفي سياق آخر: «توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل

فيوضع في كفة»(١) وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي أن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾»(٢) وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود: أنه كان يجني(٣) سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون»؟ قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقية، فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد»(٤).

وقد وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال أنفسها، كما في صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان»(٥) كما تقدم ،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الطُهور بالضم أفصح، الطُهور والوُضوء الفعل، هذا هو الأفصح في اللغة وفي كلام أهل العلم، وأما الفتح فهو الماء المعد للطهارة. أهـ.

* * *

وفي الصحيح، وهو خاتمة كتاب البخاري، قوله ﷺ: «كلمتان

---

(١) هو الحديث المتقدم، وهذا لفظ آخر له، ولا يصح من قبل سنده، لأن فيه ابن لهيعة، وهو سيء الحفظ، فلا يحتج بما تفرد به، أخرجه أحمد (٢/ ٢٢١).أهـ ألباني

(٢) صحيح، ورواه مسلم أيضاً (٨/ ١٢٥).أهـ ألباني

(٣) في المسند «يجتني».أهـ ألباني

(٤) حسن، رواه أحمد في المسند (١/ ٤٥٠) بسند حسن.أهـ ألباني

(٥) صحيح، وهو مخرج في «تخريج مشكلة الفقر» برقم (٥٩).أهـ ألباني

خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[١].

وروى الحافظ أبوبكر البيهقي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتي الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»[٢].

فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله يقلب الأعراض أجساماً،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعول على نفس الأعمال، ولكن الله جل وعلا قد يزن نفس العامل ونفس الصحيفة ونفس العمل، وقد جاءت النصوص بهذا وهذا، وزن الأعمال نفسها ووزن الصحف ووزن العامل، وربك جل وعلا هو الحكم العدل، والاعتبار بهذا كله بالعمل لا بذات الإنسان ولا بصحيفته، الاعتماد بهذا كله على العمل، فالرجحان والخفة للعمل نفسه مهما كانت الحالة، مهما كان الوزن للعامل أو للصحيفة أو العمل، فالمعول على نفس العمل صلاحاً وفساداً.

والله أخبر أنها توزن، أما كيفية الوزن فهذا إلى الله سبحانه وتعالى، قد يوزن الجسم وتوزن الصحيفة وتوزن الأعمال على الكيفية التي

---

(١) متفق عليه، وتقدم.أهـ ألباني

(٢) موضوع، ورواه أبو نعيم أيضاً في الحلية (٦/ ١٧٤) وقال: «تفرد به داود بن المحبر» قلت: وهو متروك متهم بالوضع.أهـ ألباني

يعلمها الله سبحانه وتعالى، لكنها في ميزان يثقل ويخف.

وأما وزن الرجل وصحيفته فظاهر النصوص أن هذا يقع، لكن كونه عاماً أو ليس بعام الله أعلم، قد يوزن الرجل والمرأة وقد يوزن العمل وقد توزن الصحيفة، فالوزن لابد منه، وظاهر النصوص أنها توزن كلها، لكن المعول على العمل.

والميزان حسي والأعمال حسية والصحائف حسية والإنسان حسي، كله حسي، فهذه الأعراض ربنا يتصرف فيها كيف يشاء سبحانه وتعالى «يؤتى بالموت على صورة كبش ثم يذبح»(١). أهـ.

* * *

وكما روى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت كبشاً أغر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال، يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح، ويقال: خلود لا موت»(٢) ورواه البخاري بمعناه، فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان، ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠) كتاب التفسير / باب قوله عز وجل ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ ومسلم (٢٨٤٩) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم / باب جهنم أعاذنا الله منها، والترمذي (٢٥٥٨) كتاب الجنة / باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح، أخرجه في المسند (٢/ ٤٢٣) بسند صحيح. أهـ ألباني

الميزان إلا البقال والفوال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه، فتأمل قول الملائكة، لما قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رحمه الله، أن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان، ففي الصحيحين: أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة[(١)].

وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطاً ثانياً للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار، والله تعالى أعلم.

وقوله: (والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد).

ش: أما قوله: «إن الجنة والنار مخلوقتان» فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك،

---

(١) أخرجه البخاري في أول المظالم، وأحمد (٣/ ١٣/ ٦٣/ ٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري، ولم أره في مسلم.أهـ ألباني

حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث! لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة!! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم.

فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى، كما في الصحيحين، من حديث أنس رضي الله عنه، في قصة الإسراء، وفي آخره: «ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي» قال: «ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»[1]

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا مثل ما قال المؤلف رحمه الله: الجنة والنار مخلوقتان، عند أهل السنة والجماعة موجودتان، خلقهما الله جل وعلا وأعدهما لأهل طاعته وأهل معصيته، فالجنة للمتقين والنار للكافرين، أعد هذه وأعد هذه، ولا مانع من أن

(١) صحيح. أهـ ألباني

يعدهما قبل وجود أهلهما، وليس هذا بمستنكر، فإنهما لا تزالان موجودتان ولا يزال البناء فيهما والتكميل والزيادة فيهما، فلا تزال الجنة يزاد فيها من أنواع النعيم والقصور والخيرات، ولا تزال النار يزاد فيها من أنواع العذاب والبلاء، ولكنهما معدتان مهيأتان موجودتان لأهلهما، وليس في هذا ما يخالف الحكمة، وما قالوه إن وجودهما قبل وجود أهلهما عبث، قول باطل لا وجه له، فإن الحكماء من الخلق يعدون الأشياء التي يريدونها إعداداً كثيراً قبل وجود أهلها وقبل وجود سكانها، وهم بنو آدم الذين حكمتهم ناقصة وعلمهم ناقص، فقد يعدون الأشياء الكثيرة قبل وجود أهلها، حتى إذا وجد أهلها أدخلوا بها، حتى يهيئوا أسباب أهلها بهذه القصور وهذه البساتين أو ما أشبه ذلك، والرب عز وجل أعدها لعباده ليعلموا حقيقة ذلك وليشتاقوا إلى ذلك وليحفز هممهم إلى هذا الخير العظيم وليعلموا أنه على كل شيء قدير، إلى غير هذا من الحكم العظيمة، وقد ثبت في النصوص أن الرسول ﷺ قد دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم، ومثلت له الجنة والنار في صلاة الكسوف، وصح عنه ﷺ أنه قال: إن الميت إذا مات إذا كان من أهل الجنة فتح له باب إلى الجنة ويأتيه من نعيمها وطيبها ورأى مقعده من الجنة، والكافر بعكس ذلك، يرى مقعده من النار ويأتيه من سمومها وعذابها، فالمقصود أن هذا أمر مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة قاطبة، والنصوص من القرآن والسنة شاهدة بذلك طافحة بذلك ثابتة بذلك، فقول من أنكر ذلك تكذيب لله ولرسوله ويكون هذا كفراً مستقلاً، تكذيب النصوص كفر مستقل غير ما عليه من الباطل الآخر. أهـ.

* * *

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن

رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»(١) وتقدم حديث البراء بن عازب، وفيه: «ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها»(٢) وتقدم حديث أنس بمعنى حديث البراء، وفي صحيح مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكرت الحديث، وفيه: وقال رسول الله ﷺ: «رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني تقدمت ولقد رأيت النار يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت»(٣).

وفي الصحيحين، واللفظ للبخاري، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: «إني رأيت الجنة، وتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء» قالوا: بم، يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط»!!(٤)

---

(١) صحيح، وأخرجه أحمد أيضاً (٢/ ١٦و٥١و١٣و١٢٣).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وتقدم.أهـ ألباني

(٣) صحيح، وهو طرف من حديث طويل في صلاة الكسوف، وهو مخرج عندي في الجزء الخاص بهذه الصلاة.أهـ ألباني

(٤) صحيح، وهو مخرج هناك.أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا هو الوصف الأغلبي للنساء كما قال النبي ﷺ، وهو واقع منهن إلى الآن وإلى آخر الزمان، وصف لهن أغلبي، إذا تكدرت الأمور قالت هذا الكلام. أهـ.

* * *

وفي صحيح مسلم من حديث أنس: «**وايم الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً**» **قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟** قال: «**رأيت الجنة والنار**»[١] **وفي الموطأ والسنن، من حديث** كعب بن مالك، **قال:** قال رسول الله ﷺ «**إنما نسمة المؤمن طير تعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة**»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الحديث رواه أحمد أيضاً في المسند عن الإمام الشافعي عن مالك عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يبعثها الله**» هذا لعموم أرواح المؤمنين، أما أرواح الشهداء فلها حملة، تمتاز على أرواح الناس بأن لها حملة، وأنها في أجواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، هذه في أرواح الشهداء خاصة، وأما أرواح المؤمنين عموماً فهي نفسها تكون طيراً. أهـ.

* * *

وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة، وفي صحيح

---

(١) صحيح. أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (٩٩٥). أهـ ألباني

مسلم والسنن والمسند، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وما ذاك إلا لأن النفوس تغلب عليها الشهوات، وقلّ أن يسلم منها أحد إلا من حفظ الله، ولهذا جاء الحديث: «**حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره**»(٢) فالجنة تحتاج إلى أعمال صالحة وإلى صبر على الحق وثبات عليه

---

(١) صحيح، وصححه الترمذي والحاكم (١/ ٢٦) ووافقه الذهبي، وعزو المؤلف لمسلم خطأ، انظر «صحيح الجامع» (٥٠٨٦) و«المشكاة» (٥٦٩٦) وإنما له منه «**حفت الجنة.. وحفت النار بالشهوات**» وهذا رواه البخاري أيضاً.أهـ ألباني

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٧) كتاب الرقاق / باب حجبت النار بالشهوات، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٨٢٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها / باب ما في الجنة من النعيم وما يكون لأهلها من الرضوان، والترمذي (٢٥٥٩) كتاب الجنة / باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وترك لما حرم الله، وهذا ليس يستطيعه كل أحد ويصبر عليه كل أحد، إلا الخواص وإلا الندّر من عباد الله، أما الشهوات فالميل إليها كثير، من الزنا والسرقة وأكل أموال الناس واستباحة الحرام والتكاسل عن الواجبات، هذه تميل إليها النفوس، وليس كل واحد عنده الصبر على أداء الواجبات، وليس عند كل أحد الصبر على ترك المحرمات، ولاسيما بعض الشهوات المحرمة، ولهذا قال جبرائيل: خشيت أن لا ينجو منها أحد، بسبب الشهوات التي حفت بها وبسبب المغريات التي صارت حجاباً عنها، من تركها سلم ومن تعاطاها هلك. أهـ.

* * *

ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

وأما على قول من قال: إن الجنة الموعود بها هي الجنة التي كان فيها آدم ثم أخرج منها، فالقول بوجودها الآن ظاهر، والخلاف في ذلك معروف.

وأما شبهة من قال: إنها لم تخلق بعد، وهي: أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وقد روى الترمذي في جامعه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[1] قال: هذا حديث حسن غريب.

(١) وهو مخرج في الصحيحة (١٠٥).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المتبادر أن متنه غير ملائم للأحاديث الصحيحة وغير ملائم لجمع من الآيات، لكن لو صح واستقام إسناده فالمراد أن بها قيعاناً ليست هي قيعاناً، وإنما فيها قيعان، وهي بقايا البناء، كما في الأحاديث الصحيحية «**من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة**»[١] والأحاديث الأخرى التي فيها البناء والمنازل، هذا من سعتها وعظمتها ووجود ما يمكن فيه البناء، لكن الإخبار بأنها قيعان هو محل الغرابة.

ثم القاسم بن عبدالرحمن فيه أيضاً كلام كثير، القاسم بن عبدالرحمن الواسطي ضعيف عند أهل العلم، فالحاصل أن تحسينه أو تصحيحة محل نظر.

والقيعان الصحراء الخالية التي ليس فيها بناء ولا غراس. أهـ.

* * *

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»[٢] قال: هذا حديث حسن صحيح، قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغراس معنى، قالوا: وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾.

فالجواب: إنكم إن أردتم بقولكم إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده ما تقدم من الأدلة

---

(١) رواه البخاري (٤٥٠) كتاب الصلاة / باب من بنى مسجداً، ومسلم (٥٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب فضل بناء المساجد والحث عليها، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) صحيح، وهو مخرج في المصدر السابق (٦٤)أهـ ألباني

وأمثالها مما لم يذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر- فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الصواب، الجنة بإجماع أهل السنة والجماعة موجودة والنار موجودة، كلاهما موجودتان قبل خلق هذا العالم الذي هو الجن والإنس، أعدهما الله لهؤلاء ولهؤلاء، ولكن ليس معنى ذلك أنه لا يزاد فيهما، بل يزاد في عذاب النار ويزاد في نعيم الجنة في هذه الحياة ويوم القيامة أيضاً، وهي الجنة المعروفة، الجنة التي أعدها الله للمتقين في السماء، هذا الذي عليه عامة أهل العلم، وأما قول بعض الناس إنها جنة في الأرض، ويحكى عن قاضي المغرب البلوطي، فهذا ليس بشيء، الذي عليه أهل العلم قاطبة وهو كالإجماع منهم أنها عند الإطلاق جنة في السماء. أهـ.

* * *

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ فأتيتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن - نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما!! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام.

فمن كلامهم: أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سقف

الجنة، وقيل: المراد إلا ملكه، وقيل: إلا ما أريد به وجهه، وقيل: إن الله تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء، فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت، وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة، الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يذكر عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وقوله: «لا تفنيان أبداً ولا تبيدان» هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف، وقال ببقاء الجنة وبفناء النار جماعة من السلف والخلف[١]، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها.

وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط[٢]، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، ولا من أهل السنة.

وأنكره عليه عامة أهل السنة، وكفروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث! وهو عمدة أهل الكلام المذموم، التي استدلوا

---

(١) قلت: لم يثبت القول بفناء النار عن أحد من السلف، وإنما هي آثار واهية لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة، لو صحت لم تدل على الفناء المزعوم، وإنما على بقاء النار وخروج الموحدين منها، وقد كنت خرجت بعض ذلك في «الضعيفة» برقم (٦٠٦و٧٠٧) ثم وقفت على رسالة مخطوطة في مكتبة المكتب الإسلامي للعلامة الأمير الصنعاني في هذه المسألة الخطيرة، رد فيها على ابن القيم رحمه الله، فعلقت عليها وخرجت أحاديثها، وقدمت لها بمقدمة ضافية، وقد طبعت بعناية المكتب الإسلامي.أهـ ألباني

(٢) يعني قوله بفناء الجنة، ونحن نزيد على المؤلف فنقول: وليس له سلف أيضاً في قوله بفناء النار، كما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفاً.أهـ ألباني

بها على حدوث الأجسام، وحدوث ما لم يخل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأى جهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي، يمنعه في المستقبل!! فدوام الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع، كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي!!

وأبوالهذيل العلاف شيخ المعتزلة، وافقه على هذا الأصل، لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتى يصيروا في سكون دائم، لا يقدر أحد منهم على حركة!!

وقد تقدم الإشارة إلى اختلاف الناس في تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل، وهي مسألة دوام فاعلية الرب تعالى، وهو لم يزل رباً قادراً فعالاً لما يريد، فإنه لم يزل حياً عليماً قديراً، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته، ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته، من غير تجدد شيء، وليس للأول حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد، ويكون قبله ممتنعاً عليه، فهذا القول تصوره كاف في الجزم بفساده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الأشياء التي حدثت بسبب أهل الكلام وخوضهم في الباطل وعدم رجوعهم إلى الكتاب والسنة، حصل بها شر كثير على المسلمين وبلاء عظيم، فلا ينبغي للعاقل أن يلتفت إلى أقوالهم الفاسدة، فالجنة أعدها الله للمتقين، وأجمع أهل السنة والجماعة على بقائها واستمرارها وأنها لا تفنى أبد الآباد، بل أهلها في نعيم دائم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الدخان:٥١-٥٦] فذكر أنهم في مقام أمين وأنهم آمنون وأنهم لا يذوقون الموت، هذا كله يبين لنا أنها آيات مستمرة وبقاء مستمر أبد الآباد.

أما النار فقد ذهب بعض السلف إلى أن لها نهاية، وأنها تنتهي إلى ما يعلمه الله عز وجل، بعدما يمضي على أهلها أحقاباً لا يحصي عددها إلا الله ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ:٢٣] فقالوا هذه الأحقاب لها نهاية. والصحيح الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة أنها كالجنة لا تفنى أبداً، وأن حياة أهلها وعذابهم فيها مستمر أبداً، نسأل الله العافية، كما قال جل وعلا: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة:٣٧] ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧] فعذابهم مستمر فيها ـ نسأل الله العافية ـ أبد الآباد، وهذه الأصول التي وضعها أهل الكلام لأنفسهم كالمعتزلة والجهمية وغيرهم، أصول فاسدة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها، والله جل وعلا لم يزل فعالاً لما يريد ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود:١٠٧] أولاً وآخراً، فلم يزل فعالاً أولاً ولم يزل فعالاً في المستقبل، لا يمتنع عنه شيء سبحانه وتعالى، بل هو القادر على كل شيء جل وعلا، لم يزل خلاقاً رزاقاً حياً قيوماً مدبراً لعباده فعالاً لما يريد، وهكذا في المستقبل لا يزال خلاقاً رزاقاً فعالاً لما يريد سبحانه وتعالى، يحدث لأهل الجنة وأهل النار ما يشاء سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود:١٠٧] جل وعلا.

ومن المعلوم أن التسلسل الأول أنكره الكثير، ولكن من نظر وتأمل

عرف أنه لا يزال تسلسل الحوادث لا في المستقبل ولا في الماضي، لأن عدم التسلسل يقتضي أن ربنا جل وعلا في وقت ما ليس فعالاً وليس له خلق ولا فعل، وهذا لازم باطل وملزومه باطل، وكل حادث مسبوق بعدم، وليس للأولوية حد محدود حتى يتوقف عندها، فالله جل وعلا هو الأول الذي ليس قبله شيء، ولم يزل موجوداً سبحانه وتعالى، فهكذا الحوادث لا تزال موجودة شيئاً بعد شيء، كل حادث مسبوق بعدم، كل مخلوق مسبوق بعدم، وهكذا كل فرد من أفراد الحوادث حدث بعد أن لم يكن، وصدق عليه أنه مخلوق مربوب حادث، وهكذا في المستقبل لا تزال الحوادث تقع، ولا تزال أفعال الله جل وعلا جارية في عباده لا نهاية لذلك. أهـ.

* * *

فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد، فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ واختلف السلف في هذا الاستثناء:

فقيل: معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم، وقيل: إلا مده مقامهم في الموقف، وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف، وقيل: هو استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه، وقيل: «إلا» بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف، وسيبويه يجعل «إلا» بمعنى لكن، فيكون الاستثناء منقطعاً، ورجحه ابن جرير وقال: إن الله تعالى لا خلف لوعده، وقد وصل

الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت، أي سوى ما شئت، ولكن ما شئت من الزيادة عليه، وقيل: الاستثناء لإعلامهم، بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، **لأنهم** يخرجون عن مشيئته،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الصواب: «بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله لا يخرجون عن مشيئته» لأن معنى دوام مقامهم فيها ليس معناه خروجهم عن مشيئته ولكن «لا يخرجون» أوضح «أنهم» زيادة. أهـ.

* * *

ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ وقوله: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴾ ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقيل: إن «ما» بمعنى من، أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء، وقيل غير ذلك، وعلى كل تقدير، فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ محكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا هو المعول عليه، يعني الكلمة وأشباهها من المتشابهة الذي يفسره المحكم، وأهل السنة

والجماعة يرون أن الواجب في المتشابه رده إلى كلام الله المحكم كما أرشدهم الله إلى هذا، وبين أن أهل الزيغ هم الذين يخرجون عن المحكم إلى المتشابه، أما أهل الإيمان وأهل التقوى وأهل الهدى فمردهم إلى المحكم، إذا أشكل شيء ردوه إلى المحكم ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود:١٠٧] الله أعلم، هل أراد بذلك مقامهم في المحشر، مقامهم في القبور، إلى غير ذلك؟

لكن المقطوع به والمعلوم أنهم في جناتهم مقيمون، لا يظعنون ولا يموتون أبد الآباد، وأما لفظة ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود:١٠٧] فيحتمل معان لا تنافي ما أخبر به عن خلودهم ودوامهم وبقائهم. أهـ.

* * *

وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة: كقوله ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت»[(١)] وقوله: «ينادي مناد: يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا

---

(١) مسلم، وهو مخرج في الصحيحة (١٠٨٦).أهـ ألباني

أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا ثابت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينادي مناد: يا أهل الجنة، إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتأسوا أبداً**» وهذا من نعم الله العظيمة وفيه البشارة، مع أنهم قد علموا هذا في الجنة، قد علموا هذا في دار الدنيا قبل دخولهم الجنة، قد علموا أن الجنة دار نعيم وخير دائم، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه العظيم ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان:٥١-٥٥] ذكر أنهم آمنون وأن مقامهم مقام أمين، ثم قال ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾ فدل ذلك على أن أهل الجنة آمنون فيها وهم في مقام أمين، لا يعتريهم موت ولا أسقام ولا أكدار ولا نصب ولا تعب، بل في نعيم دائم وخير دائم وصحة دائمة وشباب دائم، لا حيض ولا نفاس ولا بصاق ولا مخاط، يأكلون ويشربون ويتنعمون ويتناكحون، لهم أنواع النعيم، ومع ذلك قد وقاهم الله كل مكروه، فلا حيض هناك ولا نفاس هناك ولا بصاق ولا مخاط ولا أذى ولا بول ولا غائط، بل طعامهم وشرابهم جشاء وعرق رائحته

---

(١) أخرجه مسلم (٨/ ١٤٨) عن أبي سعيد وأبي هريرة معاً بتقديم الجملة الأخيرة على التي قبلها، وزاد: «**وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل:** ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾. اهـ ألباني

المسك، هذه نعم الله العظيمة وآياته الباهرة سبحانه وتعالى.

فحقيق بذي النفس الزكية وذي الهمة العالية، حقيق به أن يبادر وأن يشمر لطلب هذه الدار، والعمل الذي شرع الله لتحصيلها من أداء ما أوجب الله وترك ما حرم الله والاستقامة على الحق والحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله والمسارعة إلى أنواع الخير والبعد عن أنواع الشر، هذا هو السبيل والطريق إلى الفوز بالجنات والسلامة من سائر العذاب، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية.

جاء في بعض الأحاديث أن أعمارهم ثلاث وثلاثون[1]، وفي ذلك بعض التأمل. أهـ.

* * *

وتقدم ذكر ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت»[2].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأنه يؤتى بالموت في صورة كبش يوم القيامة، إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يؤتى بالموت في صورة كبش وينادى هؤلاء وهؤلاء، فيقال: تعرفون هذا؟ هذا الموت، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، فيزداد أهل الجنة نعيماً وراحة وسروراً، ويزداد أهل النار عذاباً وثبوراً، نسأل الله العافية.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٤٥) كتاب الجنة / باب ما جاء في سن أهل الجنة، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه أحمد أيضاً من حديث معاذ وأبي هريرة رضي الله عنهما، وصححه الألباني كما في الجامع الصغير (٨٠٧٢).

(٢) متفق عليه. أهـ ألباني

والموت غير ملك الموت. أهـ.

* * *

وأما أبدية النار ودوامها، فللناس في ذلك ثمانية أقوال:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم! وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي!!

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ، وأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالى، فقال عز من قائل: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

الرابع: يخرجون منها، وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

الخامس: أنها تفنى بنفسها، لأنها حادثة وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه!! وهذا قول الجهم وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار، كما تقدم.

السادس: تفنى حركات أهلها ويصيرون جماداً، لا يحسون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف كما تقدم.

السابع: أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في الحديث، ثم يبقيها شيئاً، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من شاء، كما ورد في السنة، ويبقى فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ رحمه الله.

وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا القول الأخير الثامن هو قول أهل السنة والجماعة، أن النار تبقى أبد الآباد، وأن أهلها مخلدون فيها أبد الآباد لا تنقضي ولا تزول، كما أن الجنة أهلها مخلدون أبد الآباد، هكذا أهل النار مخلدون فيها أبد الآباد، لا ينتهي عذابهم ولا تبطل حركاتهم، بل في عذاب واستمرار، نسأل الله العافية، كما قال تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ ﴾ [النبأ:٣٠-٣١] وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء:٩٧] وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦] فعذاب مستمر ومستقر، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧ ﴾ [المائدة:٣٧] هذا هو الذي عليه أهل الحق وقامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

إلا أنه يخرج منها عصاة الموحدين عند أهل السنة والجماعة، عصاة الموحدين لا يخلدون، خلافاً للخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج والمعتزلة قالوا: من دخلها لا يخرج منها، بل عذابهم مستمر فيها أبد الآباد، حتى العصاة من الموحدين، وهذا قول باطل، قول الخوارج والمعتزلة قول باطل، بل الذي عليه أهل السنة والجماعة وتواترت به الأدلة أن العصاة من الموحدين لا يخلدون، بل يعذبون إذا دخلوها على ما شاء الله، على قدر أعمالهم الخبيثة، ثم يخرجون منها بعد التطهير

والتمحيص، لأن الجنة دار الطيبين ولا يدخلها إلا الطيبون، والعصاة فيهم خبث، فإن عفا الله عنهم فضلاً منه أو بأسباب شفاعة الشفعاء قبل دخول النار دخلوا الجنة، وصار عفو الله عنهم مطهراً لهم، فإن دخلوها بأعمالهم الخبيثة، كالزاني والسارق والعاق للوالدين وقاطع الرحم وصاحب الربا وغيرهم من العصاة الذين ماتوا غير تائبين، فهؤلاء متوعدون بالنار، والله علق مغفرتهم على مشيئته سبحانه وتعالى، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] فجعل أهل الشرك غير مغفور لهم، وقطع بذلك سبحانه وتعالى ولم يعلق، أما من كان على ما دون الشرك من المعاصي، فعلق سبحانه وتعالى المغفرة على مشيئته فقال: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] وما دون ذلك يشمل سائر المعاصي ماعدا الشرك، فدل ذلك على أن العصاة لهم حد ولهم نهاية ثم يخرجون منها، كما جاءت به النصوص المتواترة عن رسول الله ﷺ أن العصاة يخرجون من النار، ولا يبقى في النار إلا الكفار فيخلدون فيها أبد الآباد.

أما القول السابع فهو قول بعض أهل السنة، أن العصاة يبقون في النار أحقاباً كثيرة ثم تفنى ويفنون، وهذا قول ضعيف ومرجوح وإن كان قال به بعض السلف، لكنه قول مرجوح وضعيف، بل باطل وليس بصحيح، والصحيح الذي عليه جمهور أهل السنة وهو كالإجماع منهم أن النار تبقى أبد الآباد لا تفنى، ويبقون بها أحقاباً بعد أحقاب لا تنتهي ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النبأ:٢٣] يعني لا تنتهي، إلا أن العصاة لا يبقون فيها، بل لهم أمد ولهم خلود فيها خاص، كالقاتل والزاني لهم خلود خاص ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان:٦٩] قاتل النفس مخلد فيها،

لكنه خلود خاص ليس بمأبد، فإن الخلود خلودان عند العرب: خلود له نهاية، وهذا هو الخلود الذي وعد به بعض العصاة، كالقاتل نفسه والقاتل غيره عمداً والزاني، هؤلاء جاء فيهم خلود خاص له حد وله أمد ينتهي إليه.

أما خلود الكفرة فهو خلود ليس له أمد، بل هو خلود مستمر، نعوذ بالله من ذلك، هذه مسألة عظيمة ينبغي أن نحفظها جيداً ونعقلها جيداً، كما بين أهل السنة وكما ذكر الشارح هنا.

وقد ذكر ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليهما ذكرا وجوهاً كثيرة لمن قال بفناء النار من السلف، وبسطا القول في ذلك وذكر الحجة الأخرى، وبين ابن القيم رحمه الله في الوابل الصيب أن الصواب هو ما عليه عامة أهل السنة، وهو أن النار تبقى أبداً ولا تنقطع ولا تزول، بل تبقى أبد الآباد بعد خروج الموحدين العصاة، قال: هؤلاء هم الذين تفنى نارهم، نار الموحدين تفنى وتذهب بخروجهم منها، أما نار الكفار وما أعد الله لهم فهي تبقى أبد الآباد، نسأل الله العافية.

والنار أنواع متفاوتة، بعضها أشد من بعض، وهي دركات بعضها تحت بعض، والطبقة الأسفل هي الأشد حراً، هي الأشد بلاء، وأسفلها الدرك الأسفل من النار لأهل النفاق ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥] نسأل الله العافية، وجاء في الحديث الصحيح أن الكفار يعظمون فيها[١].

وابن القيم ذكر مسألة فناء النار ولا أعلم أنه صرح بفناء النار في كتبه، إنما ذكر الحجج، سرد هذه وهذه، ومقامه هو مقام التوقف، إلا في الوابل صرح بأن نار العصاة الموحدين هي التي تفنى، أما النار التي

(١) رواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم.

أعدها الله للكفار هي التي تبقى أبد الآباد.

وكلام ابن القيم أن نار العصاة تفنى وأنه قسم النار إلى قسمين محل نظر، وأما كونها تفنى فهذا شيء ثان، والجدل في هذا محل نظر، قد تضاف إلى نار أخرى، وقد تزول كما قال، وقد تضاف إلى النار العظمى، نسأل الله العافية.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] يدخل فيها تارك الأوامر وفاعل النواهي، ما عدا الصلاة، فإن الحق أن تاركها كافر كفراً أكبر، نسأل الله السلامة، هذا هو الصواب فيها، أما الزكاة والصوم والحج فالجمهور على أن تاركها من غير جحد لوجوبها، لم يجحد وجوبها ولكن تركها من غير جحد، فهذا لا يكفر، ولكن يكون له حكم العصاة أهل الكبائر، وأما تارك الصلاة فاختلف العلماء فيه اختلافاً كبيراً، ولكن الراجح والأصح أن تاركها كافر كفراً أكبر، لقول النبي ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**» خرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه(١)، ولقول النبي ﷺ أيضاً: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» خرجه الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح عن بريدة رضي الله عنه(٢)،

---

(١) مسلم (٨٢) كتاب الإيمان / باب بيان إطلاق اسم الكفر على ترك الصلاة، وأبو داود (٤٥١٣) كتاب السنة / باب في رد الإرجاء، والترمذي (٢٦٢٠) كتاب الإيمان / باب ما جاء في ترك الصلاة، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) الترمذي (٢٦٢١) كتاب الإيمان / باب ما جاء في ترك الصلاة، والنسائي (٤٦١) كتاب الصلاة / باب الحكم في تارك الصلاة، والنسائي (٤٦١) كتاب الصلاة / باب الحكم في تارك الصلاة، وابن ماجه (١١١٢) إقامة الصلاة والسنة فيها / باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، من حديث بريدة رضي الله عنه وانظر تصحيح الشيخ الألباني في كتابه «حكم تارك الصلاة» (٦٤ـ٦).

ولحديث: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة**»[١] وحديث أن النبي ﷺ بايع أصحابه أن لا ينازعوا الأمر أهله، قال: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[٢] وفي اللفظ الآخر قال: «**ما أقاموا فيكم الصلاة**»[٣] فدل ذلك على أن الذي لا يقيم الصلاة هذا كافر كفراً بواحاً، ولأحاديث أخرى.

سؤال/ بعضهم يحتجون بحديث معاذ على أن تارك الصلاة كافر كفراً دون كفر!!

أجاب سماحة الشيخ: حديث معاذ وغيره كله بابه واحد لأن تارك الصلاة كافر، حديث معاذ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»[٤] ومن ترك الصلاة فقد كفر، فقد أشرك. أهـ.

❊ ❊ ❊

---

(١) الترمذي (٢٦١٦) كتاب الإيمان / باب ما جاء في حرمة الصلاة، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤) التفسير / باب قوله تعالى ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٠ كتاب السير / باب أصل فرض الجهاد، وفي شعب الإيمان ٣/ ٣٨ (٢٨٠٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة ٣/ ١١٤.

(٢) رواه البخاري (٧٠٥٦) كتاب الفتن / باب قول النبي ﷺ «**سترون بعدي أموراً تكرهونها**» و(٧١٩٩-٧٢٠٠) كتاب الأحكام / باب كيف يبايع الإمام الناس؟ ومسلم (١٧٠٩) كتاب الإمارة / باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، من حديث عبادة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١٨٥٥) كتاب الإمارة / باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه من حديث معاذ رضي الله عنه، وتقدم.

وهذان القولان لأهل السنة ينظر في أدلتهما، فمن أدلة القول الأول منهما: قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ وهذا القول، أعني القول بفناء النار دون الجنة - منقول عن عمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وغيرهم وقد روى عبد بن حميد في تفسيره المشهور، بسنده إلى عمر رضي الله عنه، أنه قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه[1]، ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ قالوا: والنار

---

(١) ضعيف، لأنه من رواية الحسن، قال: قال عمر: والحسن لم يدرك عمر رضي الله عنه، وقال ابن القيم في «حادي الأرواح» (٢/ ٧١ طبع الكردي) عقبه: «والحسن لم يسمع من عمر» ومع ذلك فقد حاول تقويته بكلام خطابي لا غناء فيه «وحسبك بهذا الإسناد جلالة! والحسن وإن لم يسمع من عمر فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال: قال عمر بن الخطاب»!.

قلت: وهذا كلام عجيب من مثل ابن القيم رحمه الله، لأن معناه الاحتجاج بحديث التابعي المجهول العين! لأنه إذا كان الحسن قد أخذه من بعض التابعين، فمن هو؟ وما حاله في الحديث حفظاً وضبطاً؟ أليس منطق ابن القيم هذا يؤدي إلى قلب القواعد الأصولية الحديثية التي تجعل حديث المجهول ضعيفاً، والحديث المرسل والمنقطع ضعيفا كذلك، لأنهما يرجعان إلى راو لم يذكر ولم يسم؟! ويؤدي كذلك إلى قبول أحاديث الحسن البصري المعنعنة، فضلاً عن المنقطعة والمرسلة، مثل حديثه عن سمرة «لما حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبدالحارث، فسمته عبدالحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» وهو حديث ضعيف، بل باطل، ولا علة فيه سوى عنعنة الحسن البصري، وقد فسر هو الآية التي فسرها بعض المفسرين بهذا الحديث، =

موجب غضبه، والجنة موجب رحمته.

وقد قال ﷺ: «لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»(١) وفي رواية: «تغلب غضبي» رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قالوا: والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ و﴿أَلِيمٍ﴾ و﴿عَقِيمٍ﴾ ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم، وقد قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم

= فسرها الحسن نفسه بغير ما دل عليه حديثه، وتبعه على ذلك بعض المحققين، منهم ابن القيم نفسه، كما بينت ذلك في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣٤٢)، ومثل حديثه المرسل في إبطال الوضوء بالقهقهة، وهو ضعيف باتفاق المحدثين.

سامح الله ابن القيم وغفر له، فإنه بتصحيحه لمثل هذا الأثر عن عمر رضي الله عنه يفتح باباً كبيراً لبعض الفرق الضالة يلجأون فيه إلى تأييد ضلالهم، كالقاديانية، فإن من ضلالهم القول بفناء النار، وانتهاء عذاب الكفار، كما بينته في السلسلة المشار إليها عند الكلام على الحديث الذي في معنى هذا الأثر، وكنت أشرت إليه في الكلام على هذا الأثر، فلما وقفت على إسناده تكلمت عليه بتفصيل، وألحقته بالحديث المشار إليه.

وجملة القول: أن هذا الأثر لا يصح عن عمر، كما لا يصح عن غيره مرفوعاً، والله ولي التوفيق، وراجع لهذا البحث كتاب «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» للعلامة الصنعاني بتقديمي وتعليقي.

وقد روي نحوه عن عبدالله بن عمرو موقوفاً بسند ضعيف، وأبي أمامة مرفوعاً بسند فيه تالف، وقد تكلمت عليه في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» كما تقدم قريبا.أهـ ألباني

(١) متفق عليه، وقد تقدم.أهـ ألباني

رحمته. وقد ثبت في الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة[1]، والمعذبون فيها متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم، وليس في حكمة أحكم الحاكمين ورحمة أرحم الراحمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له، وأما أنه يخلق خلقاً ينعم عليهم ويحسن إليهم نعيماً سرمداً، فمن مقتضى الحكمة، والإحسان مراد لذاته، والانتقام مراد بالعرض.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل هذا من باب الأمور المشتبهة والأمور العامة، ولكن الأدلة الخاصة والأدلة القطعية تبين هذا الشيء وأنه لا يُعوَّل عليه، لأن كل ما اشتبه من النصوص يرد إلى المحكم، والمحكم يدل على استمرار عذابهم، نعوذ بالله. أهـ.

* * *

قالوا: وما ورد من الخلود فيها، والتأبيد، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام؛ كله حق مسلم، لا نزاع فيه، وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد. ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الكلام في بقائها بعد خروج العصاة، تستمر أبد الآباد أم لها نهاية بعد خروج العصاة؟

أما الكفار فلا خلاف في خلودهم. أهـ.

* * *

(١) صحيح، أخرجه مسلم في حديث لأبي هريرة في عقوبة مانع الزكاة يوم القيامة، وفي الباب عن ابن عمرو عند الحاكم (٤/ ٥٧٢) وصححه ووافقه الذهبي.أهـ ألباني

ومن أدلة القائلين ببقائها وعدم فنائها: قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[(١)] ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي مقيماً لازماً.

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله: وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما[(٢)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو القول الحق. أهـ.

* * *

وقوله: «وخلق لهما أهلاً» قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الآية، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا،

---

(١) هذه الآية في أهل الجنة، فلعله أراد آية المائدة ٣٧ ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وقد وقع هذا الوهم لابن القيم وغيره، فانظر تعليقي على «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار». أهـ ألباني

(٢) قلت: وهذه الأدلة قاطعة في بقاء النار وأهلها فيها من الكفار، بخلاف أدلة القول الذي قبله، فليس فيها شيء صريح، كما بسطه الإمام الصنعاني في «رفع الأستار» فكن رجلاً يعرف الحق بدليله وليس بالرجال، فكل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ. أهـ ألباني

عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءاً ولم يدركه، فقال: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»(١) رواه مسلم وأبوداود والنسائي.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المقصود من هذا بيان أن الله جل وعلا خلق الجنة وخلق لها أهلاً يعملون بعمل أهل الحنة، وخلق النار وخلق لها أهلاً، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق الذي به دخول الجنة والنجاة من النار، وبيان الأعمال والأقوال التي من فعلها صار إلى النار، ومن فعلها صار إلى الجنة، حتى تقوم الحجة وتنقطع المعذرة ويسير الناس على صراط مستقيم، فلما قالت عائشة لهذا الطفل: عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه، بين لها النبي ﷺ أن أهل الجنة معروفون وأن أهل النار معروفون، وأن الطفل وغير الطفل معروف مصيره، ولهذا لما سئل عن أولاد المشركين قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(٢) فكل ينتهي إلى ما قدر له ويعمل بما سطر عليه.

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «ظلال الجنة تخريج السنة لابن أبي عاصم» (٢٥١). أهـ ألباني

(٢) رواه البخاري (١٣٨٣-١٣٨٤) كتاب الجنائز/ باب ما قيل في أولاد المشركين، و(٦٥٩٧-٦٥٩٨) كتاب القدر/ باب: الله أعلم بما كانوا عاملين، ومسلم (٢٦٥٩-٢٦٦٠) كتاب القدر/ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين، من حديث أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما.

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن أولاد المسلمين تبع أهليهم من الجنة، وأنهم لهم حكم إيمان أهلهم، كما قال جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور:٢١] فأولاد المسلمين تبع أهليهم في الإيمان وملحوقون بهم، والكفار أولادهم تبعهم في أحكام الدنيا، وفي أحكام الآخرة الله أعلم بما كانوا عاملين، يمتحنون يوم القيامة ثم يصيرون إلى ما ينتهون إليه من طاعة أو معصية، كما يمتحن أهل الفترات الذين ما أدركوا الرسل لأسباب أخرى من هرم أو جنون أو غير ذلك، فيمتحنون، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار، فليس المقصود في الحديث أن أولاد المسلمين ليسوا تبعاً لأهليهم، بل مقصود الحديث بيان أن أهل الجنة معلومون وأهل النار معلومون، ولا ينافي ما أجمع عليه أهل السنة من كون أولاد المسلمين تبعاً لأهليهم في الجنة، وأن أولاد الكفار تبع لأهليهم في أحكام الدنيا، يسبون معهم ويكون لهم حكمهم، وفي الآخرة إذا ماتوا قبل البلوغ يكون حكمهم حكم أهل الفترات، كما قال النبي ﷺ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» فيمتحنون يوم القيامة، فمن أطاع صار إلى الجنة ومن عصى صار إلى النار. أهـ.

* * *

والمراد الهداية العامة، وأعم منها الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ فالموجودات نوعان: أحدهما مسخر بطبعه، والثاني متحرك بإرادته، فهدى الأول لما سخره له طبيعة، وهدى الثاني هداية إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره ،ثم قسم هذا النوع إلى ثلاثة أنواع:

نوع لا يريد إلا الخير ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالملائكة.

ونوع لا يريد إلا الشر ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالشياطين.

ونوع يتأتى منه إرادة القسمين، كالإنسان.

ثم جعله ثلاثة أصناف: صنفاً يغلب إيمانه ومعرفته وعقله هواه وشهوته، فيلتحق بالملائكة، وصنفاً عكسه، فيلتحق بالشياطين، وصنفاً تغلب شهوته البهيمية عقله، فيلتحق بالبهائم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني في ذلك الشيء، وهو العاصي، فقد تغلبه شهوته فيلتحق بالبهائم، وقد يغلبها فيلتحق بالملائكة في السلامة والعافية، فهو بين بين، فالناس أقسام ثلاثة بالنسبة إلى الشرع: منهم من استقام إيمانه فالتحق بالملائكة في عدم المعصية، ومتى وقعت منه بادر بالتوبة منها.

وقسم غلبت عليه الشقوة فالتحق بالشياطين بشره وفساده.

وقسم تارة وتارة، تارة يقوى إيمانه فيلتحق بالقسم الأول، وتارة يضعف إيمانه فيلتحق في القسم الثاني في بعض الشيء، فيكون له شائبتان، وهم العصاة وأهل الكبائر، فهم على ما ختم لهم به، فإن ختم لهم بالتوبة التحقوا بالقسم الأول، وإن لم يختم لهم بتوبة صاروا على خطر، وهم أصحاب الشائبتين، وصاروا تحت مشيئة الله عز وجل، فإذا غلبت شهوة الزنا، التحق بالبهائم في شهوة السفاد، فإذا غلبت عليه شهوة الجبروت والظلم والعدوان، التحق بقسم البهائم كالسباع الضارية التي ليس لها إلا هم العدوان والضرر وهكذا، لأن البهيمة طبعها اتباع شهوتها، ليس لها رادع من عقلها ولا رادع من شرع، فالناس في هذا الباب لهم صفات متعددة وطبائع مختلفة، على حسب ما وفقهم الله له

من العلم والعمل، وعلى حسب ما حرموا من ذلك.

والذين وفقوا للخير أو ختم لهم به هؤلاء إلى الجنة، والذين طبعوا على الشر وصاروا إلى الشر وعصوا الرسل وخالفوهم ممن أعد إلى النار وصار إلى النار، والصنف الثالث الذي يبتلى بالمعاصي ويوفق للطاعات فهو بين بين، بين هذه وهذه، كأغلب الناس الذين استجابوا للرسل ولكن لم يحققوا اتباع الرسل، بل تارة وتارة، فهؤلاء إذا ماتوا على توبة صادقة التحقوا بالقسم الأول وهم أهل الجنة، وإن ماتوا على معاصيهم صاروا على خطر من دخول النار، وهم تحت مشيئة الله، فقد يعفى عنهم فيلتحقون بالقسم الأول، وقد لا يعفى عنهم فيلتحقون بالقسم الثاني في دخول النار دخولاً مؤقتاً.

والتعريف فيه قصور، لأنه ليس دائماً تبع البهائم، بل تارة وتارة.

والملائكة مكلفون بلا شك، مكلفون تكليفاً الله أعلم بصفته، تكليف بأن لا يعصوا الله، وتكليف بأن لا يعبدوا مع الله غيره، لكن تفاصيل تكاليفهم لماذا أمروا لماذا نهوا؟

هذا إلى الله، ما بين لنا صفته، لكنهم مكلفون بطاعات خاصة وأمور خاصة، ومنهيون، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء:٢٩] وقال: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦] وقال: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]. أهـ.

سؤال/ من قال إن النبي ﷺ بعث إليهم؟

أجاب سماحة الشيخ: لا نعرف لهذا أصلاً، قال الله ﴿ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١] وهم الجن والإنس، هذا المراد هنا، وكذلك قوله جل وعلا ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٦] فهم لا يدخلون في هذا ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨]. أهـ.

* * *

والمقصود: أنه سبحانه أعطى الوجودين: العيني والعلمي، فكما أنه لا موجود إلا بإيجاده، فلا هداية إلا بتعليمه، وذلك كله من الأدلة على كمال قدرته، وثبوت وحدانيته، وتحقيق ربوبيته، سبحانه وتعالى.

وقوله: «فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه» إلخ - مما يجب أن يعلم: أن الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح، فإنه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ وهو سبحانه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع.

لكن إذا منَّ على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح، فلا يمنعه موجب ذلك أصلاً، بل يعطيه من الثواب والقرب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك فلانتفاء سببه، وهو العمل الصالح، ولا ريب أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لكن ذلك كله حكمة منه وعدل، فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله.

وأما المسببات بعد وجود أسبابها، فلا يمنعها بحال، إذا لم تكن

أسباباً غير صالحة، إما لفساد في العمل، وإما لسبب يعارض موجبه ومقتضاه، فيكون ذلك لعدم المقتضي، أو لوجود المانع، وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح، وهو لم يعط ذلك ابتلاء وابتداء إلا حكمة منه وعدلاً، فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حال، كل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل، فإن الله تعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ وكما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ ونحو ذلك. وسيأتي لذلك زيادة، إن شاء الله تعالى.

قوله: (والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به - تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات - فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الاستطاعة المرادة عند الإطلاق في القرآن، التي يتمكن معها من الفعل، الطاقة والوسع والقدرة من جهة الصحة ومن جهة العلم إلى غير ذلك، أما توفيق الله لعبده وكونه يوفق وكونه يهدى أو لا يُهدى، هذا إلى الله سبحانه وتعالى، هو أعلم بأحوال عباده، يهدي من يشاء ويضل من يشاء سبحانه وتعالى. أهـ.

❊ ❊ ❊

ش: الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع، ألفاظ متقاربة، وتنقسم الاستطاعة إلى قسمين، كما ذكره الشيخ رحمه الله، وهو قول عامة أهل السنة، وهو الوسط.

وقالت القدرية والمعتزلة: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل.

وقابلهم طائفة من أهل السنة فقالوا: لا تكون إلا مع الفعل.

والذي قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله، لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة .

سؤال/ القدرة لا تكون إلا مع الفعل، يعني أنكروا القدرة التي هي توفر الأسباب والآلات؟ هل هذا قول لبعض أهل السنة أو طائفة لأهل السنة؟

أجاب سماحته/ ما أعرف لهذا أصلاً، المعروف عند أهل السنة أن القدرة قبل الفعل، وبها يخاطب الناس ويكلفون، فالعقل قدرة قبل الفعل، فإذا لم يكن عنده عقل أو ما له قدرة فلا يخاطب، فلا يخاطب بالزكاة إلا من كان عنده مال، ولا يخاطب بالزكاة والصدقة وغيرهما إلا من كان عنده عقل، وهكذا، ولا يخاطب بالحج إلا من كان عنده استطاعة قد وجدت، وإلا فهو غير مخاطب بالأمر، قال تعالى: ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران:٩٧].

أما القدرة مع الفعل فليست هي القدرة التي هي توفيق الله للعبد وهدايته، هذه مع الفعل، إذا الله أرادها قارنت الفعل واهتدى، أما هذا القول فما أعرف له وجهاً. أهـ.

سؤال/ أليس هذا هو قول الجبرية، يقولون: لا تكون الاستطاعة إلا مع التوفيق؟

أجاب سماحته/ هذا هو مقتضى مذهبهم الباطل، لأنهم ما عندهم للعبد فعل ولا اختيار، والبحث فيه بعض الغموض، فليراجع في الأصول الأخرى، خصوصاً هذا القول الشاذ لبعض أهل السنة، وأظنه وهماً من الشارح. أهـ.

❊ ❊ ❊

وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات - فقد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج، ولم يعاقب أحداً على ترك الحج! وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى، لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى، ولم يعاقب من لم يتق! وهذا معلوم الفساد، وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات، وكذا ما حكاه سبحانه من قول المنافقين: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ وكذبهم في ذلك القول، ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل - ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم كاذبين، وحيث كذبهم دل على أنهم أرادوا بذلك المرض أو فقد المال، على ما بين تعالى بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾

إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ والمراد: استطاعة الآلات والأسباب، ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين: «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»[(١)] إنما نفى استطاعة الفعل معها.

وأما ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة، فقد ذكروا فيها قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ والمراد نفي حقيقة القدرة، لا نفي الأسباب والآلات، لأنها كانت ثابتة، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم» إن شاء الله تعالى.

وكذا قول صاحب موسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ والمراد منه حقيقة قدرة الصبر، لا أسباب الصبر وآلاته، فإن تلك كانت ثابتة له، ألا ترى أنه عاتبه على ذلك؟ ولا يلام من عدم آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يلام من امتنع من الفعل لتضييع قدرة الفعل، لاشتغاله بغير ما أمر به، أو لعدم شغله إياها بفعل ما أمر به.

ومن قال: إن القدرة لا تكون إلا حين الفعل - يقولون: إن القدرة لا تصلح للضدين، فإن القدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل، وهي مستلزمة له، لا توجد بدونه.

وما قالته القدرية - بناء على أصلهم الفاسد، وهو إقدار الله للمؤمن والكافر والبر والفاجر سواء، فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع

---

(١) البخاري وغيره «صفة الصلاة» ص (٥٨ـ الطبعة الحادية عشرة). أهـ ألباني

بإعانة حصل بها الإيمان، بل هذا بنفسه رجح الطاعة، وهذا بنفسه رجح المعصية! كالوالد الذي أعطى كل واحد من بنيه سيفاً، فهذا جاهد به في سبيل الله، وهذا قطع به الطريق.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا قول القدرية النفاة الذين ينفون القدر، والمعتزلة أيضاً، وهم المراد عند الإطلاق، إذا أطلق القدرية فهم المراد، النفاة، أما القدرية المجبرة فهم في الغالب يسمون المجبرة والجبرية، وهم الذين يقولون: ليس للعبد فعل ولا اختيار، وإنما هو كالريشة في مهب الريح ليس له قدرة، وهذا من أفسد الأقوال، نسأل الله العافية. أهـ.

❊ ❊ ❊

وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر، فإنهم متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية، خصه بها دون الكافر، وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ فالقدرية يقولون: إن هذا التحبيب والتزيين عام في كل الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق، والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمن، ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وأيضاً خصهم بهذا ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [الحجرات:٨]. أهـ.

❊ ❊ ❊

والكفار ليسوا راشدين، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأمثال هذه الآية في القرآن كثير، يبين أنه سبحانه هدى هذا وأضل هذا، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

وأيضاً فقول القائل: يرجح بلا مرجح - إن كان لقوله: يرجح، معنى زائد على الفعل، فذاك هو السبب المرجح، وإن لم يكن له معنى زائد كان حال الفاعل قبل وجود الفعل كحاله عند الفعل، ثم الفعل حصل في إحدى الحالتين دون الأخرى بلا مرجح! وهذا مكابرة للعقل!! فلما كان أصل قول القدرية أن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الإعانة والإقدار سواء - امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه، لأن القدرة التي تخص الفعل لا تكون للتارك، وإنما تكون للفاعل، ولا تكون القدرة إلا من الله تعالى.

وهم لما رأوا أن القدرة لا بد أن تكون قبل الفعل، قالوا: لا تكون مع الفعل، لأن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك، فلهذا قالوا: القدرة لا تكون إلا قبل الفعل!

وهذا باطل مطلقاً، فإن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع، بل لا بد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من الأمور الوجودية موجوداً عند الفعل، فنقيض قولهم حق، وهو: أن الفعل لا بد أن يكون معه قدرة.

لكن صار أهل الإثبات هنا حزبين: حزب قالوا: لا تكون القدرة إلا

معه، ظناً منهم أن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين، وظناً من بعضهم أن القدرة عرض، فلا تبقى زمانين، فيمتنع وجودها قبل الفعل.

والصواب: أن القدرة نوعان كما تقدم: نوع مصحح للفعل، يمكن معه الفعل والترك، وهذه هي التي يتعلق بها الأمر والنهي، وهذه تحصل للمطيع والعاصي، وتكون قبل الفعل، وهذه تبقى إلى حين الفعل، إما بنفسها عند من يقول ببقاء الأعراض، وإما بتجدد أمثالها عند من يقول إن الأعراض لا تبقى زمانين، وهذه قد تصلح للضدين، وأمر الله مشروط بهذه الطاقة، فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة، وضد هذه العجز، كما تقدم.

وأيضاً: فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها، فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها وإن لم يعجز عنه.

فالشارع ييسر على عباده، ويريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليكم في الدين من حرج، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه، فهذا في الشرع غير مستطيع، لأجل حصول الضرر عليه، وإن كان قد يسمى مستطيعاً، فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإن كان الفعل ممكناً بالمفسدة الراجحة لم تكن هذه استطاعة شرعية، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله، أو يصلي قائماً مع زيادة مرضه، أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته، ونحو ذلك .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن الاستطاعة في الشرع أوسع منها في الاستطاعة في نفس الأمر، فقد يكون الشيء ممكناً لكن ليس مستطيعاً في الشرع لما فيه من الضرر عليه،

فالاستطاعة الشرعية أوسع، الصلاة والزكاة والصيام والحج، ثم قد يكون عند الإنسان استطاعة كاملة للفعل، ولكن ما فيه من الغيرة وما فيه من قوة كمال الدين قد يحملانه على عدم الصبر على ذاك الشيء، قد تكون قوته واستطاعته لا تتحمل الصبر على هذا الشيء، بل عنده من الاندفاع والغيرة وشدة الحرص على تنفيذ أمر الله ما يمنعه من الصبر والثبوت وعدم الفعل، كما جرى لموسى مع الخضر، وكما قد يجري لكثير من الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في الغيرة على بعض أهله أو ما أشبه ذلك.

فالمقصود أن الاستطاعة الشرعية أوسع وأخف وأيسر من الاستطاعة التي في نفس الأمر، وهي الاستطاعة الإمكانية، ولك أن تقول: الاستطاعة الحسية، فالاستطاعة الحسية أضيق.

ومن وجب عليه صوم شهرين لكنه ينقطع عن معيشته فإنه ينتقل إلى الإطعام، وإن كان في القتل يؤجل إلى أن يتيسر له ما يعينه على المعيشة حتى يصوم. أهـ.

* * *

فإذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجحة، فكيف يكلف مع العجز؟

ولكن هذه الاستطاعة مع بقائها إلى حين الفعل لا تكفي في وجود الفعل، ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل، بل لا بد من إحداث إعانة أخرى تقارن، مثل جعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة، والاستطاعة المقارنة تدخل فيها الإرادة الجازمة، بخلاف المشروطة في التكليف، فإنه لا يشترط فيها الإرادة، فالله تعالى يأمر بالفعل من لا يريده، لكن لا يأمر به من لو أراده لعجز عنه، وهكذا أمر الناس بعضهم لبعض،

فالإنسان يأمر عبده بما لا يريده العبد، لكن لا يأمره بما يعجز عنه العبد، وإذا اجتمعت الإرادة الجازمة والقوة التامة، لزم وجود الفعل، وعلى هذا ينبني تكليف ما لا يطاق، فإن من قال: القدرة لا تكون إلا مع الفعل؛ يقول: كل كافر وفاسق قد كلف ما لا يطيق، وما لا يطاق يفسر بشيئين:

بما لا يطاق للعجز عنه، فهذا لم يكلفه الله أحداً.

ويفسر بما لا يطاق للاشتغال بضده، فهذا هو الذي وقع فيه التكليف، كما في أمر العباد بعضهم بعضاً، فإنهم يفرقون بين هذا وهذا، فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف! ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم، ويعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة.

قوله: (وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد).

ش: اختلف الناس في أفعال العباد الاختيارية، فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي: أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز! وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محصله!

وقابلتهم المعتزلة، فقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بخلق الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «من جميع الحيوانات»حيوانات مكلفة، كبني آدم والجن، أو غير مكلفة كالحيوانات الأخرى من الإبل والبقر والغنم.

وهذان طرفان ووسط، مثل ما قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله في الواسطية: «وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية» فالجبرية

أجبروا، وقالوا: ليس للعبد فعل، وإنما هو كالريشة في مهب الريح وكأغصان الشجر وما أشبه ذلك، والقدرية النفاة قابلوهم وقالوا: إن أفعال العباد ليس لله فيها اختيار ولا عمل ولا قدر سبق، وكلاهما ضال في هذا، قولان ضالان خاطئان باطلان. والقول الوسط قول أهل السنة والجماعة، وهو أن أفعال العباد مخلوقة لله، وهي من أفعالهم منسوبة إليهم، لكنها بقدر سابق، وهي منسوبة إلى أهلها، فالعبد هو المصلي وهو الصائم، وهو الزاني وهو السارق وهو الفاسق، فأفعالهم تنسب إليهم، ولهم فيها اختيار ولهم مشيئة، ولكنها بعد مشيئة الله وبعد قدره السابق، لا يقع في ملكه ما لا يريد سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التكوير:٢٨] أثبت لهم الفعل، ثم قال: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٩] وقال: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المدثر:٥٥-٥٦] وقال: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [الأنفال:٦٧] وقال: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران:١٥٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور:٣٠] ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل:٨٨] إلى غير هذا من الأدلة الدالة على أن لهم أفعالاً ولهم أعمالاً، وعلى أن لهم اختياراً ولهم مشيئة، لكنها لا تقع إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى، لكمال ملكه وكمال قدرته لا يقع في ملكه ما لا يريد. أهـ.

سؤال/ هل يقال عن الإنسان إنه حيوان؟

أجاب سماحته: نعم، حيوان ناطق. أهـ.

❊ ❊ ❊

واختلفوا فيما بينهم: أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا؟!

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلاً، كما عملت المشبهة في إثبات الصفات، فشبهوا.

والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس، من حيث إن المجوس أثبتوا خالقَين، وهم أثبتوا خالقِين!! وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى؛ فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد ألف في هذا المعنى الإمام البخاري كتابه المشهور: «خلق أفعال العباد» بيّن في هذا المعنى، وأن الأدلة قائمة على أن الله خلق أفعالهم وشاء ما وقع، وأنهم فاعلون حقيقة، تنسب إليهم أفعالهم، فيذمون على خبيثها ويمدحون على طيبها، والله جل وعلا خالقهم وخالق أفعالهم. أهـ.

* * *

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يصدق بعضه بعضاً، ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين، ولكنها تتكافأ وتتساقط، ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخر، ولكن أذكر شيئاً مما استدل به كل من الفريقين، ثم أبين أنه لا يدل على ما استدل عليه من الباطل:

فمما استدلت به الجبرية، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد، قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال، بدليل قوله ﷺ: «لن يدخل أحد الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[١].

ومما استدل به القدرية،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني النفاة، إذا قيل القدرية فهم النفاة، وإذا قيل الجبرية فهم القدرية المجبرة. أهـ.

* * *

(١) مسلم، عن أبي هريرة وجابر وعائشة بألفاظ متقاربة.أهـ ألباني

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض، كما قال تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ونحو ذلك.

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت لرسوله رمياً، بقوله: ﴿إِذۡ رَمَيۡتَ﴾ فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء: فابتداؤه الحذف، وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رمياً، فالمعنى حينئذ - والله تعالى أعلم: وما أصبت إذ حذفت ولكن الله أصاب، وإلا فطرد قولهم: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى! وما صمت إذ صمت! وما زنيت إذ زنيت! وما سرقت إذ سرقت!! وفساد هذا ظاهر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولازم قولهم باطل كبير وشر عظيم، فالله جل وعلا هو الذي سدده في الرماية ووفق المجاهدين حتى انهزم عدوهم، فالمجاهدون يوم بدر رموا وفعلوا ما يستطيعون من الكيد للعدو والحرص على هزيمته بما استطاعوا من رمي ومن ضرب بالسيف والرمح، ومن حملات متنوعة على العدو ومن انتهاز فرصة غرته، وغير هذا مما يحاوله المجاهد مع خصمه، والتوفيق بيد الله، هو الذي يوفق في الرماية ويسدد حتى يصيبوا وحتى يؤثروا في عدوهم وحتى ينهزم عدوهم وحتى يلقى في قلوبهم الرعب، إلى غير ذلك، فالأفعال موجودة من المجاهدين، وأما كونها تنجح وكون الرمي يصيب وكون العدو ينهزم وكونه يقع في قلبه الرعب والذل، فهذا شيء

بيد الله جل وعلا، وهو الذي يسدد الخُطا ويعين على ما يقع، سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد بعمله» باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله.

والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ﴾ وغيرها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أن الله جعل الأعمال أسباباً للجنة كما جعلها أسباباً للنار، وأما كونه أدخلهم الجنة ومنّ عليهم بالجنة، فهذا فضله سبحانه ورحمته إياهم، ومن رحمته جعل أعمالهم سبباً لدخول الجنة وتقبلها منهم وعفا عن سيئاتهم، وهذا محض جوده سبحانه وتعالى، ولهذا لما ذكر تحبيبه للإيمان وتكريهه للكفر قال: ﴿فَضۡلࣰا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةࣰ﴾ [الحجرات:٨] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلࣰا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةࣰۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمࣱ ۝٨﴾ [الحجرات:٧-٨]. أهـ.

* * *

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ فمعنى الآية: أحسن المصورين المقدرين، والخلق يذكر ويراد به التقدير، وهو المراد هنا، بدليل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم: ﴿كُلِّ﴾.

وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم: ﴿كُلِّ﴾ الذي هو صفة من صفاته، يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً! وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم: ﴿كُلِّ﴾!! وهل يدخل في عموم: ﴿كُلِّ﴾ إلا ما هو مخلوق؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢] يعني الله بصفاته وليس مجرد الذات، الله بصفاته خالق كل شيء ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣] فالله بصفاته هو الخالق، وما سواه مخلوق، من سماء وأرض وجن وإنس وملائكة وغيرهم هم المخلوقون، ذواتهم وأفعالهم ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] يعني المقدرين والمصورين للأشياء، يقال خلق كذا يعني قدّره وتأمله وصوّره في نفسه أو في صفاته أو في شيء ثان.

ومن هذا قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق ثم لا يفري

يعني يقدِّر ولكن ما يحصل منه الإيجاد والفعل، لا يوجد الأشياء ويشق الطريق ويعمل لعجزه وقلة بصيرته، والخلق ليس من أسمائهم

الموجدين والمحدثين والمنشئين، ليس هناك خالق غير الله سبحانه وتعالى. أهـ.

سؤال/ هل يجوز أن يقال: إن النجار مثلاً خلق هذا المصنوع؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: نعم، هذا المراد منه، يعني قدّره وصوّره في نفسه. أهـ.

* * *

وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ولا نقول إن: (ما) مصدرية، أي خلقكم وعملكم - إذ سياق الآية يأباه، لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت، لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى، وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى لم يكن المنحوت مخلوقاً له، بل الخشب أو الحجر لا غير.

وذكر أبوالحسين البصري إمام المتأخرين من المعتزلة: أن العلم بأن العبد يحدث فعله - ضروري.

وذكر الرازي أن افتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده ويمتنع عنده عدمه - ضروري.

وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري، ثم ادعاء كل منهما أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة -غير مسلم، بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضروري، وإنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق، فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذا الإحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ إثبات للقدر بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية، وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ إثبات أيضاً لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التي فرقتهم، بل مزقتهم كل ممزق، وهي: أنهم قالوا كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم؟

وهذا السؤال لم يزل مطروقاً في العالم على ألسنة الناس، وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته، وعنه تفرقت بهم الطرق: فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى، وطائفة أنكرت الحكم والتعليل، وسدت باب السؤال، وطائفة أثبتت كسباً لا يعقل! جعلت الثواب والعقاب عليه، وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين، ومفعول بين فاعلين! وطائفة التزمت الجبر، وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه! وهذا السؤال هو الذي أوجب التفرق والاختلاف.

والجواب الصحيح عنه، أن يقال: إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية، وإن كانت خلقاً لله تعالى، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها، فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضاً.

يبقى أن يقال: فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب؟

يقال: هو عقوبة أيضاً على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له، وفطره على محبته وتأليهه والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه، من محبة الله وعبوديته، والإنابة إليه؛ عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي، فإنه صادف قلباً خالياً قابلاً للخير والشر، ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن منه الشر، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وقال إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وقال الله عز وجل: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾.

والإخلاص: خلوص القلب من تأليه ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته، فخلص لله، فلم يتمكن منه الشيطان، وأما إذا صادفه فارغاً من ذلك، تمكن منه بحسب فراغه، فيكون جعله مذنباً مسيئاً في هذه الحال عقوبة له على عدم هذا الإخلاص، وهي محض العدل.

فإن قلت: فذلك العدم من خلقه فيه؟

قيل: هذا سؤال فاسد، فإن العدم كاسمه، لا يفتقر إلى تعلق التكوين والإحداث به، فإن عدم الفعل ليس أمراً وجودياً حتى يضاف إلى الفاعل، بل هو شر محض، والشر ليس إلى الله سبحانه، كما قال ﷺ في حديث الاستفتاح: «لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك»[1] وكذا في حديث الشفاعة يوم القيامة، حين يقول الله له:

---

(١) صحيح، وهو طرف من حديث علي في دعاء الاستفتاح، وهو مخرج في صفة الصلاة (ص٧٣) الطبعة الحادية عشر. أهـ ألباني.
=

«يا محمد، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك»[(١)].

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، فلما تولوه دون الله وأشركوا به معه؛ عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلو القلب وفراغه من الإخلاص، فإلهام البر والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجته، وإلهام الفجور عقوبة على خلوه من الإخلاص.

فإن قلت: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً عاد السؤال جذعاً، وإن كان أمراً عدمياً فكيف يعاقب على العدم المحض؟

قيل: ليس هنا ترك هو كف النفس ومنعها عما تريده وتحبه، فهذا قد يقال: إنه أمر وجودي، وإنما هنا عدم وخلو من أسباب الخير، وهذا العدم هو محض خلوها مما هو أنفع شيء لها، والعقوبة على الأمر العدمي هي بفعل السيئات، لا بالعقوبات التي تناله بعد إقامة الحجة عليه بالرسل، فلله فيه عقوبتان:

إحداهما: جعله مذنباً خاطئاً، وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله، وهذه العقوبة قد لا يحس بألمها ومضرتها، لموافقتها شهوته وإرادته، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

= قال شاكر: رواه أحمد في المسند رقم ٨٠٣، ومسلم في الصحيح ١/ ٢١٥ في حديث طويل من حديث علي بن أبي طالب، وكان في المطبوعة هنا «بيديك» وأثبتنا ما هو الثابت في المسند والصحيح. أهـ

(١) رواه البزار عن حذيفة موقوفاً ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في الأوسط عنه مرفوعاً، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات، كذا في المجمع (١٠/ ٣٧٧). وقلت ومن طريق الليث أخرجه الحاكم أيضاً (٤/ ٥٧٤) وقال: «وقد استشهد بليث بن أبي سليم». أهـ ألباني

والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات، وقد قرن الله تعالى بين هاتين العقوبتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

فهذه العقوبة الأولى، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ فهذه العقوبة الثانية.

فإن قيل: فهل كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص والإنابة والمحبة له وحده من غير أن يخلق ذلك في قلوبهم ويجعلهم مخلصين له منيبين له محبين له؟ أم ذلك محض جعله في قلوبهم وإلقائه فيها؟

قيل: لا، بل هو محض منته وفضله، وهو من أعظم الخير الذي هو بيده، والخير كله في يديه، ولا يقدر أحد أن يأخذ من الخير إلا ما أعطاه، ولا يتقي من الشر إلا ما وقاه.

فإن قيل: فإذا لم يخلق ذلك في قلوبهم ولم يوفقوا له، ولا سبيل لهم إليه بأنفسهم، عاد السؤال؟ وكان منعهم منه ظلماً، ولزمكم القول بأن العدل هو تصرف المالك في ملكه بما يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون؟

قيل: لا يكون سبحانه بمنعهم من ذلك ظالماً، وإنما يكون المانع ظالماً إذا منع غيره حقاً لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حرمه الرب على نفسه، وأوجب على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له، بل هو محض فضله ومنته عليه؛ لم يكن ظالماً بمنعه، فمنع الحق ظلم، ومنع الفضل والإحسان عدل، وهو سبحانه العدل في منعه، كما هو المحسن المنان بعطائه.

فإن قيل: فإذا كان العطاء والتوفيق إحساناً ورحمة، فهلا كان العمل

له والغلبة، كما أن رحمته تغلب غضبه؟

قيل: المقصود في هذا المقام بيان أن هذه العقوبة المترتبة على هذا المنع، والمنع المستلزم للعقوبة - ليس بظلم، بل هو محض العدل.

وهذا سؤال عن الحكمة التي أوجبت تقديم العدل على الفضل في بعض المحال؟ وهلا سوى بين العباد في الفضل؟ وهذا السؤال حاصله: لم تفضل على هذا ولم يتفضل على الآخر؟

وقد تولى الله سبحانه الجواب عنه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ولما سأله اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأجرين وإعطائهم هم أجراً أجراً، قال: «هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء»[١] وليس في الحكمة إطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد، حتى أبصر طرفاً يسيراً من حكمته في خلقه، وأمره وثوابه وعقابه، وتخصيصه وحرمانه، وتأمل أحوال محال ذلك، استدل بما علمه على ما لم يعلمه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا قال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين:٨] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] هو أعلم بمحل رضاه ومحل فضله ومحل عدله سبحانه وتعالى. أهـ.

❊ ❊ ❊

(١) البخاري في حديث لابن عمر أوله «إنما بقاؤكم..».أهـ ألباني

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص، قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾؟ قال تعالى مجيباً لهم: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فتأمل هذا الجواب، تر في ضمنه أنه سبحانه أعلم بالمحل الذي يصلح لغرس شجرة النعمة فتثمر بالشكر، من المحل الذي لا يصلح لغرسها، فلو غرست فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعاً لا يليق بالحكمة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾.

فإن قيل: إذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد، فإذاً لا فعل للعبد أصلاً؟

قيل: العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة حقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ وأمثال ذلك، وإذا ثبت كون العبد فاعلاً، فأفعاله نوعان:

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفة له ولا يكون فعلاً، كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً للعبد، كالحركات الاختيارية.

والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً، وهو الذي يقدر على ذلك وحده لا شريك له، ولهذا أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، فلا يكون إلا مع الإكراه، يقال: للأب ولاية إجبار البكر الصغيرة على النكاح، وليس له إجبار الثيب البالغ، أي: ليس له أن يزوجها مكرهة، والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار، لأنه

سبحانه خالق الإرادة والمراد، قادر على أن يجعله مختاراً بخلاف غيره، ولهذا جاء في ألفاظ الشارع: الجبل دون الجبر، كما قال ﷺ لأشج عبدالقيس: «إن فيك لخلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» فقال: أخلقين تخلقت بهما؟ أم خلقين جبلت عليهما؟ فقال: «بل خلقان جبلت عليهما» فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله تعالى[1]، والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الاختياري.

والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطر والعقول.

وإذا قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم؟! كان بمنزلة أن يقال: خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم!! فكما أن هذا سبب للموت، فهذا سبب للعقوبة، ولا ظلم فيهما.

فالحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى، ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله بقوله: «وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد» أثبت للعباد فعلاً وكسباً، وأضاف الخلق لله تعالى.

والكسب: هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾.

قوله: (ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حيلة لأحد، ولا تحول لأحد، ولا حركة لأحد عن معصية الله، إلا بمعونة الله، ولا قوة

---

(١) مسلم وغيره عن ابن عباس، وهو مخرج في «الروض النضير» (٤٠٦).أهـ ألباني

لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وعكست إرادته الإرادات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾.

ش: فقوله: «لم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون» قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ وعند أبي الحسن الأشعري أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، ثم تردد أصحابه أنه: هل ورد به الشرع أم لا؟

واحتج من قال بوروده بأمر أبي لهب بالإيمان، فإنه تعالى أخبر بأنه لا يؤمن، وأنه سيصلى ناراً ذات لهب، فكان مأموراً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين، وهو محال.

والجواب عن هذا بالمنع: فلا نسلم بأنه مأمور بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، والاستطاعة التي بها يقدر على الإيمان كانت حاصلة، فهو غير عاجز عن تحصيل الإيمان، فما كلف إلا ما يطيقه كما تقدم في تفسير الاستطاعة، ولا يلزم قوله تعالى للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ مع عدم علمهم بذلك، ولا للمصورين يوم القيامة: «أحيوا ما خلقتم» وأمثال ذلك؛ لأنه ليس بتكليف طلب فعل يثاب فاعله ويعاقب تاركه، بل هو خطاب تعجيز، وكذا لا يلزم دعاء المؤمنين في قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ لأن تحميل ما لا يطاق ليس تكليفاً، بل يجوز أن يحمله جبلاً لا يطيقه فيموت، وقال ابن الأنباري: أي لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه وإن كنا مطيقين له على تجشم وتحمل مكروه، قال: فخاطب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول

للرجل يبغضه: ما أطيق النظر إليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ولا يجوز في الحكمة أن يكلفه بحمل جبل بحيث لو فعل يثاب ولو امتنع يعاقب، كما أخبر سبحانه عن نفسه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها .

ومنهم من يقول: يجوز تكليف الممتنع عادة، دون الممتنع لذاته، لأن ذلك لا يتصور وجوده، فلا يعقل الأمر به، بخلاف هذا.

ومنهم من يقول: ما لا يطاق للعجز عنه لا يجوز تكليفه، بخلاف ما لا يطاق للاشتغال بضده، فإنه يجوز تكليفه، وهؤلاء موافقون للسلف والأئمة في المعنى، لكن كونهم جعلوا ما يتركه العبد لا يطاق لكونه تاركاً له مشتغلاً بضده؛ بدعة في الشرع واللغة، فإن مضمونه أن فعل ما لا يفعله العبد لا يطيقه! وهم التزموا هذا، لقولهم: إن الطاقة - التي هي الاستطاعة وهي القدرة - لا تكون إلا مع الفعل! فقالوا: كل من لم يفعل فعلاً فإنه لا يطيقه!

وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف، وخلاف ما عليه عامة العقلاء، كما تقدمت الإشارة إليه عند ذكر الاستطاعة .

وأما ما لا يكون إلا مقارناً للفعل، فذلك ليس شرطاً في التكليف، مع أنه في الحقيقة إنما هناك إرادة الفعل، وقد يحتجون بقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ ليس في ذلك إرادة ما سموه استطاعة، وهو ما لا يكون إلا مع الفعل، فإن الله ذم هؤلاء على كونهم لا يستطيعون السمع، ولو أراد بذلك المقارن لكان جميع الخلق لا يستطيعون السمع قبل السمع! فلم يكن لتخصيص هؤلاء بذلك معنى، ولكن هؤلاء لبغضهم الحق وثقله عليهم، إما حسداً لصاحبه، وإما اتباعاً للهوى؛ لا يستطيعون السمع، وموسى عليه السلام لا

يستطيع الصبر، لمخالفة ما يراه لظاهر الشرع، وليس عنده منه علم، وهذه لغة العرب وسائر الأمم، فمن يبغض غيره يقال: إنه لا يستطيع الإحسان إليه، ومن يحبه يقال: إنه لا يستطيع عقوبته، لشدة محبته له، لا لعجزه عن عقوبته، فيقال ذلك للمبالغة، كما تقول: لأضربنه حتى يموت، والمراد الضرب الشديد، وليس هذا عذراً، فلو لم يأمر العباد إلا بما يهوونه لفسدت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا البحث الذي ذكره المؤلف كله مما أنتجه الكلام المذموم والخوض الذي لا خير فيه، ولهذا ذم السلف الكلام وأهله وذموا الخوض في ذلك، فإن كلام الله واضح، وهذه المسألة من أوضح الواضحات وأبين البينات، فإنه سبحانه أخبر عباده أنه لا يكلفهم إلا وسعهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون جل وعلا، لكمال حكمته وكمال عدله سبحانه وتعالى، فليس في هذا شيء يشكل أو يحتاج إلى هذا البحث الكثير، ولكن أهلام الكلام وتشقيقهم الكلام واعتراضهم على ما قدره الله سبحانه وتعالى ومضى في علمه ونزاعهم في إثبات القدر، وغير ذلك من البحوث العظيمة، هو الذي يسبب لهم هذا التشويش، وإلا فالأمر واضح ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] يدعون ربهم جل وعلا، وقد وعدهم سبحانه وأخبر أنه لا

يكلف نفساً إلا وسعها.

فالمقصود أن الله جل وعلا لكمال علمه وكمال حكمته وكمال غناه ليس فيه حاجة إلى أن يكلف الناس ما لا يطيقون وما لا يستطيعون، وإنما كلفهم من الشرائع ما في وسعهم، فالصلاة في وسعهم والصيام في وسعهم والحج في وسعهم مع الاستطاعة، وغير ذلك مما كلفهم به سبحانه وتعالى كله في الوسع، كذلك تكليفه العباد جميعاً أن يوحدوا الله وأن يطيعوا رسله، وإن كان قد مضى في علمه وقدره من هو المسلم ومن هو الكافر، كل هذا موافق لما أخبر به سبحانه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، أما ما مضى في علمه وقدره فله فيه الحكمة البالغة سبحانه وتعالى.

فالعبد له اختيار وله مشيئة وله قدر متنوعة، فهو مستطيع لما أمر به شرعاً، ولكمال حكمته وكمال قدرته وكمال غناه سبحانه وتعالى أمرهم بما فيه خيرهم وبما فيه صلاحهم، ولم يكلفهم ما يشق عليهم ولا يطيقون، فكلها ميسرة بحمد الله، فشرع شرائع ميسرة ليس فيها مشقة، بل هي الحنيفية السمحة، وقد قال لمبعوثيه عليه الصلاة والسلام: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**»[1] وقال لمعاذ وأبي موسى: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا**»[2] فالأمر واضح لا يحتاج

---

(١) رواه البخاري (٦٩) كتاب العلم / باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، و(٦١٢٥) كتاب الأدب / باب قول النبي ﷺ «**يسروا ولا تعسروا**» من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم (١٧٣٢) كتاب الجهاد والسير / باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، وأبو داود (٤٦٦٨) كتاب الأدب / باب في كراهية المراء، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦١٢٤) كتاب الأدب / باب قول النبي ﷺ «**يسروا ولا تعسروا**» من حديث أنس رضي الله عنه، و(٣٠٣٨) كتاب الجهاد والسير / باب ما يكره من التنازع والاختلاف =

إلى مزيد هذا الكلام. أهـ.

* * *

وقوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم به» إلى آخر كلامه - أي: ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه، وهذه الطاقة هي التي من نحو التوفيق، لا التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات، ولا حول ولا قوة إلا بالله - دليل على إثبات القدر، وقد فسرها الشيخ بعدها.

ولكن في كلام الشيخ إشكال: فإن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار، وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهي، وهو قد قال: «لا يكلفهم إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم» وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد، ولا يصح ذلك، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا، وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج.

ويجاب عن هذا الإشكال بما تقدم: أن المراد الطاقة التي من نحو التوفيق، لا من جهة التمكن وسلامة الآلات، ففي العبارة قلق، فتأمله.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والحاصل أنها لا حاجة إليها، وأنها غلط لا وجه لها «ولا يطيقون إلا ما كلفهم» هذا تكلف

= في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، و(٤٣٤١-٤٣٤٢-٤٣٤٤) كتاب المغازي / باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، و(٧١٧٢) كتاب الأحكام / باب أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا، ومسلم (١٧٣٣) كتاب الجهاد والسير / باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

لا وجه له، ومن قال لهم هذا؟

ولكن دخل عليه من بعض أهل الكلام المذموم، فالله سبحانه وتعالى لو كلفهم ست صلوات لأطاقوا، ولو كلفهم صيام شهرين لأطاقوا، ولو كلفهم الحج في العمر مرتين لأطاقوا، ولكنه يسر وسهل سبحانه وتعالى، فالعبارة الأخيرة: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم» كما قال الشارح لا وجه لها ولا حاجة إليها، بل هي تكلف. أهـ.

* * *

وقوله: «وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره» يريد بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي، فإن القضاء يكون كونياً وشرعياً، وكذلك الإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات، ونحو ذلك.

أما القضاء الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ **والقضاء الديني الشرعي، في قوله تعالى:** ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

وأما الإرادة الكونية والدينية، فقد تقدم ذكرها عند قول الشيخ: «ولا يكون إلا ما يريد».

وأما الأمر الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ **وكذا قوله تعالى:** ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ **في أحد الأقوال، وهو أقواها، والأمر الشرعي، في قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ **الآية، وقوله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾.

وأما الإذن الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ والإذن الشرعي، في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

وأما الكتاب الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ والكتاب الشرعي الديني، في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

وأما الحكم الكوني، ففي قوله تعالى عن ابن يعقوب عليه السلام: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ والحكم الشرعي، في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾.

وأما التحريم الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن هذا قوله تعالى: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص:١٢]. أهـ.

* * *

والتحريم الشرعي، في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ الآية.

وأما الكلمات الكونية، ففي قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ وفي قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»[١] والكلمات الشرعية الدينية، في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾.

وقوله: «يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً» الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد، يقتضي قولاً وسطاً بين قولي القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم ظلماً وقبيحاً يكون منه ظلماً وقبيحاً، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم! فإن ذلك تمثيل لله بخلقه! وقياس له عليهم! هو الرب الغني القادر، وهم العباد الفقراء المقهورون، وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة، كما يقوله من يقوله من المتكلمين وغيرهم، يقولون: إنه يمتنع أن يكون في الممكن المقدور ظلم! بل كل ما كان ممكناً فهو منه - لو فعله - عدل، إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منهي، والله ليس كذلك. فإن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ وقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يدل على نقيض هذا القول.

---

(١) صحيح، وتقدم. أهـ ألباني

ومنه قوله الذي رواه عنه رسوله: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا واضح جداً، فإنه سبحانه على كل شيء قدير، وكل شيء بحقه ممكن، وهو منزه عن الظلم، والقول بأن كل ما كان ممكناً فليس بظلم، هذا من أقبح الغلط، ولكنه جل وعلا مع قدرته على أن يفعل ما يشاء يتنزه عن ظلم عباده وأن يعاقبهم بشيء لا يستحقونه سبحانه وتعالى، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] فهو قادر على أن يعذب أنبياءه وأن يعذب رسله وأولياءه، ولكنه لا يفعل هذا سبحانه وتعالى لأنه وضع للشيء في غير موضعه، وهو منزه عن ذلك، فالظلم ليس عدم المقدرة على الممكنات، ولكنه وضع الشيء في غير موضعه، ووضع الشيء في غير موضعه يسمى ظلماً في لغة العرب، وهو سبحانه منزه عن ذلك، فالإنسان مثلاً يستطيع أن يعذب ولده ويعذب زوجته ويعذب دابته ويسمى بهذا ظالماً، لأنه وضع الشيء في غير موضعه، فإذا ضرب زوجته بغير حق أو ضرب ولده بغير حق أو آذى دابته على غير وجه الشرع، وهكذا ما أشبه ذلك.

فالمقصود أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والله جل وعلا ليس بظلام للعباد، وقد قال النبي ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»[٢] فوضع الأشياء في غير مواضعها يسمى ظلماً، ولهذا سمى الله

---

(١) مسلم، وتقدم «مختصر صحيح مسلم» (١٨٢٨). أهـ ألباني

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٧) كتاب المظالم / باب الظلم ظلمات يوم القيامة، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم، من =

الشرك ظلماً، بل هو أقبح الظلم ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] لأنه وضع العبادة في غير موضعها، محل العبادة لله وحده، فمن وضعها للإنسان أو للأصنام أو للأشجار أو للأخيار أو للأولياء أو للأنبياء صار ظالماً ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤] لأنهم وضعوا العبادات في غير محلها، والعبد قادر على أن يضرب ولده الصغير الذي دونه في القوة وأن يضرب عبده وأن يذبح عبده، فإذا فعل ذلك صار ظالماً وإن كان قادراً، لأنه وضع الشيء في غير موضعه.

فربنا جل وعلا قادر على كل شيء، فهو القادر على أن يعذب من شاء من عباده بغير جريمة، ولكنه يتنزه عن هذا ويتقدس لأنه الحكم العدل سبحانه وتعالى. أهـ.

❊ ❊ ❊

فهذا دل على شيئين: أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم، والممتنع لا يوصف بذلك.

الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه، كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي، والله ليس كذلك.

فيقال لهم: هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه، لا ما هو ممتنع عليه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يتضح لذي

= حديث جابر رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٢٠٣٠) كتاب البر والصلة / باب ما جاء في الظلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

البصيرة ما يترتب على الخوض والكلام المتلقى عن الفلاسفة وعن أرباب العقائد الفاسدة من الشر العظيم، فإن من تلقى علومه عن أولئك الضالين وقع في الأغلاط الكثيرة، ومن تلقى علومه عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعن سلف هذه الأمة وخيارها سلم من هذه البلايا والمحن، وحصل له العلم النافع والبصيرة النافذة والسلامة من تلك الأقوال الضارة الظالمة الخاطئة الفاسدة، التي يكفي تصورها في فسادها. أهـ.

* * *

وأيضاً: فإن قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ قد فسره السلف، بأن الظلم: أن توضع عليه سيئات غيره، والهضم: أن ينقص من حسناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وأيضاً فإن الإنسان لا يخاف الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة حتى يأمن من ذلك، وإنما يأمن مما يمكن، فلما آمنه من الظلم بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ علم أنه ممكن مقدور عليه، وكذا قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لم يعن بها نفي ما لا يقدر عليه ولا يمكن منه، وإنما نفى ما هو مقدور عليه ممكن، وهو أن يجزوا بغير أعمالهم.

فعلى قول هؤلاء ليس الله منزهاً عن شيء من الأفعال أصلاً، ولا مقدساً عن أن يفعله، بل كل ممكن فإنه لا ينزه عن فعله، بل فعله حسن، ولا حقيقة للفعل السوء، بل ذلك ممتنع، والممتنع لا حقيقة له!!

والقرآن يدل على نقيض هذا القول، في مواضع، نزه الله نفسه فيها عن فعل ما لا يصلح له ولا ينبغي له، فعلم أنه منزه مقدس عن فعل السوء والفعل المعيب المذموم، كما أنه منزه مقدس عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا

خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ فإنه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثاً، وأنكر على من حسب ذلك، وهذا فعل، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ إنكار منه على من جوز أن يسوي الله بين هذا وهذا، وكذا قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ إنكار على من حسب أنه يفعل هذا، وإخبار أن هذا حكم سيء قبيح، وهو مما ينزه الرب عنه.

وروى أبوداود، والحاكم في المستدرك، من حديث ابن عباس، وعبادة بن الصامت، وزيد بن ثابت، عن النبي ﷺ: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم»(١) وهذا الحديث مما يحتج به الجبرية، وأما القدرية فلا يتأتى على أصولهم الفاسدة! ولهذا قابلوه إما بالتكذيب أو بالتأويل!!

(١) صحيح، وقد خرجته في «تخريج السنة» (٢٤٥).أهـ ألباني

قال شاكر: هذا جزء من حديث طويل، رواه أبو داود ٤٦٩٩ ورواه ابن ماجه ٧٧ بأطول منه، وروى بعضه أحمد في المسند ٥/ ١٨٢-١٨٣-١٨٥-١٨٩ (طبعة الحلبي) وخفي علي موضعه في مستدرك الحاكم، بعد طول البحث، ولكن الشارح أخطأ في ذكر الصحابة الذين رووه، فلم يروه ابن عباس، ولا عبادة بن الصامت، وإنما الثابت في هذه الروايات أن ابن الديلمي سأل أبي بن كعب عن شيء من القدر فأجابه، ثم سأل ابن مسعود فأجابه بمثله، ثم سأل حذيفة بن اليمان فقال له مثل ما قالا، ثم سأل زيد بن ثابت فأجاب كذلك، ولكنه ذكر له أنه سمع هذا من رسول الله ﷺ، فالحديث موقوف عن أولئك الثلاثة، مرفوع عن زيد بن ثابت وحده، ولكن الموقوف عنهم هو موقوف لفظاً مرفوع حكماً، لأنه مما لا يعلم بالرأي، وهو حديث صحيح رجاله ثقات.أهـ

وأسعد الناس به أهل السنة، الذين قابلوه بالتصديق، وعلموا من عظمة الله وجلاله، قدر نعم الله على خلقه، وعدم قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم، إما عجزاً، وإما جهلاً، وإما تفريطاً وإضاعة، وإما تقصيراً في المقدور من الشكر، ولو من بعض الوجوه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أنه لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، يعني لعذبهم بجرائم اقترفوها ومعاصٍ فعلوها، ولكنه سبحانه مضى في عمله وحكمته وقدره أن رحمته أوسع لهم وخير لهم من أعمالهم، وأن رحمته سبقت غضبه، ولهذا يعفو كثيراً ويصفح كثيراً ويمن بالتوبة على من تاب، فلهذا كانت رحمته أوسع ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦] **هذا** من رحمته جل وعلا، لو آخذه بذنبه ولم يقبل توبته لكان عدلاً منه، لأنه مجرم، ولكن فضلاً منه قبل التوبة سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

فإن حقه على أهل السماوات والأرض أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وتكون قوة الحب والإنابة، والتوكل والخشية والمراقبة والخوف والرجاء؛ جميعها متوجهة إليه، ومتعلقة به، بحيث يكون القلب عاكفاً على محبته وتأليهه، بل على إفراده بذلك، واللسان محبوساً على ذكره، والجوارح وقفاً على طاعته، ولا ريب أن هذا مقدور في الجملة، ولكن النفوس تشح به، وهي في الشح على مراتب لا يحصيها إلا الله تعالى، وأكثر المطيعين تشح به نفسه من وجه، وإن أتى به من وجه آخر.

فأين الذي لا تقع منه إرادة تزاحم مراد الله وما يحبه منه؟ ومن ذا

الذي لم يصدر منه خلاف ما خلق له، ولو في وقت من الأوقات؟

فلو وضع الرب سبحانه عدله على أهل سماواته وأرضه، لعذبهم بعدله، ولم يكن ظالماً لهم، وغاية ما يقدر، توبة العبد من ذلك واعترافه، وقبول التوبة محض فضله وإحسانه، وإلا فلو عذب عبده على جنايته لم يكن ظالماً ولو قدر أنه تاب منها، لكن أوجب على نفسه - بمقتضى فضله ورحمته - أنه لا يعذب من تاب، وقد كتب على نفسه الرحمة، فلا يسع الخلائق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار، أو يدخل الجنة، كما قال أطوع الناس لربه، وأفضلهم عملاً، وأشدهم تعظيماً لربه وإجلالاً: «لن ينجي أحداً منكم عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[1] وسأله الصديق دعاء يدعو به صلاته، فقال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك الغفور الرحيم»[2].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا يقال للصدِّيق، يُعلّم هذا الدعاء وهو أفضل الخلق وأعظمهم تصديقاً وأكملهم إيماناً بعد الرسل والأنبياء، يقال له: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**» يعلّم هذا الدعاء العظيم، أن يعترف بأنه ظلم نفسه ظلماً

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، وتقدم بنحوه.أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق، انظر «مسند أبي بكر الصديق ـ طبع المكتب الإسلامي ص١٢٢».أهـ ألباني

كثيراً، وفي اللفظ الآخر: «كبيراً»[١] فعلم بذلك أن العبد محل الذنوب ومحل التقصير إلا ما عفا الله عنه عز وجل. أهـ.

* * *

فإذا كان هذا حال الصديق، الذي هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين - فما الظن بسواه؟

بل إنما صار صديقاً بتوفيته هذا المقام حقه، الذي يتضمن معرفة ربه، وحقه وعظمته، وما ينبغي له، وما يستحقه على عبده، ومعرفة تقصيره.

فسحقاً وبعداً لمن زعم أن المخلوق يستغني عن مغفرة ربه ولا يكون به حاجة إليها! وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية!! فإن لم يتسع فهمك لهذا، فانزل إلى وطأة النعيم، وما عليها من الحقوق، ووازن من شكرها وكفرها، فحينئذ تعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماواته وأرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم.

قوله: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات).

ش: اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج، على نزاع فيما يصل إليه من ثواب الحج:

فعن محمد بن الحسن: أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة، والحج للحاج.

---

(١) رواه البخاري (٨٣٤) كتاب الأذان / باب الدعاء قبل السلام، و(٦٣٢٦) كتاب الدعوات / باب الدعاء في الصلاة، و(٧٣٨٧) كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ ومسلم (٢٧٠٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب الدعوات والتعوذ، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وعند عامة العلماء: ثواب الحج للمحجوج عنه، وهو الصحيح.

واختلف في العبادات البدنية، كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر: فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها.

والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة، لا الدعاء ولا غيره، وقولهم مردود بالكتاب والسنة، لكنهم استدلوا بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده»[1] فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا لا يقدح فيما قاله أهل العلم، فإن الميت ينتفع بما تسبب فيه في حياته من صدقات أجراها وأوقاف، ومن علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، فإن ولده من كسبه، وينتفع أيضاً بما وصل إليه من إخوانه المسلمين، فإن الرسول ﷺ قال: «**انقطع عمله**» عمله هو، ولم يقل انقطع عنه من كل الناس من أعمال الناس، إنما انقطع عمله هو «**إلا من ثلاث:صدقة جارية**»مثل المساجد التي عمرها، مثل الأوقاف التي سبلها في وجوه الخير، أو أنهار أجراها، أو بيوت لأبناء السبيل، للفقراء ولطلبة العلم سبلها وما أشبه ذلك، هذه

(١) مسلم وغيره من حديث أبي هريرة، وهو مخرج في «أحكام الجنائز» ص (١٧٤).أهـ ألباني

تبقى له ينتفع بها بعد وفاته، كذلك العلوم التي حصل بها نفع، كتب ألفها، علوم علمها للناس بقيت في تلاميذه وأتباعه ينتفعون بها، وهكذا أولاده الصالحون إذا دعوا له ينتفع بدعائهم، وينتفع أيضاً بدعاء غيره من المسلمين، هذا من عمل غيره مما أحسن به غيره إليه، ولهذا شرع الله لنا أن نقول: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر:١٠] ندعو لهم بنص القرآن، وجاءت السنة المتواترة والمستفيضة عن النبي ﷺ بالدعاء للمسلمين وللأموات بالصلاة على الجنازة، وهذا ينفع الميت بإجماع أهل السنة والجماعة، وقد أجمع العلماء المعتد بهم على أن الميت ينتفع بدعاء غيره وصدقة غيره عنه، وفي الصحيحين أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن أمي ماتت ولم توص، وفي اللفظ الآخر: إن رجلاً قال: يا رسول الله: إن أمي ماتت ولم توص أفلها أجر إذا تصدقت عنها؟

قال النبي ﷺ: «نعم» لها الأجر(١).

وقد أجمع العلماء قاطبة على أن الصدقة تنفع الميت، صدقة غيره عنه، صدقة المسلمين عنه من أولاده وغيرهم، إن تصدقوا عنه نفعه ذلك، والولد يشمل الذكر والأنثى، مثل ما في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء:١١] وينتفع بالنص أيضاً بالصوم عنه، إذا مات وعليه صيام صام عنه وليه، ينتفع بذلك، وإذا حُج عنه كذلك ينتفع بالحج والعمرة بالنص، واختلفوا في ما سوى ذلك كالصلاة عنه والصوم عنه تطوعاً والقراءة عنه، يقرأ القرآن ثم يهبه له، هل

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٨) كتاب الجنائز / باب موت الفجأة والبغتة، و(٢٧٦٠) كتاب الوصايا / باب ما يستحب لمن توفي فجأة أن يتصدقوا عنه وقضاء النذور عن الميت، ومسلم (١٠٠٤) كتاب الزكاة / باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، من حديث عائشة رضي الله عنها.

يلحقه ذلك؟

على خلاف، فالأكثرون على أنه يلحق وأنه ينتفع بذلك، وقاسوه على الصدقات والدعاء والحج عنه والصوم الواجب عنه، وقاسوا هذا على هذا، وكما ينتفع بصوم الفريضة وحج الفريضة أو قضاء الدين عنه والدعاء والصدقة، فإنه ينتفع أيضاً بالقراءة عنه والصلاة عنه النافلة والصوم عنه النافلة.

وقال آخرون كمالك والشافعي وجماعة: هذه أمور توقيفية، والعبادات توقيفية لابد فيها من نص، فلا يلحقه صوم التطوع ولا صلاة التطوع عنه ولا صلاة الفريضة إذا مات وعليه شيء إلا بنص، ولا يوجد نص بهذا، وهكذا القراءة كأن يقرأ عنه أو يثوب له أذكاراً أو طوافاً أو قراءات.

وهذا القول أقرب وأرجح، لأن العبادات توقيفية وليس بالقياس والرأي، فما قاله مالك والشافعي أقرب إلى قواعد الشريعة من جهة التوقيف، بل قال النبي ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1] فلا يصلى عن الميت ولا يصام عنه التطوع لعدم الدليل، ولا يقرأ له قرآن كما يفعله كثير من الناس، والأحوط ترك ذلك لعدم الدليل.

والحنفية وأحمد رحمه الله والجمهور على أن هذا يلحق، كما يلحقه الصدقة ويلحقه الدعاء ويلحقه الصوم الواجب والحج، ولكن الأقرب والأظهر والأرجح الأول لأنه من باب التوقيف.

والقراءة على الأموات ليس لها أصل يعتمد، فلا ينبغي اعتماد ذلك، والأمور توقيفية، هذا هو الأصل، ليس بالآراء والاستحسانات،

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨) كتاب الأقضية / باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، من حديث عائشة رضي الله عنها.

فالاستحسان والآراء يجر شراً كثيراً. أهـ.

سؤال/ حينما يقول: رأي الجمهور، هل يقصد من بعد التابعين، أو يقصد من ضمنهم الصحابة والتابعون؟

أجاب سماحته: قد يقع هذا وقد يقع هذا، ولهذا لا نعلم للصحابة فيه شيئاً. أهـ.

سؤال/ الخلاف في النافلة!!

أجاب سماحته: كالصلاة والصوم، صوم النافلة والصلاة مطلقاً والقراءة والأذكار، هذا الذي فيه خلاف، أما الصدقة والدعاء فلا خلاف فيهما، بل بالإجماع، وكذلك الأوقاف التي ينتفع بها، هذا بالإجماع، وصوم الفريضة لمن مات وعليه صيام محل خلاف، لكن الراجح أنه يقع، لقول النبي ﷺ: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»[1] إذا كان صوم فريضة وفرّط فيه يصام عنه، أو كان حجاً. أهـ.

* * *

واستدل المقتصرون على وصول العبادات التي لا تدخلها النيابة بحال، كالإسلام والصلاة والصوم وقراءة القرآن، وأنه يختص ثوابها بفاعله لا يتعداه، كما أنه في الحياة لا يفعله أحد عن أحد، ولا ينوب فيه عن فاعله غيره - بما روى النسائي بسنده، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم

---

(١) رواه البخاري (١٩٥٢) كتاب الصوم / باب من مات وعليه صوم، ومسلم (١١٤٧) كتاب الصوم / باب قضاء الصوم عن الميت، من حديث عائشة رضي الله عنها.

عنه مكان كل يوم مداً من حنطة»(١)

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا ضعيف وليس بثابت عن النبي ﷺ، وإنما يروى الإطعام عن ابن عباس نفسه وعن عائشة نفسها، والصواب أنه يصام عنه الفريضة، إذا مات وعليه صيام يصام عنه، كما في الحديث الصحيح، فقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**» وهذه قاعدة قد دل عليها الحديث، وسأله ﷺ جماعة، كل واحد يسأله عن شيء، هذا يقول مات أبي، وهذا يقول ماتت أمي وعليها صوم كذا، وهذا يقول ماتت أختي وعليها صوم كذا، فيقول النبي ﷺ: صم عن أبيك صم عن أمك صم عن أختك «**أرأيت لو كان على أمك دين أكنت تقضيه؟ اقضوا الله فالله أحق بالقضاء**»(٢) فالأحاديث صريحة في قضاء الدين عن الميت، سواء كان دين الأخ دينا لبني آدم، أو ديناً لله كالزكاة والصوم فإنه يؤدى، فمعنى الحديث عن ابن عمر وابن عباس في إخراج

---

(١) لا أعرف له أصلاً مرفوعاً، لا عند النسائي ولا عند غيره، وإنما رواه النسائي في «الكبرى» (٤/ ٤٣/ ١) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ١٤١) عن ابن عباس موقوفاً عليه، وسنده صحيح. أهـ ألباني

قال شاكر: هكذا ذكره الشارح منسوباً للنسائي من حديث ابن عباس مرفوعاً! ورفعه وهم يقيناً، إما من الشارح وإما من الناسخ، وليس هو في سنن النسائي التي في أيدينا، ولكنه في السنن الكبرى موقوف على ابن عباس، نقله الحافظ الزيلعي في نصب الراية ٢/ ٤٦٣ وكذلك جاء عن ابن عمر، ونحوه، موقوفاً، ذكره مالك في الموطأ «أنه بلغه» عن ابن عمر، ولم يذكر أحد من شارحيه من رواه موصولاً، ولكن الحافظ الزيلعي نقله عن مصنف عبدالرزاق بإسناد صحيح عن ابن عمر، وصرح الزيلعي بما يفيد أنه لم يعرفه مرفوعاً قط. أهـ

(٢) رواه مسلم (١١٤٨) كتاب الصيام / باب قضاء الصوم عن الميت، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

كفارة طعام، فإذا لم يتيسر له من يصوم عنه من أهل بيته؛ أدي عنه عن كل يوم إطعام مسكين، والأفضل نصف صاع.

ولا يأثم إذا لم يصم عنه، لكنه يستحب ويسن سنة مؤكدة، لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر:١٢] فأثر ابن عمر وابن عباس وعائشة يعمل به عند تعذر الصيام، عند عدم تيسر الصيام. أهـ.

* * *

والدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه، الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.

أما الكتاب، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا الدعاء له بعد الدفن، ففي سنن أبي داود، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل»[1].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا سنة بعد الدفن، أن يوقف عليه بعد الدفن ويدعى له بالمغفرة والثبات، أما التلقين الذي يفعله بعض الناس في بعض البلدان، كالمشهور عن أهل الشام، يقف

(١) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز ص (١٥٥). أهـ ألباني

عليه بعد الموت عند رأسه ويقول: يا فلان، اذكر ما خرجت به من الدنيا أنك تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وبالقرآن إماماً؛ فهذا ليس له أصل، جاء في أخبار موضوعة، وإنما هو مشهور عن بعض أهل الشام من التابعين وأتباعهم، لا يعول عليه، والصواب أنه غير مشروع بل بدعة، وإنما المشروع أنه يقوم عليه بعد الدفن ويقول: «اللهم اغفر له» «اللهم ثبته بالقول الثابت» كما فعله النبي ﷺ.

وكذلك الأذان والإقامة بدعة، ما يفعله بعض الناس من الأذان في قبره أو الإقامة كله بدعة لا أصل له، أو القراءة في القبر، مثل أن يقرآن فيه القرآن أو بعض السور لا أصل له، ولم يرد رفع اليدين في الدعاء عند القبر، وكذلك قراءة الفاتحة بعد الدعاء لا أصل لها، ولكن إذا ختم الدعاء يصلي على النبي، وإذا حمد الله في أول الدعاء وصلى على النبي في أول الدعاء فهو طيب، أما تخصيص الفاتحة فليس له أصل، وبعضهم يقول: اقرأوا الفاتحة على روح الميت واجعلوها له، وهذا من الجهل. أهـ.

* * *

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما في صحيح مسلم، من حديث بريدة بن الحصيب، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[1].

---

(١) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (١٨٩-١٩٠).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله:وهذه السنة عند زيارة القبور، يزورها المسلمون للذكرى والعبرة، **لا** يزورونها ليدعوا الميت ويسألونه حاجاتهم، هذا شرك بالله، بعض الناس في كثير من البلدان ـ بسبب الجهل العظيم وقلة العلماء الصالحين ـ يزورون القبور ليعبدوهم من دون وليسألوهم الحاجات وتفريج الكروب، يا سيدي فلان المدد المدد، أنا عبدك، أنا في حسبك، أنا في جوارك، قد جئت مستغيثاً، جئت مستجيراً، هذا شرك أكبر نعوذ بالله، ولكن تزار للدعاء لهم هم، فهم محتاجون للدعاء، نفس المقبورين ـ إذا كانوا مسلمين ـ محتاجون أن يدعى لهم، ولهذا علّم النبي ﷺ أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»(١) وفي لفظ آخر:«**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، نسأل الله لكم العافية**»(٢) وفي الحديث الثالث أنه كان يقول عندما يقف على أهل البقيع: ويقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» «مؤجلون» «**اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»(٣) والحديث الآخر حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**السلام**

---

(١) رواه مسلم (٩٧٥) كتاب الجنائز / باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، وأحمد في المسند (٥/ ٣٥٣ـ٣٥٩ـ٣٦٠) وابن ماجه (٩٧٥) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز / باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، من حديث عائشة رضي الله عنها، وأبو داود (٣١٠٧) كتاب الجنائز / باب ما يقول إذا أتى المقابر أو مر بها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز / باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، من حديث عائشة رضي الله عنها.

عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر»[(١)] هذه هي الزيارة الشرعية.

أما الذي يأتي يتمسح بالقبور ويقبلها ويتمسح بترابها ويتمرغ عليها، أو يدعوها ويستغيث بها، أو ينذر لها أو يذبح لها، أما الذي يقرأ عندها أو يصلي عندها؛ فهذا من البدع والخرافات الباطلة، فنفس دعائهم وطلب المدد منهم والاستجارة والغوث، هذا عمل الجاهلية الأولى وهو الشرك الأكبر، نسأل الله العافية.

والصلاة عندها والقراءة عندها واتخاذها محلاً للتعبد هذا من البدع المحدثة لو كان لله، ولو كان يقصد الله فهو بدعة، فإذا قصدهم بهذا صار شركاً أكبر، نسأل الله العافية. أهـ.

❊ ❊ ❊

وفي صحيح مسلم أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: سألت النبي ﷺ: كيف تقول إذا استغفرت لأهل القبور؟

قال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم[(٢)] **والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي (١٠٥٣) كتاب الجنائز / باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقال: هذا حديث حسن غريب. ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي .. وانظر ضعيف سنن الترمذي للألباني ٣/ ٣٦٩ وضعيف الجامع (٣٣٧٢).

(٢) الذي أعرفه أنه ليس في رواية مسلم قوله «ومنكم» فإن كان فلتلتمس. ابن باز.

(٣) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (١٨١-١٨٣).أهـ ألباني

سؤال/ إذا استدل القائلون بجواز زيارة النساء للقبور بهذه الرواية؟

أجاب سماحته/ هذا الحديث منسوخ، الرسول ﷺ لعن زائرات القبور(١)، كان هذا أولاً لما أذن للجميع، ثم نسخت الزيارة للنساء وبقيت الزيارة للرجال، كان النبي ﷺ أولاً نهى الجميع عن الزيارة، ثم رخص للجميع، ثم خص النساء بالمنع، «**كنتم نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**»(٢)هذا النسخ العام، ثم جاء حديث: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، فعلم استثناؤهم وأنهم غير داخلين في الرخصة أو دخلوا ثم منعوا، وإن كان التأريخ غير معروف، لكن لما لعن زائرات القبور بيّن أهل العلم أن الخاص يقضي على العام مطلقا. أهـ.

سؤال/ عائشة رضي الله عنها زارت أخاها عبدالرحمن!!

أجاب سماحته/ قالت: «لو شهدتك ما زرتك»(٣) فهذا من اجتهادها، ولا يعرف عن النساء أنهن كن يزرن القبور في عهد النبي ﷺ بل منعهن من الزيارة، قالت أم عطية: «**نهينا عن اتباع الجنائز**»(٤)فإذا كان النهي عن

---

(١) رواه أبو داود (٣١٠٦) كتاب الجنائز / باب في زيارة النساء القبور، والترمذي (٣٢٠) كتاب الصلاة / باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (٩٧٦) كتاب الجنائز / باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، والترمذي (١٠٥٤) كتاب الجنائز / باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (١٠٥٥) كتاب الجنائز / باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، من حديث عبدالله بن أبي مليكة، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي، وصححه الألباني في المشكاة.

(٤) رواه البخاري (١٢٧٨) كتاب الجنائز / باب اتباع النساء الجنائز، ومسلم (٩٣٨) كتاب الجنائز / باب نهي النساء عن اتباع الجنائز، من حديث أم عطية رضي الله عنها.

اتباع الجنائز مع عظم شأنه فكيف بالزيارة؟

من باب أولى، فتشييع الجنازة بما فيه من العون لأهل الميت والجبر لمصيبتهم ومشاركتهم في المصيبة ومع ذلك تمنع، فكيف بالزيارة التي ليس لها مبرر؟

ثم صريح اللعن يكفي. أهـ.

سؤال/ يقال إن اللفظ الذي جاء «زوارات»!

أجاب سماحته/ ليس بظاهر، بل جاءت الرواية بهذا وهذا **«زائرات»**(١). أهـ.

سؤال/ ما العلة التي منعن من أجلها؟

أجاب سماحته/ لأنهن فتنة، كما قال النبي ﷺ **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»**(٢) وصبرهن قليل في اتباع الجنائز. أهـ.

سؤال/ قول أم عطية: «ولم يعزم علينا»!

أجاب سماحته/ هذا فهمها رضي الله عنها، وإلا فالنهي ثابت. أهـ.

* * *

وأما وصول ثواب الصدقة، ففي الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أمي افتلتت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟

---

(١) رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن عباس، وقد تقدم قبل قليل.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٦) كتاب النكاح / باب ما يتقى من شؤم المرأة، وقوله تعالى ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

قال: «نعم»[١].

وفي صحيح البخاري، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت؟ قال: «نعم» قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها[٢].

وأمثال ذلك كثيرة في السنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا محل إجماع بين أهل العلم، بلوغ الصدقة للموتى وانتفاع الموتى بالصدقة كالأحياء هذا أمر مجمع عليه، كالدعاء. أهـ.

* * *

وأما وصول ثواب الصوم، ففي الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»[٣] وله نظائر في الصحيح، ولكن أبوحنيفة رحمه الله قال بالإطعام عن الميت دون الصيام عنه، لحديث ابن عباس المتقدم[٤]، والكلام على ذلك معروف في كتب الفروع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: اختلف العلماء: هل يصام عنه كل شيء أو يختص بالنذر؟

---

(١) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (١٧٢).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج هناك (١٧٢).أهـ ألباني

(٣) صحيح، وهو مخرج هناك (١٦٩).أهـ ألباني

(٤) الحديث، وقد عرفت أنه موقوف.أهـ ألباني

على أقوال، والأشهر عند العلماء أنه يصام عنه النذر فقط، والمعروف عند الحنابلة أيضاً.

والصواب أنه يصام عنه كل شيء، النذر ورمضان والكفارات لعموم الحديث، لأن الرسول ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام**» نكرة في سياق الشرط «**صام عنه وليه**»(١) ولم يفصل، ما قال صيام نذر ولم يقل لا تصوموا عنه إلا النذر، فأطلق، والعموم حجة حتى يأتي المخصص، وقد سئل غير مرة عمن عليه صيام، واحد يقول: أمي ماتت وعليها صيام شهر، وآخر يقول: إن أمي ماتت وعليها صيام شهرين، وأخر يقول: إن أختي ماتت وعليها كذا، أفنصوم عنها؟

قال: صوموا عنها «**أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»(٢) ولم يقل ما صومك؟ ما هو الصوم؟ أهو نذر أم كفارة؟

فلما لم يفصل وأطلق الجواب؛ دل على أن الحكم عام، وفي مسند أحمد بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة قالت: يا رسول الله: إن أمي ماتت وعليها صوم رمضان أفأصوم عنها؟

قال: «**صومي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»(٣) فصرحت بهذه الرواية أن عليها صوم من رمضان.

والمقصود أن هذا هو الصواب، والله جل وعلا يقول: ﴿ فَإِن

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم.

(٢) رواه البخاري (١٩٥٣) كتاب الصوم / باب من مات وعليه صوم، ومسلم (١١٤٨) كتاب الصيام / باب قضاء الصوم عن الميت، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأحمد ١/ ٢٢٤ .

تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] وقال سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:١] وهذا الذي بينه الرسول ﷺ.

وهذا كله إذا كان غير معذور، أما المعذور فلا شيء عليه، فمن مات في مرضه فلا شيء عليه لأنه معذور. أهـ.

سؤال/ ألم يرد في بعض الألفاظ : إن أمي ماتت وعليها صوم نذر؟

أجاب سماحته: ورد في بعض الألفاظ: صوم نذر، لكنه لا يخصص، هذه واقعة، والواقعة لا تخصص. أهـ.

سؤال/ احتجاج بعض العلماء بهذا اللفظ على أنه قضية عين؟

أجاب سماحته: احتجاج فاسد، لأن وقوع الحادثة لا تخصص القضية، مثل لو قال صوم رمضان أو قال صوم كفارة لا يخصص، لأن الرسول ﷺ مشرع. أهـ.

* * *

وأما وصول ثواب الحج، ففي صحيح البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟

قال: «حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء»(١) ونظائره أيضاً كثيرة، وأجمع المسلمون

(١) صحيح، وهو مخرج في الإرواء (٩٩٣) قلت: وانظر تحقيق المراد منه في كلام ابن القيم في «أحكام الجنائز» في فصل ما ينتفع به الميت (١٧٠-١٧١).أهـ ألباني

على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته، وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة، حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاهما قال النبي ﷺ: «الآن بردت عليه جلدته»[١] وكل ذلك جار على قواعد الشرع، وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله في حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته.

وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ونحوها من العبادات البدنية، يوضحه: أن الصوم كف النفس عن المفطرات بالنية، وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية؟!

والجواب عما استدلوا به من قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ قد أجاب العلماء بأجوبة: أصحها جوابان:

أحدهما: أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، ودعوا له، وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه، في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم، يوضحه: أن الله تعالى جعل الإيمان سبباً لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه ذلك.

الثاني، وهو أقوى منه -: أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره

---

(١) حسن، رواه الحاكم وغيره، وهو مخرج في «أحكام الجنائز» (١٦). أهـ ألباني

وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين فرق لا يخفى، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه .

وقوله سبحانه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ آيتان محكمتان، مقتضيتان عدل الرب تعالى:

فالأولى تقتضي أنه لا يعاقب أحداً بجرم غيره، ولا يؤاخذه بجريرة غيره، كما يفعله ملوك الدنيا.

والثانية تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله، لينقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه، كما عليه أصحاب الطمع الكاذب، وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلا بما سعى.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على أن سياق هذه الآية يدل على أن المنفي عقوبة العبد بعمل غيره، فإنه تعالى قال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

وأما استدلالهم بقوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله»[١] فاستدلال ساقط، فإنه لم يقل انقطع انتفاعه[٢]، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله، فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل، لا ثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين .

(١) صحيح، ومضى قريباً.أهـ ألباني

(٢) الصواب: انقطع انتفاعه.ابن باز.

وأما تفريق من فرق بين العبادات المالية والبدنية؛ فقد شرع النبي ﷺ الصوم عن الميت، كما تقدم، مع أن الصوم لا تجزئ فيه النيابة، وكذلك حديث جابر رضي الله عنه، قال: صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى، فلما انصرف أتي بكبش فذبحه، فقال: «بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي»[١] رواه أحمد وأبوداود والترمذي، وحديث الكبشين اللذين قال في أحدهما: «اللهم هذا عن أمتي جميعاً»[٢] وفي الآخر: «اللهم هذا عن محمد وآل محمد»رواه أحمد، والقربة في الأضحية إراقة الدم، وقد جعلها لغيره.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: محاولة جمع الشارح حصول جميع القُرب كما قال الجمهور فيها نظر، فالجمهور يرون أن جميع القُرب تصل إلى الميت والحي وينتفع بها، وقاسوا مالم يرد على ما ورد، قاسوا ما لم يرد ـ كالصلاة والقراءة ـ على ما ورد.

وجواب من فرّق: أن هذه أمور توقيفية وعبادات، فلا ينبغي أن يقاس فيها مالم يرد على ما ورد، بل يقتصر على الوارد، ولم يرد عن النبي ﷺ أنه شرع لنا أن نصلي على الأموات أو نصوم عنهم صوم التطوع أو أن نقرأ عنهم، إنما ورد الصوم عمن عليه صيام ووفاء النذر وصوم رمضان إذا مات وقد فرّط، والكفارات والصدقة من ماله قد أجمع عليها المسلمون، فلا يقاس هذا على هذا، فالأولى والأحوط أن يقتصر على الوارد من غير زيادة.

---

(١) صحيح لشواهده، انظر المجمع (٤/ ٢٢ـ٢٣) ومن شواهده الذي بعده، ثم حققت في الإرواء أنه صحيح لذاته، فليراجعه من شاء الوقوف على الحقيقة (١١٣٨).أهـ ألباني

(٢) حسن، وهو في المسند (٦/ ٣٩١ـ٣٩٢) في سنده اختلاف بينته هناك.أهـ ألباني

ولما حُدّث ابن المبارك وقال له رجل: إن فلاناً روى عن النبي ﷺ أنه قال: إن من بر الرجل لوالديه أن يصلي لهما مع صلاته ويصوم لهما مع صومه، قال: عمن؟ قال: عن فلان، قال: ثقة، عمن؟ قال: عن فلان، قال: ثقة، عمن؟ قال: عن النبي ﷺ، قال: بين فلان وبين النبي ﷺ مسافات تنقطع فيها أعناق الإبل[1].

فما كل من ادعى شيئاً يسلم له، فالدعوى أوسع من الدليل.

فالأولى والأفضل والأحوط للمؤمن ـ وهو ظاهر الأدلة ـ هو الاقتصار على الوارد في قطع النزاع، فلا يقاس على الوارد صوم التطوع، ولا يقاس على الوارد الصلاة عن الميت ولا قراءته عنه، لأن هذا لم يرد، وواجب المؤمن الوقوف عما لم يرد، وإن كان الجمهور يرى الجواز، فالأحوط هو الوقوف مع الأدلة فقط، وأن مسألة وصول الثواب توقيفية، هذا هو الأحوط. أهـ.

سؤال/ الإنابة في حج التطوع؟

أجاب سماحته: لأنه جاء فيه الإطلاق وما جاء فيه تفصيل، حديث ابن عباس: «**حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة**»[2] فلم يستفصله، أما الحي فلا، إلا إذا كان عاجزاً، فيه خلاف، ولكن هذا هو الصواب. أهـ.

* * *

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه / باب بيان أن الإسناد من الدين، عن إبراهيم بن عيسى الطالقاني.

(٢) رواه أبو داود (١٧٣٧) كتاب المناسك / باب الرجل يحج عن غيره، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح ليس في الباب أصح منه، وصححه الألباني في إرواء الغليل وقال: رواه أحمد واحتج به أبو داود وابن حبان والطبراني وانظر صحيح الجامع (٣١٢٨).

وكذلك عبادة الحج بدنية، وليس المال ركناً فيه، وإنما هو وسيلة، ألا ترى أن المكي يجب عليه الحج إذا قدر على المشي إلى عرفات، من غير شرط المال.

وهذا هو الأظهر، أعني أن الحج غير مركب من مال وبدن، بل بدني محض، كما قد نص عليه جماعة من أصحاب أبي حنيفة المتأخرين.

وانظر إلى فروض الكفايات: كيف قام فيها البعض عن الباقين؟ ولأن هذا إهداء ثواب، وليس من باب النيابة، كما أن الأجير الخاص ليس له أن يستنيب عنه، وله أن يعطي أجرته لمن شاء[١].

وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت!! فهذا لم يفعله أحد من السلف ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه. والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف، وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه، مما فيه منفعة تصل إلى الغير، والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادة خالصة، فلا يكون له من ثوابه ما يهدى إلى الموتى!! ولهذا لم يقل أحد أنه يكتري من يصوم ويصلي ويهدي ثواب ذلك إلى الميت، لكن إذا أعطى لمن يقرأ القرآن ويعلمه ويتعلمه معونة لأهل القرآن على ذلك، كان هذا من جنس الصدقة عنه، فيجوز.

وفي الاختيار: لو أوصى بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره، فالوصية باطلة، لأنه في معنى الأجرة، انتهى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولأنها بدعة أيضاً،

---

(١) في هذا الكلام نظر لا يخفى على المتأمل، وقد حققت القول في المسألة بما يشرح الصدر ويثلج القلب في الفصل المشار إليه آنفاً (ص٤٥٤-٤٥٥) فراجعه فإنه مهم. أهـ ألباني

فالقراءة على القبر بدعة، فالوصية باطلة لأمرين: لأن الاستئجار على التلاوة ممنوع.

ولأن القراءة على القبور ممنوعة. أهـ.

* * *

وذكر الزاهدي في الغنية: أنه لو وقف على من يقرأ عند قبره، فالتعيين باطل.

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة، فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج.

فإن قيل: هذا لم يكن معروفاً في السلف، ولا أرشدهم إليه النبي ﷺ؟

فالجواب: إن كان مورد هذا السؤال معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء، قيل له: ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة القرآن؟ وليس كون السلف لم يفعلوه حجة في عدم الوصول، ومن أين لنا هذا النفي العام؟

فإن قيل: فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة؟

قيل: هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له فيه، وهذا سأله عن الصوم عنه، فأذن له فيه، ولم يمنعهم مما سوى ذلك، وأي فرق بين وصول ثواب الصوم - الذي هو مجرد نية وإمساك - وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟

فإن قيل: ما تقولون في الإهداء إلى رسول ﷺ؟

قيل: من المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة، لأن الصحابة

لم يكونوا يفعلونه، ولأن النبي ﷺ له مثل أجر كل من عمل خيراً من أمته، من غير أن ينقص من أجر العامل شيء، لأنه هو الذي دل أمته على كل خير، وأرشدهم إليه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من نعم الله عليه، له مثل أجور أمته، كل عمل صالح يفعله أفراد الأمة فله مثل أجورهم، لقوله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[1] أما إهداء ثواب القراءة له فلم يرد، والصحابة أعلم الناس بهذا وأفهمهم وأكثر حباً للرسول ﷺ ولم يفعلوه، وهم الأسوة، فلا يشرع. أهـ.

* * *

ومن قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام الله - فهذا لم يصح عن أحد من الأئمة المشهورين، ولا شك في سماعه، ولكن انتفاعه بالسماع لا يصح،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا ليس بجيد، فإن الصواب أن الميت لا يسمع إلا ما جاء في النص، الأصل أنه لا يسمع، قد انقطعت حواسه وانتهى أمره وانقطع عمله، هذا هو الأصل، قال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠] ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢] فالأصل أنه لا يسمع إلا ما أخبر الله به أنه يسمع،

(١) رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة / باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، والترمذي (٢٦٧٠، ٢٦٧١) كتاب العلم / باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، من حديث أنس وأبي مسعود الأنصاري رضي الله عنهما.

كسؤال منكر ونكير وقرع نعالهم إذا ولوا بعد دفنه، وأما أنه يسمع سوى ذلك فيحتاج إلى دليل، والأصل عدمه، ولهذا لا تشرع القراءة عند القبر ولو فرض أنه يسمع، لكن الصواب أنه لا يسمع شيئاً من ذلك.

فالقراءة عند القبور وسيلة للشر ووسيلة للدعاء والاستغاثة وغير ذلك، فلا تشرع، لأن السلف لم يفعلوها، ولأن كون السماع أصل خلاف، ولأنها وسيلة للشرك بها والتعلق بها والتبرك بها والدعاء عندها والصلاة عندها.

وأما قول الرسول ﷺ: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**»[1] كل هذه موارد خاصة يقتصر عليها، أهل القليب، وسماع قرع نعالهم، وسماع سؤال منكر ونكير، ولا يزاد عليها، لأن الله قال: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر:٢٢] ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل:٨٠]. أهـ.

سؤال/ ما يهدى للميت من صدقات ودعاء، القول بأن هذا جائز وليس بمشروع، لأن الرسول ﷺ ما أمر به ولكنه رخص فيه؟

أجاب سماحته: الصوم عنه مشروع والحج عنه مشروع والدعاء له مشروع والصدقة عنه مشروعة، قصره على الفرائض من باب الصدقة، والذي ليس بمشروع هو قراءة القرآن والصلاة.

وهناك رسالة قرأناها لمحمد شفيع، مفتي باكستان، جمع فيها كلام العلماء، وبيّن عدم السماع إلا ما جاء به النص، وهذا هو الأصل، حتى ولو فرضنا أنهم يسمعون، ما جاز لنا أن نفعل شيئاً لم يشرعه الله، حتى لو

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٦) كتاب المغازي / باب قتل أبي جهل، من حديث أبي طلحة رضي الله عنه، ومسلم (٢٨٧٣، ٢٨٧٤) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم / باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، من حديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهم.

فرضنا أنهم يسمعون ما جاز لنا أن نجلس عند قبورهم للقراءة أو نقرأ الأحاديث عند قبورهم، انقطعت أعمالهم بالموت. أهـ.

* * *

فإن ثواب الاستماع مشروط بالحياة، فإنه عمل اختياري، وقد انقطع بموته، بل ربما يتضرر ويتألم، لكونه لم يمتثل أوامر الله ونواهيه، أو لكونه لم يزدد من الخير.

واختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال: هل تكره، أم لا بأس بها وقت الدفن، وتكره بعده؟

فمن قال بكراهتها، كأبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية - قالوا: لأنه محدث، لم ترد به السنة، والقراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبور منهي عنها، فكذلك القراءة.

ومن قال: لا بأس بها، كمحمد بن الحسن وأحمد في رواية - استدلوا بما نقل عن ابن عمر رضي الله عنه: أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها[1].

ونقل أيضاً عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة[2].

ومن قال: لا بأس بها وقت الدفن فقط، وهو رواية عن أحمد - أخذ بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين، وأما بعد ذلك، كالذين يتناوبون القبر للقراءة عنده - فهذا مكروه، فإنه لم تأت به السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً.

وهذا القول لعله أقوى من غيره، لما فيه من التوفيق بين الدليلين.

---

(١) قلت: لا يصح إسناده، فيه من يجهل كما هو مبين في «أحكام الجنائز» (١٩٢).أهـ ألباني

(٢) لم أره بلفظ «المهاجرين» وإنما بلفظ «الأنصار» ذكره ابن القيم، وفي ثبوت ذلك عنهم نظر بينته في «أحكام الجنائز» (١٩٣).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أنه لو صح عن ابن عمر فلا حجة فيه، لأن ابن عمر له اجتهادات لا يتابع عليها، فقول الصحابي إذا خالف ظاهر السنة وعمل الكبار لا يلتفت عليه، مثل غسل عينيه وتتبع آثار النبي ﷺ، ومثل هذا الذي يروى عنه أنه أمر أن يقرأ القرآن على قبره عند الدفن ـ إن صح عنه ـ فهذا شيء لا يتابع عليه، لأنه ما فعله الخلفاء الراشدون ولا كبار الصحابة غيره، ولأنه وسيلة لتناوب الناس عند القبور والقراءة عندها، ثم التعبد عندها والصلاة عندها، هذا لو صح. أهـ.

* * *

سؤال/ **ألم يثبت عن أحد الصحابة أنه قال: إذا دفنتموني فاجلسوا عند قبري قدر نحر الجزور؟**

أجاب سماحته: هذا عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد رواه مسلم في الصحيح[1] وهذا ليس في القراءة، بل عدم العجلة في الانصراف والدعاء له.

قوله: **(والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات).**

ش: **قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم -: أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعداً أو قائماً، وإجابة الله لدعاء**

(١) مسلم (١٢١) كتاب الإيمان/ باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر.

العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطاؤه سؤله؛ من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً، ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه، إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قد يسأل الله شيئاً يضره، قد يسأل الله المال الكثير أو يسأل الله الزوجة الفلانية، وقد يسأل الله بعض الأولاد فيضر بهذا، لما سبق في علم الله من هؤلاء، ولكن يتحرى الخير ويسأل، ويسأل ربه أن يكون ما أعطاه خيراً له، فلا يتساهل، كم من زوجة أهلكت صاحبها؟ كم من ولد أهلك صاحبه؟ كم من مال هلك به صاحبه؟ نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[(١)].

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «المشكاة» (٢٢٣٨) الطبعة الثانية.

كذا وقع في الطبعة السادسة من شرح العقيدة الطحاوية، لكن في موضع آخر منها متقدم على هذا بصفحتين ما نصه: «ضعيف الإسناد، فيه أبو صالح الخوزي، قال في «التقريب»: «لين الحديث» وأما الحاكم فقال في هذا الحديث (١/ ٤٩١): «صحيح الإسناد» وسكت عليه الذهبي ! وقال الترمذي: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

وليست في متناول يدي نسختي من «المشكاة» التي عليها التحقيق الثاني، لأقابل ما بينته وبين التضعيف المذكور، ثم أثبت هنا الصواب منهما، ويبدو لي الآن ـ والله أعلم ـ أن التضعيف هو المعتمد، فقد خرجت الحديث في «الضعيفة» برقم (٤٠٤٠) وأحلت عليه في المجلد الأول منه (ص٥٤٢) منبها على خطأ ما جاء في (ص٢٩) منه من التحسين، فوجب التنبيه على ذلك كله، والمعصوم من عصمه الله تعالى.أهـ ألباني

قال شاكر: رواه ابن ماجه :٣٨٢٧ ورواه أيضا الإمام أحمد في المسند ٩٦٩٩-٩٧١٧-١٠١٨١ وكذلك رواه الترمذي ٤/ ٢٢٤ وكذلك رواه البزار، كما ذكره ابن كثير في التفسير ٧/ ٣٠٩-٣١٠ واللفظ الذي هنا هو لفظ الترمذي والبزار.أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وشواهد هذا الحديث كثيرة، الحديث النعمان بن بشير في السنن الأربعة بإسناد جيد «**الدعاء هو العبادة**»(١) وفي لفظ آخر: «**ليس شيء أكرم على الله من الدعاء**»(٢) والدعاء أجمع عليه المكلفون، لا من المسلمين ولا من غير المسلمين، ولهذا أجمع أهل السنة والجماعة على أن الدعاء من أفضل العبادات ومن أفضل الأسباب وأعمها وأجمعها، والدعاء بإجماع أهل العلم ينفع الحي والميت، وهو سلاح المؤمن، وقد أخذ الشاعر من حديث «**من لا يسأل الله يغضب عليه**» فقال:

الله يغضب إن تركت سؤاله — وبنيُ آدم حين يسأل يغضب

فالمقصود أنه جل وعلا لكرم جوده وسعة عطائه وعظيم إحسانه يحب أن يسأل ويحب أن يدعى ويحب الإلحاح في الدعاء جل وعلا، ولهذا جاء في الحديث الصحيح «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول دعوت دعوت فلم أره يستجاب لي، فحينئذ يستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩) كتاب سجود الصلاة/ باب الدعاء، والترمذي (٢٩٦٩)و (٣٢٤٧) كتاب التفسير/ باب: من سورة المؤمن،و (٣٣٧٢) كتاب الدعوات/ باب ما جاء في فضل الدعاء، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى، التفسير/ قوله تعالى ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ وابن ماجه (٣٨٢٨) وصححه الألباني في سنن الترمذي ٥/ ٢١١.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٠) كتاب الدعوات/ باب ما جاء في فضل الدعاء، وابن ماجه (٣٨٢٩) وابن حبان (٨٧٠) والحاكم ١/ ٤٩٠، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع الصغير (٥٣٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦٣٤٠) كتاب الدعوات/ باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل، ومسلم (٢٧٣٥) كتاب الذكر والدعاء/ باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي، ورواه الترمذي (٣٣٨٧) كتاب الدعاء/ باب ما جاء فيمن يستعجل في دعائه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فينبغي للمؤمن أن يكثر من الدعاء دائماً ولاسيما في المهمات، مثل سؤال الله الجنة والتعوذ به من النار، وسؤال الله العفو، وسؤال الله صلاح قلبه وصلاح عمله، وسؤال الله حسن الختام، فالدعاء له شأن عظيم، ولهذا يقول سبحانه: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

ولا ريب أن المعاصي من أعظم أسباب منع الإجابة، كالربا وغير هذا من المحرمات وسائر المعاصي، كلها من أسباب حرمان الإجابة، فليحذر العبد تعاطي أسباب حرمان الإجابة، وليجتهد في الاستقامة على أمر الله والبعد عن معاصيه، وليلح في الدعاء، وليتحر أوقات الإجابة، في آخر الليل والسجود وآخر الصلاة وبين الأذان والإقامة ويوم الجمعة، فهذه أوقات لها شأنها، فينبغي له أن يدعو الله بصدق وإخلاص وإقبال عليه جل وعلا، وإذا كان عن طهارة واستقبال قبلة كان ذلك أكثر إجابة وأقرب إلى الإجابة. أهـ.

* * *

وقد نظم بعضهم هذا المعنى، فقال:

الرب يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان: أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يدعى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني كونه يدعى دليل على وجوده وسماعه وغناه، فلولا أنه يسمع وأنه موجود وأنه غني وأنه قادر لما شرع الدعاء، فإن الفقير كيف يعطي؟ ومن لا يسمع كيف

يعطي؟ ومن ليس بموجود كيف يعطي وكيف يسأل؟ ومن ليس غنياً كذلك، ومن ليس عليماً بأحوال عباده كذلك؟

فهذا يفيد العلم والحياة والوجود والغنى والرحمة والإحسان، سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كذلك العلم، من لا يعرف أحوال عباده كيف يدعى؟

من لا يعرف أحوالهم حتى يعرف صدقهم في دعائهم فإنه لا يدعى، فلولا أنه يعلم أحوالهم لما شرع الدعاء، فإنه يعلم الداعي هل هو صادق أو كاذب؟. أهـ.

* * *

ومن يقول بالطبائع يعلم أن النار لا يقال لها: كفي! ولا النجم يقال له: أصلح مزاجي!! لأن هذه عندهم مؤثرة طبعاً لا اختياراً، فشرع الدعاء وصلاة الاستسقاء ليبين كذب أهل الطبائع.

وذهب قوم من المتفلسفة وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه! قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضه فلا فائدة في الدعاء!! وقد يخص بعضهم

بذلك خواصن العارفين! ويجعل الدعاء علة في مقام الخواص!! وهذا من غلطات بعض الشيوخ.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من أقبح الجهل، وهذا من اصطلاحهم في تسمية الشيوخ، ويعني بعض الشيوخ الجهلة. أهـ.

❊ ❊ ❊

فكما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام - فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية، فإن منفعة الدعاء أمر أنشئت عليه تجارب الأمم، حتى إن الفلاسفة تقول: ضجيج الأصوات في هياكل العبادات، بفنون اللغات، يحلل ما عقدته الأفلاك المؤثرات!! هذا وهم مشركون.

وجواب الشبهة بمنع المقدمتين: فإن قولهم عن المشيئة الإلهية: إما أن تقتضيه أولاً - [فـ] ثم قسم ثالث، وهو: أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه، كما توجب الثواب مع العمل الصالح، ولا توجبه مع عدمه، وكما توجب الشبع والري عند الأكل والشرب، ولا توجبه مع عدمهما،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: المسببات كلها بابها واحد، المسببات مربوطة بأسبابها، وهذا لازم القدرية ولازم الآخرين ممن ليس عندهم بصيرة، فإنه قدّر الأشياء سبحانه وقدّر أسبابها ومسبباتها، فالشبع له أسباب والجوع له أسباب والغنى له أسباب والفقر له أسباب والمرض له أسباب والصحة لها أسباب والجنة لها أسباب والنار لها أسباب، فمعنى هذا تعطل كل شيء. أهـ.

❊ ❊ ❊

وحصول الولد بالوطء، والزرع بالبذر، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب، فقول هؤلاء - كما أنه مخالف للشرع، فهو مخالف للحس والفطرة.

ومما ينبغي أن يعلم، ما قاله طائفة من العلماء، وهو: أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد! ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ومعنى التوكل والرجاء، يتألف من وجوب التوحيد والعقل والشرع.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كأنه صحح، هو موجب التوحيد وموجب العقل وموجب الشرع، الشرع يوجب الأسباب والعقل يقتضي الأسباب والتوحيد كذلك، فالتوكل هو اعتماد على الله سبحانه وتعالى وثقة به مع تعاطي الأسباب، هذا موجب التوحيد، هو توحيد الله والاعتماد عليه والثقة بالأسباب التي شرعها من طاعة الأوامر وترك النواهي، فالعقل يقتضي ذلك، عقل العاقل المتبصر يعقل أن الله جل وعلا هو ربه وموجده، وأنه شرع له أسباباً لا بد من تعاطيها لأكله وشربه ونكاحه وأولاده وغير ذلك، والشرع يوجب هذا أيضاً، أوجب تعاطي الأسباب والبعد عن ضدها، فأوجب النكاح وأوجب الكسب وأوجب طاعة الأوامر وترك النواهي.

فقوله: «وجوب التوحيد» لعله نقلها من كلام ابن القيم أو غيره، فعباراته وشرحه في الغالب نقول من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير، ولو أنه قال: هو موجب التوحيد، يعني أن التوحيد يوجب هذا والعقل يوجب هذا.

فقوله: «وجوب التوحيد» مأولة بمعنى أنه يوجبه التوحيد ويوجبه العقل ويوجبه الشرع، فيوجبه التوحيد والعقل والشرع، فيتكون التوكل من هذه الأمور، من إخلاص العبادة لله وحده والاعتماد عليه والثقة به، مع الأخذ بالأسباب والتعاطي للأسباب، فالالتفات للأسباب والاعتماد عليها هذا نوع من الشرك، فكونه يعتمد على الأسباب في بيعه وشرائه وزراعته وينسى الله نوع من الشرك ونوع من الغفلة ونوع من المعصية، وكونه يمحو أن تكون أسباباً ويقول: ليست أسباباً، نقص في العقل، فالناس يعرفون أنها أسباب ويعقلون أن الأكل سبب للشبع، يعقلون أن البذر والسقي سبب للنبات، ويعقلون أن النكاح والجماع سبب للحمل، هذا شيء معقول، فمن محا هذا فهو فاقد العقل.

الأمر الثالث: الإعراض عن الأسباب وعدم الالتفات إلى الأسباب، فهو يجهر أنها أسباب ولكن يعرض عنها ولا يبالي بها، فهذا قدح في الشرع، لأن الشرع أمر بالأسباب، إذا قال: لست ببائع ولا مشتر، وسأجلس في المسجد أنتظر الرزق، هذا أولاً: نقص في العقل بلا شك، ثانياً: معارض للشرع، فإن الشرع أمره أن يأخذ بالأسباب ويتعاطى الأسباب الدينية والدنيوية جميعاً، فمن أعرض عنها فقد خالف الشرع، ومن قال إنها ليست بأسباب فقد خالف الشرع والعقل جميعاً، ومن اعتمد عليها كذلك خالف الشرع، فإن الاعتماد ليس عليها بل على الله، يتوكل على الله ويأخذ بالأسباب، فالله إن شاء نفع بها وإن شاء أبطلها سبحانه وتعالى.

ثم التعبد بالسبب وتعاطيه كما أمر الله، واعتقاد أن الله شرعه وأمر به، هذا أيضاً يفيد. أهـ.

* * *

وبيان ذلك: أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستناد إليه، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا، لأنه ليس بمستقل، ولا بد له من شركاء وأضداد مع هذا كله، فإن لم يسخره مسبب الأسباب لم يسخر.

وقولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب فلا حاجة إلى الدعاء؟

قلنا: بل قد تكون إليه حاجة، من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة، ودفع مضرة أخرى عاجلة وآجلة.

وكذلك قولهم: وإن لم تقتضه فلا فائدة فيه؟ قلنا: بل فيه فوائد عظيمة، من جلب منافع، ودفع مضار، كما نبه عليه النبي ﷺ، بل ما يعجل للعبد، من معرفته بربه، وإقراره به، وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العلية والأحوال الزكية، التي هي من أعظم المطالب.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «ما من عبد يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته في الدنيا، وإما أن تدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من الشر مثل ذلك» قيل يا رسول الله: إذاً نكثرَ، قال: «الله أكثر»[1]. أهـ.

* * *

(١) رواه أحمد في المسند ٣/ ١٨، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٣ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وصححه الألباني، انظر صحيح الأدب المفرد ١/ ٢٤٨، والمنذري في الترغيب والترهيب وقال: رواه البزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة والحاكم وقال صحيح الإسناد.

فإن قيل: إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد، كما يفعل من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل قد أثر في المسؤول حتى أعطاه؟!

قلنا: الرب سبحانه هو الذي حرك العبد إلى دعائه، فهذا الخير منه، وتمامه عليه، كما قال عمر رضي الله عنه: «إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه»(١) وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بتدبير الأمر، ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره، فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سبباً للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شيء من المخلوقات، بل هو جعل ما يفعله سبباً لما يفعله.

قال مطرف بن عبدالله بن الشخير، أحد أئمة التابعين: نظرت في هذا الأمر، فوجدت مبدأه من الله، وتمامه على الله، ووجدت ملاك ذلك الدعاء.

وهنا سؤال معروف، وهو: أن من الناس من قد يسأل الله فلا يعطى شيئاً، أو يعطى غير ما سأل؟

وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة:

أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقاً، وإنما تضمنت إجابة الداعي، والداعي أعم من السائل، وإجابة الداعي أعم من إعطاء

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ٣٥٩ ودقائق التفسير ٢/ ٥١٧ عند قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ومدارج السالكين لابن القيم ٣/ ١٠٣.

السائل، ولهذا قال النبي ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»[١]؟ ففرق بين الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بين العموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص، وإذا علم العباد أنه قريب، مجيب[٢] دعوة الداعي، علموا قربه منهم، وتمكنهم من سؤاله -: وعلموا علمه ورحمته وقدرته، فدعوه دعاء العبادة في حال، ودعاء المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة، وقد فسر قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ بالدعاء، الذي هو العبادة، والدعاء الذي هو الطلب، وقوله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ يؤيد المعنى الأول.

الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين السؤال، كما فسره النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها» قالوا: يا رسول الله، إذاً نكثر، قال: «الله أكثر»[٣].

---

(١) صحيح متواتر، ذكرت بعض طرقه «إرواء الغليل» (٤٥٠).أهـ ألباني

(٢) وفي نسخة: «يجيب».

(٣) صحيح، ولكنه ليس في صحيح مسلم، وإنما أخرجه أحمد وغيره من حديث أبي سعيد الخدري، وصححه الحاكم والذهبي، وهو كما قال، وإنما رواه مسلم من حديث أبي هريرة مختصراً، ورواه الترمذي مطولاً، إلا أنه قال في الخصلة الثالثة: «وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا» وهو منكر بهذا اللفظ، ولذلك خرجته في «الضعيفة» (٤٤٨٣) وذكرت تحته ما صح منه كحديث أبي سعيد هذا.أهـ ألباني. =

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والحديث ليس في صحيح مسلم، والحديث صحيح، وفيه دلالة على أن الاستجابة لا يلزم منها أن تكون على طِبق ما أراد الداعي وسأل الداعي، لكن الداعي على خير عظيم، إذا دعا ربه وسأل ربه فهو على خير، في عبادة وفي أجر إذا أخلص لله، لكن قد تعجل له دعوته التي طلب كالولد والزوجة وصلاح الذرية وأشباه ذلك، وقد تدخر له الدعوة في الآخرة، قد يطلب شيئاً في الدنيا فيدخر له عوضاً له في الآخرة، لا يعطاه ولا يعجل له في الدنيا لأنه الحكيم سبحانه وتعالى، هو أعلم بمصالح عباده، وهو أحكم فيما يأتي ويذر، وقد يصرف عنه من الشر مثل ذلك بدلاً من إعطائه رغبته، فهو قد يطلب الغنى ويصرف عنه شر كثير، وقد يطلب الأولاد فلا يكون في حكمة الله أن يعطى تلك الأولاد، ويصرف عنه من الشر مثل ذلك أو ما هو أرجح من إعطائه الأولاد، وقد يطلب زوجة وامرأة معينة فيرزق ما هو خير منها وأفضل منها، أو يدخر له ثواب ذلك ويعوض عن ذلك في الآخرة، لأن الحكمة قد اقتضت أن لا يزوج بهذه الزوجة المطلوبة، وأن يبقى مع زوجته الحالية أو لا يزوج بالكلية، لله الحكمة في هذا كله سبحانه وتعالى.

فالحاصل أن الداعي على خير عظيم، إذا دعا الله بدعوة صادقة خالصة سليمة ليس فيها عدوان وليس فيها إثم ولا قطيعة رحم فهو على خير ومأجور ومثاب، وله في الآخرة ما يعوضه الله عما طلب إذا لم يعط

= قال شاكر: لم أجده بهذا السياق في صحيح مسلم، وقد رواه أحمد بنحوه في المسند ١١١٥٠ من حديث أبي سعيد الخدري، وهو في مجمع الزوائد ١٠/ ١٤٨-١٤٩ وروى الترمذي ٤/ ٢٧٩-٢٨٠ نحو هذا المعنى مختصراً من حديث عبادة بن الصامت، وذكر في الزوائد ١٠/ ١٤٧ حديث عبادة مطولاً من رواية الطبراني في الأوسط.اهـ

طلبته، فينبغي للمؤمن أن لا يمل الدعاء.

ثم قد تؤجل الدعوة ولا تعجل، لأن في تعجيلها مضرة عليه وفي تأخيرها خير له، فقد يلح في الدعاء ويجتهد في الدعاء ويمضي عليه أوقات وهو ملح، فيكون هذا الدعاء سبباً لصلاح قلبه وصلاح أعماله، وسبباً لمعرفته بالله وأنسه به، وسبب افتقاره إليه وسبباً لصلاح أحواله، فالله يملي له في الدعاء ولا يعجل له المطلوب لحكمة بالغة فيها صلاحه وفيها هدايته وفيها صلاح قلبه وفيها صرف سوء كثير عنه، فلا ينبغي له أن يعجز ولا ينبغي له أن يستحسر ولا ينبغي أن يسيء الظن بالله، بل لله الحكمة العظيمة في تعجيل الإجابة وفي تأخيرها، وفي تنويع الإجابة، وفي إعطائه ما هو خير له مما طلب، وفي تأخيرها له في الآخرة، إلى غير ذلك، ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] وهو الصادق في وعده سبحانه، لكن أنت أيها السائل قد تكون عندك أشياء تمنع الإجابة، فالإجابة لها شروط، فإذا كنت تتعاطى المعاصي والسيئات وأكل الحرام، فهذا من أسباب منع الإجابة، ففتش عن نفسك وانظر من أين أتيت؟ هل أتيت من عقوق والديك؟ هل أتيت بقطيعتك الرحم؟ هل أتيت بشرب المسكرات؟ هل أتيت بأكل الربا؟ هل أتيت بالغيبة والنميمة؟ هل أتيت بالغش في المعاملات؟ من أين أتيت؟ وهذه الإجابة لماذا تأخرت؟

لابد أن لها أسباباً، قد تكون منك وقد تكون من جهة الله جل وعلا، لأنه سبحانه اقتضت حكمته أن تكون هذه الإجابة مأخرة أو تكون في شيء آخر، لكن فتش نفسك أنت أولاً، فقد تكون الإجابة بأسباب وقد يكون منعها بأسباب، بأسباب أعمالك، فاحرص على الدعاء واجتهد في

الدعاء، فلعل الموانع تزول، ولعل الله يتوب عليك، ولعل الدعوة تصادف ساعة إجابة فتجاب ولو أنك على ظلمك وعلى تقصيرك، كما أن الكفار قد يجابون، فالكفار وهم أظلم الناس قد تجاب دعوتهم، وقد يسألون حاجاتهم في الدنيا من الرزق وغير ذلك فيجابون وهم كفار، فربك حكيم عليم سبحانه وتعالى، لكن أنت أيها المؤمن جدير بأن تحاسب نفسك، لماذا منعت هذه الإجابة؟ لماذا تأخرت هذه الإجابة؟ هل هذا منك أو من أسباب أخرى اقتضتها حكمة الله جل وعلا؟

والذي عليك أن تحاسب نفسك أنت من جهة ما يتعلق بك.

والسائل أخص، فإنه يسأل شيئاً خاصاً، فالغالب أن السائل يسأل شيئاً خاصاً يعجل له في الدنيا «**هل من سائل فيعطى سؤله**»[١] فالسائل أخص من الداعي، فإن الداعي قد يكون عابداً وقد يكون سائلاً، يقول الله عز وجل: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ ﴾ [غافر:٦٠] فسرت بـ: اعبدوني، وفسرت بـ: اسألوني، فكل سائل عابد وليس كل عابد سائلاً، فالمصلي عابد لأنه داع بفعله، والمتصدق داع، والمجاهد داع بعمله، والذي يقول: رب اغفر لي وارحمني داع لكنه أخص بالسؤال، فالذي يقول: أعطني كذا وارزقني ولداً صالحاً أخص بالسؤال، وإن كان عابداً بالسؤال، لكنه أخص بالسؤال، فما كان بلفظ السؤال: اغفر لي وارحمني وأعطني زوجة صالحة، أغنني عن فلان، أغنني بفضلك، هذا أخص بالسؤال، والصلاة والصوم أخص، والعبادات الأخرى أخص بالعبادة، وكلاهما يطلق عليه دعاء، يقال دعا بمعنى عبد ودعا بمعنى سأل، والسؤال أخص. أهـ.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه مسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين/ باب الترغيب في صلاة التراويح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلاً، أو مثله من الخير مؤجلاً، أو يصرف عنه من السوء مثله.

الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعنيها، وقد يعارضها مانع من الموانع، ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر-: من هذا الباب.

وكثيراً ما تجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكر الحسنة، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك فأجيبت دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعاً في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، وكان غالطاً.

وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر، فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجء إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً والساعد ساعداً قوياً، والمحل

قابلاً، والمانع مفقوداً؛ حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا كله يجمعه قول النبي ﷺ، فهذا كلام طويل وكلام النبي ﷺ مختصر «**ما من عبد يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطي بها إحدى ثلاث**» قالوا: إذاً نكثر، قال: «**الله أكثر**»[1] فإذا سأل سائل وقال دعوت ولم أره يستجاب لي، يقال: لها أسباب، إما أن يكون في دعائك إثم أو فيه قطيعة رحم أو عندك موانع المعاصي كالربا ونحو ذلك، فإذا سلمت من هذا كله وصار دعاؤك في محله، وصرت سليماً ليس عندك موانع، ودعاؤك سليم ليس فيه شيء؛ فقد تعجل لك دعوتك وقد تدخر لك وقد يصرف عنك من الشر مثل ذلك، فليس من اللازم أن يحصل المطلوب، فهذا مما يبين أن الأمر واضح وليس معنى ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] أنه يعطيهم مطالبهم، فلو طلبوا وقال أحدهم: اللهم أعطني جبلاً من الذهب، وقال الآخر: اللهم متعني ألف عام أو ألفي عام، فإنه ليس بمعقول أن كل ما طلبه الناس يعطون، فربنا حكيم عليم جل وعلا، يعلم السر وأخفى، ويعلم ما يصلح عباده وما يفسدهم، ويعلم أحوالهم وأعمالهم، فكل يعطى ما يناسبه على حكمة الله جل وعلا، فهذا يعتدي في الدعاء فلا

---

(١) رواه أحمد ٣/ ١٨ والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٣ وصححه ووافقه الذهبي، ورواه الترمذي بنحوه، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (٥٤٧).

يجاب، وهذا يعتدي في الأعمال فلا يجاب، وهذا يعتدي على زيد أو على عمرو فلا يجاب، وهذا يضمِّن سؤاله كلمات غير صالحة أو شركية أو غير ذلك فلا يجاب، وهذا تقتضي حكمة الله أن تؤخر دعوته ولا تعجل، وهذا تقتضي حكمة الله أن تدخر له في الآخرة، وهذا تقتضي حكمة الله أن يعطى خيراً منها وأفضل منها، وهذا تقتضي حكمة الله أن يصرف عنه شر آخر بدلاً من أن يعطى طلبته، إلى غير هذا، فربك حكيم عليم سبحانه وتعالى، فينبغي للمؤمن أن يحسن ظنه بالله وأن يلح في الدعاء، ويجتهد في الدعاء ويحاسب نفسه، ويتفقد أحواله ويتفقد سؤاله، حتى لا تكون هناك موانع من جهة نفسه. أهـ.

* * *

قوله: (ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر وصار من أهل الحين).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: من قال إنه غني عن الله وليس محتاجاً لله ولا عليه من الله وهو مستقل بنفسه؛ فقد كفر وهلك، لأنه مملوك لله، لا غنى له عن الله، فمن قال إنه مستقل وليس لله عليه فضل، وليس مخلوقاً لله ولا لله فيه تصرف، فهذا ملحد كافر ظالم. أهـ.

* * *

ش: كلام حق ظاهر لا خفاء فيه، والحين، بالفتح: الهلاك.

قوله: (والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى).

ش: قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ

يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ وقال تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ونظائر ذلك كثيرة، ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا هو الحق، أن تمر كما جاءت مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات لائقة بالله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] فهو يغضب ويرضى، ويسخط على من عصاه وخالف أمره، وهو يحب ويبغض ويوالي ويعادي، يعادي أعداءه ويوالي أولياءه، هذا كله حق على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، فـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] سبحانه وتعالى، فليس غضبه كغضبنا، ولا رضاه كرضانا، ولا حبه كحبنا، إلى غير ذلك، كما أن سمعه ليس كسمعنا ولا بصره كبصرنا ولا يده كأيدينا ولا وجهه كوجوهنا، إلى غير ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] فله الكمال المطلق من كل الوجوه سبحانه وتعالى لا نقص فيه. أهـ.

سؤال/ ما الفرق بين الغضب والسخط؟

أجاب سماحته: المعنى متقارب، غضب الله عليه وسخط عليه، لا أعلم بينهما فرقاً. أهـ.

❊ ❊ ❊

كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: «إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية - ترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين» وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه في صفة الاستواء كيف قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

وروي أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً عليها، ومرفوعاً إلى النبي ﷺ[1]، وكذلك قال الشيخ رحمه الله فيما تقدم: «من لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه» ويأتي في كلامه «أن الإسلام بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل».

فقول الشيخ رحمه الله: «لا كأحد من الورى» نفى التشبيه، ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام - فإن هذا نفي للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أن الإرادة شيء والغضب والرضا شيء آخر، فالإرادة شيء والمحبة شيء والغضب شيء، فمن فسر الرضى بإرادة الثواب والغضب بإرادة الانتقام فقد أوّل، فالإرادة شيء والغضب والرضا شيء آخر، والمشيئة كذلك، فهو له الإرادة وله المشيئة وله الغضب وله الرضا، كل هذا من صفاته سبحانه وتعالى، كل هذا يليق بالله عز وجل.

---

(١) قلت: لا يصح مرفوعاً. أهـ ألباني

وقد تأولت الأشاعرة وأشباههم ممن سار على نهجهم هذه الصفات بالإرادة، الغضب والسخط بإرادة الانتقام، والرضا والمحبة بإرادة الثواب، وهذا غلط. أهـ.

❊ ❊ ❊

فقد يحب عندهم ويرضى ما لا يريده، ويكره ويسخط لما أراده.

ويقال لمن تأول الغضب والرضى بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: إن الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى! فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب، لا أنه الغضب.

ويقال له أيضاً: وكذلك الإرادة والمشيئة فينا، فهي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه، ويزداد بوجوده، وينتقص بعدمه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني ما فررت منه وقعت فيما سلمته، كما تكون إرادة لا كإرادة المخلوقين، فقل غضب لا كغضب المخلوقين، وانتهينا ولا شيء في ذلك. أهـ.

❊ ❊ ❊

فإن جاز هذا جاز ذاك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.

فإن قال: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة؟

قيل له: فقل: إن الغضب والرضى الذي يوصف الله به مخالف لما

يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة، فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات، لم يتعين التأويل، بل يجب تركه، لأنك تسلم من التناقض، وتسلم أيضاً من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام، ولا يكون الموجب للصرف ما دله عليه عقله، إذ العقول مختلفة، فكل يقول إن عقله دله على خلاف ما يقوله الآخر!

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى، لامتناع مسمى ذلك في المخلوق، فإنه لا بد أن يثبت شيئاً لله تعالى على خلاف ما يعهده حتى صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به، ووجود الباري تعالى كما يليق به، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم، وما سمى به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته، مثل الحي والعليم والقدير، أو سمى به بعض صفاته، كالغضب والرضى، وسمى به بعض صفات عباده، فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى، وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أيضاً معاني هذه الأسماء في حق المخلوق، ونعقل أن بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلي لا يوجد مشتركاً إلا في الأذهان، ولا يوجد في الخارج إلا معيناً مختصاً، فيثبت في كل منهما كما يليق به.

بل لو قيل: غضب مالك خازن النار وغضب غيره من الملائكة، لم يجب أن يكون مماثلاً لكيفية غضب الآدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة، حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه، فغضب الله أولى.

وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه

ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا: إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو في نفسه متصفاً بشيء من ذلك!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قبح الله جهماً وأصحابه. أهـ.

* * *

وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه، فقالوا: لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً، بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت، كما قال في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»[١] وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[٢].

فيستدل به على أنه يحل رضوانه في وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضواناً لا يتعقبه سخط، وهم قالوا: لا يتكلم إذا شاء، ولا يضحك إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء، ولا يرضى إذا شاء،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقد مضى لفظه بتمامه. أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في «صحيح الجامع الصغير» (١٩٠٧). أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومعنى هذا الكلام الذي يقوله الجهمية وأشباههم، هو أن الصفات لازمة لذاته كلزوم الوجه واليد ونحو ذلك، فهي صفات لازمة لا تعلق لها بالاختيار ولا بالمشيئة ولا بالإرادة، وهذا من أبطل الباطل ـ نعوذ بالله ـ ومضاد للآيات والأحاديث الكثيرة، فإن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، ويخلق ويختار جل وعلا، وله المشيئة النافذة، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه سبحانه وتعالى، وهذا من كماله، أن تكون له إرادة ومشيئة اختيارية يفعل ما يشاء ويختار ما يشاء، هذا من الكمال العظيم، وضد ذلك تشبيه له بالجمادات التي ليس لها فعل ولا اختيار ولا مشيئة، وتشبيه له بالناقصات، فالحاصل أن قولهم هذا الذي أرادوا به التنزيه، هو في الحقيقة تنقص وليس بتنزيه، مع كونه مصادماً للنصوص مصادمة ظاهرة ليس فيها مواربة ولا شبهة، ولهذا كفرهم جم غفير من أهل السنة بسبب أن هذا الكلام معناه إنكار النصوص وتكذيبها وإبطالها، وقد قال ابن القيم في هذا المعنى في النونية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

ومقصوده في قوله خمسون في عشر أنهم خمسمائة، إلى غير هذا ممن جاء بعد ذلك، فالمقصود أن هؤلاء الجهمية ومن قال بقولهم أتوا منكراً من القول وشراً عظيماً لا وجه له ولا مبرر له، ولكنهم انتكست قلوبهم وعقولهم حتى استحسنوا ما هو قبيح واستقبحوا ما هو حسن، وهكذا يقضى على من انحرف عن الكتاب والسنة وحكّم عقله، يقضى عليه حتى تنتكس عليه الأمور وتنعكس عليه الأشياء، فيراها على خلاف

ما هي عليه، كالمنافق الذي انتكس عقله وصار قلبه كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ولا يعرف الحق ـ نسأل الله العافية ـ.

فأهل السنة والجماعة هم أولى الناس بالحق، وهم الذين وفقوا للعمل بالكتاب والسنة، والإيمان بأن الله جل وعلا موصوف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص والعيب، وهو يرضى ويغضب ويتكلم بما شاء ويفعل ما يشاء ويختار ما يشاء سبحانه وتعالى، فالمؤمن مرضي عنه، وإذا ارتد سخط الله عليه، والكافر مسخوط عليه، فإذا هداه الله وأسلم رضي الله عنه، وهكذا هو سبحانه وتعالى يسخط على من خالف أمره ويرضى على من أطاع أمره، فهو يسخط على أهل النار وأهل الكفر والنفاق، ويحب أهل الإيمان وأهل الاستقامة وأهل الجنة لكونهم أطاعوا أمره ووافقوا شرعه وابتعدوا عما يغضبه سبحانه وتعالى، وهذا يعرفه صغار الطلبة الذين نشأوا في السنة، بل هو من أوضح الواضحات ومن أبين البينات، ولولا أنه منقول لقال العاقل: إن هذا لا وجود له، فلولا أنه منقول نقله الثقات والأثبات عن هؤلاء من كتبهم؛ لقال العاقل: كيف يكون هذا؟ وكيف يصدق بهذا؟ وكيف يقع من عاقل يفهم ما يقول؟ نسأل الله السلامة. أهـ.

* * *

بل إما أن يجعلوا الرضى والغضب والحب والبغض هو الإرادة، أو يجعلوها صفات أخرى، وعلى التقديرين فلا يتعلق شيء من ذلك لا بمشيئته ولا بقدرته، إذ لو تعلق بذلك لكان محلاً للحوادث!! فنفى هؤلاء الصفات الفعلية الذاتية بهذا الأصل، كما نفى أولئك الصفات مطلقاً بقولهم ليس محلاً للأعراض.

وقد يقال: بل هي أفعال، ولا تسمى حوادث، كما سميت تلك

صفات، ولم تسم أعراضاً، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى، ولكن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في الصفات في المختصر في مكان واحد، وكذلك الكلام في القدر ونحو ذلك، ولم يعتن فيه بترتيب، وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام، حين سأله عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»[١] الحديث، فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم وثم، إلى آخره.

وقوله: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الروافض والنواصب، وقد أثنى الله تعالى على الصحابة هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ

(١) متفق عليه، على ما سبق بيانه.أهـ ألباني

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء، فمن كان في قلبه غل للذين آمنوا ولم يستغفر لهم لا يستحق في الفيء نصيباً، بنص القرآن، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا كان هذا ممن

---

(١) صحيح، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً، وهو مخرج في «ظلال الجنة» (٩٨٨-٩٩١) وفيه بيان أنه ذكر أبي هريرة فيه شاذ، فراجعه إن شئت.أهـ ألباني

تأخرت صحبته مع من تقدمت صحبته، فكيف إذا كان ممن ليس له نصيب من الصحبة ممن جاء بعد ذلك؟

فالأمر أعظم، إذا كان هذا في مثل خالد وأشباهه ممن تأخر، مع من في مثل عبدالرحمن بن عوف وأشباهه ممن تقدم إسلامه، يكون لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فكيف بمن جاء بعدهم؟ فإن له الوقع يكون أعظم وأكبر.

وهذا كله رد على الرافضة الذين سبوا أصحاب النبي ﷺ وصار في قلوبهم غل لهم وأبغضوهم وكفروهم وفسقوهم إلا نفراً يسيراً قليلاً، هؤلاء من أضل الناس ومن أخبثهم اعتقاداً في أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام.

واعتذارهم بما جاء في نصوص الردة اعتذار فاسد، فإن الردة في قوم آخرين ليست في أصحاب النبي ﷺ، وإنما كانت في بعض الأعراب الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم ولم يستضيئوا بنور الوحي، فلما مات النبي ﷺ جرى لهم ما جرى من الشك والريب والردة، فأولئك قوم معروفون، وليسوا هم أصحاب النبي ﷺ الذين سبقوا إلى الإيمان وجاهدوا معه وصبروا معه، كالخلفاء الراشدين وغيرهم، ولكن أولئك الضالين من الرافضة حملوا أحاديث الردة عليهم وسفهوهم وضللوهم، ولم يستثنوا من ذلك إلا نفراً يسيراً كعلي والحسن والحسين وبلال وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود، جماعة قليلة أقل من العشرة. أهـ.

* * *

انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبد الرحمن، دون البخاري، فالنبي ﷺ يقول لخالد ونحوه: «لا تسبوا أصحابي» يعني عبدالرحمن وأمثاله، لأن عبدالرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من

قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسموا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية، والمقصود أنه نهى من له صحبة آخراً أن يسب من له صحبة أولاً، لامتيازهم عنهم في الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة؟ رضي الله عنهم أجمعين.

والسابقون الأولون - من المهاجرين والأنصار - هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

وقيل: إن السابقين الأولين من صلى إلى القبلتين، وهذا ضعيف، فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، لأن النسخ ليس من فعلهم، ولم يدل على التفضيل به دليل شرعي، كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة التي كانت تحت الشجرة.

وأما ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم» فهو حديث ضعيف(١)، قال البزار: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة(٢).

---

(١) بل هو حديث باطل كما بينته في «الأحاديث الضعيفة والموضوعة» رقم (٥٨). أهـ ألباني

(٢) قال شاكر: ذكره الذهبي في الميزان ١/ ١٩١ في ترجمة «جعفر بن عبدالواحد الهاشمي القاضي» وهو ممن يضع الحديث، ويروي أحاديث لا أصل لها، ووصف الذهبي هذا الخبر بأنه من بلايا جعفر. أهـ

وفي صحيح مسلم عن جابر، قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبابكر وعمر! فقالت: وما تعجبون من هذا! انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر[(١)].

وروى ابن بطة بإسناد صحيح، عن ابن عباس، أنه قال: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي ﷺ، خير من عمل أحدكم أربعين سنة[(٢)].

وفي رواية وكيع: خير من عبادة أحدكم عمره[(٣)].

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري: أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة[(٤)]، الحديث، وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر، أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»[(٥)] وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ

---

(١) هذا حديث غريب عندي، وعزوه لمسلم أغرب، فإني لم أقف عليه فيه بعد الاستعانة عليه بكل الوسائل الممكنة، ثم تيقنت عدم وجوده فيه بعد أن فرغت منذ بضع سنين من اختصار صحيح مسلم.أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في الظلال (١٠٠٦).أهـ ألباني

(٣) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة من طريق ابن عمر رضي الله عنهما (٢٣٥٠) ٧/ ١٣٢٣ سياق ما روي عن النبي ﷺ في الوعيد على من لعن الصحابة، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٠٦) وقال الألباني: «رجال إسناده ثقات غير بسر بن ذعلوق فلم أعرفه».

(٤) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم في السنة من طرق (١٤٦٨-١٤٧٢) وصحح أحدها ابن حبان، وهو مخرج في الصحيحة (٦٩٩).أهـ ألباني

(٥) صحيح.أهـ ألباني

وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ Zالآيات.

ولقد صدق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم، حيث قال: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء»(١)

وفي رواية: «وقد رأى أصحاب محمد جميعاً أن يستخلفوا أبابكر».

وتقدم قول ابن مسعود: «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات» إلخ - عند قول الشيخ: «ونتبع السنة والجماعة».

فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟

بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم إلا القليل

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا يدل على الخبث الكثير، نسأل الله العافية، فإن اليهود والنصارى صاروا في هذا خيراً من الرافضة، واليهود والنصارى هم هم في الكفر بالله والضلال والكيد

---

(١) حسن موقوفاً، أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما بسند حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، واشتهر على الألسنة مرفوعاً، وفي سنده كذاب، والصحيح وقفه، وهما مخرجان في الضعيفة (٥٣٢ و٥٣٣).أهـ ألباني.

للإسلام، ومع هذا كان جوابهم خيراً من جواب الرافضة، فاليهود لما سئلوا من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، والنصارى لما سئلوا: من خير أهل ملتكم؟ قالوا:أصحاب عيسى، أما هؤلاء الرافضة وهم الإمامية الاثني عشرية ومن سار مسارهم، لما سئلوا عن شر أهل ملتهم قالوا أصحاب محمد ـ نسأل الله العافية ـ فأساءوا الظن بأصحاب محمد ﷺ حتى زعموا أنهم ارتدوا على أدبارهم وعلى أعقابهم، وجعلوا منهم الصدّيق وعمر وعثمان، ولم يستثنوا إلا نفراً قليلاً جداً كالمقداد وعمار والحسن والحسين وعلي، هؤلاء الخمسة أو يزيدون سادساً أو سابعاً، هذا من الضلال والبعد عن الإسلام. أهـ.

* * *

وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.

وقوله: «ولا نفرط في حب أحد منهم»

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يقال: أفرط غلا، وفرّط جفا، فالرباعي بالألف، والمثقّل بالجفا، والإسلام بين هذا وهذا، بين الإفراط والتفريط، فلا إفراط وغلو، يُعبدون من دون الله كما فعلت الرافضة مع أهل البيت، ولا جفاء وهو التفريط، كما فعلت الرافضة مع غير أهل البيت من غالب الصحابة، فأهل البدع بين الإفراط والتفريط، بين غلو في أشياء، وبين تفريط في أشياء وجفاء. أهـ.

* * *

أي لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾.

وقوله: «ولا نتبرأ من أحد منهم» كما فعلت الرافضة! فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمشهور أن الرافضة سموا بهذا لأنهم لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين، وطلبوا منه أن يتبرأ من الصّديق وعمر فأبى أن يتبرأ منهما، وترضى عنهما، فقالوا حينئذ نفارقك، فرفضوه، فسموا رافضة لأجل هذا، لأنهم تبرءوا من الصديق وعمر، زعماً منهم أنه لا تتم الموالاة لعلي إلا بالبراءة من الصديق وعمر، وهذا من جهلهم وضلالهم وظلمهم وعدوانهم وقلة بصيرتهم.

والزيدية منسوبون إلى زيد بن علي بن الحسين، وكان أصل مذهبهم تفضيل علي على الصدّيق وعمر فقط، وهم المعروفون الآن في اليمن، وفيهم طوائف رديئة يقال لهم الجارودية، أشبه بالرافضة، يزيدون فيلعنون ويسبون. أهـ.

❊ ❊ ❊

وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد، كما قال تعالى: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ وهذا معنى قول من قال من السلف: الشهادة بدعة، والبراءة بدعة، يروى ذلك عن جماعة من السلف، من الصحابة والتابعين، منهم: أبو سعيد الخدري، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وغيرهم، ومعنى الشهادة: أن يشهد على معين من

المسلمين أنه من أهل النار، أو أنه كافر، بدون العلم بما ختم الله له.

وقوله: «وحبهم دين وإيمان وإحسان» لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص، وروى الترمذي عن عبدالله بن مغفل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[(١)].

وتسمية حب الصحابة إيماناً مشكل على الشيخ رحمه الله، لأن الحب عمل القلب، وليس هو التصديق، فيكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان، وقد تقدم في كلامه: «أن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان» ولم يجعل العمل داخلاً في مسمى الإيمان، وهذا هو المعروف من مذهب أهل السنة، إلا أن تكون هذه التسمية مجازاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن مرجئة الحنفية وغيرهم رأوا أن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسان، والكرّامية قالوا إنه النطق باللسان فقط، والجهمية قالوا إنه المعرفة، ووفق الله أهل السنة والجماعة فقالوا إنه القول والعمل والتصديق جميعاً، وقول الطحاوي والحنفية أن العمل ليس من الإيمان غلط فاحش لا وجه له، والصواب قول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يشمل هذا وهذا، يشمل القول والعمل القلبي والعمل الجارحي والتصديق،

---

(١) ضعيف، وقال الترمذي «غريب» وهو مخرج في «الأحاديث الضعيفة» (٢٩٠١). أهـ ألباني

قال شاكر: الترمذي ٤/ ٣٦٠ وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وقال شارحه: «وأخرجه أحمد». أهـ

هذا هو قول أهل الحق، والنصوص كلها من الكتاب والسنة دالة على هذا، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«الإيمان بضع وستون - أو قال: بضع وسبعون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**(١) فجعل القول إيماناً، وجعل الحياء وهو عمل القلب إيماناً، وجعل إماطة الأذى عن الطريق وهو من عمل الجوارح إيماناً، وهذا شيء لا يحصى من الكتاب والسنة. أهـ.

سؤال/ ما الفرق بين التصديق المجرد والمعرفة؟

أجاب سماحته: التصديق والمعرفة إقرار وليس عملاً، إقرار واعتراف، فهو أشبه بالقول، بخلاف العمل كالحب والخشية والخوف القلبي فإن هذا عمل، فهي - عندهم - أشياء زائدة مأمور بها مشروعة لكنها لا تسمى إيماناً، ولهذا قال الشارح إن الخلاف لفظي. أهـ.

* * *

وقوله: «وبغضهم كفر ونفاق وطغيان» تقدم الكلام في تكفير أهل البدع، وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وقد تقدم الكلام في ذلك.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا فيه تفصيل، فإنكار صحبتهم وإنكار ما هم عليه من الدين كفر أكبر، وسب بعضهم أو

---

(١) متفق عليه، وقد مضى.

بغض بعضهم كفر أصغر ومعصية، كما تقول في الحكم بما أنزل الله أنه إيمان وهدى، والحكم بغير ما أنزل الله نوع من أنواع الكفر، لكن إذا كان جحداً لذلك وإنكاراً له فهو كفر أكبر، وإن كان لشهوة وغرض، وهو يعلم أن الحكم حكم الله صار كفراً أصغر، وهكذا يقال في أشياء كثيرة، الظلم ظلمان والكفر كفران والشرك شركان والفسق فسقان، ذكر هذا ابن القيم رحمه الله في كتاب الصلاة.

فمن أنكر صحبتهم وأنهم ليسوا من المسلمين وأنهم ارتدوا فالظاهر كفرهم، لأنهم جعلوا أصحاب رسول الله ﷺ كافرين، وجعلوا حملة الإسلام وأركانه كافرين، ومعنى هذا إبطال الإسلام وإبطال الدين، فإذا كان حملة الإسلام كفاراً، وعلى رأسهم الصديق وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص وأشباههم، فماذا بقي للإسلام؟

أما إذا سبوا معاوية وسبوا علياً، فهذا فسق وظلم وكفر لكن دون كفر.

وإذا اعتقدوا عدم براءة عائشة وأنها متهمة صار كفراً أكبر، لأنه تكذيب لله.

وإذا سب الصّديق وعمر، فهذا محل خلاف، فمالك وجماعة يكفرونهم، والمشهور عند الجمهور التفسيق وأنه كفر دون كفر، إلا إذا عمموا، فإذا عمموا سب الصحابة فمعناه إنكار الدين كله، لأنهم حملة الإسلام، فماذا يبقى؟

بلال وعلي وحدهم وعمار وحده هؤلاء الثلاثة أو الأربعة ليسوا هم حملة الإسلام. أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة).

ش: اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟

فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

والدليل على إثباتها بالنص أخبار: من ذلك ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع اليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: «إن لم تجديني فأتي أبابكر»[(١)] وذكر له سياق آخر، وأحاديث أخر، وذلك نص على إمامته.

وحديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[(٢)] رواه أهل السنن.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت: دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدىء فيه، فقال: «ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً» ثم قال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبابكر»[(٣)] وفي رواية: «فلا يطمع في هذا الأمر طامع» وفي رواية: قال: «ادعي لي عبدالرحمن بن أبي بكر، لأكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه» ثم قال: «معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر».

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «ظلال الجنة» (١١٥١).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (١٢٣٣).أهـ ألباني

(٣) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (٦٩٠) وانظر ظلال الجنة (١١٥٦).أهـ ألباني

وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: «مروا أبابكر فليصل بالناس»[١] وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة، فصلى بهم مدة مرض النبي ﷺ.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غرباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس بعطن»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا منافاة عند أهل السنة، فإنها بالنص وبالاتفاق جميعاً، لا منافاة بين هذا وهذا، فإنها بالنصي الجلي عند قوم وبالخفي عند آخرين، وبالإشارة وبالاختيار، فقدر أشار إلى هذا وأوصى بما يدل عليه، لكن ليس هناك النص القطعي الذي وجه فيه إلى المؤمنين بأني استخلفت عليكم فلانا، ولكن فيه الدلائل الكثيرة دالة على أنه مقدمهم وأفضلهم، وأنه أولى الناس بهذه المسألة، ثم الاختيار، قد اختاره المؤمنون واجتمعوا له وبايعوه فتم له الأمر بهذا وهذا، بالأمرين جميعاً، اللهم ارض عنه.

فالاختيار يكون بالنص ويكون بالصفات الحميدة ويكون لأسباب أخرى، فالاختيار استند إلى هذه الأمور الكثيرة والفضل العظيم والسابقة العظيمة، فالاختيار لا يكون عبثاً، بل يكون له أسباب. أهـ.

❊ ❊ ❊

---

(١) متفق عليه، وهو مخرج في الظلال (١١٦٤-١١٦٧) وانظر (١١٥٩-١١٦٠).أهـ ألباني

(٢) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٥٧).أهـ ألباني

وفي الصحيح أنه ﷺ قال على منبره: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت، إلا خوخة أبي بكر»[١].

وفي سنن أبي داود وغيره، من حديث الأشعث عن الحسن عن أبي بكرة، أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا»؟ فقال رجل أنا: رأيت ميزاناً أنزل من السماء، فوزنت أنت وأبوبكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمرو أبو بكر، فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان، فرجح عمر، ثم رفع، فرأيت الكراهة في وجه النبي ﷺ، فقال: «خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء»[٢].

فبين رسول الله ﷺ، أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة، ثم بعد ذلك ملك، وليس فيه ذكر علي رضي الله عنه، لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك.

وروى أبو داود أيضاً عن جابر رضي الله عنه، أنه كان يحدث، أن رسول الله ﷺ قال: «أري الليلة رجل صالح أن أبابكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر» قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ، قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه[٣].

---

(١) متفق عليه، وتقدم بنحوه.أهـ ألباني

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٣٤-٤٦٣٥) من طريقين عن أبي بكرة، واللفظ الذي في الكتاب هو عنده من طريق الأشعث التي ذكرها المؤلف، لكن ليس فيها قوله في آخره: خلافة .. وهذه الزيادة عنده من الطريق الأخرى، وفيها علي بن زيد وهو ابن جدعان، وفيه ضعف، لكن يشهد لها حديث سفينة الآتي بعد حديثين، والحديث مخرج في ظلال الجنة (١١٣١-١١٣٣و ١١٣٥-١١٣٦).أهـ ألباني

(٣) ضعيف، وبيانه في ظلال الجنة (١١٨٤).أهـ ألباني

وروى أبو داود أيضاً عن سمرة بن جندب: أن رجلاً قال: يا رسول الله، رأيت كأن دلواً دلي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها، فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها، فانتشطت منه، فانتضح عليه منها شيء[(١)].

وعن سعيد بن جمهان، عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»[(٢)] أو «الملك».

واحتج من قال لم يستخلف، بالخبر المأثور، عن عبدالله بن عمر، عن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبابكر، وإن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ» قال عبدالله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف[(٣)].

وبما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف.

والظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبابكر»[(٤)] فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ

---

(١) ضعيف، فيه عبد الرحمن الجرمي، فيه جهالة، ومن طريقه أيضاً أخرجه أحمد (٥/ ٢١).أهـ ألباني

(٢) حسن، يشهد له ما قبله بحديثين.أهـ ألباني

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم.أهـ ألباني

قال شاكر: رواه بنحوه الإمام أحمد في المسند ٣٣٢ وأبو داود ٢٩٣٩ ورواه مسلم مطولاً ٢/ ٨٠.٨١ من وجهين.أهـ

(٤) مسلم وغيره، ومضى، وهو مخرج في الظلال (٢/ ٥٣٥).أهـ ألباني

دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض؟ أو هو قول يجب اتباعه؟ ترك الكتابة، اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر.

فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بياناً قاطعاً للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبابكر المتعين، وفهموا ذلك - حصل المقصود، ولهذا قال عمر رضي الله عنه، في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، ولم ينكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار، طمعاً في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي ﷺ بطلانه، ثم الأنصار كلهم بايعوا أبابكر، إلا سعد بن عبادة، لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر، لا علي، ولا العباس، ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع!

وروى ابن بطة بإسناده أن عمر بن عبدالعزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلي إلى الحسن، فقال: هل كان النبي ﷺ استخلف أبابكر؟ فقال: أو في شك صاحبك؟ نعم، والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان

أتقى لله من أن يتوثب عليها[١].

وفي الجملة: فجميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر، لم يذكر حجة شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه، أو أحق بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضي الله عنه، وحب رسول الله ﷺ له، ففي الصحيحين، عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها» قلت: ثم من؟ قال: «عمر» وعد رجالاً[٢].

وفيهما أيضاً، عن أبي الدرداء، قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر» فسلم، وقال: يا رسول الله، إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبابكر، ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ، فسلم عليه، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي»؟ مرتين، فما أوذي بعدها[٣].

---

(١) قال شاكر: هذا أثر ضعيف الإسناد جداً، محمد بن الزبير الحنظلي، قال البخاري في كتاب الضعفاء ص٣١: «منكر الحديث».أهـ

(٢) صحيح، وهو في كتاب السنة لابن أبي عاصم من طرق عن عمرو (١٢٣٣-١٢٣٦).أهـ ألباني

(٣) البخاري عن أبي الدرداء، ولم أره عند مسلم، ولم يعزه إليه في «الذخائر» ولا في «الجامع الكبير» ورواه ابن أبي عاصم (١٢٢٣) مقتصراً على المرفوع منه.أهـ ألباني

ومعنى: غامر: غاضب وخاصم، ويضيق هذا المختصر عن ذكر فضائله.

وفي الصحيحين أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - فذكرت الحديث - إلى أن قالت: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة، في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير، ومنكم أمير! فذهب إليهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبوعبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت في نفسي كلاماً قد أعجلني[1]، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر! ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، فقال حباب ابن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب، وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب، أو أباعبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده، فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله[2].

والسنح: العالية، وهي حديقة بالمدينة معروفة بها.

سؤال/ سعد بن عبادة رضي الله عنه في عدم مبايعته لأبي بكر، هل

---

(١) الصواب: أعجبني، ابن باز.

(٢) صحيح، أخرجه البخاري دون مسلم، خلافاً للمصنف رحمه الله، وروى طرفه الأخير ابن أبي عاصم (١١٦٦) ثم روى قصته قول الأنصار: «منا أمير ومنكم أمير» من حديث ابن مسعود (١١٥٩) وكذلك رواه أحمد وغيره، وهو مخرج في الظلال.أهـ ألباني

قال شاكر: قد أوهم الشارح أيضاً في نسبته للصحيحين، فإنه من أفراد البخاري، كما نص عليه الحافظ ٧:١٢٣.أهـ

بقي على هذا إلى أن مات؟

أجاب سماحته: الظاهر أنه مات على هذا. أهـ.

* * *

قوله: (ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه).

ش: أي ونثبت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه، لعمر رضي الله عنه، وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه، وفضائله رضي الله عنه أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر.

فقد روي عن محمد بن الحنفية أنه قال: قلت لأبي: يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني، أوما تعرف؟ فقلت؟ لا، قال: أبوبكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان! فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[1].

وتقدم قوله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[2].

وفي صحيح مسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه، فإذا هو علي، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر

---

(١) صحيح، وتصدير المؤلف إياه بـ (روي) المشعر اصطلاحاً بالتضعيف ليس بجيد، فقد أخرجه البخاري وغيره من طرق عن ابن الحنفية، وهو مخرج في الظلال (١٢٠٤و١٢٠٦و١٢٠٧).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وقد مضى.أهـ ألباني

وعمر» فإن كنت لأرجو، أو لأظن أن يجعلك الله معهما[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والأمة قد أجمعت على أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ في أربعة، وهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي رضي الله عنهم جميعاً، وقد تكاثرت الأدلة على تقديم الصديق وأنه أرجحهم إيماناً وأعظمهم قدراً وأفضلهم عملاً وسابقة، ولهذا أجمعوا عليه وأنه المقدم في الخلافة والفضل على جميع الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام، لأعماله العظيمة وسابقته العظيمة وجهاده العظيم، وتقديم النبي عليه الصلاة والسلام له في الإمامة في الصلاة في حياته وحين مرضه وفي صحته كذلك إذا ذهب لحاجة.

ثم بعد ذلك عهد الصديق رضي الله عنه إلى عمر وجعله ولي الأمر بعده، فأجمعت الأمة على ذلك، وكان هذا من أعظم الفراسة التي حصلت لأبي بكر للصديق حيث خلّف عمر وأوصى أن الخلافة من بعده له، وكان هذا أيضاً من أعظم حسناته رضي الله عنه، فإنه رأى أن عمر هو أولى الناس بعده في هذا الأمر، لما عرف من فضل سابقته وعلمه وفضله وقوته في الله عز وجل.

ثم جعل عمر الشورى في الستة كما سيأتي، فأجمع المسلمون بعد ذلك على عثمان، ثم بايع الناس علياً رضي الله عنه، فصارت الخلافة بعده ﷺ ثلاثين سنة.

ثم تولى بعد ذلك معاوية رضي الله عنه بعدما جرت الفتنة الكبيرة

(١) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم (١٢١٠).أهـ ألباني

بعد مقتل عثمان، وما جرى بين علي ومعاوية وأهل الشام والعراق من الفتنة، ثم جمعهم الله على معاوية واستقرت الأمور وهدأت الأحوال من واحد وأربعين إلى عام ستين، ثم توفي معاوية رضي الله عنه وأرضاه في عام ستين، ثم صارت الولاية ليزيد بعد ذلك، وجرى بعد ذلك ما جرى من الفتن.

فالمقصود أن الخلافة النبوية بعد الرسول ﷺ كانت في هؤلاء الأربعة بما جاءت به الأدلة العظيمة الكثيرة، وبما وفق الله له المسلمين من الإجماع على بيعة الصديق ثم عهده لعمر ثم ما حصل من الاتفاق على عثمان ثم البيعة لعلي رضي الله عنه وأرضاه لكونه أفضل الباقين بعد الثلاثة، لفضله وسابقته وقرابته، رضي الله عنهم جميعاً. أهـ.

* * *

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في رؤيا رسول الله ﷺ، ونزعه من القليب، ثم نزع أبي بكر «ثم استحالت الدلو غرباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن»(١).

وفي الصحيحين، من حديث سعد بن أبي وقاص: قال: استأذن عمر ابن الخطاب على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش، يكملنه، عالية أصواتهن - الحديث، وفيه - فقال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب!! والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»(٢).

---

(١) صحيح، وقد مضى. أهـ ألباني

(٢) متفق عليه، ورواه ابن أبي عاصم (١٢٥٤-١٢٦٠). أهـ ألباني

وفي الصحيحين أيضاً، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم»[١].

قال ابن وهب: تفسير محدثون - ملهمون.

قوله: (ثم لعثمان رضي الله عنه).

ش: أي وثبت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنهما، وقد ساق البخاري رحمه الله قصة قتل عمر رضي الله عنه، وأمر الشورى والمبايعة لعثمان، في صحيحه، فأحببت أن أسردها، كما رواها بسنده: عن عمرو ابن ميمون، قال:

رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، فقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمراً هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أرض العراق أرض السواد، لأنها أرض خراجية لولي الأمر، فعمر ضرب عليها خراجاً معيناً يؤدى كل سنة، وكان حذيفة وعثمان هما القائمان بذلك، فخاف أن يكونا حملاها شيئاً زائداً، فأمرهما أن يتحريا ألا يحملاها إلا ما تطيق وأن يفضلا لأهل الأرض ما يكفيهم ويقوم بحالهم بعد الأجرة، والخراج هو الأجرة في بيت المال. أهـ.

* * *

(١) متفق عليه، ورواه ابن أبي عاصم (١٢٦١-١٢٦٢). أهـ ألباني

قالا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه إلا أربعة حتى أصيب، قال:

إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل، أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر، فسمعته يقول: قتلني، أو أكلني الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً وشمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين، طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ، نحر نفسه، وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف، فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد، فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة، قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله! لقد أمرت به معروفاً! الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت؟ أي: إن شئت قتلنا؟ قال: كذبت! بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس عليه، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل

شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كفاف، لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا ابن أخي، «ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك»(١)،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهو في هذه الحالة الشديدة أنكر المنكر، اللهم ارض عنه، في هذه الحالة الشديدة بعد الطعن وما أصابه من المصيبة الكبرى وخطر الموت، لما رأى الشاب يمس ثوبه الأرض قال ردوه علي، فلما ردوه قال: يا ابن أخي: ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، هذا يدل على أن المؤمن ينكر المنكر مطلقاً في أي حال، في حالة مرضه وصحته وسفره وإقامته، في جميع الأحوال، وهذا فرض المؤمنين جميعاً ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة:٧١] وهذا من الدلائل على كمال فضله وعظيم عنايته وغيرته لله رضي الله عنه وأرضاه، وكان رحمة على المسلمين، رحم الله به العباد، ونشر الله به العدل، وأقام به سوق الجهاد، وانتشر به الإسلام في شرق الأرض وغربها، وجاهد المسلمون في الله جهاداً عظيماً كالروم وفارس وغير ذلك في خلافته رضي الله عنه وأرضاه، حتى أظهر الله به الحق وأظهر به العدل، وسار الناس في غاية من الأمن والعافية والاستقامة

(١) ما بين الهلالين المزدوجين حديث مرفوع أخرجه الترمذي في «الشمائل» رقم (٩٧ـ مختصرة) وبعضه في الصحيحة (١٤٤١).أهـ ألباني

ورغد العيش، رحمة الله عليه ورضي عنه وعن أصحابه جميعاً. أهـ.

* * *

يا عبدالله بن عمر، انظر ما علي من الدين؟ فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانون[1] ألفاً أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم، فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرن به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبدالله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، قال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت، قال: الحمد لله، ما كان شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسرن معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلاً لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم

---

(١) الصواب: وثمانين، ابن باز.

عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمارة سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: أي مادام أميراً. أهـ.

* * *

فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء الإسلام، وجباة الأموال، وغيظ العدو، وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم، عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يأخذ من حواشي أموالهم، وأن ترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله، أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس الذين لهم الجزية. أهـ.

* * *

فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبدالله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب؟ قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبدالرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري

إلى عبدالرحمن بن عوف، فقال عبدالرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه؟ والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إلي؟ والله علي أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك، لئن أمرتك لتعدلن؟ ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن؟ ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه[1].

وعن حميد بن عبدالرحمن: أن المسور بن مخرمة أخبره:

أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، قال لهم عبدالرحمن: لست بالذي أنافسكم عن هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم؟ فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمن، فلما ولوا عبدالرحمن أمرهم، فمال الناس على عبدالرحمن، حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبدالرحمن يشاورونه تلك الليالي،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لأنها ثلاثة أيام ولياليها يشاور الناس ويتأمل وينظر، وتعب في هذا رضي الله عنه وأرضاه. أهـ.

* * *

حتى اذا كانت تلك الليلة التي أصبحنا فيها فبايعنا عثمان، قال المسور بن مخرمة: طرقني عبدالرحمن بعد هجع من الليل، فضرب

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٠ـ فتح ـ السلفية). أهـ ألباني

الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائماً؟! فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكبير نوم، انطلق فادع لي الزبير وسعداً، فدعوتهما له، فشاورهما ثم دعاني، فقال: ادع لي علياً، فدعوته، فناجاه حتى ابهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبدالرحمن يخشى من علي شيئاً، ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته، فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبدالرحمن، ثم قال: أما بعد، يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، فقال لعثمان: أبايعك على سنة الله ورسوله ﷺ والخليفتين من بعده، فبايعه عبدالرحمن، وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لا بأس بسنده. أهـ.

* * *

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة: كونه ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، وفي صحيح مسلم، عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيته، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله،

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٠٧).أهـ ألباني

ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الرواية المحفوظة «كاشفاً عن ركبتيه» وقوله عن فخذيه أو ساقيه فهذا شك من الراوي، والصواب ركبتيه، أما ظهور فخذه فهذا في قصة خيبر فقط، وهذه محتملة أن تكون عن غير قصد بسبب حركة الدابة أو أنه منسوخ، والأحاديث الدالة على أن العورة من السرة إلى الركبة يشد بعضها بعضاً. أهـ.

* * *

وفي الصحيح: لما كان يوم بيعة الرضوان، وأن عثمان رضي الله عنه كان قد بعثه النبي ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال: «هذه لعثمان»[٢].

قوله: (ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه).

ش: أي: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما، لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة المقدم ذكره، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»[٣].

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الإرواء تحت الحديث (٢٦٩) من طرق عن عائشة رضي الله عنها، وفي بعضها «كاشفاً عن فخذيه» بدون شك، وله شاهدان خرجتهما هناك، أحدهما عن حفصة، وقد أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٨٤ـ١٢٨٥) من طريقين عنها. أهـ ألباني

(٢) صحيح، رواه البخاري من حديث ابن عمر. أهـ ألباني

(٣) حسن، وقد تقدم. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تقدم «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء» ولا بأس بإسناده. أهـ.

* * *

وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر. وأول ملوك المسلمين معاوية رضي الله عنه، وهو خير ملوك المسلمين، لكنه إنما صار إماماً حقاً لما فوض إليه الحسن بن علي رضي الله عنهم الخلافة، فإن الحسن رضي الله عنه بايعه أهل العراق بعد موت أبيه، ثم بعد ستة أشهر فوض الأمر إلى معاوية، فظهر صدق قول النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1] والقصة معروفة في موضعها.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه تعد من مناقبه عند أهل السنة، وتعد من معايبه عند الرافضة، ولكنها من مناقبه الكريمة وأعماله الجليلة، حيث أصلح الله به بين الفئتين، وحقق به ما قاله النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فوقع ذلك، فإن الناس قد بايعوا الحسن على القتال بعد أبيه، وتجمعت الجيوش ضد الشام، ومعاوية كذلك قد جيش الجيوش ضد العراق، فلولا الله سبحانه ثم هذا الصلح، لكانت ملاحم وفتن لا يعلم مداها إلا الله، ولكن سبق في علم الله أن يسهل هذا الصلح، وأن يقدره

(١) متفق عليه من حديث أبي بكرة. أهـ ألباني

على يد الحسن، فتم ذلك بحمد الله في ربيع الأول من عام إحدى وأربعين من الهجرة، وصار يسمى عام الجماعة، عام إحدى وأربعين من الهجرة يسمى عام الجماعة، لأن الله جمع به شمل المسلمين وكلمتهم على رجل واحد بعد الفتنة العظيمة، بعد مقتل عثمان في آخر عام خمس وثلاثين، وصارت الأعوام الخمسة فيها من القتال والفتن ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، عام ست وثلاثين وسبع وثلاثين وثمان وثلاثين وتسع وثلاثين وأربعين. أهـ.

❊ ❊ ❊

فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام، والحق مع علي رضي الله عنه، فإن عثمان رضي الله عنه لما قتل كثر الكذب والافتراء على عثمان وعلى من كان بالمدينة من أكابر الصحابة كعلي وطلحة والزبير، وعظمت الشبهة عند من لم يعرف الحال، وقويت الشهوة في نفوس ذوي الأهواء والأغراض، ممن بعدت داره من أهل الشام، ويحمي الله عثمان، أن يظن بالأكابر ظنون سوء، ويبلغه عنهم أخبار، منها ما هو كذب، ومنها ما هو محرف، ومنها ما لم يعرف وجهه، وانضم إلى ذلك أهواء أقوام يحبون العلو في الأرض، وكان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله، ورأى طلحة والزبير أنه إن لم ينتصر للشهيد المظلوم، ويقمع أهل الفساد والعدوان، وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه، فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين، ثم جرت

فتنة صفين لرأي، وهو أن أهل الشام لم يعدل عليهم، أو لا يتمكن من العدل عليهم - وهم كافون، حتى يجتمع أمر الأمة، وأنهم يخافون طغيان من في العسكر، كما طغوا على الشهيد المظلوم، وعلي رضي الله عنه هو الخليفة الراشد المهدي الذي تجب طاعته، ويجب أن يكون الناس مجتمعين عليه، فاعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم، بطلب الواجب عليهم، بما اعتقد أنه يحصل به أداء الواجب، ولم يعتقد أن التأليف لهم كتأليف المؤلفة قلوبهم على عهد النبي ﷺ والخليفتين من بعده مما يسوغ، فحمله ما رآه من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة، دون تأليفهم على القتال، وقعد عن القتال أكثر الأكابر، لما سمعوه من النصوص في الأمر بالقعود في الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها، ونقول في الجميع بالحسنى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، لأن الذين ظلموا عثمان وتعدوا عليه قد أساءوا، وأخطأوا والتبس أمرهم، وصار طائفة من الناس يؤيدون من قام لنصر الشهيد والانتقام له ممن ظلمه كأهل الشام، وصار آخرون مع علي رضي الله عنه لأنه واجب الطاعة والخليفة الراشد، وحصل من هذه الشبهة فتن وشرور، مع اختلاط أناس فيهم شر كثير وفساد كبير وانحراف عن سواء السبيل، دخل بعضهم مع هؤلاء وبعضهم مع هؤلاء وصارت الفتنة، والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الصحابة الذين مع علي

والصحابة الذين مع معاوية مجتهدون، فمن كان مع علي وأصحابه فله أجران، لأنهم أصابوا الحق في القيام بجهاد وقتال من بغى، والذين مع معاوية من الصحابة كعمرو بن العاص وغيرهم لهم شبهة الانتصار للمظلوم وقصد طلب القضاء على الظلمة والانتقام منهم والانتصاف منهم، فلهم شبهة بهذا، فلهم أجر اجتهادهم، وإن فاتهم أجر الصواب، وهذه هي القاعدة، فالمجتهدون في طلب الحق بين أمرين:

أحدهم: مصيب فله أجران، أجر الإصابة وأجر الاجتهاد.

والثاني: أخطأ فيفوته أجر الصواب ولكن لا يفوته أجر الاجتهاد.

والواجب كف اللسان عما جرى بين الصحابة، وأن لا يقال فيهم إلا بالحسنى، كما ذكره الشارح وكما هو معلوم عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره، والأصل في هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنْۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات:٩] فعلي قام بهذا عملاً بهذه الآية وما جاء به معناها، وظناً منه أن الأمر ينتهي بسرعة، وأن الفتن يقضى عليها، والآخرون قاموا بالانتصار للمظلوم، وأن المظلوم يجب نصره، وأن ينتقم ممن ظلمه ويقضى على من ظلمه، وظنوا أن الأمر ينتهي بسهولة، وأن أصحاب القتل والظلم يمكن إمساكهم والقضاء عليهم وقتلهم، فلم يتم ذلك، فتطورت الحال لما جرى، ونسأل الله حسن العاقبة، وأن يغفر لأصحاب الرسول ﷺ، ومن له قصد صالح من أتباعهم، وأن يعفو عمن أخطأ. أهـ.

* * *

والفتن التي كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا، فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا، بمنه وكرمه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وفي هذا الباب صح الحديث عن رسول الله ﷺ في الصحيحين: «**تمرق مارقة من أمتي على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[(١)] وهذه المارقة هم الخوارج، مرقوا على حين فرقة فقتلهم علي وأصحابه، فتبين أن علياً وأصحابه هم أولى الطائفتين بالحق وهم المبغي عليهم، وفي حديث الخوارج الحكم على الطائفتين بأنهما مسلمتان «**تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين**»فهم مسلمون، أهل الشام وأهل العراق، اختلفوا بسبب الشبهة التي وقعت في قتلة عثمان، والمارقة هي الخوارج الذين مرقوا وكفروا من عصى بزعمهم، وكفروا جمهور الصحابة الذين حضروا هذا الأمر، وزعموا أنهم في قتالهم فيما بينهم قد خرجوا من الإسلام، وهذا من جهل الخوارج وظلمهم وقلة بصيرتهم وغلوهم في الدين كما قال النبي ﷺ، فإن هؤلاء قال فيهم النبي ﷺ: «**إنه يكون قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه**»[(٢)]. أهـ.

* * *

ومن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما في

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٥) كتاب الزكاة/ باب التحريض على الخوارج، وأبو داود (٤٥٠٢) كتاب السنة/ باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٩٣٠) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ومسلم (٤٥٩٩) كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، وأبو داود (٤٥٩٩) كتاب السنة/ باب في قتال الخوارج، من حديث علي رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٢١٨٨) كتاب الفتن/ باب في صفة المارقة من حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه.

الصحيحين، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»[١].

وقال ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً» فأتي به أرمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه[٢].

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»[٣].

قوله: (وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون).

ش: تقدم الحديث الثابت في السنن، وصححه الترمذي، عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[٤].

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الإرواء (١١٨٨) ورواه ابن أبي عاصم في السنة من طرق (١٣٣١ـ١٣٤٥) عن سعد وعن غيره (١٣٤٦ـ١٣٥١).أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد، ورواه ابن أبي عاصم في السنة عن جمع آخر من الصحابة (١٣٥١و١٣٧٧و١٣٨٠و١٣٨٦و١٣٨٧).أهـ ألباني

(٣) مسلم في صحيحه (٧/ ١٢٠ـ١٢١) من حديث سعد بن أبي وقاص، والترمذي وصححه، وله شاهد عند ابن أبي عاصم (١٣٥١).أهـ ألباني

(٤) صحيح، وتقدم.أهـ ألباني

وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل، كترتيبهم في الخلافة، ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية: أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا في الاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[١] وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم، فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كأن الشارح يرى أن الاقتداء في القول والعمل، وإلا فالأظهر والله أعلم أنه من باب التأكيد على أهمية الصديق وعمر، وإلا فقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» يعم القول والعمل، يعم سنتهما ويعم الاقتداء بهما، فإن سنتهما تتبع القول والعمل، فليس واضحاً ما قاله الشارح. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي، وعلى هذا عامة أهل السنة، وقد تقدم قول عبدالرحمن بن عوف لعلي رضي الله عنهما: إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، وقال أيوب السختياني من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار[٢].

وفي الصحيحين عن ابن عمر، قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حي:

---

(١) صحيح، وتقدم.أهـ ألباني

(٢) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٥٣٤، ورواه الخلال في السنة وعزاه إلى الثوري ٢/ ٣٧٩.

أفضل أمة النبي ﷺ بعده - أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان(١).

قوله: (وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ، وقوله الحق، وهم. أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة ابن الجراح، وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين).

ش: تقدم ذكر بعض فضائل الخلفاء الأربعة، ومن فضائل الستة الباقين من العشرة رضي الله عنهم أجمعين: ما رواه مسلم: عن عائشة رضي الله عنها: أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة» قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال النبي ﷺ: «من هذا»؟ فقال سعد ابن أبي وقاص: يا رسول الله، جئت أحرسك.

وفي لفظ آخر: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام(٢).

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبي وقاص أبويه

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود بسند صحيح عنه، وهو عند البخاري بنحوه، ولم يخرجه مسلم، وأخرجه ابن أبي عاصم من طرقه (١١٩٠-١١٩١) من طرق عن ابن عمر، أحدها عن أبي هريرة، وهي مخرجة في ظلال الجنة (٢/ ٥٦٦-٥٦٩).أهـ ألباني

قال شاكر: هذا الحديث رواه البخاري ١٤ :٧-٢٧ بلفظين آخرين، وهو من أفراده، لم يروه مسلم في صحيحه، كما نص على ذلك الحافظ ٧/ ١٢٣ وأما اللفظ الذي هنا فهو لفظ أبي داود ٤٦٢٨ من رواية سالم عن ابن عمر، ورواه أيضاً بنحوه من غير هذا الوجه: أحمد في المسند ٤٦٢٦ وأبو داود ٤٦٢٧ والترمذي ٤/ ٣٢٢-٣٢٣، فقد تساهل الشارح كثيراً !!.أهـ

(٢) أخرجه مسلم عنه، وكذا ابن أبي عاصم (١٤١١).أهـ ألباني

يوم أحد، فقال: «ارم، فداك أبي وأمي»[١].

وفي صحيح مسلم، عن قيس بن أبي حازم، قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد قد شلت[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يقال سلت، لكن يقول أهل اللغة: الأصلح شلت، يعني تعطلت. أهـ.

* * *

وفيه أيضاً عن أبي عثمان النهدي، قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها النبي ﷺ غير طلحة وسعد[٣].

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم، عن جابر بن عبدالله قال: ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال النبي ﷺ: «لكل نبي حواري، وحواري الزبير»[٤].

وفيهما أيضاً عن الزبير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم»؟ فانطلقت،

فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه، فقال: «فداك أبي وأمي»[٥].

---

(١) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم (١٤٠٥-١٤٠٧).أهـ ألباني

(٢) صحيح، وإنما أخرجه البخاري دون مسلم.أهـ ألباني

قال شاكر: رواه البخاري ٧:٦٦ وقد وهم الشارح في نسبته لمسلم، فإنه من أفراد البخاري، وقد نص الحافظ على ذلك ٧/ ١٢٣ وقوله «يوم أحد» ليس في لفظ البخاري، وذكر الحافظ أنه ثابت في رواية الإسماعيلي، يعني في مستخرجه على البخاري.أهـ

(٣) صحيح، وأخرجه البخاري أيضاً.أهـ ألباني

قال شاكر :صحيح مسلم ٢/ ٢٤٠، ورواه أيضاً البخاري ٧/ ٦٥-٦٦، وسها الحافظ في الفتح ٧/ ١٢٣ فجعله من أفراد البخاري.أهـ

(٤) صحيح، متفق عليه، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٣٨٨-١٣٩٣).أهـ الباني

(٥) صحيح، متفق عليه، ورواه ابن أبي عاصم (١٣٩٠).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه منقبة للزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، يلقب بأسد قريش، وهو ابن عمة رسول الله عليه الصلاة والسلام صفية، ومعنى انتدبه: يعني قال من يذهب إلى هؤلاء فيأتينا بخبرهم؟ خبر قريش، فانتدب الزبير وقال: أنا يا رسول الله، وكان يوماً بارداً شديد البرودة، هذا يدل على شجاعة وإيمان، رضي الله عن الجميع. أهـ.

* * *

وفي صحيح مسلم، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح»[(١)].

وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان، قال. جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: «لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حقَ أمين» قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أباعبيدة بن الجراح[(٢)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، رضي الله عنه وأرضاه. أهـ.

* * *

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه، قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة،

---

(١) صحيح، وأخرجه البخاري أيضاً.أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٢٤١، وكذلك رواه البخاري ٧/ ٧٣.أهـ

(٢) صحيح، متفق عليه.أهـ ألباني

قال شاكر: هذا لفظ مسلم ٢/ ٢٤١، وأما البخاري فرواه موجزاً جداً ٧/ ٧٣.٧٤.أهـ

وطلحة في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة» ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من هو؟ قال: «سعيد بن زيد».

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: النبي في الجنة يعني جنس الأنبياء، ويقصد كل الأنبياء، ليس خاصاً بمحمد ﷺ بل جنس الأنبياء، جميعهم في الجنة عليهم الصلاة والسلام، فهو لم يقل أنا.

فهم عشرة غير النبي، الخلفاء الأربعة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد ابن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأبو عبيدة. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ، يغبر منه وجهه، خير من عمل أحدكم، ولو عمر عمر نوح[1].

رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي وصححه[2]، ورواه الترمذي عن عبدالرحمن بن عوف.

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن ابن عوف في الجنة [وسعد في الجنة][3] وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة،

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الروض النضير (٤٢٥) ورواه ابن أبي عاصم (**١٤٣٥**).أهـ ألباني
قال شاكر: هذا لفظ روايتي أبي داود ٥/ ٣٩-٤٠.أهـ

(٢) قال شاكر: جمع المؤلف لفظه من روايتين لأبي داود ٤٦٤٩-٤٦٥٠، ورواه **أحمد في** المسند نحوه مطولاً ١٦٢٩.أهـ

(٣) قال شاكر: ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتناه من المسند ١/ ١٩٣ **والترمذي رقم** (٣٧٤٧).أهـ

وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[١] رواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة، وقدم فيه عثمان على علي، رضي الله عنهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[٢] رواه مسلم والترمذي وغيرهما، وروي من طرق.

وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم، ومن أجهل ممن يكره التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشر!! لكونهم يبغضون خيار الصحابة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهم الرافضة قبحهم الله، يكرهون العشرة. أهـ.

* * *

وهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم يستثنون منهم علياً رضي الله عنه! فمن العجب: أنهم يوالون لفظ التسعة! وهم يبغضون التسعة من العشرة! ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار، من السابقين الأولين، الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقد رضي الله عنهم، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

(١) صحيح. أهـ ألباني

قال شاكر: المسند: ١٦٧٥، والترمذي ٤/ ٣٣٤. أهـ

(٢) صحيح، وأخرجه أحمد أيضاً (٢/ ٤١٩) وابن أبي عاصم (١٤٢٥-١٤٢٧-١٤٣٩-١٤٤٣-١٤٤٥-١٤٤٧). أهـ ألباني

ٱلشَّجَرَةِ ﴾[١] وثبت في صحيح مسلم، عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ويشبه عمل الرافضة ما يقع عند بعض الجهلة في غامد وزهران، كان عندهم عادة سيئة وهي الخوف من السبعة، سبع شياطين معروفة عندهم، وكانوا يقولون دائماً: خذوه يا سبعة، اقتلوه يا سبعة، افعلوا به يا سبعة، هذا في كلام كثير من سفهائهم وجهلتهم، وإذا أخذوا يعدون الحساب لا يقولون سبعة، وإنما يقولون سمحة، سمحة ثمانية، لا يحبون أن ينطقوا سبعة لأنهم يخافون من شياطينهم، وهذا من الجهل الذي وقع فيه بعض الناس في هذا العصر، يقولون واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سمحة ثمانية، لا يذكرون اسم سبعة، ويقولون إذا غضبوا: خذوه يا سبعة، افعلوا به يا سبعة، اقضوا عليه، اقتلوه، وهذا من جهلهم وضلالهم، ودعوة السبعة من الشرك الأكبر.

وقد كتبنا في هذا كتاباً قديماً ووزع، ووجهناها إلى جهة غامد وزهران في هذه المسألة، ولا يزال في بقية منهم هذا الشيء كما أخبرنا جماعة منهم، ولا شك أن هذا شرك أكبر يجب التوبة منه.

وهم لو قالوا: أخذك السبعة أو قتلك السبعة لكان أسهل من قولهم خذوه،

---

(١) قال شاكر: الفتح: ١٨. أهـ

(٢) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم (٨٦٠-٨٦١) أيضاً، وهو مخرج في الصحيحة (٢١٦٠). أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٢٦٣، ولكنه ليس من حديث جابر، بل من روايته عن أم مبشر، ولفظه «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها». أهـ

فخذوه وافعلوا به هذا دعوة لهم ونداء، يدعونهم لأن يفعلوه، أما الدعاء بأن يأخذوه، أخذك السبعة أو قتلك الشيطان، مثل ما يقوله الناس، قاتلك العدو، قاتلك الشيطان، قاتلك الله، من باب الدعاء ومن باب السب. أهـ.

* * *

وفي صحيح مسلم أيضاً، عن جابر: [أن غلام حاطب بن أبي بلتعة](١) قال يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية»(٢).

والرافضة يتبرؤون من جمهور هؤلاء، بل يتبرؤون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ، إلا من نفر قليل، نحو بضعة عشر نفراً!! ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس، لم يهجر هذا الاسم لذلك، كما أنه سبحانه لما قال: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ لم يجب هجر اسم التسعة مطلقاً.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: بل لا يشرع، حتى من جهة الشرع لا يجوز هجره لهذا الشيء. أهـ.

* * *

بل اسم العشرة قد مدح الله مسماه في مواضع من القرآن: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١

(١) في نسخة: «أن غلاماً لحاطب قال...».

(٢) صحيح. أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٢٦٣ وقد صححنا لفظه منه. أهـ

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان[١]، وقال في ليلة القدر: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان»[٢] وقال: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من أيام العشر» يعني عشر ذي الحجة[٣].

والرافضة توالى بدل العشرة المبشرين بالجنة، إثني عشر إماماً، أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويدعون أنه وصي النبي ﷺ، دعوى مجردة عن الدليل، ثم الحسن رضي الله عنه، ثم الحسين رضي الله عنه، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضى، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الأخير هو صاحب السرداب، يقولون دخل السرداب وهو ابن خمس سنين أو ست سنين ولم يخرج إلى الآن.

وقد ادعى الخميني، الرافضي الخبيث، أنه نائب لمحمد بن الحسن العسكري، وأنه يدعو إلى أهل البيت وإلى تعظيم الاثني عشر، ويقول: إنهم يعلمون الغيب وإنهم معصومون، فيعبدونهم مع الله، نسأل الله

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر.أهـ ألباني

(٢) البخاري من حديث ابن عباس، وصححه الترمذي.أهـ ألباني

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر ونحوه، والبخاري وغيره من حديث ابن عباس بلفظه المذكور أعلاه، ومسلم وغيره من حديث أبي سعيد، وهي مخرجة في الصحيحة (١٤٧١) وصحيح أبي داود (١٢٥٠-١٢٥٢).أهـ ألباني

العافية، تباً لهم ما أسفه عقولهم وما أضلهم وما أجهلهم.

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن هذه المقالات من رؤسائهم تلبيس، وإلا فهم على مجوسيتهم وكفرهم وضلالهم الخبيث، وهم يلبسون على الناس بحب أهل البيت، وأما العامة فهم أشباه الأنعام لا يعرفون شيئاً، وليس بقليل كذبهم. أهـ.

* * *

ويغالون في محبتهم، ويتجاوزون الحد!! ولم يأت ذكر الأئمة الاثني عشر، إلا على صفة ترد قولهم وتبطله، وهو ما خرجاه في الصحيحين، عن جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعته يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً» ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي، فسألت أبي: ماذا قال النبي ﷺ؟ قال: «كلهم من قريش»[١] وفي لفظ: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»[٢] وفي لفظ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، وكان الأمر كما قال النبي ﷺ.

والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبدالعزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الواقع، فإن

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الصحيحة (٣٧٦و٩٦٤) ورواه ابن أبي عاصم أيضاً (١١٢٢.١١٢٣).أهـ ألباني

(٢) صحيح، أخرجه مسلم أيضاً.أهـ ألباني

قال شاكر: الروايتان في صحيح مسلم ٢/ ٧٩ـ٨٠.أهـ

الإسلام عزيز في زمن هؤلاء، الأربعة الخلفاء، ثم معاوية رضي الله عنه، ثم يزيد مدة قليلة، ثم تولى بعده عبدالملك وأولاده الأربعة من بعده، هؤلاء إحدى عشر، وبينهم عمر بن عبدالعزيز، هؤلاء اثنا عشر.

ثم جاءت الطامة والبلايا والمحن بعدما تولي الوليد بن يزيد الفاسق، وقامت الفتن على بني أمية والشرور، حتى سلبوا الملك وتولى بعدهم بنو العباس، وصارت فتن طويلة عريضة في آخر بني أمية وفي أول خلافة بني العباس، ثم استقر الأمر لبني العباس، واختل النظام وذهبت قطعة من الملك لما تولاها بنو أمية في المغرب في الأندلس.

فالمقصود أن هذا الحديث من علامات النبوة، والرافضة تتأول هذا الحديث لها، وهو حجة عليها لا لها، فإن هؤلاء الذين قالوا ما تولوا شيئاً سوى علي فقط، تولى مدة يسيرة مع خلاف بينه وبين أهل الشام، ولم تستقر له الأمور، والحسن ما تولى إلا مدة يسيرة، ستة أشهر تقريباً ثم تنازل لمعاوية، أما الباقون كلهم ما تولوا شيئاً، ولم يكن لهم ولاية ولا قسر لأهل الإسلام بالسيف، بل ما بين عالم وبين عابد وبين من لم تعرف لهم أعمال لها أهمية، ولكن الرافضة قوم بهت وقوم شر وقوم فساد. أهـ.

* * *

وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسداً منغصاً، يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذل من اليهود!!

وقولهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزاً في ازدياد في أيام هؤلاء الاثني عشر.

قوله: (ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه

الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برىء من النفاق).

ش: تقدم بعض ما ورد في الكتاب والسنة من فضائل الصحابة رضي الله عنهم، وفي صحيح مسلم، عن زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً، بماء يدعى: خماً، بين مكة والمدينة، فقال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي، فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثاً[(١)].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا فعله ﷺ منصرفه من حجة الوداع، لما رجع من حجة الوداع في آخر ذي الحجة عام عشر من الهجرة، خطب الناس في موضع يقال له خم، قريب من رابغ، فذكرهم وحثهم على تقوى الله جل وعلا، وأخبرهم أنه بشر مثل بقية الرسل، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، يعني يوشك أن يأتي ملك الموت، فيجيب إلى ذلك وينتهي الأمر، ثم قال: «إني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي» يعني تارك فيكم الثقل الثاني أهل بيتي، «أذكركم الله في أهل بيتي» يعني في الإحسان إليهم والرفق بهم ومعرفة منزلتهم وعدم إيذائهم، ومنهم فاطمة ومنهم علي رضي الله عنهم ومنهم أولاد علي وأولاد عباس وأولاد عقيل بن

---

(١) صحيح، ورواه ابن أبي عاصم أيضاً في السنة (١٥٥٠-١٥٥١-١٥٥٥).أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٢٣٧-٢٣٨ في حديث طويل.أهـ

أبي طالب وأولاد جعفر بن أبي طالب وغيرهم من بني هاشم، ومنهم أزواج النبي ﷺ رضي الله عنهن وأرضاهن، فأوصى بالجميع خيراً.

وقد امتثل الصحابة ومن بعدهم ذلك، فاعتنى بهم الصديق واعتنى بهم عمر واعتنى بهم عثمان وعلي ومن بعدهم رضي الله عنهم جميعاً، والمقصود من هذا كله أن أصحاب النبي ﷺ وأزواجه وأهل بيته يجب على ولاة الأمور أن يعتنوا بهم ويحسنوا إليهم، وأن يمنعوا من تكلم فيهم بسوء أو آذاهم أو قدح فيهم، لأن ولاة الأمور هم النواب بعده ﷺ في إلزام الناس بالحق وزجرهم عن الباطل والأخذ على أيدي السفيه، ومن ذلك إلزام الناس بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، والسير عليهما والاستضاءة بنورهما والحذر مما خالفهما، ثم العناية بأصحاب النبي ﷺ والترضي عنهم والكف عن مساويهم وعن أزواج النبي ﷺ وأهل بيته، كل هذا مما يجب على ولاة الأمور من الأمراء والعلماء وأعيان الناس أن يكونوا شيئاً واحداً في هذا الباب ضد أهل الباطل وضد أهل الشر. أهـ.

* * *

وخرج البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: ارقبوا محمداً في أهل بيته. (١)

وإنما قال الشيخ رحمه الله: «فقد بريء من النفاق» لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، والقدح في الرسول ﷺ، كما ذكر ذلك العلماء، فإن عبدالله بن سبأ لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر

---

(١) صحيح البخاري (٣٧١٣و٣٧٥١).أهـ ألباني

قال شاكر: رواه البخاري عن أبي بكر في موضعين: ٧/ ٦٣ـ٧٥ من فتح الباري.أهـ

التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم علي الكوفة أظهر الغلو في علي والنصر له، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علياً، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس، وخبره معروف في التاريخ، وتقدم أن من فضله على أبي بكر وعمر جلده جلد المفتري.

وبقيت في نفوس المبطلين خمائر بدعة الخوارج، من الحروريه والشيعة، ولهذا كان الرفض باب الزندقة، كما حكاه القاضي أبو بكر بن الطيب عن الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام.

قال: فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهة ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسين، والتبري من تيم وعدي، وبني أمية وبني العباس، وقل بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب! يفوض إليه خلق العالم!! وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم، فاذا أنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً، أوقفته على مثالب علي وولده، رضي الله عنهم، انتهى.

ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ، إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء عند الفاعلين الضالين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك أن الرافضة شرهم عظيم، وهم الباطنية وأشباههم، لأنهم دخلوا من هذا الباب فسبوا أصحاب النبي ﷺ، ثم تطرقوا إلى أهل البيت وذكر مثالبهم شاءوا أم أبوا، فهم شر عظيم على المسلمين وفتنتهم عظيمة.

وعبد الله بن سبأ ذكر الذهبي أنه ممن حرق بالنار، لكن المشهور أنه هرب ولم يكن مع المحرقين، وظاهر كلام الذهبي أنه ممن حرقه علي وأن أمره انتهى، ولكن بعضهم ذكر أنه سلم. أهـ.

* * *

قوله: (وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين -أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر - لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

ش: قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ فيجب على كل مسلم بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أنه كما يجب حب الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وتوليهم و محبة أهل البيت وموالاتهم، كذلك علماء المسلمين بعدهم من أهل السنة والجماعة، فإن الواجب حبهم في الله وموالاتهم والذب عنهم وبغض من عاداهم في الله، لأن الله قال: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة:٧١] فالمؤمنون سلفاً وخلفاً أولياء فيما بينهم، فعلى متأخرهم أن يحب متقدمهم، وأن يواليهم في الله سبحانه وتعالى كما يحب المؤمنين في زمانه، ومن عرفهم من أهل الإيمان يحبهم في الله ويواليهم في الله ويبغض أعداء الله ويعاديهم قديماً وحديثاً، حتى لا

يكون في قلبه مودة لأعداء الله، ولا يكون في قلبه بغض لأولياء الله. أهـ.

* * *

وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها، إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول من أمته، والمحيون لما مات من سنته، فبهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلاف؛ فلابد له في تركه من عذر، وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أنهم بين ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إما أن الخبر لم يبلغهم فجهلوه، أو بلغهم من وجه غير صحيح.

الأمر الثاني: أن بعضهم قد لا يفهم أن هذه المسألة غير دالة على هذه الجزئية المعينة، وأن لديه أدلة أخرى تخرج هذه المسألة عن داخل النص.

والأمر الثالث: أن يظن أو يعتقد أنه منسوخ، وأن ما دل عليه النص قد جاء ما ينسخه.

وقد بسط القول في هذا: أبو العباس بن تيمية رحمه الله، بسط هذه

الأعذار ونوع في المسألة، وبين ما للسلف في ذلك في كتابه: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وبين أعذار العلماء فيما قد يغلط فيه بعضهم، وأن كل عالم يفوته شيء ويخفى عليه شيء، وليس كل عالم يحصي ما جاءت به السنة وماجاء به الكتاب من المعنى، بل يفوته بعض الشيء، وهكذا قد يغلط في الفهم ويعتقد أن بعض الأحكام منسوخة وليست بمنسوخة، فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فـ رضي الله عنهم وأرضاهم. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله: **(ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء).**

ش: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الاتحادية وجهلة المتصوفة، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم ومتابعة الشرع، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال أبو عثمان النيسابوري: من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق

بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة(١).

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه.

والأمر كما قال، فإنه إذا لم يكن متبعاً للأمر الذي جاء به الرسول، كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعاً لهواه، بغير هدى من الله، وهذا غش النفس، وهو من الكبر، فإنه شبيه بقول الذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر:٥٦] يعني يحملهم ما في نفوسهم من التعاظم والكبرياء على أن يخالفوا الحق، ويرون أنهم أولى أن يتبع هواهم دون هذا الحق الذي بانت نفوسهم عنه وآثروا عليه هواهم وبغيهم. أهـ.

* * *

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم! ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!! ومنهم من يقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!! ويدعي لنفسه أنه خاتم

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ١٠/ ٢٤٤، والذهبي في تاريخ الإسلام ١/ ٢٢٦٠، والأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٥٧ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٥٥)﴾.

الأولياء!! ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله!!

وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره - قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم! وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

مقــــام النبـــــوة في بــــــرزخ   فويـق الرسـول ودون الـولي!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا جهل من جهتين:

أولاً: جعل النبوة فوق الرسالة، والرسل هم الأخص وهم خواص الأنبياء، هم الأفضل.

وثانيا: كون النبوة دون الولاية، وهذا أيضاً غلط قبيح، فإن الرسل هم أفضل الناس، ثم الأنبياء، ثم أولياء الله المؤمنون، فالرسل هم خواص الأنبياء ومقدمهم، ثم بعد ذلك عموم الأنبياء الذين يوحى إليهم، ثم بعد ذلك أولياء الله المؤمنون من العلماء والأخيار، فابن عربي جاهل خبيث، جعل المرتبة بالعكس، وأملى إليه شيطانه وهواه هذه المقالات الشنيعة.

مقــــام النبـــــوة في بــــــرزخ   فويـق الرسـول ودون الـولي!

جعل الأنبياء فوق الرسل وعكس القضية التي عليها أهل العلم، ثم جعل الولاية فوق الجميع. أهـ.

* * *

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك.

وقال ابن عربي أيضاً في فصوصه:

ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلا موضع لبنة، فكان هو ﷺ موضع اللبنة، غير أنه ﷺ لا يراها، كما قال: لبنة واحدة، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤية، فيرى ما مثله النبي ﷺ، ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين!! ويرى نفسه تنطبع في موضع اللبنتين، فتكمل الحائط!! والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين: أن الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبنة الفضة هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في الشرع ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كل كلامه هذا سفسطة لا وجه لها، فالحائط ليس فيه إلا موضع لبنة كما قال النبي ﷺ، وليس فيه ذهب ولا فضة، وإنما ضرب المثل بقصر كامل، سواء كان من حجر أو من إسمنت أو من لبن أو من أي شيء، قصر كامل لم يبق فيه إلا موضع لبنة، وكان ﷺ هو موضع اللبنة، فإن الله كمّل به الرسل وختم به الأنبياء عليه الصلاة والسلام، فلم يبق بعده شيء، فهذه السفسطة التي قالها ابن عربي لا وجه لها، وإنما هي في الحقيقة هوس في العقول

وفساد في الرأي وتلبيس على الناس لا حقيقة له، بل هو أشبه بكلام المجانين والذين ذهبت عقولهم بالسكر ونحوه. أهـ.

* * *

فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى إليه إلى الرسول ﷺ،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني يأخذ عن الله ولا يحتاج إلى واسطة الرسل. أهـ.

* * *

قال: فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع! فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسل المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسل؟!

تلك أمانيهم: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟

وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى منه الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى نقد جيد، ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير.

وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين، لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ﷺ ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم، فلو أنه

ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجرى عليه حكم المرتد.

ولكن في قبول توبته خلاف، والصحيح عدم قبولها، وهي رواية معلى عن أبي حنيفة رضي الله عنه، والله المستعان.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني إذا عثرنا عليه وعرفنا زيفه ونفاقه وزندقته لا تقبل توبته بل يقتل، لأن شره خفي، فوجب إعدامه حتى يسلم الناس من شره، أما إذا جاءنا تائباً نادماً قبل أن نعرف حاله وترك ما هو عليه، فهذا القول الأرجح في قبول توبته، كما قال السفاريني في قصيدته المعروفة.

فالمقصود أن الزنادقة هم أهل النفاق في العهد الأول، فإذا ظهر نفاقهم وعنادهم وخبثهم وجب قتلهم حتى يستراح من شرهم، أما إذا جاء تائباً نادماً قبل أن نعرف حاله وقبل أن نفتش عنه وقبل أن يظهر ما ظهر منه من الزندقة، فهذا حينئذ مثل ما يقبل الكفار الآخرون. أهـ.

* * *

قوله: (ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم).

ش: فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعها: الأمر الخارق للعادة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى أنها معجزات كلها، الكرامة والمعجزة كلاهما خارق للعادة، لتأييد الحق،

يؤيد الله به الحق، فما يقع للمؤمنين من الكرامات الخارقة للعادة هي في الحقيقة تأييد للأنبياء المتبوعين الذين تبعهم هؤلاء المؤمنون، لأن الله أيد بهذه الكرامة الحق الذي عليه المؤمن، كما أيد بالمعجزات ـ التي تختص باسم المعجزات ـ الرسل الذين بعثهم الله بدعوة الخلق إلى الحق وهدايتهم إلى سبيل السعادة والرشاد، فالله جل وعلا يخرق لهم العادات لتأييدهم وبيان أنهم على الحق والصواب، فإن المعجزة مع التحدي وإقامة الحجة على أولئك المعاندين تكون وافية في المقصود، لأنه ادعى شيئاً وأقام عليه الحجة بما يخرق العادة، وأيده الله على ذلك بفضله سبحانه وتعالى، وصار ذلك من أسباب إقامة البرهان وقطع المعاذير على أولئك الذين أرسلت إليهم الرسل، كالقرآن الكريم معجزة مستمرة إلى آخر الدهر، وكما أيد الله صالحاً بالناقة، وأيد موسى بالآيات الكثيرات، وأيد عيسى كذلك، وهكذا الرسل تؤيد بالبراهين والدلائل التي تقيم الحجة على المدعوين وتقطع المعذرة، وتجعلهم في الحقيقة غير معذورين، بل مستحقون للعذاب الذي وعد الله به من خالف الرسول. أهـ.

* * *

فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبي ﷺ أن يتبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ وكذلك قال نوح عليه السلام، فهذا أول أولي العزم، وأول رسول بعثه الله إلى أهل

الأرض، وهذا خاتم الرسل، وخاتم أولي العزم، وكلاهما تبرأ من ذلك، وهذا لأنهم يطالبونهم تارة بعلم الغيب، كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ وتارة بالتأثير، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الآيات، وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ الآية، فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويستغني عما أغناه عنه، ويقدر على ما أقدر عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة أغلب الناس، فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواع.

ثم الخارق: إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح، كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه، كان سبباً للعذاب أو البغض، كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها: بلعام بن باعورا، لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أو غلبة حال، أو عجز أو ضرورة.

فالخارق ثلاثة أنواع: محمود في الدين، ومذموم، ومباح.

فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها.

قال أبو علي الجوزجاني: كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو المقصود من إيجاد الخلق، أن يستقيموا على طاعة الله، أما الكرامة فلها أسباب، فلا ينبغي للعاقل أن تكون الكرامة هماً له ومقصداً له، بل يجب أن يكون قصده وجه الله والدار الآخرة واتباع ما جاءت به الرسل حتى يستقيم على هذه الحال، فإذا بلي يسر الله من الآيات والدلائل والخوارق والكرمات ما يغنيه وما يؤيده وينصر به الحق، فالمقصود من خلقه وإيجاده أن يكون عبداً لله وأن يكون مطيعاً لله وأن يكون واقفاً عند حدود الله، سواء أعطي كرامة أو لم يعط كرامة، ولهذا مضى أغلب الصحابة وأكثرهم، بل كلهم إلا قليل ولم يجر على أيديهم كرامات، لأن إيمانهم الكامل أغناهم عن ذلك، فقد أغناهم الله بإيمانهم الصادق وسيرتهم وعلمهم وما فتح الله عليهم من المعارف عن أن يحتاجوا إلى الكرامات، وجرى لبعضهم ما جرى إقامة للحق وتأييداً للحق وإظهاراً لفضلهم وعلو منزلتهم عند الله عز وجل، كما جرى لأسيد بن الحضير لما كان يقرأ القرآن وتنزلت له الملائكة[١]، وكما جرى لعباد بن بشر وأسيد أيضاً لما خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فأضاءت عصا لهما حتى وصلا إلى بيوتهما[٢]. أهـ.

* * *

قال الشيخ السهروردي في عوارفه: وهذا أصل كبير في الباب،

---

(١) رواه البخاري (٥٠١٨) كتاب فضائل القرآن/ باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، واللالكائي (٥١) ٩/ ١٠٤.

(٢) رواه البخاري (٣٨٠٥) كتاب مناقب الأنصار/ باب منقبة أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما، من حديث أنس رضي الله عنه، ورواه اللالكائي (٤٦) ٩/ ١٠٢ سياق ما شوهد في أيام النبي ﷺ من أصحابه من كرامات.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني هذا أصل كبير في أنه ينبغي للمؤمن أن يحرص على الاستقامة لا على طلب الكرامة، فإن الكرامة إنما تحصل في الغالب لإظهار فضل الشخص أو لتأييد ما هو عليه من الحق، فالصحابة لما كانوا غير محتاجين لهذا الشيء، وعندهم من الإيمان والبصيرة والعلم ما يغنيهم قلّت هذه في عصرهم في حقهم، وقد تحصل لمن دونهم بمراتب لئلا تزل قدمه، وحتى يتبصر وحتى يثبت على الحق.

فينبغي لك أن لا تكون متشوفاً لهذا الشيء، وأن تستغني بما أعطاك الله من العلم والبصيرة عن هذه الأمور، فإن المعول أن تكون على الطريق، فلو وقعت لك كرامة وخارق وأنت لست على الطريق فأنت متهم، قد تكون بلاءً عليك، قد تكون مما أوقعه الشيطان وزينه الشيطان فتغتر بذلك. أهـ.

* * *

فإن كثيراً من المجتهدين المتعبدين سمعوا بالسلف الصالحين المتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئاً منه، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب، متهماً لنفسه في صحة عمله، حيث لم يحصل له خارق، ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقيناً، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة.

ولا ريب أن للقلوب من التأثير أعظم مما للأبدان، لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحاً، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسداً، فالأحوال يكون تأثيرها محبوباً لله تعالى تارة، ومكروهاً لله أخرى.

وقد تكلم الفقهاء في وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني بأحوال العارفين التي تقع لهم، والمعنى أنه قد يؤثر في غيره شيئاً يسبب هلاكه، فهل يقاد به وهو ليس باختياره؟ بل قد يقع ذلك بغير اختياره مثل النظرة في العين، قد تقع بغير اختيار العائن وليس بقصد منه، وإنما نفسه تتوق لشيء فيؤثر ذلك في المعين.

فهكذا أحوال العارفين، قد يحصل منهم أشياء من نظرات أو كلمات تؤثر في الآخر بحسب ما عنّ لهم من أحوال أو كرامات ظنوها كرامات، ثم تأثر غيرهم بذلك كما يتأثر المعين بالعين، هذا عند أهل التصوف، وهل يقاد به أم لا، لأنه لا يسمى مختاراً ولا قاصداً؟

والصواب عند أهل العلم في هذا التفصيل: فإن قصد العائن أو صاحب الحال بعمله قتل الآخر قيد به، إذا عرف منه ذلك أو أقر بذلك، وإن قال إنه إنما وقع منه بغير قصد، ولم يوجد ما يدل على أنه قصد هذا الشيء فإنه لا يقاد به، ولكن يكون من باب قتل الخطأ، وتلزمه الدية والكفارة إذا عرف أنه بأسبابه، وإذا قصد أثم.

القاعدة أن الكرامة هي الشيء الذي يقع من عند الله ليس للعبد فيها صنع، ويكون موافقاً للشرع لا مخالفاً للشرع، فأما الأشياء التي تقع مخالفة للشرع، كالذي يقول إنه وقف مع أهل عرفات وهو لم يحرم ولم يطف ولم يسع، فهذا ليس من الشرع، هذا من أعمال الشياطين، فإذا

ادعى هذا فالشياطين قد تحمله، تحمله الشياطين من بلاد إلى بلاد ثم تعيده، كما وقع لكثير من الناس. أهـ.

❊ ❊ ❊

وهؤلاء يُشهِدون بواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني، ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله تعالى لم يكرم عبداً بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه.

وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٣] هذه صفتهم ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤] **«إن آل أبي ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين»**[1] وفي اللفظ الآخر قال: **«إنما أوليائي المتقون»**[2]. أهـ.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٥٩٩٠) كتاب الأدب/ باب تبل الرحم ببلالها، ومسلم (٢١٥) كتاب الإيمان/ باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه (٢١٢) قال الشيخ الألباني: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات، ورواه كذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الألباني رحمه الله: إسناده حسن ١/ ٣ (٢١٣).

وأما ما يبتلي الله به عبده، من السر[(١)] بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوه، وشقي بها قوم إذا عصوه، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ ولهذا كان الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام:

قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة.

وقسم يتعرضون بها لعذاب الله.

وقسم يكون في حقهم بمنزلة المباحات، كما تقدم.

وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله، وكلمات الله نوعان: كونية، ودينية:

فكلماته الكونية هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»[(٢)] قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ والكون كله داخل تحت هذه الكلمات، وسائر الخوارق.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وإنما قال في هذا الحديث أنهن كلماته الكونية لأنه قال: «**التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر**» هذا الوصف إنما ينطبق على الكلمات الكونية، فإنه إذا أراد شيئاً سبحانه

---

(١) الصواب: السراء، لأنه جاء ضدها الضراء، ابن باز.

(٢) صحيح، وتقدم غير مرة.أهـ ألباني

وتعالى لم يرده راد، بخلاف الكلمات الشرعية كالقرآن والعبادات الشرعية التي شرعها الله، فهذه قد يجاوزها الفاجر كما هو الوقع، فقد يؤمر ويخالف، فأكثر الخلق خالفوا الكلمات الشرعية، وخالفوا ما في القرآن، ولهذا نبه على هذا بقوله «**التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر**» هذا التنبيه من حديث النبي ﷺ يبين أن المراد بها الكلمات الكونية. أهـ.

سؤال / **التفريق بين المعجزة والكرامات؟**

أجاب سماحته/ الأصل فيها أنها واحد، الكرامة والمعجزة هي الخارق للعادة، فإذا كان من باب التحدي كما جاءت به الرسل، فهذه يقال لها معجزات في الاصطلاح، وتسمى كرامات في المعنى أيضاً، وإن كانت على يد المؤمنين وليسوا ممن ادعى الرسالة بل هم من أتباع الرسل، فهذه أخص باسم الكرامة، وهي معجزة أيضاً للنبي الذي جاء بما عليه هذا المؤمن، فإن كانت ليست مع الأنبياء ولا مع المؤمنين فهي من الشعاوذ التي يأتي بها الشياطين، وإن سميت خارقاً، لكنها في الحقيقة شعوذة من الشيطان وتزيين من الشيطان وتلبيس، حتى يظن الناس أن هذا مؤمن أو أن هذا نبي وليس كذلك، ولهذا قال العلماء ـ كما تقدم ـ: الميزان التزامه بالشرع، من كان ملتزماً بالشرع مستقيماً عليه ظاهراً وباطناً، فما وقع له من الخوارق فهو كرامة، وإن كان غير ملتزم فإنه مما تأتي به الشياطين من الخوارق لأربابها، للتلبيس على الناس، أو لقضاء حوائج أوليائهم من الإنس، كما قد يفعل السحرة والكهان والمنجمون، تلبيساً من الشيطان وتغريراً بهؤلاء. أهـ.

* * *

والنوع الثاني: الكلمات الدينية، وهي القرآن و شرع الله الذي بعث به

رسوله، وهي أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها العلم بها، والعمل، والأمر بما أمر الله به، كما أن حظ العباد عموماً وخصوصاً العلم بالكونيات والتأثير فيها، أي بموجبها.

فالأولى تدبيرية كونية، والثانية شرعية دينية.

فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية.

وقدرة الأولى التأثير في الكونيات، إما في نفسه كمشيه على الماء، وطيرانه في الهواء، وجلوسه في النار، وإما في غيره، بإصحاح وإهلاك، وإغناء وإفقار.

وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات، إما في نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطناً وظاهراً، وإما في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع في ذلك طاعة شرعية.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الكلمات نوعان: كلمات كونية قدرية مقتضاها تنفيذ ما قضاه الله وقدره في العباد، كما قال جل وعلا ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢] ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القمر:٥٠] فكلماته الكونية نافذة لا راد لها في جميع الخلق من مكلفين وغير مكلفين، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وحظ العبد من ذلك أن يؤمن بهذا الشيء ويصبر ويتحمل، وإذا أصابه ما يكره قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا حظه منها، أن يؤمن بذلك وأنها حق، وأن قدر الله نافذ، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما يخرق الله

من العادات للناس من أنبياء أومؤمنين هذا له فيه الحكمة البالغة، فهو يخرق العادات للرسل والأنبياء لتأييدهم وبيان صدقهم وأنه من عند الله، ويخرق العادات للأولياء للمؤمنين إكراماً لهم وتأييداً للحق الذي هم عليه، وإقامة للحجة على أعدائهم وخصومهم، وسداً لحاجتهم عند الحاجة، فقد يحتاج إلى الماء في مكان لا ماء فيه، فيخرق الله له العادة بأن يوجد له ماءً من غير سبب يعلمه الشخص، فيجد ماءً مهيئاً له في إناء في الصحراء فيشرب، أو ينزل المطر عليه حالاً بقدر حاجته فضلاً منه وإحساناً.

وقد يفعل هذا بغير المؤمنين، قد يخرق العادة لغير المؤمنين رحمة منه لعبادة، قد يكونون كفاراً في مهلكة مرماء، فينزل الله عليهم المطر حتى يعيشوا، لأن آجالهم حتى الآن لم تحضر، فينزل الله المطر، وهم أعداؤه، أو البهائم ينزل الله المطر لأنها لم يقدر موتها، بقي عليها أجل، فينزل الله لها المطر فتعيش، وقد يجعل ذلك خارقاً لأوليائه وأهل طاعته إكراماً لهم وتأييداً لهم، وقد يكون ذلك لإقامة الحجة على الأعداء والخصوم، بأن يعطيهم الله شيئاً من الكرامات، ليعلم الخصوم فضلهم وأنهم على حق، كما جرى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكما جرى لكثير من المؤمنين الذين احتاجوا إلى ذلك، فجعل الله لهم كرامات تؤيد ما هم عليه من الإيمان، وكما جرى لأهل الكهف، وكما جري لأسيد بن الحضير ولعباد بن بشر ولغيرهما من الكرامات، وكما جرى للرسل عليهم الصلاة والسلام، كل هذا تبع الكلمات الكونية.

أما الكلمات الشرعية: فهي مثل القرآن ومثل التوراة ومثل الإنجيل، ومثل أوامر الله للرسل، افعلوا كذا واتركوا كذا وأمروا الناس بكذا، هذه كلمات شرعية، فقد يوفق العبد فيمتثل ويكون ذلك من سعادته، وقد لا

يوفق فلا يمتثل فيكون عاصياً.

فكلمات الله الشرعية قد تطاع وقد لا تطاع من الناس، قد يطيعها بعض الناس وقد لا يطيعها بعض الناس، فإن الناس مأمورون بأن يوحدوا الله ويعبدوه ويصلوا ويصوموا، وقد أطاع هذا الأمر بعض الناس وهم القليل، وعصاه الأكثرون ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣] ولكن كلمات الله الكونية لا يعصيها أحد ولا يستطيع أن يخالفها أحد، فما قدره الله وما شاءه الله في الناس وفي العالم أمر كائن لا يستطيع أحد رده، فما قدره الله من موت لابد أن يكون الموت، بالفقر لابد أن يكون، بالغنى لابد أن يكون، بالحرب لابد أن يكون، وهكذا، ما قضاه الله وقدره في سابق علمه ومضى به أمره الكوني فهو واقع.

ولهذا قال العلماء: تجتمع الكلمتان والإرادتان في حق المطيع، فالمؤمن إنما أطاع بكلمات الله الكونية السابقة في علم الله أنه يطيع، ثم هو وافق الكلمات الشرعية والإرادة الشرعية، فاجتمع له الأمران، موافقة الإرادة الشرعية والكلمات الشرعية، وموافقة الإرادة الكونية والكلمات الكونية التي بها وجد هذا الشيء من طاعة وترك معصية، فصارت الإرادتان والكلمتان في حق المؤمن موجودتين، وأما في حق العاصي والكافر فليس عنده إلا الإرادة الكونية والكلمات الكونية، وقد خالف الكلمات الشرعية والإرادة الشرعية، لم يطبقها ولم يوفق لها. أهـ.

* * *

فإذا تقرر ذلك، فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يسخر له شيئاً من

الكونيات؛ لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين، وقد يكون مع عدمه، أو فساده، أو نقصه، فالخوارق النافعة تابعة للدين، خادمة له، كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أمر واضح، فإن كثيراً من الناس من أهل الإيمان والتقوى لم تحصل له خوارق، لا من الصحابة ولا من بعدهم، فلم يكن هذا نقصاً في إيمانهم ولا قدحاً فيهم، فإن أكثر الصحابة لم تنقل لهم كرامات، وهم أفضل الناس بعد الأنبياء وخير الناس وأفضل الناس إيماناً، فهذا لا ينقص من أقدارهم شيئاً، وهكذا من بعدهم من التابعين وأتباع التابعين والأئمة الكبار إلى زماننا هذا، هذا لا يضر، إذ قد تكون الكرامة والخارق في حقه من أسباب بطره وكبره وعجبه فيهلك بسبب ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا لم يعط شيئاً من ذلك فقد يكون خيراً له، حتى يقوى إيمانه ويزيد إيمانه بالغيب، وليس هناك ما يؤيده من المشاهدات الخارقة، فيكون هذا أكمل في إيمانه لأنه آمن بالغيب وصدق بالغيب واستقام على الغيب وتبع الغيب، فصار ذلك أكمل في إيمانه وأكمل في خضوعه لله وإخلاصه له سبحانه وتعالى، وأبعد له عن خطر العجب والكبر والترفع على الناس.

وهكذا الرياسات إذا كانت تابعة للدين ومؤيدة للدين صارت في حق صاحبها خيراً وفضلاً، وإن كانت تكسبه عجباً وكبراً وظلماً للناس صارت شراً في حقه، نسأل الله السلامة. أهـ.

❊ ❊ ❊

كما كان السلطان والمال النافع بيد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فمن جعلها هي المقصودة، وجعل الدين تابعاً لها، ووسيلة إليها، لا لأجل الدين في الأصل -: فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب، أو رجاء الجنة، فإن ذلك ما هو مأمور به، وهو على سبيل نجاة، وشريعة صحيحة، والعجب أن كثيراً ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أن يكون خوفاً من النار أو طلباً للجنة؛ يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ثم هذا غلط، قوله: ليس همي الجنة ولا النار، هذا غلط، فإن المؤمن مطلوب منه أن يهتم ويحذر ويحرص على حصول الجنة ويحذر النار، كما كان الرسل عليهم الصلاة والسلام، فرجاء الجنة والخوف من النار من صفات الرسل ومن صفات المؤمنين، فالذي يعرض عن هذا على خطر من الزندقة والكفر والضلال، ولهذا قال بعض السلف: من عبدالله بالحب - بزعمه أنه يحب الله فقط - فهو زنديق، كيف لا يخاف الله ولا يرجوه؟ ومن هو حتى لا يخاف الله ولا يرجوه؟

وقد قال الله في الرسل عليهم الصلاة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠] ولم يقل يدعوننا حباً فقط، بل يدعوننا رغباً ورهباً، رغباً في الجنة ورهباً من النار، وهكذا الرسل قال في حقهم أيضاً: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧] فالرسل والأنبياء

والمؤمنون خافوا عذاب الله ورجوا ثوابه وأحبوه حباً صادقاً حملهم على فعل طاعته وترك معصيته، لم يحملهم على الغلو أو العجب، بل حملهم على طاعة الله والخوف منه والرغبة فيما عنده، فالعبادة تكون عن حب وعن رجاء وعن خوف لا عن كبر وبطر وخيلاء وترفع على الناس. أهـ.

* * *

ثم إن الدين إذا صح علماً وعملاً فلا بد أن يوجب خرق العادة، إذا احتاج إلى ذلك صاحبه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق:٢] فإذا استقام الدين فقد توجد المخارج، فيعطيه الله المخارج، إما بسد جوعته، وإما بوجود ما يشربه، وإما بكبت عدوه، وإما بغير ذلك، كما قال تعالى ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم:٤٧]. أهـ.

* * *

وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ **وقال تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ **وقال تعالى:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ

قوله ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[(١)] رواه الترمذي من رواية أبي سعيد الخدري.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا الحديث له طرق جيدة يشد بعضها بعضاً، وهو من قبيل الحسن، وقد ذكر بعضها الحافظ ابن كثير رحمه الله عند الآية الكريمة. أهـ.

* * *

وقال تعالى، فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه»[(٢)].

فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس. وبالله التوفيق.

وقول المعتزلة في إنكار الكرامة: ظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات، وقولهم: لو صحت لأشبهت المعجزة، فيؤدي إلى التباس النبي ﷺ بالولي، وذلك لا يجوز!

---

(١) ضعيف، فيه عند الترمذي وغيره عطية العوفي وهو ضعيف مدلس، وهو مخرج في «الأحاديث الضعيفة» (١٨٢١). أهـ ألباني

(٢) صحيح، أخرجه البخاري، وقد مضى بيان ما فيه. أهـ ألباني

وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة لم يكن ولياً، بل كان متنبئاً كذاباً، وقد تقدم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبىء، عند قول الشيخ: «وأن محمداً عبده المجتبى ونبيه المصطفى».

ومما ينبغي التنبيه عليه ههنا: أن الفراسة ثلاثة أنواع:

إيمانية، وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومنها اشتقاقها لأنها تفرسه، الفراسة من افتراس السبع لفريسته، فالفراسة تهجم على القلوب بأمارات وأسباب ظهرت للعبد، يتضح منها ما هجم على قلبه من ذلك الشيء المعين الذي تفرسه في شخص أو قبيلة أو جماعة أو دولة أو ما أشبه ذلك، بحسب ما وقع في قلبه من النور الذي نشأ عن قوة إيمانه وكمال بصيرته. أهـ.

* * *

وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً فهو أحد فراسة، قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان. انتهى.

وفراسة رياضية، وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان، ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبادة الرؤساء والأظناء ونحوهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الأطباء أظهر، فالأظناء ليس لها معنى، إذا تأمل المريض قد يظهر له وينكشف له شيء من حركات المريض ومن نبضات قلبه ومن كذا أشياء خفية. أهـ.

❊ ❊ ❊

وفراسة خلقية، وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخلق على الخلق، لما بينهما من الارتباط، الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره على كبره، وسعة الصدر على سعة الخلق، وبضيقه على ضيقه، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما وضعف حرارة قلبه، ونحو ذلك .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: قد يتفرس بعض الناس في هذا الشيء، فقد يصيب المتفرس وقد يخطئ، فهذه فراسات خلقية، قد يقع للمتفرس صحة ما قال وقد لا يقع، إنما هذه من جملة الأسباب وليس بشيء لازم. أهـ.

❊ ❊ ❊

قوله: (**ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها**).

ش: عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: **أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم، فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً،**

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: إذا كان يسخط للمائة دينار فكونه من علامات الساعة أن يعطى أكثر فيسخط من باب أولى، فكثير من الناس قد يعطى ألف دينار وعشرة آلاف دينار ولا يرضى، لأجل غلبة النفوس وكثرة الطمع. أهـ.

❊ ❊ ❊

ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: الظاهر من كلام العلماء أنها الفتنة التي جرت بين علي ومعاوية، وقال بعضهم إنها في التتار، لأنه قتل فيها من المسلمين أمم عظيمة وعم بلاؤها، والفتنة التي في عهد معاوية عمت العرب، ومات فيها أمم من العرب، رضي الله عنه وعن علي. أهـ.

❊ ❊ ❊

ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[1] وروي «راية» بالراء والغين، وهما بمعنى، رواه البخاري وأبوداود وابن ماجه والطبراني.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه الحادثة الأخيرة

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «فضائل الشام» (ص٢٣) و(ص٦٢ـ الطبعة الرابعة) طبع المكتب الإسلامي. أهـ ألباني

قال شاكر: رواه البخاري ٦/ ١٩٨ـ١٩٩ من (الفتح) ورواية «راية» بالراء . هي رواية أبي داود، كما نص عليه الحافظ. وفي معناه حديث لعبدالله بن عمرو بن العاص، رواه أحمد في المسند: ٦٦٢٣.

لم تقع، وسوف يقع ما أخبر به النبي ﷺ، وهم قد غدروا كثيراً، لكن أنهم يأتون على ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً ما حصل، والحروب الصليبية فيما سمعنا أنهم لم يأتوا بهذا العدد الذي أخبر عنه النبي ﷺ. أهـ.

* * *

وعن حذيفة بن أسيد، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تذاكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[(١)] رواه مسلم.

وفي الصحيحين، واللفظ للبخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: ذكر الدجال عند النبي ﷺ، فقال: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى[(٢)]، كأن عينة عنبة طافية»[(٣)]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وأنذر قومه الأعور الدجال، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر»[(٤)] فسره في رواية: أي كافر.

---

(١) صحيح مسلم (٨/ ١٧٩) وأحمد أيضاً (٤/ ٦-٧).أهـ ألباني

(٢) قلت: في بعض الأحاديث أنه أعور العين اليسرى، لكن حديث ابن عمر هذا أرجح لاتفاق الشيخين عليه كما قال الحافظ ابن حجر، وأشار إليه ابن عبدالبر، على أن بعضهم حاول الجمع بما تراه مبسوطاً في الفتح (١٣/ ٩٧) فليراجعه من شاء.أهـ ألباني

(٣) صحيح.أهـ ألباني

(٤) صحيح، رواه الترمذي (٢/ ٣٩) وقال: «حديث حسن صحيح» قلت: وهو على شرط الشيخين، ثم رأيته في البخاري (٧١٣١) ومسلم (٨/ ١٩٥).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ومع هذا يتبع، مع هذا البيان العظيم من الرسل والأنبياء و محمد عليه الصلاة والسلام، مع هذا يتبعه الأمم العظيمة، ومن عظم فتنته أن الله شرع لنا أن نستعيذ منه في آخر كل صلاة، وفي حديث هشام بن عامر: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال**»[(١)]، والمشهور أن العور في عينه اليمنى، ولكن جاء في بعضها الروايات أن عينه اليسرى فيها بعض الشيء وليست بسليمة[(٢)].

ومن المعلوم في أولها أن الدجال قبل المسيح، ثم المسيح بعد الدجال، ثم يأجوج ومأجوج، أما البقية ففيها اختلاف بين أهل العلم لتعدد الروايات، وآخرها خروج النار، هذا آخرها، وطلوع الشمس من

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٦) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب في بقية من أحاديث الدجال، من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ذكر الدجال بلفظ «**الدجال أعور العين اليسرى جُفال الشعر معه جنة ونار..**» من حديث حذيفة رضي الله عنه، وأورده ابن كثير في تفسيره عند سورة النساء، آية (١٦٥) فقال: وقال عبدالله بن الإمام أحمد :وجدت في كتاب أبي بخطه حدثني عبدالمتعالي بن عبدالوهاب حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا مجالد عن أبي الوداك قال: قال أبوسعيد: هل تقول الخوراج بالدجال؟ قال: قلت لا، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**إني خاتم ألف نبي أو أكثر، وما بعث نبي يتبع إلا وقد حذر أمته منه، وإني قد تبين لي فيه مالم يبين، وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري**» ثم قال ابن كثير: وقد رويناه في الجزء الذي في رواية أبي يعلى الموصلي عن يحيى بن معين حدثنا مروان بن معاوية حدثنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني خاتم ألف ألف نبي أو أكثر وما بعث الله من نبي إلى قومه إلا حذرهم الدجال..**» وذكر تمام الحديث هذا لفظه بزيادة ألف، وقد تكون مقحمة والله أعلم، وسياق رواية الإمام أحمد أثبت وأولى بالصحة، ورجال إسناد هذا الحديث لا بأس بهم.أهـ.

مغربها وخروج الدابة متقاربان، أيهما خرجت فالأخرى على إثرها، والنار جاء في إحدى الروايات أن خروجها من قعر عدن[١]، وجاء في الرواية الأخرى من الشرق[٢]، وقال بعضهم ولعلها تخرج من عدن ثم تمتد وتزيد حتى يكون لها خروج من الشرق. أهـ.

سؤال/ الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً!!

أجاب سماحته: قيل إنه المهدي، والمشهور أنه المهدي، وأن عيسى ينزل والمهدي يؤم الناس، فيتأخر المهدي فيأبى عليه عيسى، ويقول قد أقيمت لك، فيكمل فيهم الصلاة، ثم يؤمهم عيسى بعد ذلك ويكون هو القائد عليه الصلاة والسلام، روى هذا الحارث بن أسامة بإسناد جيد[٣].أهـ.

* * *

وروى البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب اقتراب ظهور الفتن، وأبوداود (٤١٤٢) كتاب الملاحم/ باب أمارات الساعة، والترمذي (٢١٨٣) كتاب الفتن/ باب ما جاء في الخسف، من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه، وعزاه الحافظ ابن كثير في تفسيره إلى الإمام أحمد، سورة النساء، آية (١٥٩) الأخبار في نزول عيسى عليه السلام.

(٢) رواه البخاري معلقاً عن أنس، كتاب الفتن/ باب خروج النار.

(٣) مسلم في صحيحه بنحوه (١٥٦) كتاب الإيمان/ باب بيان نزول عيسى عليه السلام حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، وابن حبان (٦٨١٩) ذكر بيان بأن إمام هذه الأمة عند نزول عيسى بن مريم يكون منهم دون أن يكون عيسى إماماً لهم في ذلك الزمان، كلاهما من حديث جابر رضي الله عنه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٦٠٢.

يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: تغيرت الأحوال تغيراً عظيماً، لما رأوا أمارات الساعة رخصت الدنيا، حتى يؤتى للرجل بالصرة من الذهب فيقول خذها، فيقول لو جئت بها بالأمس لأخذتها، أما الآن فلا حاجة لي بها[٢]، فاجتمع زهد وغنى، فاض المال، واجتمع كثرته وزهدهم. أهـ.

* * *

ثم يقول أبوهريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

وأحاديث الدجال، وعيسى بن مريم عليه السلام، ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم: ويضيق هذا المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا

(١) صحيح، ورواه مسلم أيضاً (١/ ٩٣-٩٤) وهو مخرج في الصحيحة برقم (٢٤٥٧) واعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها، ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لاسيما والأمر دين وعقيدة. أهـ ألباني.

(٢) رواه البخاري (١٤١١) كتاب الزكاة/ باب الصدقة قبل الرد، و(١٤٢٤) باب الصدقة باليمين، و(٧١٢٠) كتاب الفتن/ باب: من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

يُوقِنُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾.

وروى البخاري عند تفسير الآية، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»(١) وروى مسلم، عن عبدالله بن عمرو، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً»(٢) أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: أو المراد بذلك أول الآيات التي ليس بعدها توبة ولا جهاد، يعني أول الآيات المتصلة بقيام الساعة وقريبة منها جداً ليس بعدها أمل ولا توبة، بل كل يبقى له عمله، ولا يتمكن الكافر ولا العاصي من التوبة، وهي طلوع الشمس من مغربها، إذا طلعت الشمس من مغربها فلا توبة، والظاهر أنه معلق بطلوع الشمس

---

(١) صحيح، ورواه مسلم أيضاً (١/ ٩٥) بلفظ: «**فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ لا ينفع ..**» وهو رواية للبخاري بنحوه، وله عندهما شاهد من حديث أبي ذر. أهـ الباني

قال شاكر: والمسند: ٧١٦١. أهـ

(٢) صحيح مسلم (٨/ ٢٠٢). أهـ ألباني

قال شاكر: ورواه أحمد في المسند مطولاً ٦٨٨١. أهـ

من مغربها لا بخروج الدابة، لكن إذا طلعت من مغربها فالدابة على إثرها، إن كانت طلعت قبلها فهي على إثرها. أهـ.

* * *

وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة، لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها، على خلاف عادتها المألوفة؛ أول الآيات السماوية، وقد أفرد الناس في أحاديث أشراط الساعة مصنفات مشهورة، يضيق على بسطها هذا المختصر.

قوله: (ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة).

ش: روى مسلم والإمام أحمد عن صفية بنت أبي عبيد، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم يقبل له صلاة أربعين ليلة»(١).

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني وإن لم يصدق، مجرد السؤال فيه هذا الوعيد الشديد، لأنه وسيلة إلى إظهار أمره وإشهار أمره حتى يقصده الناس، فصار الوعيد على مجرد السؤال «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**».

وبهذا يعرف أن ما وقع في بعض نسخ التوحيد «**فصدقه**» أن هذا

(١) صحيح، وهو مخرج في غاية المرام (٢٨٤). أهـ ألباني

غلط، ليست في مسلم، وإنما غلط من بعض النساخ زاد «فصدقه» فالوعيد مرتب على السؤال فقط، فإذا جاء التصديق صار الوعيد أشد وهو الكفر، نسأل الله العافية، من صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، لأنه صدقه بدعوى علم الغيب.

والكهنة والرمالون وأشباههم كلهم ممن يدعي علم الغيب، ويلبس على الناس وليأكل أموالهم بالباطل، ولهذا جاء فيهم الوعيد والتحذير «**ليس منا سحر أو سحر له، ليس منا من تكهن أو تكهن له، ليس منا من تطير أو تطير له**»(١) لأن هذه الأشياء كلها تضر العقيدة وتفسد أحوال الناس، وهذا الظاهر أنها كفر أكبر لأنه تصديق في علم الغيب. أهـ.

سؤال/ لو صدقه في هذه القضية التي سأله عنها التي تتعلق مثلاً بعلاج مريضه، هل يكون صدقه بعلم الغيب؟

أجاب سماحته: هذا مسألته جزئية لا يلزم عليها الوعيد المذكور، إذا صدقه أن هذا وقع لا أنه يعلم الغيب، ولكن هذا الذي قاله قد وقع، أما أن يصدقه في علم الغيب ولو بسبب قضية معينة فإنه يعمه الحديث، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله. أهـ.

* * *

---

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٤٦٧) رواه البزار بإسناد جيد. أهـ ورواه الطبراني في الكبير (٣٥٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٠٣-١٠٤: وفيه إسحاق بن الربيع العطار، وثقه أبو حاتم وضعفه عمرو بن علي، وبقية رجاله ثقات، وكذلك رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٦٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الهيثمي ٥/ ١١٧: رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف، وانظر السلسلة الصحيحة ٥/ ١٩٣.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»[١] والمنجم يدخل في اسم العراف عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولا شك أن المنجم من أقبح العرافين، فإنه يدعي المعرفة بنظره في النجوم، وزعمه أنها إذا اقترنت بكذا وكذا، باسم فلان وباسم أمه وباسم أبيه ونحو ذلك صار كذا ووقع كذا مما يخرصون، فهو من جملة العرافين، ولذا سمي سحراً «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[٢] رواه أبوداود وغيره بإسناد صحيح عن ابن عباس، فكونه من السحر أبلغ. أهـ.

* * *

فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

وفي الصحيحين ومسند الإمام أحمد، عن عائشة، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال: «ليسوا بشيء» فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[٣].

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي

---

(١) صحيح، وهو مخرج في «آداب الزفاف» ص٣١ (الطبعة ٣) و«غاية المرام» (٢٨٥). أهـ ألباني

(٢) رواه أبوداود (٣٧٥٤) كتاب الطب/ باب في النجوم، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في السلسلة ٢/ ٤٢٠.

(٣) صحيح، وهو في المسند (٦/ ٨٧). أهـ ألباني

خبيث، وحلوان الكاهن خبيث»[(١)] وحلوانه: الذي تسميه العامة حلاوته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني ما يعطاه الكاهن والمنجم والرمال ليخبر بالمغيبات، وهو مال خبيث مكسوب بالباطل ومكسوب بالكذب فيكون حراماً منكراً، كالبغي وما تعطاه للتمكين من الفاحشة.

والشياطين مردة الجن، مثل شياطين الإنس. أهـ.

* * *

ويدخل في هذا المعنى ما تعاطاه المنجم وصاحب الأزلام التي يستقسم بها، مثل الخشبة المكتوب عليها أ ب ج د والضارب بالحصى، والذي يخط في الرمل، وما تعاطاه هؤلاء حرام، وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء، كالبغوي والقاضي عياض وغيرهما.

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد، قال: خطبنا رسول ﷺ بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليل، فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب»[(٢)].

وفي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد، عن أبي مالك الأشعري

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم من حديث رافع بن خديج دون الجملة الرابعة، وهي في الصحيحين من حديث أبي مسعود البدري مرفوعاً بلفظ: «**نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن**».أهـ ألباني.

(٢) صحيح.أهـ ألباني

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب[١]، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[٢].

والنصوص عن النبي ﷺ وأصحابه وسائر الأئمة، بالنهي عن ذلك؛ أكثر من أن يتسع هذا الموضع لذكرها.

وصناعة التنجيم، التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمريح بين القرى الفلكية والفوايل الأرضية؛ صناعة محرمة بالكتاب والسنة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن الاستدلال بالنجوم له أحوال، وكذلك التنجيم بالنجوم له أحوال ثلاثة:

الحال الأول: هو استعمال التنجيم لمعرفة الحوادث ومعرفة أمر الغيب، وزعم أن هذه النجوم في سيرها واجتماعها وافتراقها لها أثر في حياة الناس وموتهم وغير ذلك من شئون الحياة، هذا كفر أكبر وكفر بالربوبية، وإذا ادعى معه علم الغيب صار كفراً آخر من جهة دعواه علم الغيب، ومن جهة زعمه أن النجوم مؤثرة وفاعلة في موت وحياة وغير ذلك، فإن زعم أن هذا بأسباب، وأن المصرف هو الله؛ صار كفراً من جهة دعوى علم الغيب، وأنه يعلم بهذا من المغيبات، وأن لها سراً في علم الغيب، وكذب على الله في زعمه أن لها تسبباً.

الحال الثاني: أن لا يعتقد ذلك، وأن لا يعتقد علم الغيب فيها، ولكن يقول إن اقترانها واجتماعها قد جعله الله سببا لكذا وكذا، فهذا أيضاً باطل

---

(١) الفخر بالأحساب، هكذا الحديث، ابن باز.

(٢) صحيح، وهو مخرج في أحكام الجنائز (٢٧) و«الأحاديث الصحيحة» (٧٣٤). أهـ ألباني.

ومنكر وداخل في الذم والنهي والتحذير.

الحال الثالث: أن لا يعتقد ذلك وإنما يتعلم سيرها ليعرف أوقات ومواضع البلدان والمياه، من باب علم السير لا علم التأثير، وهو علم التسيير، تعلم المنازل ليعلم بها جهات البلدان والطرقات إليها وإلى المياه، كذلك القبلة، فهذا لا بأس به على الصحيح، لكن لا يعبر بالباء، ولا يقال علمنا بنوء كذا أو مطرنا بنوء كذا أو سرنا بنوء كذا أو ما أشبه ذلك، ولكن بعبارة أخرى، بـ: «في» فيقول إذا كانت الثريا في كذا أو إذا دخل النجم الفلاني أو طلع النجم الفلاني في وقت كذا وفي وقت كذا، أو إذا كان في منزلة كذا في الجهة الفلانية، من باب إظهار العلامات فقط، أما أن يقول مطرنا بنوء كذا أوعلمنا كذا بكذا، فهذه الباء نهى عنها الرسول ﷺ «**من قال مطرنا بنوء كذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب**»[١] لأنها تؤذن بالسببية، فإبعادها وعدم استعمالها هو الواجب تأدباً مع النص، ولو كان قصده صالحاً، وليس قصده أن لها تأثيراً أو أنها سبب علم الغيب وما أشبه ذلك. أهـ.

* * *

بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٨٤٦) كتاب الأذان/ باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، و(١٠٣٨) كتاب الاستسقاء/ باب قول الله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ و(٤١٤٧) كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية، ومسلم (٧١) كتاب التوحيد/ باب بيان كفر من قال «مطرنا بالنوء» من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره: الجبت السحر[١].

وفي صحيح البخاري، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلام يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبوبكر، فقال له الغلام: تدري مم هذا؟ قال: وما هو؟

قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبوبكر يده فقاء كل شيء في بطنه[٢].

والواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ظاهره حب القرع، مثل ما يضربون بالحصى والنوى، يعني يلبسون على الناس ويضربون بها ويقولون: إذا كان كذا صار كذا، كله من خدمة الشياطين، مثل ما قال غلام أبي بكر: ما أحسن الكهانة إلا أني خدعته، بعضهم يضرب بالحصى وبعضهم يضرب بالنوى وبعضهم يضرب بالقرع، كل هذا من التلبيس. أهـ.

* * *

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقاً (٤٥٨٣) كتاب التفسير/ باب ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ وقال الحافظ ابن حجر:
«وصله عبد بن حميد في تفسيره، ومسدد في مسنده، وعبدالرحمن بن رستة في كتاب» الإيمان «كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله، وإسناده قوي». انتهى فتح الباري ٨/ ٢٥٢.
ورواه ابن كثير في تفسيره مسنداً، وعزاه للبغوي ١/ ٤١٦ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾.

(٢) صحيح، وهو في مناقب [الأنصار] (٣٨٤٢) مع شيء من الاختصار. أهـ ألباني

والفالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك، ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في إزالته، مع قدرته على ذلك - قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني يكفيه ذماً وقبحاً وتحذيراً. أهـ.

* * *

وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت، بإجماع المسلمين، وثبت في السنن عن النبي ﷺ برواية الصديق رضي الله عنه، أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[1].

وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة، أنواع: نوع منهم: أهل تلبيس وكذب وخداع، الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له، أو يدعي الحال من أهل المحال، من المشايخ النصابين، والفقراء الكاذبين، والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة، ونحو ذلك.

ونوع يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة، بأنواع السحر.

---

(١) صحيح، وهو مخرج في المشكاة (٥١٢٤). أهـ ألباني

وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر وابنه وعثمان وغيرهم.

ثم اختلف هؤلاء: هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر؟ أم يقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟

وقال طائفة: إن قتل بالسحر يقتل، وإلا عوقب بدون القتل، إذا لم يكن في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وهو قول في مذهب أحمد.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والصواب أنه متى علم أنه ساحر أنه يقتل بغير استتابة، ويقتل كافراً، لقوله جل وعلا: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة:١٠٢] فهو لا يعصي إلا بالشرك والكفر وخدمة الشياطين وعبادتهم من دون الله، ثم دعواه التوبة لا تنفع، لأنه قد يتظاهر بها وهو كاذب كحال المنافقين، ولأن شره لا يتدارك إلا بالقتل، ولهذا لما علم عمر بوجود بعض السحرة أمر بقتلهم ولم يستتبهم[(١)]، وهكذا حفصة لما عملت بسحر جارية لها قتلتها[(٢)].

فالمقصود أن شر السحرة لا يندفع إلا بالقتل، لأنهم يلبسون على الناس، وربما أظهروا التوبة خوفاً من السلاح وهم على شرهم وفسادهم. أهـ.

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٩٠-١٩١) وأبوداود (٢٩٢١) كتاب الخراج/ باب أخذ الجزية من المجوس، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٣٦.

(٢) رواه مالك في الموطأ (١٥٦٢) كتاب العقول/ باب ما جاء في الغيلة والسحر، عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة بلاغاً، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٣٦ (١٦٢٧٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه: والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخييل.

واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها، أو خطابها، أو السجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك؛ فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه، بل سده .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كأن لهم خصوصية بهذا في عبادة النجوم وفي عبادة الكواكب، مثل بعض عباد الجن وعباد النيران، يدخرون لها من الأشياء والخواص والخواتم الخاصة وبخور خاص لشيوخهم من الجن وساداتهم من الجن، وهذا نوع عبادة لهم، هذه الأشياء من أنواع العبادة لأنها تعظيم لهم، التقرب لهم بشيء يتعبد به كالطيب، عبادة، فالطيب في الأعياد والجمع وإزالة الروائح الكريهة قربة إلى الله.

أما الخواتم فلا، لأنه من جهة أن هذا لسر، فيفعلونه لسر خاص. أهـ.

سؤال/ أصحاب الزار يكفّرون؟

أجاب سماحته: نعم، إذا فعلوا هذه الأشياء التي يتقربون بها إلى الجن، وبعضهم إذا لبس الخاتم جاءه مطلوبه من الشياطين، وصار يستعمله في كذا ويستعمله في كذا، عما يقوله الذي يتعاطى الزار، وإلا لم أقف على شيء من كلام أهل العلم. أهـ.

سؤال/ قتلهم ؟

أجاب سماحته/ لأنهم يتظاهرون بشيء قد لا يرجعوا عنه إلا لمجرد الخوف من السلاح، ولأن شرهم عظيم في الباطن، وإن كان تاب توبة صادقة ما ضره القتل، عُجل له الخير والسلامة، وإن كانت توبته كاذبة استراح الناس من شره، وإذا جاء تائباً قبل أن يقبض عليه وقبل أن يعرف شره قبلت توبته، هذا هو الصواب. أهـ.

* * *

وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

واتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم أو قسم، فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»[1].

ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح، فزادوهم رهقاً، يعني الإنس للجن، باستعاذتهم بهم، رهقاً، أي إثماً وطغياناً وجراءة وشراً، وذلك أنهم قالوا:

---

(١) مسلم، من حديث عوف بن مالك الأشجعي. أهـ ألباني

قد سدنا الجن، والإنس! فالجن تعاظم في أنفسها وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾.

فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم؛ ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

فاستمتاع الإنسي بالجني: في قضاء حوائجه، وامتثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، ونحو ذلك، واستمتاع الجن بالإنس: تعظيمه إياه، واستعانته به، واستغاثته وخضوعه له.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا البحث يقع فيه كثير من الناس بسبب الجهل وقلة العلم، وبسبب أن المرضى يتشبثون بكل شيء ويتعلقون بكل شيء، فالاستعاذة بالجن والالتجاء إليهم والذبح لهم والنذر، كان هذا من عادات الجاهلية، ومن أعمال الجاهلية من المشركين الأولين، فجاء الإسلام بالنهي عن هذا والتحذير من هذا، والأمر بالاستعاذة بالله وحده سبحانه وتعالى، فالواجب على أهل الإسلام أن يحذروا أخلاق الجاهلية وأعمال الجاهلية التي ذمها الإسلام وعابها، ومن جملتها التعلق بالجن والاستعاذة بالجن والالجأ إليهم والذبح لهم ونحو ذلك مما جرت عليه أعمال الجاهلية، فلهذا قال الله

عز وجل ذاماً لهذا الصنف من الناس: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [الجن:٦] زادوهم رهقاً فسر بمعنيين:

أحدهما: أن الواو تعود على الإنس، يعني زاد الإنس الجن رهقاً وطغياناً وتعاظماً وتكبراً عليهم، لما رأوهم يستعيذون بهم تكبر سادتهم وأمراؤهم، وصار شرهم يزيد على الإنس إذا لم يستعيذوا بهم وإذا لم يلجأوا إليهم وإذا لم يذبحوا لهم ويعطوهم مطالبهم، وهذا من أعظم البلاء، فهم أرادوا السلامة فجاءهم شر وبلاء.

والمعنى الثاني الذي فسره به أهل العلم: أن الواو تعود على الجن ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي زاد الجن الإنس رهقاً، يعني زادوهم خوفاً وذعراً، فصاروا يلهجون بدعائهم والاستعاذة بهم والتعلق بهم خوفاً منهم، وكلا المعنيين صحيح، فإن استعاذة الإنس بالجن تزيدهم طغياناً وكفراً، وتزيد الجن الإنس رهقاً بمعنى خوفاً وذعراً، فالجن يزيدون الإنس رهقاً وذعراً وخوفاً، والإنس يزيدون الجن طغياناً وكفراً وتعاظماً وشراً.

فالواجب الاستعاذة بالله وحده، واللجأ لله وحده، ولا يجوز أبداً النذر للجن والذبح لهم أو الاستعانة بهم، بل هذا من الشرك الأكبر، لأنه من الإيمان بغير الله، وهذا ينافي قول لا إله إلا الله، وينافي ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة:٥] وقد كان فريق من الجاهلية - وسار على نهجهم كثير ممن يدعون الإسلام - يذبحون للجن إذا استحدثوا أرضاً يزرعونها أو بئراً يحفرونها أو بيتاً يسكنونه ذبحوا لهم، وقالوا تتقي شرهم في هذه الأرض أو في هذا البيت أو في هذه البئر، وهذا من جهلهم وضلالهم، فإن الاعتصام بالله وحده واللجأ لله وحده هو الطريق

للسلامة من كل شر.

وهكذا تعلق الجهلة اليوم في أمصار كثيرة في دول كثيرة في أصحاب القبور ورفع الحاجات إليهم هو من جنس هذا، هو من الشرك الأكبر، فإن هذا أيضاً أمر دسه الشيطان على الناس، وقالوا لهم ما قالوا للأولين من الجاهلية، إن الأولياء وإن العظماء من الإنس إذا ماتوا يكون لهم جاه ويكون لهم شأن، فإذا دعوا واستغيث بهم ونذر لهم وذبح لهم شفعوا إلى الله بقضاء الحاجات، وهذا نفس شرك الأولين الذي فعله الجاهلية، كما قال جل وعلا: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨] هم لا يخلقون ولا يرزقون، فهم يعلمون ذلك من حالهم، ولكن يزعمون أنهم يشفعون لهم عند الله إذا دعوهم واستغاثوا بهم ونذروا لهم وذبحوا لهم، وهكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣] ولم يقولوا: ما نعبدهم إلا ليخلقوا ويرزقوا ويعطونا الأولاد، فهم يعلمون أن الله هو الخلاق الرزاق سبحانه وتعالى، ولكن أرادوا أنهم يقربونهم ويشفعون لهم، وهذا هو نفس ما قصده عباد البدوي وعباد الحسين وعباد علي وعباد عبدالقادر وعباد غيرهم ممن يدعى من دون الله، فهو شرك الأولين بقي في الآخرين، وزاده الشيطان شدة وزادهم فيه تعلقاً حتى صاروا يعبدونهم حتى في الشدائد، فالأولون شركهم في الرخاء، فإذا جاءت الشدائد أخلصوا له العبادة، كما قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٥] وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ

مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢].

فهم في حال الشدائد يخلصون لله، أما عباد البدوي وعباد القبور اليوم وعباد الأشجار والأحجار يزداد شركهم في الشدة علاوة على الرخاء، فإذا صاروا في البحار في السفن والبواخر ورأوا شيئاً من اختلال البحر صاروا يصرخون بآلهتهم، يا سيدي البدوي يا سيدي فلان يا سيدي فلان، ونسوا الله، نسأل الله العافية، فصاروا بهذا أشد شركاً من الأولين وأكفر من المشركين الأولين، لأن الأولين شركهم في الرخاء دون الشدة، أما هؤلاء المتأخرون فشركهم دائماً في الرخاء والشدة جميعاً، بل يزداد شركهم في الشدة، نسأل الله العافية. أهـ.

❊ ❊ ❊

ونوع منهم بالأحوال الشيطانية، والكشوف و مخاطبته رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله! وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين قد عصوا!! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين.

والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحزاب: حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس، وثبت عمن عاينهم أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم خضعوا لهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهؤلاء الذين يدعون، هم الشياطين الذين يتصورون لهم ويتمثلون لهم في صور أناس يعظمونهم ويقدسونهم، فيأتون إليهم في صور بعض الأولياء أو بعض المؤمنين، وبعضهم يعظمهم أولئك المشركون، يقولون: هؤلاء رجال

الغيب، ويقولون: هم رجال يقضون الحاجات ويسدون ما يطلبه الإنسان منهم، فهم بين شيطان تمثل لهم في صورة لا يعرفونها، أو تمثل لهم بأناس يعرفونهم.

حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لقد حدثني أناس أنهم رأوني جئتهم وقضيت لهم بعض الحوائج ـ في حياته ـ وهي شياطين تمثلت بشيخ الإسلام ابن تيمية وجاءت تقضي لهم بعض الحوائج، فظنوا أنه نفس شيخ الإسلام جاءهم في أماكن أخرى وتمثل لهم، وأنه لكرامته صارت له أحوال يتنقل بها ها هنا وها هنا، ويقضي الحوائج للذين يدعونه من دون الله، وهذا من الجهل العظيم والبلاء العظيم والشر المستطير، نسأل الله العافية، منهم من يرى البدوي ويرى عبدالقادر ويرى الرسول بزعمه، وكله ضلال وكله شر وشياطين تضلهم وتغويهم، حتى إن الأصنام قد تكلمهم، أصنامهم التي صوروها على صورة فلان وفلان وفلان، أو صور الملائكة بزعمهم، تدخل فيها الشياطين وتكلمهم منها، أو تكلمهم حولها ويظنون أنه منها. أهـ.

❊ ❊ ❊

وحزب عرفوهم، ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء!

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا: يكون الرسول هو ممداً للطائفتين. فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه، والحق: أن هؤلاء من أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ وإلا فالإنس يؤنسون، أي يشهدون ويرون، وإنما

يحتجب الإنسي أحياناً، لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظنهم أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله.

وسبب الضلال فيهم، وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة؛ عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن، ويقول بعض الناس: الفقراء يسلم إليهم حالهم!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والفقراء هم فقراء الصوفية لا فقراء المال، طائفة من الصوفية يسمون الفقراء، لأنهم بزعمهم زهدوا في الدنيا وأقبلوا على الآخرة وتبدت لهم أمور غيبية، فصاروا بها أولياء وصاروا بها يعلمون أشياء ما يعلمها غيرهم، وهم فقراء من الدين في الحقيقة، قد افتقروا من الدين وذهب عنهم دينهم، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

وهذا كلام باطل، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل! وما خالفها رد، كما قال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1] وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً، ومن لم يكن له مصدقاً فيما أخبر، ملتزماً لطاعته فيما أمر، في الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان؛ لم يكن مؤمناً، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى،

---

(١) صحيح، متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو مخرج في الإرواء (٨٨) وغاية المرام (٥) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٥٢-٥٣).أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الحق، ليس للناس طريق إلا طريق محمد عليه الصلاة والسلام، ليس للناس طريق إلى الله وإلى الجنة إلا الطريق التي بعث الله بها نبيه محمد عليه الصلاة والسلام فقط، أما الطرق الأخرى التي أحدثها عباد الشيطان وعباد الجن والمنحرفون عن الحق ومن ضل سعيهم في الحياة الدنيا، فهذه الطرق كلها طرق فاسدة باطلة، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام:١٥٣] فكل ما عدا صراط الله المستقيم فهو من السبل المضلة، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١] فلا طريق إلا اتباعه، ولا صراط إلا الصراط الذي بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام، وهو الإسلام وهو الهدى والإيمان، وهو طاعة الله ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله، هذا هو الطريق، ما هناك طريق آخر، وهو المراد في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة:٦] وهو المراد في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ يعني يا محمد ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣] وهو توحيد الله والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه والوقوف عند حدوده وترك ما خالف شرعه، هذا هو الصراط وهذا هو الطريق وهذا هو الإسلام وهذا هو الإيمان وهذا هو الهدى وهذا هو الصلاح وهذا هو الاتباع لما جاء به الرسول ﷺ لا سواه، ليس هناك سواه. أهـ.

* * *

ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الخشب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل!!

فإنه لا يكون، مع تركه الفعل المأمور وعزل المحظور - إلا من أهل الأحوال الشيطانية، المبعدة لصاحبها عن الله تعالى، المقربة إلى سخطه وعذابه.

لكن من ليس يكلف من الأطفال والمجانين، قد رفع عنهم القلم، فلا يعاقبون، وليس لهم من الإيمان بالله والإقرار باطناً وظاهراً ما يكونون به من أولياء الله المقربين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، لكن يدخلون في الإسلام تبعاً لآبائهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾.

فمن اعتقد في بعض البله أو المولعين، مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله أنه من أولياء الله، ويفضله على متبعي طريقة الرسول ﷺ، فهو ضال مبتدع، مخطئ في اعتقاده.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن بعض الجهلة من عباد القبور، من عباد الأولياء، يزعمون أن البله والمجانين والصبيان وأشباههم من أولياء الله الذين يعتقد فيهم ويُدعون من دون الله ويستغاث بهم وينذر لهم، بزعمهم أنهم ليس عليهم ذنوب، لأنهم مابين مجنون وما بين صغير، هؤلاء لما كانت الذنوب ساقطة عنهم لعدم تكليفهم، زعموا أنهم يكونون من الأولياء الذين يدعون من دون الله ويستغاث بهم.

وهذا من فساد العقول وانحرافها، فإن هؤلاء حسبهم أن يكونوا تبعاً لأهلهم في النجاة، أما أنهم يكونون من أوليائه المقربين وممن تعظم حسناتهم عند الله وممن ترفع لهم الدرجات العلى وممن جاهدوا في

سبيل الله وممن لهم الأعمال العظيمة، فهذا ليس كذلك، فهؤلاء حسبهم أن يكونوا تبعاً لآبائهم في الإيمان، في دخول الجنة.

ثم لو قدر ولو فرض أن شخصاً من المؤمنين بلغ الغاية من الإيمان والتقوى والصلاح والجهاد، ما جاز لأحد أن يعبده من دون الله، فإنه بهذا لا يكون أفضل من الأنبياء، والأنبياء أفضل الناس، ومع هذا لا يعبدون من دون الله، ولا يستغاث بهم ولا ينذر لهم ولا يتوكل عليهم، بل هذا حق الله وحده ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران:٨٠] **فجعل** التعلق على الأنبياء والملائكة كفراً بعد الإسلام، فكيف بحال هؤلاء المجانين والبله والصبيان؟

لكنْ هؤلاء المشركون في أعظم ضلال، وأبعد شيء عن النظر في المعقول فضلاً عن الهدى، كيف لمجنون ومعتوه وأبله أن يعبد ؟

وكان في الجزيرة هنا قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أناس من هؤلاء البله والمجانين يعبدون من دون الله، في الدرعية وفي الخرج وفي الحوطة وبعض الأماكن، يقولون: هؤلاء أولياء، يستغاث بهم ويتبرك بهم وينذر لهم، فلما صارت دعوة الشيخ رحمه الله، وبين لهم هذا الضلال وهذا الكفر وهذا الفساد، انحسم هذا من هذه الجزيرة والحمد لله وانتهى، ولكن دعاة الشيطان ودعاة الشرك لا يزالون في كل مكان يدعون إلى الشرك، في مصر والشام والعراق وفي كل مكان، ومن جاء إلى هنا من عمال وغير عمال، حصل منهم فساد كبير وشر عظيم، لعقائدهم الفاسدة التي نشأوا عليها في البلدان هناك.

ومن ذلك ما يتعلق بدعاء الموتى والاستغاثة بالأنبياء، سواء كانوا

أنبياء أو كانوا ممن يدعى فيهم الولاية، كما فعلوا مع البدوي في مصر، وكما فعلوا مع الحسين في مصر أيضاً وفي النجف، وكما فعلوا مع الشيخ عبدالقادر الجيلاني في العراق، وكما فعلوا مع غيرهم بزعم أنهم أولياء، فلهذا يدعون من دون الله من بعيد، يا سيدي فلان، يا سيدي عبدالقادر، يا سيدي الحسين، أنا في جوارك، أنا كذا أنا كذا، اشف مريضي، لك عليّ كذا، لك من المال كذا، لك من البقر كذا، وهكذا، نسأل الله العافية.

هكذا تكون المصيبة العظيمة والانحراف وفساد العقول وفساد الفطر، فيتركون الحي القيوم الذي خلقهم وخلق من قبلهم، ويعبدون أناساً مرتهنين بأعمالهم في القبور، لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم شيئاً فكيف بغيرهم ؟

الحسين قتل ما دفع عن نفسه شيئاً، وعلي قتل، وعمر قتل، وهم من أشرف الصحابة وأفضل الصحابة بعد الصديق، عمر نفسه وعثمان وعلي كلهم قتلوا وهم أشرف الصحابة ما دفعوا عن أنفسهم، والحسين بن علي كذلك قتله الجيش الذي بعثه أمير العراق ما دفعوا عن أنفسهم شيئاً، فكيف يعبدون من دون الله؟ كيف يستغاث بهم بعد الموت لما كانوا في التراب وخلوا بأعمالهم؟

لكن أهل الشرك لا يعقلون، قد سلبت عقولهم، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٩] فجعل هؤلاء المشركين أضل من الأنعام وأبعد من الهدى، ووصفهم بالغفلة عن الحق والهدى.

وقال في الآية الأخرى في سورة الفرقان: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان:٤٤].

فالذين أعرضوا عن الحق وعن اتباع الرسول، وتعلقوا بالقبور وبالأصنام والأشجار والأحجار وبالبله والمجانين؛ هؤلاء أضل وأبعد عن الهدى من البهائم، نسأل الله السلامة.

فالواجب على العاقل أن ينتبه وأن يحذر ما بلي به الأكثرون من الضلال بأسباب تزيين الشيطان وتلبيسه، نسأل الله العافية.

ومن المعلوم أن الحسين قتل في العراق، ويقولون إن رأسه نقل، وهذا ليس له حقيقة، لكن أهل الشرك يتعلقون بكل شيء، وإلا ما ثبت أن رأسه نقل إلى مصر، وأغلب ما قيل في ذلك أنه حفظ في خزائن الشام أو دفن في أرض الشام لما جيء به إلى يزيد، أو رد إلى جثته في العراق، على كل حال أهل الشرك يتعلقون بكل خيط، خيط العنكبوت . أهـ.

* * *

فإن ذاك الأبله، إما أن يكون شيطاناً زنديقاً، أو زوكارياً[١] متحيلاً، أو مجنوناً معذوراً! فكيف يفضل على من هو من أولياء الله، المتبعين لرسوله ؟! أو يساوى به؟! ولا يقال: يمكن أن يكون هذا متبعاً في الباطن وإن كان تاركاً للاتباع في الظاهر؟

فإن هذا خطأ أيضاً، بل الواجب متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً.

قال يونس بن عبدالأعلى الصدفي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث

(١) قال شاكر: هذه لفظة مولدة، وفي شرح القاموس ٣/ ٢٤٠ «الزواكرة: من يتلبس فيظهر النسك والعبادة، ويبطن الفسق والفساد، نقله المقري في نفح الطيب».أهـ

كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة؟

فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد صدقا جميعاً الليث والشافعي رحمة الله عليهما، الليث بن سعد إمام أهل مصر وفقيه أهل مصر في المائة الثانية، والشافعي رحمه الله فقيه العراق وفقيه مصر في آخر المائة الثانية وفي أول المائة الثالثة، يقول: لا تغتروا بمن يدعي الولاية، فربما طار في الهواء ومشى على الماء مما تفعله معه الشياطين، لا تغتروا بهؤلاء حتى تعرضوا أمرهم على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وتنظروا مدى استقامتهم على الكتاب والسنة، وهل هم مستقيمون أو منحرفون؟ هل هم دعاة للحق أو دعاة للضلالة؟

فهذه الأشياء التي يفعلها بعض الناس بأسباب الشياطين ومن شعوذة الشياطين ومن خوارق الشياطين، هذه لا يغتر بها إلا الجهلة، وإن طار في الهواء وحملته الشياطين في الهواء، أو مشى على الماء، أو جعل الحجر أمامك ذهباً، أو ما أشبه ذلك من التزوير والفساد، لا يغتر بهؤلاء، لأن معهم شياطين تزور على الناس وتغير أمامهم أشياء كثيرة، من باب التزوير والتغيير والتلبيس، فالعاقل لا يغتر بهؤلاء ولا يقول إنهم أولياء، بل هؤلاء من أولياء الشياطين، حتى يعرض أمرهم على الكتاب والسنة، فإذا كانوا مستقيمين على ما قاله الله والرسول ظاهراً وباطناً فهؤلاء هم الأولياء

---

(١) رواه أبوإسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (١١١٨) ٤/ ٢٧٥، وابن بطة في الإبانة (٦٦٢) ٢/ ٥٣٥.

الذين قال فيهم سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣] فالولاية تكون بتقوى الله والإيمان بالله، لا بالمعاصي والمخالفات ولا بالخرافات ولا بمخارق الشياطين.

ثم لو بلغ أعظم ولاية وكان لايخطأ قط وكان مستقيماً؛ لم يكن أفضل من الرسل ولم يكن أفضل من الأنبياء، والرسل والأنبياء لا يعبدون من دون الله، فالأولياء من باب أولى. أهـ.

❊ ❊ ❊

وأما ما يقوله بعض الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله»(١) فهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ،

---

(١) ضعيف، رواه أبوبكر الكلاباذي في «مفتاح المعاني» (ق/ ٢٧٥/ ١) وابن عساكر (١٢/ ٣٤٥/ ٢) وقال: «قال ابن شاهين: تفرد به مصعب بن ماهان» قلت: وهو صدوق كثير الخطأ، كما في «التقريب».

قلت: «لكن في الطريق إليه أحمد بن عيسى الخشاب، قال ابن عدي: له مناكير، ثم ساق له هذا الحديث وقال: فهذا باطل بهذا السند» ثم رواه ابن عدي (ق/ ١٦٦/ ٢) وغيره من حديث أنس بن مالك مرفوعا: «أكثر أهل الجنة البله» وقال: «منكر بهذا الإسناد، لم يروه غير سلامة بن روح» قلت: وهو ضعيف لسوء حفظه، وتابعه سفيان بن عيينة عند أبي موسى المديني في «اللطائف» (ق٧٥/ ١) ولكنه قال: «حديث غريب جداً من حديث ابن عيينة عن الزهري، وإنما يعرف هذا من رواية سلامة بن روح».

وروي مرسلاً من وجهين: الأول: عن محمد بن المنكدر، فقال المعافى بن عمران في «الزهد» (ق/ ٢٤٩/ ١): حدثنا محمد بن أبي حميد المدني عن محمد بن المنكدر مرفوعاً به: والمدني هذا ضعيف كما في التقريب.

والآخر: عن عمر بن عبدالعزيز مرسلاً مرفوعاً به وزاد: «وأعلى عليين لأولي الألباب» رواه عبدالوهاب الكلابي في «حديثه» (ق/ ١٧٦/ ٢) بسنده عن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز عن أبيه، وعبدالعزيز صدوق يخطئ كما في «التقريب» وفيه من لم أجد ترجمته، وفي هذه الرواية رد على من قال إن هذه الزيادة لم يوجد لها أصل، وأنها مدرجة من كلام أحمد بن أبي الحواري، فإن أحمد هذا ليس له ذكر في هذه الرواية.
=

ولا ينبغي نسبته إليه، فإن الجنة إنما خلقت لأولي الألباب، الذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه، فلم يذكر في أوصافهم البله، الذي هو ضعف العقل، وإنما قال النبي ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»(١) ولم يقل البله!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود أن الحديث باطل وليس بشيء، ولكن لو صح فالمراد أنهم شغلوا بطاعة الله والعبادة والإقبال عليها عما يتعلق بالدنيا وشأنها وجمعها ونحو ذلك، سموا بهذا المعنى لهذا المعنى، ولكن الحديث لا أصل له. أهـ.

* * *

والطائفة الملامية، وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه، ويقولون نحن متبعون في الباطن، ويقصدون إخفاء المرائين! ردوا باطلهم بباطل آخر!! والصراط المستقيم بين ذلك، وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام

= وإنما أطلت الكلام على هذا الحديث لأني رأيت الشيخ أحمد شاكر رحمه الله علق عليه بقوله: «ومجموع ما قيل فيه: إنه لا أصل له»! ولا أعلم أحداً من العلماء أطلق هذا القول على الحديث، وإنما قال ذلك بعضهم في الزيادة المذكورة كما تقدم، وإذا كان مردوداً فيها، فرده عن أصل الحديث أولى وأحرى، ولا يجوز في اصطلاح المحدثين أن يقال في حديث له سند واحد أو أكثر ولو كان ضعيفاً: لا أصل له، فليعلم ذلك. أهـ ألباني.

قال شاكر: ذكره العجلوني في كشف الخفا ١٦٤:٢ بلفظ: «**أكثر أهل الجنة البله**» ومجموع ما قيل فيه أنه لا أصل له. أهـ

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس، البخاري عن عمران، وهما مخرجان في الضعيفة (٢٨٠٠) تحت حديث آخر وقع فيه زيادة منكرة. أهـ ألباني

قال شاكر: رواه أحمد والشيخان من حديث ابن عباس، ورواه البخاري والترمذي من حديث عمران بن حصين، وانظر كشف الخفا ٢/ ١٣٩. أهـ

الحسنة، مبتدعون ضالون! وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله! ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾.

وأما الذين ذكرهم العلماء بخير من عقلاء المجانين، فأولئك كان فيهم خير، ثم زالت عقولهم، ومن علامة هؤلاء، أنه إذا حصل في جنونهم نوع من الصحو، تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، ويهتدون بذلك في حال زوال عقلهم، بخلاف من كان قبل جنونه كافراً أو فاسقاً، لم يكن حدوث جنونه مزيلاً لما ثبت من كفره أو فسقه.

وكذلك من جن من المؤمنين المتقين، يكون محشوراً مع المؤمنين المتقين، وزوال العقل بجنون أو غيره، سواء سمي صاحبه مولعاً أو متولهاً لا يوجب مزيد حال، بل حال صاحبه من الإيمان والتقوى يبقى على ما كان عليه من خير وشر، لا أنه يزيده أو ينقصه، ولكن جنونه يحرمه الزيادة من الخير، كما أنه يمنع عقوبته على الشر، ولا يمحو عنه ما كان عليه قبله.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد يقال في هذا: إن مسألة الجنون وما يحصل من اختلال العقل يكون من جملة المصائب التي يكفر بها السيئات، فإنها مصيبة عظمى، الجنون مصيبة عظمى،

والمصائب ثبت بالنصوص أنها يكفر بها الله الخطايا وتحط بها السيئات، فما أصابه من جنون أو ضعف في العقل، أو زوال في العقل من غير أن يسمى مجنوناً، بل سمي أبله، أو سمي بغير ذلك من الأسماء، فإن هذا يكون من جملة المصائب، يرجى له بها تكفير الذنوب، لكن لا يجعله بهذا من الأولياء وهو ليس من الأولياء قبل ذلك، بل كان معروفاً بالمعاصي، فالمقصود أن هذا كله من باب المصائب.

وبزوال العقل لا تقام عليه الحدود، ومع ذلك لا تزيده درجات، وإنما يحصل له تكفير السيئات، لأن المصيبة في الأصل تكفر السيئات، أما أصحاب الخمر فإنه تقام عليهم الحدود لأنهم تعاطوا الخمر باختيارهم، تقام عليهم الحدود ويقتلون فيمن قتلوا، أما المجنون فإنه وإن قتل لا يقتل، لكن تكون الدية على العاقلة، أما أهل الخمر فإن تصرفاتهم محسوبة عليهم، إنما الخلاف في الكلام في الطلاق والعتق وأشباه ذلك، والصواب أنه لا يقع الطلاق منه إذا ثبت أنه وقع منه في حال ذهاب عقله، هذا الذي أفتى به عثمان رضي الله عنه وهو الصواب، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة، لأن هذا يضره ويضر غيره جميعاً، بخلاف حد، فالحد يقام عليه، وليس إيقاع الطلاق عليه من الحد، بل هو شيء زائد، وهكذا لو أعتق عبيده لا يعتقون، ما دام ثبت أنه أعتق في حال زوال عقله، أما إذا قتل أحدا أو أخذ ماله فإنه لا يعفى عنه، لأنه يتخذ حيلة بسبب السكر، فيقام عليه حد السرقة ويقتل قصاصاً والزنا كذلك، وإنما الخلاف في القول. أهـ.

* * *

وما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام المطربة، من الهذيان، والتكلم لبعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه!! فذلك شيطان

يتكلم على لسانه، كما يتكلم على لسان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية!

وكيف يكون زوال العقل سبباً أو شرطاً أو تقرباً إلى ولاية الله، كما يظنه كثير من أهل الضلال؟! حتى قال قائلهم:

هم معشر حلوا النظام وخرقوا الـ سياج فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين، إلا أن سر جنونهم عزيز على أبوابه يسجد العقل

وهذا كلام ضال، بل كافر، يظن أن في الجنون سراً يسجد العقل على بابه!! لما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة، أو تصرف عجيب خارق للعادة، ويكون ذلك سبب ما اقترن به من الشياطين، كما يكون للسحرة والكهان! فيظن هذا الضال أن كل من خبل أو خرق عادة كان ولياً لله!!

ومن اعتقد هذا فهو كافر، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ فكل من تنزل عليه الشياطين لا بد أن يكون عنده كذب وفجور.

وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات، ويتركون الجمع والجماعات، فهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، قد طبع الله على قلوبهم، كما قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر، طبع الله على قلبه»[(١)].

---

(١) صحيح، لكنه لم يروه أحد من أهل الصحيح، والمراد به البخاري أو مسلم، خلافاً لما أفاده الشارح، وإنما رواه أبوداود والنسائي وأحمد وغيرهم، وصححه الحاكم على شرط مسلم فوهم، وسنده حسن، وله شواهد في «الترغيب» وغيره. أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: له شاهد أيضاً عند مسلم في الصحيح من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين**»[١] وذكره الحافظ في البلوغ في أول الجمعة، وهذا من شواهد هذا الباب.

والمقصود أن من ترك الجمع لغير عذر شرعي فهو من أسباب الختم على قلبه وخروجه من دائرة الإسلام. أهـ.

* * *

وكل من عدل عن اتباع سنة الرسول، إن كان عالماً بها فهو مغضوب عليه، وإلا فهو ضال.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: كما قال تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧] فالمغضوب عليهم من عرف ولم يعمل كاليهود وأشباههم، والضال من تعبد على جهالة من غير علم. أهـ.

* * *

ولهذا شرع الله لنا أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأما من يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليه السلام، في تجويز

---

(١) مسلم (٨٦٥) كتاب الجمعة/ باب صلاة الجمعة وما يتعلق بها من أحكام من حديث عبدالله ابن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهم.

الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني، الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق؛ فهو ملحد زنديق، فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته، ولهذا قال له: «أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم»[١].

ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه[٢]، وإذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض، إنما يحكم بشريعة محمد، فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة؛ فليجدد إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان.

وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة، وحرك تر .

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله المؤلف كلام عظيم وكلام جيد، فمن زعم أن أحداً من الناس يستغني عن اتباع محمد ﷺ، ويزعم أنه يأتيه علم من الله رأساً، ويقول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي، من زعم هذا وقال إنه بإمكانه الاستغناء عن شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وأن يستقل بعلم خاص من الله عز وجل ليس من طريق الأنبياء، بل من طريق أوهامه وما يقع في قلبه من

---

(١) هو قطعة من حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها «الأنبياء».أهـ ألباني

(٢) كأنه يشير إلى الحديث الذي ذكره شيخه ابن كثير في تفسير سورة الكهف بلفظ: «لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي» وهو حديث محفوظ دون ذكر عيسى فيه، فإنه منكر عندي لم أره في شيء من طرقه، وهي مخرجة في الإرواء (١٥٨٩).أهـ ألباني.

الخواطر، وما يزعم أنه تلقاه عن الله؛ فقد أبعد النجعة، وقد ضل عن سواء السبيل، وقد خرج عن دائرة الإسلام وصار إلى دائرة الكفر، نعوذ بالله، لأنه يلزم جميع الناس أن يتبعوا محمداً عليه الصلاة والسلام ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٦] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨] فمن زعم أنه يجوز له الخروج عن شريعة محمد عليه الصلاة فقد قال قولاً عظيماً وأتى كفراً بواحاً، نعوذ بالله، وهذا كفر شنيع، وهذا يدعيه كثير من الصوفية الضالين الزنادقة، يزعمون أنهم يستغنون بما يتلقونه بزعمهم عن الله من طريق التحديث، من طريق الحديث الذي يقع في القلب، وأن الله جل وعلا يحدثهم ويأمرهم وينهاهم، وهذا من جهلهم ضلالهم ونفاقهم وبعدهم عن الهدى، فإن الخضر ليس من بني إسرائيل وليس موسى مبعوثاً إليه، فالخضر نبي مستقل ليس له تعلق بموسى، وموسى إنما بعث إلى بني إسرائيل، وكل نبي قبل نبينا يبعث إلى قومه خاصة، وغيرهم غير مسئول عنهم وغير مسئولين عنه، أما محمد ﷺ فقد بعثه الله إلى الناس عامة، إلى الجن والإنس والعرب والعجم والذكور والإناث والأغنياء والفقراء والحكام والمحكومين، كلهم مأمورون باتباع محمد عليه الصلاة والسلام، وكلهم مأمورون بإخلاص العبادة لله وحده، فمن خرج عن طريقة محمد وعن شريعته فقد كفر بالله وضل عن سواء السبيل، ولا يكون من الأولياء كما يزعم هؤلاء الزنادقة من الصوفية أنهم يستقلون بعلم لدني من عند الله، تحدثهم قلوبهم عن ربهم، وأنهم ليسوا بحاجة إلى اتباع الأنبياء، هذا ضلال وزندقة وكفر وإلحاد، ولهذا قال الخضر لموسى لما سلم عليه قال: «**إنك على علم من علم الله علمك الله إياه لا**

أعلمه أنا، وأنا على علم من علم الله علمنيه إياه لا تعلمه أنت»[(١)] فالخضر له شأن وله نبوة وله وحي من جهة الله غير ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام، والأولياء ليسوا أفضل الأنبياء، والأنبياء والرسل هم أفضل الناس وهم خير الناس، ثم بعد ذلك طبقات المؤمنين على تفاوتها، فمن زعم أن الولي يكون أفضل من النبي فقد ضل وزعم قولاً باطلاً، فأولياء الله إنما يكونون محمودين ولهم الثواب العظيم إذا كانوا من أتباع الأنبياء، إذا اتبعوا الأنبياء، فكيف يكونون فوق الأنبياء؟

فإن فضلهم وكمال إيمانهم أن يكونوا متبعين للأنبياء سائرين خلف الأنبياء، ليسوا خارجين عن الأنبياء.

فالمؤمنون الخلص الكمل هم الذين أكملوا اتباعهم لأنبيائهم، واجتهدوا في تطبيق ما جاءت به أنبياؤهم، والكمل من المؤمنين في أمة محمد ﷺ هم الذين استقاموا على طريقة نبيهم ﷺ وحافظوا عليها وجاهدوا أنفسهم في ذلك، حتى أدوا ما أوجب الله وتركوا ما حرم الله، فصاروا بهذا من المؤمنين، وصاروا من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بسبب اتباعهم للنبي ﷺ وبسبب استقامتهم على طريقه وأدائهم ما أوجب الله عليهم وتركهم ما حرم الله عليهم، وكلما كان

---

(١) رواه البخاري (١٢٢) كتاب العلم/ باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، و(٣٤٠١) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، و(٤٧٢٥) كتاب التفسير/ باب قوله ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَنٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝﴾ و(٤٧٢٦) باب قوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۝﴾ و(٤٧٢٧) باب قوله تعالى ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ ومسلم (٢٣٨٠) كتاب الفضائل/ باب فضل الخضر ﷺ، من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم.

خوفهم من الله أكثر، وكلما كان اتباعهم للنبي ﷺ أكمل في الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، وكان اتباعهم أكمل في الدعوة إلى الله والتبليغ عن الله؛ صار إيمانهم أقوى وأكمل، والله المستعان. أهـ.

* * *

وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا!! فهلا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله ﷺ حين أحصر عنها، وهو يود منها نظرة ؟!

وهؤلاء لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ إلى آخر السورة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذا جنون، هؤلاء الذين يقولون هذه المقالات أصابهم هوس وأصابهم نوع من الجنون، فيتكلمون بكلام لا يقوله إلا المجانين، فإن كون الكعبة تطوف بأحد، أو تخرج من مكانها وتطوف بأحد من الأولياء، هذا لا يقوله من يعقل، هذا لا يقوله إلا مجنون معتوه قد ضاع عقله، فالكعبة في مكانها لا تخرج لأحد ولا تطوف بأحد، هي في مكانها مستقرة، ولم تخرج للنبي ﷺ ولا لغير النبي ﷺ وهو أفضل الخلق.

والمقصود أن كلام بعض الصوفية كلام فيه من الهوس والفساد - فساد العقل - وما يدل على أنه ضاعت عقولهم وتكلموا بما يقوله المجانين وأشباه المجانين. أهـ.

* * *

قوله: (ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً).

ش: قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

وقد تقدم قوله ﷺ: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»(١) وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» فبين أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، وأن الاختلاف واقع لا محالة

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أن الواجب هو التمسك بالحق والاجتماع على الحق والتعاون على البر والتقوى، وترك الخلاف والنزاع والخروج على ولاة الأمور، فإن الله جل وعلا أمر الناس بأن يعتصموا بحبله جميعاً، قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ

---

(١) صحيح، رواه أبوداود وغيره، وقد مضى، وأما الرواية التي بعدها ففيها ضعف كما تقدم هناك.أهـ ألباني

جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فالواجب هو الاجتماع على الحق والتعاون على البر والتقوى، وعلاج الأمور التي توجب الاختلاف والشقاق بالحكمة، على ضوء كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة، وعدم منع يد من طاعة، بل يجب على الجميع أن يكونوا منقادين لما جاء به الشرع متمسكين به متعاونين عليه، متعاونين ضد خلافه، مطيعين لولاة أمرهم في المعروف، تاركين للشقاق والخلاف الذي يفضي إلى النزاع والانقسام، حتى يكون الحق بينهم ظاهراً، وحتى تختفي بينهم الرذائل التي حرمها الله عز وجل، ولهذا قال: «نرى الجماعة حقاً وصواباً» فالجماعة حق وصواب، يجب التمسك بالجماعة والحذر من أسباب الشقاق والخلاف الذي يضر الجميع ولا يفيد إلا الأعداء.

ورواية الترمذي فيها ضعف، ولكن معناها صحيح، فهي تفسر الجماعة، فإن الجماعة هي المتمسكة المستقيمة على الكتاب والسنة. أهـ.

❊ ❊ ❊

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد»[1].

---

(١) صحيح الإسناد، وأقول الآن: كلا، ولا أدري كيف وقع هذا، فالسند ضعيف كما هو مبين في «تخريج المشكاة» (١٨٤) ثم في الأحاديث الضعيفة (٣٠١٦) وضعيف الجامع الصغير (١٤٧٧). أهـ ألباني

قال شاكر: المسند: ٥/ ٢٣٢-٢٣٣ (طبعة الحلبي) ومجمع الزوائد ٥/ ٢١٩. أهـ

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: شواهده جيدة، ولكنه هنا ضعيف لأجل الانقطاع بين العلاء وبين معاذ، لكن معناه صحيح، فإن هذا هو الجماعة، فأما التحذير من الشعاب فهذا إنما يكون عند الاستقامة وصلاح القرى والمدن، فأما إذا اختلفت القرى والمدن وكثر فيها الشر والفساد وانتشر فيها أنواع الشرور، فإن الإنسان يفر بدينه من الفتن إلى الشعاب، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**»[(١)] وفي اللفظ الآخر: قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟ قال: «**مؤمن مجاهد في سبيل الله**» قيل ثم من؟ قال: «**مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره**» رواه البخاري[(٢)].

فالمقصود أن عند الحاجة إلى الفرار من الفتن، يفر من القرى والمدن إلى الشعاب وإلى البعد عن أهل الشر والفساد والدعوة إلى الباطل، وإذا استقامت الأحوال في المدن والقرى فهي أفضل وأقرب إلى الجماعة والتعاون على الخير والتعلم والتفقه في الدين.

فهذا الأثر على ما فيه من الضعف محمول على ما إذا استقامت الأحوال، فإذا اختلت الأمور فلا مانع من الخروج إلى الشعاب والفرار

---

(١) رواه البخاري (١٩) كتاب الإيمان/ باب من الدين الفرار من الفتن، و(٣٣٠٠) كتاب بدء الخلق/ باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، و(٣٦٠٠) كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، و(٦٤٩٥) كتاب الرقاق/ باب العزلة راحة من خلطاء السوء، و(٧٠٨٨) كتاب الفتن/ باب التعرب في الفتنة، ورواه أبوداود (٤١٠٠) كتاب الفتن/ باب ما يرخص من البداوة في الفتنة، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) البخاري (٢٧٨٦) كتاب الجهاد والسير/ باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، و(٦٤٩٤) كتاب الرقاق/ باب العزلة خير من خلطاء السوء، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بالدين من الفتن إلى الشعاب وإلى رؤوس الجبال، ليبتعد عن الخطر في بلاده التي وقع فيها الخطر. أهـ.

* * *

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «هاتان أهون»[١] فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، مع براءة الرسول من هذه الحال، وهم فيها في جاهلية، ولهذا قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو قرح أصيب بتأويل القرآن - فهو هدر، أنزلوهم منزلة الجاهلية[٢].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا المعنى جاء في حديث آخر أنه ﷺ سأل ربه أن لا يصابوا من فوقهم ومن تحتهم، وسأل ربه أن لا يهلكهم بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وسأله أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فلم يجبه[٣]، فالخلاف واقع. أهـ

وقد روى مالك[٤] بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها، أنها

---

(١) صحيح، وعزوه للصحيحين وهم، فإنه من أفراد البخاري كما يدل على ذلك تخريج ابن كثير إياه في التفسير، والحافظ المزي في «التحفة» (٢/ ٢٥١). أهـ ألباني

(٢) رواه الخلال في كتاب السنة (١٢٧) ١/ ١٥٢ طاعة الإمام وترك الخروج عليه.

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب اقتراب ظهور الفتن، من حديث ثوبان رضي الله عنه، و(٢٨٩٠) من حديث عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه.

(٤) لم أجده في الموطأ. أهـ ألباني

كانت تقول: ترك الناس العمل بهذه الآية، يعني قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية، وهكذا تسلسل النزاع.

والأمور التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع؛ إذا لم ترد إلى الله والرسول، لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً، ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيقر بعضهم بعضاً، ولا يعتدي ولا يعتدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول، مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل، مثل حبسه وضربه وقتله، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: إما عادلون وإما ظالمون، فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء، ولا يظلم غيره، والظالم: الذي يعتدي على غيره، وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ﴾ وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل، أقر بعضهم بعضاً، كالمقلدين لأئمة العلم، الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل،

فجعلوا أئمتهم نواباً عن الرسول، وقالوا: هذا غاية ما قدرنا عليه، فالعادل منهم لا يظلم الآخر، ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل، مثل أن يدعي أن قول مقلَده هو الصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من خالفه، مع أنه معذور.

ثم إن أنواع الافتراق والاختلاف في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.

واختلاف التنوع على وجوه:

منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم، حتى زجرهم النبي ﷺ، وقال: «كلاكما محسن»[١].

ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، ومحل سجود السهو، والتشهد، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك، مما قد شرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ثم تجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك! وهذا عين المحرم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا الذي قاله الشيخ من الأمور المهمة التي يخفى أمرها على كثير من الناس، فإن الواجب على المختلفين في أي مسألة كانت هو تحري الحق، ورد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، والعناية بذلك بإخلاص وصدق، فإذا خفي عليهم الأمر عذر بعضهم بعضاً ولم يظلمه ولم يبغ عليه، حتى يتضح الحق بالدليل، ثم تجد صراعات، هل هو محل اختلاف تنوع أو تضاد؟

---

(١) البخاري من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. اهـ ألباني

فإن كان اختلاف تنوع فالأمر فيه واسع، ولا يجوز لأحد أن يتعدى على أحد ولا أن يخطأ أحداً في ذلك، لأن اختلاف التنوع كله جائز، فإذا أذن بأذان بلال أو بأذان أبي محذورة، شفع الإقامة أو أوترها، استرجع في الشهادة أم لا، كذلك فيما يتعلق بأنواع التشهد وأنواع الاستفتاح، كلها بحمد الله جائزة، والله وسع فيها ونوع وجعلها عبادات، لكن يأتي بهذا تارة وهذا تارة، فلا يجوز تعدي شخص على شخص من أجل ذلك، فيقال هذا أرجح أو هذا هو الحق أو لا يجوز إلا هذا، فإن هذا نوع ظلم وعدوان وتضييق لما وسع الله، ولا مانع من أن يبين الأرجح عنده، أن هذا الأرجح عندي وهذا الأولى، أما أن يلزم غيره برأيه مع أن الله وسع ويسر، فهذا من الظلم والعدوان.

وأما اختلاف التضاد وكون الشيئين لا يجمع بينهما، بل هذا ضد هذا، فهذا يعرض على الدليل وينظر في الدليل، فأيهما رجّح الدليل فهو الحق، الحق واحد في الأشياء المتضادة، بخلاف التنوع فإنها كلها حق، فليس لأحد أن يبغي ويظلم لمجرد هواه بغير حجة ولا برهان. أهـ.

* * *

كذا تجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر والنهي عنه؛ ما دخل به فيما نهى عنه النبي ﷺ.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، ونحو ذلك.

ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى والاعتداء على قائلها! ونحو ذلك.

وأما اختلاف التضاد، فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما

في الفروع، عند الجمهور الذين يقولون: المصيب واحد.

والخطب في هذا أشد، لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقاً ما، فيرد الحق مع الباطل، حتى يبقى هذا مبطلاً في البعض، كما كان الأول مبطلاً في الأصل، وهذا يجري كثيراً لأهل السنة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أن كثيراً من الناس في ما يتعلق باختلاف التضاد، قد يحمله هواه وجهله أو ما في قلبه من الغل على أخيه أن يرد حقه وباطله، فلا يقبل لا حقه ولا باطله، بل يرد الجميع، والواجب التفصيل، فأخذ الحق واجب ورد الباطل واجب، فإذا كان مع أخيك حق تأخذ الحق وتلتزم به وترد الباطل، ولا تردهما جميعاً، فمن الإنصاف والواجب أن تفصل، كما أنه يفصل هو أيضاً ويقبل الحق ممن جاء به ويرد الباطل على من جاء به، ولا يرد الحق والباطل جميعاً لأجل الهوى أو الجهل أو نحو ذلك، بل الواجب النظر والإنصاف، وعدم رد الحق من أجل أنه قارنه باطل. أهـ.

* * *

وأما أهل البدعة، فالأمر فيهم ظاهر، ومن جعل الله له هداية ونوراً رأى من هذا ما تبين له منفعة ما جاء في الكتاب والسنة من النهي عن هذا وأشباهه، وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا، لكن نور على نور.

والاختلاف الأول، الذي هو اختلاف التنوع، الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك، إذا لم يحصل بغي، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ

أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار، فقطع قوم، وترك آخرون.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني في الحرب عند الحاجة إلى ذلك في الحرب، لأن العدو قد يتخذ الشجر وقد يؤذي المسلمين بسبب الشجر، أو لأن المسلمين أرادوا إذلالهم وإتلاف بعض أموالهم لئلا يستعينوا بها على المسلمين، ومثل الذين صلى بعضهم في الطريق وبعضهم أخّر العصر في بني قريظة أخذاً بأمر النبي ﷺ، فلم يعنف طائفة منهما، لأن كلاً منهما مجتهد وطالب للحق. أهـ.

* * *

وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم، وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة[١].

وكما في قوله: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[٢].

والاختلاف الثاني، هو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وذمت الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ﴾ وقوله

(١) البخاري ومسلم عن ابن عمر. أهـ ألباني

(٢) البخاري ومسلم وأحمد من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص. أهـ ألباني

تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ الآيات.

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة - من القسم الأول،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: اختلاف التنوع. أهـ.

* * *

وكذلك إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء، لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك، ولذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ﴾ لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

وقريب من هذا الباب ما خرجاه في الصحيحين، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(١).

فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللاً بأن سبب هلاك الأولين

---

(١) صحيح، وهو مخرج في الأحاديث الصحيحة (٨٥٠) برواية الترمذي وتصحيحه، وفي الإرواء (١٥٥و٣١٤) برواية الشيخين وغيرهما، وقد ذكرت له فيه سبع طرق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه .أهـ ألباني

إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

ثم الاختلاف في الكتاب، من الذين يقرون به على نوعين:

أحدهما اختلاف في تنزيله، والثاني اختلاف في تأويله، وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض:

فالأول كاختلافهم في تكلم الله بالقرآن وتنزيله، فطائفة قالت: هذا الكلام حصل بقدرته ومشيئته لكونه مخلوقاً في غيره لم يقم به.

وطائفة قالت: بل هو صفة له قائم بذاته ليس بمخلوق، لكنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته.

وكل من الطائفتين جمعت في كلامها بين حق وباطل، فآمنت ببعض الحق، وكذبت بما تقوله الأخرى من الحق، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وأما الاختلاف في تأويله، الذي يتضمن الإيمان ببعضه دون بعض، فكثير، كما في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فقىء في وجهه حب الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وكلتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فانتهوا»[1] وفي رواية: «يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به» وفي رواية: «فإن

---

(١) صحيح، وقد مضى. أهـ ألباني

الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا، وإن المراء في القرآن كفر»[١] وهو حديث مشهور، مخرج في المسانيد والسنن.

وقد روى أصل الحديث مسلم في صحيحه، من حديث عبدالله بن رباح الأنصاري، أن عبدالله بن عمرو قال: هجرت إلى النبي ﷺ يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»[٢].

وجميع أهل البدع مختلفون في تأويله، مؤمنون ببعضه دون بعض، يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات، وما يخالفه: إما أن يتأوله[٣] تأويلاً يحرفون فيه الكلم عن مواضعه، وإما أن يقولوا: هذا متشابه لا يعلم أحد معناه، فيجحدوا ما أنزله من معانيه! وهو في معنى الكفر بذلك، لأن الإيمان باللفظ بلا معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ أي: إلا تلاوة من غير فهم معناه.

وليس هذا كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القران فعمل به، واشتبه عليه بعضه فوكل علمه إلى الله، كما أمره النبي ﷺ بقوله: «فما عرفتم منه

---

(١) صحيح.أهـ ألباني

(٢) صحيح لإخراج مسلم إياه.أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ٢/ ٣٠٤ وكذلك رواه أحمد في المسند من هذا الوجه ٦٨٠١ وهو من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.أهـ

(٣) الأقرب: يتأولوه، ابن باز.

فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه»[١] فامتثل ما أمر به ﷺ.

قوله: (ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس).

ش: ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد» وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ عام في كل زمان، ولكن الشرائع تتنوع، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أمر معلوم بالنصوص وبالإجماع، قد دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم على أن دين الله واحد وهو دين الإسلام، ليس هناك دين آخر، وهو الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، وهو في الحقيقة إفراد الله بالعبادة والاستسلام لأمره والانقياد لشرعه، كما مضى في عهد آدم وعهد نوح وعهد وصالح ومن بعدهم إلى محمد ﷺ.

فدين الله استسلام لله بطاعته وتوحيده والإخلاص له، وترك لما نهى عنه، فأصله هو إفراد الله بالعبادة وتخصيصه بالعبادة والانقياد لشرعه الذي جاءت به الرسل، في كل أمة بحسب رسولها، فإن الشرائع مختلفة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

فالإسلام في عهد آدم هو توحيد الله وإفراده بالعبادة وأداء الشريعة

(١) صحيح، وهو رواية عند أحمد (٢/ ١٨١) في الحديث (٤٦٢). أهـ ألباني

التي أُمر بها آدم والالتزام بها، وفي عهد نوح الإسلام هو دين الله وتوحيده والإخلاص له والالتزام بالشريعة التي جاء بها نوح، وفي عهد هود كذلك، هو تخصيص الله بالعبادة وإخلاص الوجه له والالتزام بالشريعة التي جاء بها هود، وهكذا في زمن صالح وزمن إبراهيم، وهكذا من بعده، إلى أن جاء محمد ﷺ خاتم الأنبياء، قد تكون الصلاة عند بعض الرسل والزكاة والصيام غير ما عند الرسول الآخر، كذلك المعاملات والمحرمات.

ولما ذهب موسى وجاء محمد، صار شرط الإسلام هو الإيمان بمحمدٍ ﷺ، لابد منه، ولما جاء عيسى صار شرط الإسلام الإيمان بعيسى، فلما كفروا بعيسى صاروا كفاراً، وهكذا، فلابد من التوحيد مع الإيمان بالرسول الحاضر، الرسول المرسل في الوقت الحاضر، ولما جاء محمد وجب عليهم الإيمان بمحمدٍ ﷺ، فمن لم يؤمن به صار كافراً، ولو عمل بكل ما جاء به موسى وعيسى، حتى يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام.

فالإسلام إفراد الله بالعبادة، هو الاستسلام لما يأمر به وينهى عنه، والانقياد لذلك والرضا به والانشراح به، مع الالتزام بالشرع الذي هو الأوامر والنواهي، فمن أبى هذا الدين ولم يرض به صار من الكافرين، ولهذا قال سبحانه ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

فرضيه للأمة المحمدية كما رضيه لمن قبلها من الأمم، وقال في آية آل عمران: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥] ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]

سمي دين الله إسلاماً لما يتضمنه من الانقياد لله والامتثال لشرعة والوقوف عند حدوده، فمادة سلم وأسلم يتضمنان إخلاصاً لله وانقياداً، فالمؤمن سلم لله وأخلص عمله لله وحده واستسلم لأمره وشرعه وانقاد له، يرجو ثوابه ويخشى عقابه سبحانه وتعالى، فمن خرج عن هذا السبيل وهذا الطريق واتبع سوى ذلك، فليس من الإسلام في شيء. أهـ.

* * *

فدين الإسلام هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة رسله، وأصل هذا الدين وفروعه روايته عن الرسل، وهو ظاهر غاية الظهور، يمكن كل مميز من صغير وكبير، وفصيح وأعجم، وذكي وبليد؛ أن يدخل فيه بأقصر زمان، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار كلمة، أو تكذيب، أو معارضة، أو كذب على الله، أو ارتياب في قول الله تعالى، أو رد لما أنزل، أو شك فيما نفى الله عنه الشك، أو غير ذلك مما في معناه.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني الدخول فيه ميسر والخروج منه أسرع وأكثر، نسأل الله العافية، فالدخول فيه بالشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، عن إيمان وصدق وعلم ويقين وإخلاص ومحبه لله سبحانه وتعالى، والخروج منه يكون تارة بكلمة، تارة بفعل، تارة باعتقاد، تارة بشك، هذه أنواع الخروج، قد يخرج بقول، قد يخرج بفعل، قد يخرج بشك، قد يخرج باعتقاد جازم.

فمن الكلمات: سب الله أو سب الدين أو الرسول ﷺ أو ما أشبه ذلك.

ومن الأفعال: السجود لغير الله، امتهان المصحف، البول عليه،

تنجيسه، وغير هذا من الأفعال القبيحة المنكرة، الذبح لغير الله.

ومن الشكوك: أن يشك هل الله موجود أو غير موجود؟ هل الصلاة واجبة أو غير واجبة؟ هل الزكاة واجبة أو غير واجبة؟ هل الصوم واجب أو غير واجب؟ هل الحج مع الاستطاعة واجب أو غير واجب؟

هذا الشك كفر أكبر مستقل.

ومن الاعتقاد أن يعتقد أن لله شريكاً في العبادة، أو أن الرسول محمداً ﷺ أو غيره من الرسل ليس بصادق، أو يعتقد أن الجنة ليست بحق، أو ما هناك بعث، أو ما هناك نشور، أو يشك في ذلك، كل هذه أنواع من الكفر الأكبر والردة عن الإسلام، نعوذ بالله.

فالخروج من الإسلام بأقل شيء يخالف ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، هذا يبين لك أن الأمر خطير، وأن الواجب على المكلف أن يتحفظ ويحذر من شر لسانه وشر فعاله وشر قلبه، ويسأل ربه الثبات على الحق، وأن لا يزيغ قلبه عن الهدى، فكم من زائغ وكم من هالك، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهـ.

* * *

فقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلمه، وأنه يتعلمه الوافد ثم يولي في وقته.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني تفد الوفود على النبي ﷺ ويسألونه عن الإسلام، ثم يرجعون دعاة إلى قومهم في الحال، يفدون إليه جلسة واحدة يسألونه، فيعلمهم الشهادتين والصلاة والزكاة وما بعد ذلك، ثم يذهب أحدهم إلى قومه معلماً ومرشداً وداعياً وهادياً. أهـ.

* * *

واختلاف تعليم النبي ﷺ في بعض الألفاظ بحسب من يتعلم، فإن كان بعيد الوطن، كضمام بن ثعلبة النجدي، ووفد عبدالقيس، علمهم ما لم يسعهم جهله، مع علمه أن دينه سينشر في الآفاق، ويرسل إليهم من يفقههم في سائر ما يحتاجون إليه، ومن كان قريب الوطن يمكنه الإتيان كل وقت، بحيث يتعلم على التدريج، أو كان قد علم فيه أنه قد عرف ما لا بد منه؛ أجابه بحسب حاله وحاجته، على ما تدل قرينة حال السائل، كقوله: «قل آمنت بالله ثم استقم» وأما من شرع ديناً لم يأذن به الله، فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي ﷺ ولا عن غيره من المرسلين، إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق.

وقوله: «بين الغلو والتقصير» قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج رسول الله ﷺ عن عمله في السر؟

فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا؟! لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١).

---

(١) صحيح، ولكنه عندهما من حديث أنس وليس من حديث عائشة، وإنما لها عندهما حديث آخر بغير هذا السياق، وفيه قوله ﷺ: «ما بال أقوام يرغبون عما رخص لي فيه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية» وليس فيه: «فمن رغب..». أهـ ألباني

وفي غير الصحيحين: سألوا عن عبادته في السر، فكأنهم تقالوها[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمعنى في هذا أن دين الله وهو الإسلام بين الغلو وبين التقصير، وسط بين الغلو والتقصير، بين الزيادة والجفاء، فلا غلو ولا جفاء، فالغلو الزيادة في الدين والبدع وعدم الرضا بما شرعه الله، هذا غلو، والله نهى عن الغلو في الدين، وقال ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[٢] مثل ما قال هؤلاء، أحدهم يقول لا أنام على الفراش، والثاني يقول لا آكل اللحم، وآخر يقول لا أتزوج النساء، والآخر يقول أصلي ولا أنام، والآخر يقول أصوم ولا أفطر، وهذا زيادة ومشقة وغلو في الدين وتشديد.

والجفاء عدم الوقوف عند الحدود، بل يجفو وينقص، ويتعاطى المحرمات من الزنا والسرقة وشرب المسكرات والعقوق وغير هذا مما

---

(١) قلت: بل هو عند البخاري في أول «النكاح» في القصة التي قبلها، دون قوله «في السر» وهذا عند أحمد (٣/ ٢٥٩).أهـ ألباني

قال شاكر: مسلم ١/ ٣٩٤ ورواه البخاري أطول قليلاً ٩/ ٨٩-٩٠ ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه رقم ١٣ بتحقيقنا، وكذلك رواه أحمد في المسند ١٣٥٦٨-١٣٧٦٣-١٤٠٩٠-. كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد وهم الحافظ ابن كثير، فذكره في التفسير ٣/ ٢١٤ فذكر أنه «في الصحيحين عن عائشة»! وقلده في وهمه تلميذه الشارح هنا، وما وجدته من حديث عائشة قط، لا في الصحيحين ولا في غيرهما، ما استطعت.أهـ

(٢) رواه أحمد ١/ ٢١٥-٣٤٧، ورواه النسائي في الصغرى (٣٠٥٧)كتاب مناسك الحج/ باب التقاط الحصى، وابن ماجه (٣٠٢٩) كتاب المناسك/ باب قدر الحصى، ورواه البيهقي في السنن ٥/ ١٢٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٦٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، لكن قال النووي في المجموع ٨/ ١٣٧: إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذا رواه ابن أبي عاصم في السنة (٩٨) وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حرمه الله، هذا جفاء ونقص، هؤلاء لم يعطوا العبادة حقها كما أمر الله، هذا من الجفاء.

والوسط أن تؤدى العبادات على وجهها، وأن يوقف عند الحدود كما حدها الله، وأن تحذر المحارم فلا تقترف، هذا هو التوسط. أهـ.

* * *

وذكر في سبب نزول الآية الكريمة: عن ابن جريج، عن عكرمة أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، رضي الله عنهم في أصحابه – تبتلوا[١]، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يقول: لا تسيروا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا به من الاختصاء، فلما نزلت فيهم، بعث النبي ﷺ إليهم، فقال: «إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، صوموا وأفطروا، وصلوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا» فقالوا: اللهم سلمنا واتبعنا ما أنزلت[٢].

وقوله: «وبين التشبيه والتعطيل»

تقدم أن الله سبحانه وتعالى يحب أن يوصف بما وصف به نفسه،

---

(١) في تفسير ابن جرير (١٢٣٤٨، شاكر): «في أصحابٍ».أهـ

(٢) ضعيف بهذا السياق، وهو مرسل.أهـ ألباني

قال شاكر: رواية ابن جريج عن عكرمة ـ هذه ـ ذكرها ابن كثير في التفسير ٣/ ٢١٦، هكذا، بدون إسناد.أهـ

وبما وصفه به رسوله، من غير تشبيه، فلا يقال: سمع كسمعنا، ولا بصر كبصرنا، ونحوه.

«ومن غير تعطيل» فلا ينفي عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به أعرف الناس به: رسوله ﷺ، فإن ذلك تعطيل، وقد تقدم الكلام في هذا المعنى، ونظير هذا القول قوله: «ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه» وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا معنى كون أهل السنة والجماعة وسط بين أهل التشبيه والتمثيل وبين أهل التعطيل والتحريف، كما أنهم وسط فيما تقدم في أبواب كثيرة بين الطرفين الغالي والجافي، فهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين الخوارج والمعتزلة، وبين الجفاة من المرجئة وأشباههم، فأهل السنة والجماعة يقولون بإثبات الصفات وأنها حق وأنها لائقة بالله عز وجل، وأنه سبحانه وتعالى لا شبيه له وكفو له ولا ند له.

أما المشبهة فغلوا في الإثبات، فأثبتوها إثباتاً جعلوه فيها مشابهاً لخلقه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، والمعطلة نفوها وأبطلوها فراراً من التشبيه، وقالوا: متى أثبتناها شبهناه، فضلوا عن سواء السبيل، فالصواب ما عليه أهل السنة والجماعة، وهم أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم، فإنهم ساروا على نهج الرسول ﷺ وعلى نهج الرسل جميعاً، فأثبتوا ما أثبته الله ورسوله، ونفوا ما نفاه الله ورسوله، وقالوا في الإثبات

إنه إثبات بريء من التمثيل والتشبيه، وقالوا في التنزيه إنه تنزيه بريء من التعطيل والتحريف، هذا قول أهل السنة والجماعة في آيات الصفات وأحاديثها، يمرونها كما جاءت مع الإيمان بها وإثبات ما دلت عليه على وجه يليق بالله، مع تنزيهه وتقديسه عن مشابهة خلقه سبحانه وتعالى، هذا هو الحق، وهذا هو المستفاد من قوله جل وعلا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] رد على المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] رد على المعطلة الذين عطلوا صفات الله ونفوها ولم يثبتوها، فالله رد عليهم بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧] ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤] ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾ [المائدة:١٢٠] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ ﴾ [طه:٥] إلى غير ذلك، هذا رد على المعطلة، فالله عز وجل أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى عن نفسه مشابهة المخلوقات، هذا هو الحق، وهكذا قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢] ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل:٧٤] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ [الإخلاص:٤] كله رد على المشبهة. أهـ.

* * *

وقوله: «وبين الجبر والقدر».

تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأن العبد غير مجبور على أفعاله وأقواله، وأنها [ليست] بمنزلة حركات المرتعش وحركات الأشجار بالرياح وغيرها، وليست مخلوقة للعباد، بل هي فعل العبد وكسبه وخلق الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، بين الجبر والقدر، وأهل البدع انقسموا في هذا ما بين غال وما بين جاف، والحق بين الغلو والجفاء، فالمجبرة غلوا وقالوا: العبد مجبور ليس له فعل ولا إرادة، وشبهوه بالمرتعش الذي أصابته مصيبة في يده فصار يرتعش ولا يستطيع إمساكها، أو كأغصان الأشجار التي تحركها الرياح هكذا وهكذا، وهذا من أبطل الباطل، فالعبد له اختيار وله إرادة وليس مجبوراً، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [المدثر:٥٦] ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩] ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [الأنفال:٦٧] ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران:١٥٣] ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل:٧٧] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور:٣٠] فلهم أفعال ولهم صنع ولهم عمل ولهم إرادة ولهم مشيئة، فليسوا مجبورين ولا مقهورين في أفعالهم، بل يأتي ما يريد مختاراً ويدع ما يريد مختاراً، فيكلم هذا باختياره ويدع هذا باختياره، ويصافح هذا باختياره ويدع هذا باختياره، ويأكل ويشرب باختياره، ويدع ذاك الطعام وذاك الشراب باختياره، وهكذا مما هو أمر معلوم بالضرورة لا ينكره إلا مكابر.

وليسوا يخلقون أفعالهم ومستغنين عن الله كما تقوله القدرية النفاة، فإنهم يقولون: إن العبد يخلق فعله، وأنه ليس لله في أفعاله قدر ولا فعل، وهذا أيضاً باطل، فالله قدر الأشياء وعلمها وأحصاها، والعبد ليس له مشيئة واختيار إلا بمشيئة الله واختياره سبحانه وتعالى، فلو شاء الله أن يجعله كذا وكذا لفعل، فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء سبحانه

وتعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير:٢٩] فالعبد له مشيئة وله اختيار وله فعل وله إرادة، ولكن بعد مشيئة الله وبعد إرادة الله، وقد سبق في علم الله ما يفعله العباد، ولا يخرجون عما سبق في علم الله، مهما أرادوا ومهما شاءوا، فهم تحت مشيئة الله وتحت إرادة الله سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

وقوله: «**وبين الأمن والإياس**»

تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه، راجياً رحمته، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد، في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهكذا أهل السنة والجماعة، يقولون: يجب أن يكون العبد بين الأمن والإياس، فلا يكون آمناً ولا يكون قانطاً يائساً، بل بين هذا وهذا، يرجو رحمة الله ويحسن به الظن سبحانه وتعالى، ولا يقنط ولا ييأس، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧] وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] يعني للتائبين، فليس لنا أن نقنط ونيأس، بل هذا سوء ظن بالله، وليس لنا أن نأمن مكر الله ونغلب جانب الرجاء ونعرض عن الخوف، بل نخاف الله ونرجوه، نخاف ونعمل ما يجب، ونرجوه سبحانه ونسارع إلى مراضيه، فلا آمنين ولا يائسين، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ

ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:٩٩] والأمن من مكر الله معناه الخلود إلى أرض الشهوات وأرض المعاصي والسيئات، وعدم الخوف من الله وعدم المبالاة بوعيده سبحانه وتعالى، وهذا منكر عظيم وخطر كبير ومن صفات الخاسرين، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:٩٧-٩٩] ولكن يجب على العبد المؤمن أن يخاف الله ويرجوه، فيحمله الخوف من الله والحذر من وعيده على الحذر من المعاصي والسيئات والمبادرة إلى الطاعات، ويحمله الرجاء وحسن الظن بالله على عدم القنوط، وأنه يعمل راجياً حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، فيؤدي ما أوجب ويدع ما حرم الله عليه، مع حسن الظن، ومع الرجاء في أن الله جل وعلا يعطيه ما وعده من الجنة والكرامة إذا أدى حقه. أهـ.

* * *

قوله: (فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجبرية، والقدرية، وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق).

شرح: الإشارة بقوله: «فهذا» كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا.

والمشبهة: هم الذين شبهوا الله سبحانه بالخلق في صفاته، وقولهم

عكس قول النصارى، شبهوا المخلوق - وهو عيسى عليه السلام - بالخالق وجعلوه إلهاً، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق، كداود الجواربي وأشباهه.

والمعتزلة: هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله، في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة، وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبوالهذيل كتابين، وبين مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من التلبيس، فإن العدل معناه القول بأن الله جل وعلا لم يخلق أفعال العباد، حتى يكون عدلاً.

والتوحيد معناه نفي الصفات وتعطيل الله من صفاته جل وعلا، لأن إثبات الصفات عندهم نوع تشبيه وتعدد للآلهة، نسأل الله العافية.

وإنفاذ الوعيد يعني أن العصاة مخلدون في النار، ويستوجب فيهم وعيد الله، فمن مات على معصيته فهو مخلد في النار، السارق والزاني والقاتل، إذا لم يتوبوا فهم مخلدون في النار، هذا معنى إنفاذ الوعيد، وهذا من أبطل الباطل، بل هم تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم على قدر معاصيهم، ثم مصيرهم إلى الجنة بعد ذلك إذا كانوا قد ماتوا على التوحيد والإسلام.

والمنزلة بين المنزلتين حكم العصاة في الدنيا، لا كفار ولا مسلمون، ولكن منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة من أهل النار.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه الخروج على ولاة الأمور، إذا عصى ولي الأمر وجب الخروج عليه وقتاله وإن لم يكن كافراً، كما فعل الخوارج، فالخوارج والمعتزلة شيء واحد في هذه الأمور، ولهذا خرج الخوارج على علي وعلى معاوية وعلى الخلفاء بعدهم بوجود معصية اعتقدوا أنها معصية، فخرجوا عليهم بسبب ذلك وشقوا العصا وأفسدوا في البلاد.

هذه أصولهم الفاسدة، ووافقهم فيها الرافضة إلا في بعض الشيء، وزاد الرافضة عليهم بالإمامة، فجعلوا الإمامة ركناً من الأركان، وقد ضلوا وأخطأوا في ذلك أيضاً، وهم يخرجون من الإسلام بمكفرات كثيرة، مثل عبادتهم أهل البيت واعتقادهم أن أئمتهم يعلمون الغيب، وهم أقسام، فالشيعة كلهم أقسام كثيرة، فيهم الكافر المرتد وفيهم دون ذلك، على حسب عقائدهم، نسأل الله العافية.

والمعتزلة بالكسر، المشهور أنهم اعتزلوا الحسن البصري وكانوا يأتونه، كان واصل بن عطاء من قادتهم يجالسه، فلما أنكر عليهم الحسن هذا المعنى اعتزلوه، والمعنى أنهم اعتزلوا أهل السنة بهذا المعتقد الفاسد، وصاروا على جانب وانحازوا على جانب من أهل السنة، فهم الذين اعتزلوا أهل السنة، وهم الذين فارقوا أهل السنة. أهـ.

* * *

ولبسوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا، اشتمالها على حق وباطل، وهم مشبهة الأفعال، لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح

منه! وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا، بمقتضى ذلك القياس الفاسد!! فإن السيد من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسناً للقبيح، وإما عاجزاً، فكيف يصح قياس أفعاله سبحانه وتعالى على أفعال عباده؟!

والكلام على هذا المعنى مبسوط في موضعه.

فأما العدل، فستروا تحته نفي القدر، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً!! والله تعالى عادل لا يجور.

ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريده، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز! تعالى الله عن ذلك.

وأما التوحيد فستروا تحته القول بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق لزم تعدد القدماء!! ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهم يقولون ذلك، ينفون سائر الصفات، كما نفوا الكلام فإنهم ينفون سائر الصفات. أهـ.

❊ ❊ ❊

أو التناقض!

وأما الوعيد، فقالوا: إذا أوعد بعض عبيده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده، لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد، عندهم!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا من جهلهم

وعجمتهم، فإن إنفاذ الوعد هذا مما يثنى على صاحبه ويحمد عليه، فالله ينفذ وعده لا يخلف الميعاد سبحانه وتعالى، فما وعد به أهل الجنة وما وعد به أهل الإيمان منفذ وحاصل، أما إنفاذ الوعيد فترك ذلك مما يحمد عليه إن تركه، فإذا عفا وغفر، فإن هذا صفة كمال، فإذا أوعدهم بالعقوبات ثم عفا عنهم وتاب عليهم، فهذا من فضله سبحانه وتعالى وإحسانه، وهكذا في الدنيا، فالعبد إذا أوعد غلامه أو أوعد غيره ثم عفا وصفح وأسقط حقه لما رأى من الفائدة في ذلك والمصلحة في ذلك، فهذا مشكور وغير مذموم إذا كان العفو في محله. أهـ.

* * *

وأما المنزلة بين المنزلتين، فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر!! وأما الأمر بالمعروف، فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا، وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا!!

وقد تقدم جواب هذه الشبه الخمس في مواضعها.

وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التي لا يعلم صحة السمع إلا بعدها، وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية، فإنما يذكرونها للاعتضاد بها، لا للاعتماد عليها،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذه أصول المعتزلة، تقدم أن أصولهم الخمسة اخترعوها من كيسهم وعهدتهم، ومن آرائهم الفاسدة التي ليس لها برهان، وخالفوا فيها أهل السنة والجماعة، أخذوا أسماء، بعضها طيب وموافق في الظاهر لما جاءت به النصوص،

كالتوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه أسماء صحيحة، لكن فسروها بغير معناها الذي جاءت به الأدلة الشرعية، وبغير معناها الذي درج عليه سلف الأمة، فأصولهم الخمسة وهي التوحيد والعدل وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه أصولهم الخمسة، أحدثوا منها اثنين لا أساس لهما: إنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين، هذان أصلان لا أساس لهما، باطلان، وأما الأصول الثلاثة: التوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه أصول لها أصل من جهة اللفظ، من جهة الأسماء، ولكن المعاني غير المعاني التي أرادوها هم، فالتوحيد عندهم نفي الصفات وإبطال الصفات، وزعموا أنا إذا أثبتنا الصفات فقد جعلنا لله شركاء، هذا من الجهل العظيم، فإن الصفات ليست شريكة للموصوف، بل هي شيء منه، فكونه عليماً وسميعاً وبصيراً وحياً وقيوماً ليست شريكة له وليست أضداداً له وليست خارجة عنه، بل هي صفاته قائمة به، والمراد بها هو الله وحده سبحانه وتعالى.

وهكذا العدل، العدل اسم محبوب للنفوس والله أمر به ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل:٩٠] ولكن فسروا العدل بغير معناه، فسروا العدل بأن قالوا: إن العباد يخلقون أفعالهم، والله ليس خالقاً لأفعال العباد، وزعموا أن هذا هو مقتضى العدل، وهذا باطل، بل الله خلق الناس وخلق أفعالهم، الله خالقهم وخالق أفعالهم، ولا يكون في ملكه ما لا يريد، فجميع المخلوقات كلها خلقه سبحانه، فالموجودات خلقه وإيجاده، والله خالق العباد وخالق أفعالهم، أعطاهم القدرة وأعطاهم اختياراً ومشيئة وإرادة، فهم يتصرفون مشيئة وقدرة واختيار، لكنها لا

تخرج عن مشيئة الله وإرادته سبحانه وتعالى.

وإنفاذ الوعيد شيء اخترعوه، وقالوا: معناه أن ما توعد الله به العصاة فهو نافذ لا يمكن العفو عنه، فما توعد به العصاة فهو نافذ وهم مخلدون في النار، نسأل الله العافية، وهذا غلط، بل الله يعفو عمن يشاء سبحانه وتعالى، ولا يلزم إثبات الوعيد، فمن صفات الكمال ومن صفات الجود والكرم، العفو وعدم إنفاذ الوعيد.

وهكذا اخترعوا المنزلة بين المنزلتين، وقالوا: العاصي لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وهذا غلط، فالعاصي مسلم، مؤمن ناقص الإيمان، حتى يفعل ما يخرجه عن الإسلام، وليس في منزلة بين منزلتين، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن ضعيف الإيمان، ليس في عداد الكفرة، وليس في مرتبة بين الإسلام والكفر، إذ ليس هناك شيء بين الإسلام والكفر، إما كفر وإما إسلام.

والخامس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا حق، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق، قد أوجب الله على عباده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من صفات أهل الإيمان، لكن أدخلوا فيه أن الولاة والأمراء إذا عصوا وجب أن يزالوا وأن يخرج عليهم بالسلاح، وخالفوا في هذا أهل السنة والجماعة، وخالفوا فيها النصوص، فقد قال النبي ﷺ: **«من رأى من أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة»**(١)

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٤) كتاب الفتن/ باب قول النبي ﷺ **«سترون بعدي أموراً تنكرونها»** و(٧١٤٣) كتاب الأحكام/ باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ومسلم (١٨٤٩) كتاب الإمارة/ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والأحاديث التي جاءت في هذا المعنى.

فالمقصود أن هذه الأصول كلها مدخولة، كلها مخالفة لأهل السنة والجماعة وللنصوص الشرعية، وأصلان منها لا أساس لهما، وهما إنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين، هذان أصلان اخترعوهما لا أساس لهما. أهـ.

❊ ❊ ❊

فهم يقولون: لا نثبت هذه بالسمع، بل العلم بها متقدم على العلم بصحة النقل! فمنهم من لا يذكرها في الأصول، إذ لا فائدة فيها عندهم، ومنهم من يذكرها ليبين موافقة السمع للعقل، ولإيناس الناس بها، لا للاعتماد عليها!

والقرآن والحديث فيه عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب! والمدد اللاحق بعسكر مستغن عنهم! وبمنزلة من يتبع هواه واتفق أن الشرع ما يهواه!! كما قال عمر بن عبدالعزيز: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه.

فإذاً أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق، وتعاقب على ما تركته منه، لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والواجب على المؤمن أن يتبع الحق وإن خالف هواه، وإن خالف شهوته، عليه اتباع الحق ويؤثره طاعة لله وتعظيماً لله ورغبة في ثوابه، كما قال عز وجل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات:٤٠-٤١] وقال: «**حفت الجنة بالمكاره**»(١) وأما

(١) رواه البخاري والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه، وقد تقدم.

كثير من الناس فهو مع الحق إذا وافق الهوى وضده إذا خالف الهوى، فهو في الحقيقة ما اتبع إلا هواه. أهـ.

* * *

وكما أن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته، فالاعتقاد القوي يتبع أيضاً علم ذلك وتصديقه، فإذا كان تابعاً للإيمان كان من الإيمان، كما أن العمل الصالح إذا كان عن نية صالحة كان صالحاً، وإلا فلا، فقول أهل الإيمان التابع لغير الإيمان، كعمل أهل الصلاح التابع لغير قصد أهل الصلاح، وفي المعتزلة زنادقة كثيرة، وفيهم من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

والجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم، الذي ضحى به خالد بن عبدالله القسري بواسط، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى، وقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً! ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه، وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وقد أحسن في هذا رحمه الله، قد أحسن خالد أمير العراق في وقته حين قتل الجعد الذي دعا إلى تعطيل الصفات ونفيها، وتابع في هذا اليهود، فإنه قد أخذ مقالته عن اليهود، وأظهرها في الناس واغتر به جم غفير، فأنكر عليه السلف الصالح وصاحوا به وبينوا بدعته وخطأه وضلاله، فلهذا أفتوا أمير العراق بأن

يقتله، قال ابن القيم رحمه الله في هذا:

شكر الضحية كل صاحب سنة   لله درك من أخي قربان

فالمقصود أنه ضحى به، يعني قتله في ذلك اليوم نقمة وغيرة لله، وتعظيماً لأمره ونهيه، ونصراً لدينه، وإحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل، وتحذيراً من أن يسلك ضعفاء البصائر من اتباعه هذا المسلك الخبيث. أهـ.

* * *

وكان جهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس، بعد أن ترك الصلاة أربعين يوماً شكاً في ربه! وكان ذلك لمناظرته قوماً من المشركين، يقال لهم السمنية، من فلاسفة الهند، الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات، قالوا له: هذا ربك الذي تعبده، هل يرى أو يشم أو يذاق أو يلمس؟ فقال: لا، فقالوا: هو معدوم!! فبقي أربعين يوماً لا يعبد شيئاً، ثم لما خلا قلبه من معبود يؤلهه، نقش الشيطان اعتقاداً نحته فكره، فقال: إنه الوجود المطلق!! ونفى جميع الصفات، واتصل بالجعد.

وقد قيل: إن جعداً كان قد اتصل بالصابئة الفلاسفة من أهل حران، وأنه أيضاً أخذ شيئاً عن بعض اليهود المحرفين لدينهم، المتصلين بلبيد بن الأعصم، الساحر الذي سحر النبي ﷺ، فقتل جهم بخراسان، قتله سلم بن أحوز، ولكن كانت قد فشت مقالته في الناس، وتقلدها بعده المعتزلة، ولكن كان جهم أدخل في التعطيل منهم، لأنه ينكر الأسماء حقيقة، وهم لا ينكرون الأسماء بل الصفات.

وقد تنازع العلماء في الجهمية: هل هم من الثنتين وسبعين فرقة أم لا؟

ولهم في ذلك قولان:

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني أنهم كفار خارجون عن جنس الأمة، من جنس اليهود والنصارى، ليسوا من الفرق التابعة للنبي ﷺ والمنتسبة إلى الإسلام، فإن كفرهم وضلالهم يخرجهم من الثنتين والسبعين فرقة، لأن هذه الفرق هي منتسبة للإسلام على ما فيها من البدع والمعاصي والشرور، لكن هؤلاء خرجوا عنها، وصاروا من جنس اليهود والنصارى والمجوس وأشباههم، الذين ليسوا منتسبين للإسلام وليسوا منتسبين للنبي ﷺ، هذا وجه هذا القول. أهـ.

سؤال/ الثنتان والسبعون فرقة، هل هم مخلدون في النار أم لا ؟

أجاب سماحته: هذا فيه تفصيل، منهم من بدعته كفرته، ومنهم من دون ذلك. أهـ.

❊ ❊ ❊

وممن قال إنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة - عبدالله بن المبارك، ويوسف بن أسباط.

وإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فإنه من إمارة المأمون قووا وكثروا، فإنه قد أقام بخراسان مدة واجتمع بهم، ثم كتب بالمحنة من طرسوص سنة ثمان عشرة ومائتين وفيها مات، وردوا الإمام أحمد إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين، وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم بالكلام، فلما رد عليهم ما احتجوا به عليه، وبين أنه لا حجة لهم في شيء من ذلك، وأن طلبهم من الناس أن يوافقوهم وامتحانهم إياهم؛ جهل وظلم، وأراد المعتصم إطلاقه، أشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه، لئلا تنكسر

حرمة الخلافة مرة من بعد مرة! فلما ضربوه قامت الشناعة في العامة، وخافوا، فأطلقوه، وقصته مذكورة في كتب التاريخ.

ومما انفرد به جهم: أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني هم جبرية ومرجئة جميعاً، نسأل الله العافية، يقول ابن القيم في هذا:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

يعني قال بكفرهم من القدماء خمسمائة عالم من علماء السلف الصالح، لضلالهم وإنكارهم لما هو معلوم من الدين بالضرورة، ولا شك أن من قال هذه المقالة في إنكار أسماء الله وصفاته، وزعم أن الإيمان هو مجرد المعرفة، والكفر هو مجرد الجهل؛ أن هذا كفر وضلال وزندقة. أهـ.

* * *

وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، كما يقال تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس! ولقد أحسن القائل:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة ... إلى النار واشتق اسمه من جهنم

وقد نقل أن أبا حنيفة رحمه الله، لما سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام؟

فقال: لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام في هذا[1].

---

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بسنده إلى أبي عبدالرحمن السلمي في الفتاوى الكبرى ٦/ ٥٩٩.

والجبرية: أصل قولهم من جهم بن صفوان، كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه! وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أحد المعنيين، والمعنى الثاني: أنهم سموا مرجئة لإرجائهم الأعمال وعدم إدخالها في الإيمان وتغليبهم جانب الرجاء. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقد تسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب، وكما لا يجزم لمعين.

وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعلياً، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: هذه فرق الضلالة التي نشأت في الناس وصارت سبب شر على الناس، ابتلاء وامتحان، نسأل الله العافية. أهـ.

❊ ❊ ❊

وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في السنن: منها ما روى أبوداود في سننه، من حديث عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن

ماتوا فلا تشهدوهم»[١].

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ظاهر كلام أهل العلم في هذا أنه بتعدد طرقه ومخارجه من باب الحسن لغيره، ويحتمل أن يلحق بالصحيح، ولهذا جزم به أبوالعباس ابن تيمية في كتبه، قال في الواسطية: «ولهذا سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة» سماهم مجوس هذه الأمة لزعمهم أن العبد يخلق فعله، فشابهوا المجوس القائلين بالأصلين.

وهو كما قال الشيخ ناصر الدين الألباني: أنه بضم بعض طرقه إلى بعض يرتقي إلى الحسن أو الصحة، ولكن نحتاج إلى جمع طرقه. أهـ.

* * *

وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإن فيهم في الصحيح وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرها.

ولكن مشابهتهم للمجوس ظاهرة، بل قولهم أرادأ من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقَين، والقدرية اعتقدوا خالقِين!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وأمر آخر: وهو أن

(١) حسن، وقد تقدم.أهـ ألباني

قال شاكر: أبوداود ٤٦٩١، وروى أحمد نحوه بمعناه، في المسند ٥٥٨٤، من وجه آخر عن ابن عمر، وفصلنا القول فيه هناك.أهـ

المجوس أخضعوا الظلمة للنور فصاروا في الحقيقة يرجعون إلى خالق واحد، أما هؤلاء فزعموا أن العبد مستقل بأفعاله، إما مطلقاً وإما بأفعاله السيئة، وهذا شر من قول المجوس من وجوه كثيرة، نسأل الله العافية. أهـ.

* * *

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة، كما ذكر البخاري في صحيحه، عن سعيد بن المسيب، قال: وقعت الفتنة الأولى، يعني مقتل عثمان، فلم تبق من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية، فلم تبق من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة، فلم ترتفع وللناس طباخ[١]، أي عقل وقوة. فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى، والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية، والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة، فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً - يقابلون البدعة بالبدعة، أولئك غلوا في علي، وأولئك كفروه! وأولئك غلوا في الوعيد، حتى خلدوا بعض المؤمنين،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني في النار. أهـ.

* * *

وأولئك غلوا في الوعيد[٢] حتى نفوا بعض الوعيد أعني المرجئة! وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني الجهمية . أهـ.

* * *

(١) رواه البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب (٤٠٢٤) كتاب المغازي/ باب:

(٢) الصواب: الوعد، ابن باز.

وهؤلاء غلوا في الإثبات، حتى وقعوا في التشبيه! وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع، ويعرضون عن الأمر المشروع، وفيهم من استعان على ذلك بشيء من كتب الأوائل: اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، فإنهم قرؤوا كتبهم، فصار عندهم من ضلالتهم ما أدخلوه في مسائلهم ودلائلهم، وغيروه في اللفظ تارة، وفي المعنى أخرى!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني وطريق العصمة وطريق النجاة هو ما درج عليه أصحاب الرسول ﷺ واستقاموا عليه وتبعهم عليه أهل الحق من العمل بجميع ما جاءت به النصوص، فنصوص الوعيد لا تخالف نصوص الوعد، والرجاء والخوف قرينان يجب على المؤمن أن يسير إلى الله بينهما، فلا يغلب جانب الرجاء فيكون مع أهل الوعد الذين مالوا إلى الأمن وأنكروا الوعيد، ولا يكون مع أهل اليأس والقنوط، الذين مالوا مع الوعيد وأعرضوا عن جانب الرجاء والوعد، ولكن بينهما، فهو يرجو للمحسن ويخاف على المسيء، ويسير بين الرجاء والخوف إلى الله، ليس بآمن ولا قانط، بل يرجو الله ويخاف ذنوبه وسيئاته، ويعلم أن الله جل وعلا هو الخالق لكل شيء، وهو الموفق لمن شاء والهادي لمن يشاء والمضل لمن يشاء، فليس مع القدرية المجبرة ولا مع القدرية النفاة.

ويعتدل في أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، فليس مع الشيعة وليس مع الخوارج، بل هو يحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا يغلو فيهم ولا يكفرهم ولا يفسقهم، بل يعلم أنهم خيرة هذه الأمة وأنهم أفضل هذه الأمة، ولا يغلو في أحد منهم، لا بعلي ولا بغيره، بل ينزلهم منازلهم، ويعلم أنهم عبيد مربوبون مخلوقون، أكرمهم الله باتباع رسول الله ﷺ وصحبته، فلا غلو ولا جفاء.

أما الخوارج فقد جفوا وضلوا عن سواء السبيل، وأما الرافضة فجفوا في جانب غالب الصحابة، وغلو في جانب أهل البيت، فجمعوا بين الشرين، بين الجفاء والغلو جميعاً، ولهذا باءوا بالصفقة الخاسرة.

والوعد ما يتعلق بالخير، والوعيد ما يتعلق بالنار، الوعد ما يتعلق بالجنة والرجاء، مثل ما جاء في أخبار التوحيد ودخول الجنة، وما رتب الله على أعمال صالحة وأذكار وغيرها من غفران الذنوب ودخول الجنة والنجاة من النار.

وأخبار الوعيد ما يتعلق بالنار وما جاء من وعيد في المعاصي. أهـ.

* * *

فلبسوا الحق بالباطل، وكتموا حقاً جاء به نبيهم، فتفرقوا واختلفوا وتكلموا حينئذ في الجسم والعرض والتجسيم، نفياً وإثباتاً.

وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم، عدولهم عن الصراط المستقيم، الذي أمرنا الله باتباعه، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ فوحد لفظ صراطه وسبيله، وجمع السبل المخالفة له.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، وقال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، وقال: «هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

---

(١) صحيح، رواه الحاكم وغيره، «تخريج السنة» (١٧). أهـ ألباني

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا هو الحق، فإن صراط الله واحد وسبيله واحد ودينه واحد ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩] وهو طاعة الله ورسوله واتباع شرعه والتمسك بكتابه وسنة رسوله عليه الصلاة السلام، هذا هو دين الله، ولا يقع في البدع والضلالات والشرور إلا من حاد عن هذا السبيل، وهذا السبيل سلكه رسول الله ﷺ وسلكه أصحابه، فالواجب على من بعدهم أن يسلكوه وأن يستقيموا عليه، فلا يردوا كتاب الله بعضه ببعض، ولا سنة الرسول بعضها ببعض، فأحاديث الرجاء تقبل على العين والرأس، ويأخذها المؤمن راجياً حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، ولكن لا يترك جانب الوعيد ويعرض عن جانب الوعيد ويأمن مكر الله، بل يرجو رحمته، ويستبشر بأحاديث الرجاء وما جاء في معناها، ويخاف نقمته ويحذر عقوبته، فيأخذ بأحاديث الوعيد ويبتعد عن معاصي الله عز وجل، حتى يجمع بين الأمرين، بين خوف الله وخوف غضبه، وبين رجائه وحسن الظن به سبحانه وتعالى.

وهكذا النصوص الواردة في بقية الأقسام، فيأخذ بها كلها، ولا يرد بعضها في بعض، بل يؤمن بقضاء الله وقدره، ويؤمن بأن العبد مختار وله إرادة مشيئة، فيعمل بطاعة الله ويحذر معصية الله ويؤمن بقضاء الله وقدره.

وهكذا في أصحاب الرسول، يعرف فضلهم ويعرف سابقتهم ويعرف أنهم خير الأمة وأفضل الأمة، فلا يجفو في حقهم ولا يسب أحداً منهم، بل يترضى عنهم، ويحمل ما قد جاء من بعضهم مما قد يوهم شراً ونقصاً على أحسن المحامل، وأنه مجتهد طالب للحق، إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر.

ويحب أهل بيت رسول الله ﷺ ويعرف لهم فضلهم ويترضى عنهم، ولكن لا يغلو فيهم ولا يعتقد فيهم أنهم يعبدون من دون الله، أو أنهم يعلمون الغيب، أو أنهم معصومون، لا، بل هم في جملة المؤمنين في حق من استقام منهم وهداه الله منهم كعلي والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس وغيرهم من أهل البيت، لهم فضلهم ولهم منزلتهم عند الله، لكن ليس لأحد أن يغلو فيهم، فيدعي فيهم ما ليس لهم من العصمة أو علم الغيب أو أنهم يعبدون من دون الله ويستغاث بهم وينذر لهم كما فعل الرافضة، كل هذا شر وبلاء، نسأل الله العافية.

والمقصود أن الاعتدال هو سلوك المنهج الوسط، فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، ولا تكفير لأهل الإيمان ولا غلو في الرجاء فيأمن مكر الله، لكن بين ذلك، يسير إلى الله بين الجناحين، بين الخوف والرجاء، وبين الجفاء والإفراط، فلا غلو وإفراط، ولا تفريط وجفاء، وهكذا في كل الأبواب يسير على الوسط، فلا مع المتطرفين في الغلو، ولا مع المتطرفين في الجفاء، ولكن بين ذلك. أهـ.

* * *

ومن ههنا يعلم أن اضطرار العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله تعالى في الصلاة قراءة أم القرآن في كل ركعة، إما فرضاً أو إيجاباً، على حسب اختلاف العلماء في ذلك، لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر، المشتمل على أشرف المطالب وأجلها، فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وقد ثبت

عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون»[١] وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»[٢]؟!.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: والمقصود من هذا أمران:

الأمر الأول: التحذير من أخلاقهم.

والأمر الثاني: إخبار بأن هذا الواقع ولابد منه، فإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فالرسول يبين لنا بأمر ربه عز وجل أن هذا واقع، وأن الأمة ستنحرف ويقع فيها الشر والفساد واتباع من قبلها من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة، وهذا واقع.

والأمر الثاني وهو الأعظم: التحذير من سلوك مسلكهم والسير في منهاجهم، وأنه إن وقع فإياكم أن تأخذوا بمنهجهم وسيرهم، فهو واقع ولابد منه، ولكن احذروا أن تأخذوا به وأن تميلوا إليه وأن تكونوا مع من سار في ركابهم. أهـ.

* * *

قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى[٣].

---

(١) صحيح، رواه الترمذي وغيره ،وصحيحه ابن حبان (١٧١٥-٢٢٧٩).أهـ ألباني

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو مخرج فيما علقته على «إصلاح المساجد» للشيخ القاسمي رقم (٣١) ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٧٤-٧٥) مع شواهد له (٧٢-٧٣) وله شاهد آخر مخرج في الصحيحة (٦٣٤٨).أهـ ألباني

(٣) انظر الرد على وحدة الوجود لعلي القاري ١/ ٦٤.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وجه ذلك أن اليهود عندهم علم ولم يعملوا، فمن انحرف من العلماء فقد شابههم، والنصارى عندهم عبادة ولكنها على غير هدى، فمن انحرف من العباد وتعبد على غير بصيرة شابه النصارى. أهـ.

* * *

فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام، من المعتزلة ونحوهم - فيه شبه من اليهود، حتى أن علماء اليهود يقرؤون كتب شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويرجحونهم على النصارى.

وأكثر المنحرفين من العباد، من المتصوفة ونحوهم - فيهم شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك، وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء ويصنفون في ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التي أحدثها هؤلاء.

ولفرق الضلال في الوحي طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل.

أما أهل التبديل فهم نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل.

فأهل الوهم والتخييل، هم الذين يقولون: أن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه! لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيماً محسوساً، وعقاباً محسوساً، وإن كان الأمر

ليس كذلك، لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور!! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا القول ـ والعياذ بالله ـ أشنع قول وأخبثه، قول شنيع خبيث، نسأل الله العافية، معناه أن الرسل كذبوا وافتروا ولم يقولوا الحق، وهذا يخالف الفطر والعقول ويخالف ما جاءت به الرسل، فهو أشنع قول وأفسده لمخالفة الفطر السليمة والعقول الصحيحة والنقول الثابتة وما جاءت به الرسل، فالرسل أخبروا عن أمر واضح وعن حق، عن صفات ربهم سبحانه وعن أسمائه وعن أعماله وعن خلقه وعن حكمه سبحانه وتعالى، وأخبروا بمنتهى هذا العالم من جنة ونار وحساب وجزاء، فقد قالوا الحق وأمروا بالصدق، وليس هناك من الخلق أصدق من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وليس هناك أحد أكمل منهم أمانة وأصدق منهم لهجة وقولاً وعبادة، فهم أصدق الناس وخير الناس وأعلم الناس بالله عز وجل. أهـ.

* * *

وأما أهل التحريف والتأويل، فهم الذين يقولون: أن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وأن الحق في نفس الأمرهو ما علمناه بعقولنا! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ثم على أي عقل وعلى أي رأي؟ هم طوائف وأمم وخلائق لا يحصيهم إلا الله، فعلى أي عقل

تأول هذه النصوص؟ وعلى أي رأي؟

آراء متناقضة وعقول متناقضة فاسدة لو كانوا يعقلون.

فالمقصود أن هؤلاء المحرفين والمعطلين قد قالوا مثل قول الآخرين في المعنى، فالمعنى أن الرسل ما قالوا بالحقيقة ولا أخبروا بالحقيقة، وإنما وكلوا الناس إلى عقولهم حتى يتأولوا هذه النصوص، وحتى يصرفوها على ما يريدون بأسماء الله وصفاته وما أخبر به عن نفسه سبحانه وتعالى، فأولئك قالوا عن الجميع، وهؤلاء قالوا عن الصفات والأسماء، فكلاهما ضل عن سواء السبيل، وكلاهما باء بالخسران المبين والكفر البواح، نسأل الله العافية.

وأهل السنة والجماعة، وهم أصحاب الرسول ﷺ، وهم أتباع الرسل أينما كانوا، وكذلك أتباعهم بإحسان، هم الذين وفقوا للحق وثبتوا عليه وهداهم الله إليه، فصدقوا الرسل وآمنوا بما جاءت به الرسل، وأمروا النصوص على ماجاءت عليه، ولم يأولوا ولم يحرفوا في الأسماء والصفات، ولم يقنطوا ولم يفسقوا في الأوامر والنواهي، بل أثبتوا الحق وقالوا بالحق، وأخبروا عن الله بما أخبر به عن نفسه، وبما أخبرت به عنه الرسل عليهم الصلاة والسلام، لا فيما يتعلق بالأوامر والنواهي، ولا بما يتعلق بالآخرة وأخبار الآخرة، ولا فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، فقول أهل السنة هو الحق في ذلك كله، وهو الذي يطابق ما جاء به كتاب الله وما جاءت به سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو الذي يطابق ما جاءت به الرسل من أولهم وآخرهم. أهـ.

* * *

ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل، بل يقولون: يجوز أن يراد كذا، وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

وأما أهل التجهيل والتضليل، الذين حقيقة قولهم: أن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء! ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبرائيل ولا محمداً ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمداً ﷺ كان يقرأ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وهو لا يعرف معاني هذه الآيات! بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وهذا أيضاً من جنس ما قال هؤلاء الضالون المجرمون الجاهلون المتجاهلون، فالرسل هم أعلم الناس بما أخبروا به عن الله، وهم أصدق الناس، وهم أبصر الناس بما جاءوا به، وهكذا من تلقاه عنهم من الصحابة وأتباعهم بإحسان، هم أعلم الناس بذلك بعد الرسل. أهـ.

* * *

ويظنون أن هذه طريقة السلف!!

ثم منهم من يقول: إن المراد بهذا خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ولا يعرفه أحد، كما لا يعلم وقت الساعة! ومنهم من يقول: بل تجري على ظاهرها!! وهؤلاء يشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة،

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: ولهذا قال أبوالعباس

ابن تيمية: إن قول المفوضة شر من قول الجهمية، لأن معناه أن الرسل أخبروا بما لا يعلمون، وأنهم بلغوا الناس ما لا يعلمون، وهذا غاية في الجهالة والضلالة، بل الله أخبر الناس بما يعلمون وبما يفهمون، فالرسل بلغتهم ما يعلمون ويفهمون، وأوضحت لهم الحقائق على ما هي عليه، وأمر جل وعلا بأن يتدبر كتابه وبأن يتعقل كتابه، فلولا أنه يفهم ويعقل بلغة العرب التي نزل بها لما قال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٥] وقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] وقال: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الصافات:١٥٥] ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤] هذا كله واضح في أنه أنزل كتابه ليعقل ويفهم ويعلم، ولهذا قال بعد ذلك في آيات: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ ﴾ [الشورى:١١] ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:٤] ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ [النحل:٧٤] فدل ذلك على أنه أراد هذه المعاني التي أخبر بها على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى. أهـ.

* * *

ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً! ثم منهم من يقول: لم يعلم معانيها أيضاً! ومنهم من يقول: علمها ولم يبينها، بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية، وعلى من يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص!! فهم مشتركون في أن الرسول لم يعلم أو لم يعلِم، بل نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الرسول على ما يوافق عقولنا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقليات!! ولا يفهمون السميعات!!

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وبهذا يعلم فساد أقوال أهل الكلام ومضرتهم على الناس، وأن الركون إليهم ركون إلى غير شيء، وركون إلى الباطل وإلى الجهالة وإلى الفساد وإلى التشكيك، ولهذا قال الشافعي رحمه الله في حقهم: إن حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، وأن يطاف بهم في الأسواق، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام(١).

فالمقصود أن كلامهم وخوضهم كله شر وكله باطل، وكله يفضي إلى الشك والريب وعدم البصيرة، وسوء الظن بالرسل وسوء الظن بالله عز وجل. أهـ.

* * *

وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل.

نسأل الله السلامة والعافية، من هذه الأقوال الواهية، المفضية بقائلها إلى الهاوية.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قال سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله: وغالب ما في الشرع أخذه المؤلف من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وشيخه ابن كثير، وقد ذكر جملة من هذا أبوالعباس ابن تيمية في الحموية وفي التدمرية وفي غيرهما، وقد أحسن في نقله وفي تلخيصه، رحمه الله وجزاه الله خيراً. أهـ.

* * *

(١) ذكره عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩ وقال: لعل هذا متواتر عن الإمام.

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع — رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

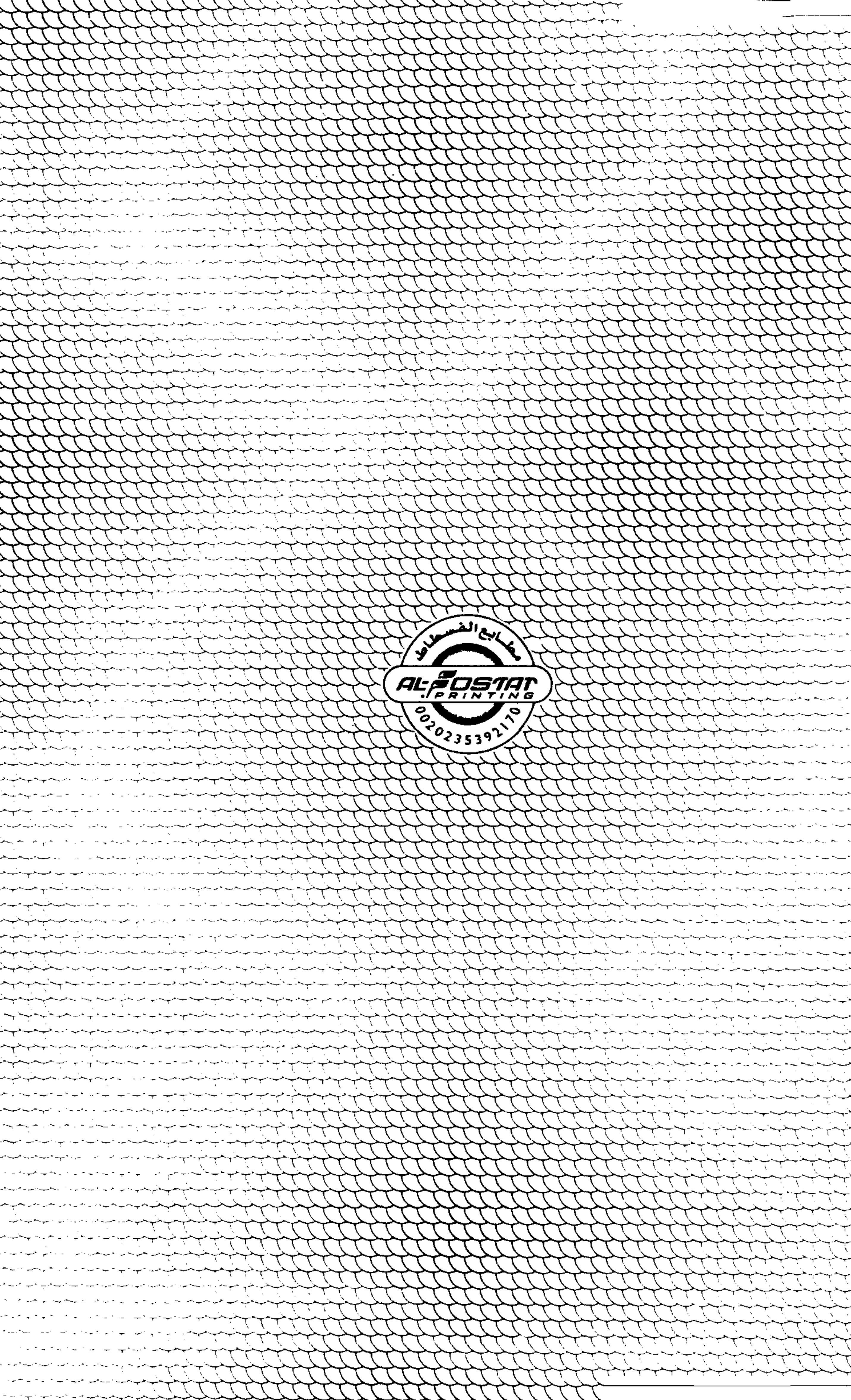
الموضوع	رقم الصفحة

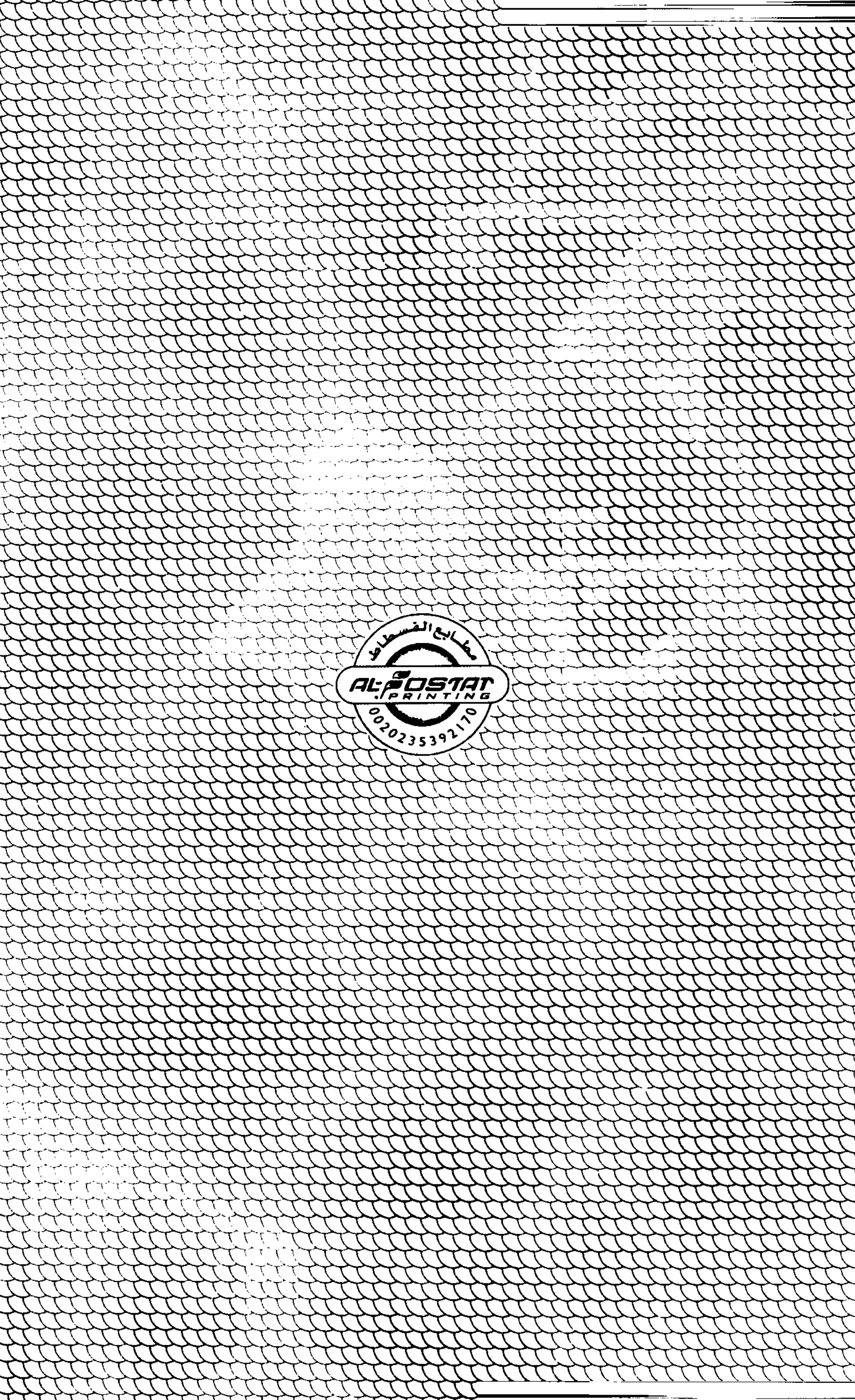
الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

❊ ❊ ❊


مطابع الفسطاط
AL-FOSTAT
PRINTING
0020235392170


مطابع الفسطاط
AL-FOSTAT
PRINTING
0020235392170